

# تاريخ

## المملكة العربية السعودية

إدارات تصدر عن الهيئة العامة للمعرف

الدرعية محمد بن سعود

الرياض دة همام بن دة

الصح والدم زيد بن زامل الدية

### الجزء الأول

Al-Na

الأول ١٢٥٧ هـ

القتل ١٢١٣ هـ

١٢٥٧ هـ

١٢٨٧ هـ

١٢٨٨ هـ

تأليف

Dr. Saad  
Al-Na  
Zhray

الدكتور عبد الله الصالح العثيمين  
د. عبد الله

الصالح  
الجزء

العثيمين الأول

{الله}

ح) عبدالله الصالح العثيمين، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، عبدالله الصالح

تاريخ المملكة العربية السعودية (الجزء الأول). / عبدالله الصالح

العثيمين. ط ١٣ - الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣٦٨ ص، ١٦، ٥، ٢٤٨ سم

ردمك: ١-٢١٩-٤٧-٩٩٦٠

١-السعودية - تاريخ. أ-العنوان.

١٤٢٦ / ١١٢

ديوي ٩٥٣، ١

رقم الإيداع: ١٤٢٦ / ١١٢

ردمك: ١-٢١٩-٤٧-٩٩٦٠

الطبعة الثالثة عشرة

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف

يطلب من

**مكتبة العبيكان**

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدمة الطبعة الحادية عشرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.

فإن من توفيق الله أن وجد الجزء الأول من تاريخ المملكة العربية السعودية ما وجدته من إقبال القراء الكرام؛ خاصة الطلبة والطالبات، منذ أن صدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٤هـ.

ولقد دفعني هذا الإقبال، الذي أعتزُّ به كل الاعتزاز وأقدره حق التقدير، إلى أن أتأمل بعض الأمور الواردة فيه، فأعدُّ ما يحتاج إلى تعديل، وأضيف ما يحتاج إلى إضافة. ومما أضفته نبذة عن عدد من العلماء والقضاة والأمراء والقادة أمثلة لمن شهدت لهم أعمالهم الجليلة ومواقفهم الحميدة. وكانت الطبعة السادسة من هذا الجزء قد صدرت متزامنة تقريباً مع صدور الطبعة الأولى من الجزء الثاني من الكتاب، فوحدت طريقة تهमيش المصادر في الجزأين. وذلك بإعطاء معلومات وافية عن المصدر عند ذكره أول مرة، ثم الاكتفاء بذكر مؤلفه ورقمي الجزء والصفحة إذا كان عمل المؤلف واحداً. أما إذا كان للمؤلف عملان أو أكثر فلا بد من إضافة

جزء من العنوان يدل على العمل المعتمد عليه. وفي هذه الطبعة  
صُحِّح ما وجد من أخطاء مطبعية، وعُدِّل ما استحسن تعديله من  
بعض العبارات.

والله أسأل أن يمدَّ الجميع بعونه ورعايته.

عبدالله الصالح العثيمين



## المقدمة

اعتاد من تناولو التاريخ السعودي بالكتابة أن يقسموه إلى ثلاثة أدوار، يبدأ الأول منها بالمبايعة التي تمت بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، وينتهي باستسلام الإمام عبد الله بن سعود لإبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م. أما الثاني فيبدأ - عند أكثر الباحثين - بنجاح الإمام تركي بن عبد الله في إخراج بقية حنود الحاميات العسكرية التابعة لمحمد علي من نجد سنة ١٢٤هـ / ١٨٢٤م، وينتهي بانتصار الأمير محمد بن رشيد على الإمام عبدالرحمن بن فيصل سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م. وأما الدور الثالث فيبدأ باستيلاء عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل سعود - الملك عبدالعزيز - على الرياض سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠٢. واعتاد من كتبوا عن تلك الأدوار أن يسموا كل دور منها دولة.

ولقد كتب عن كل دولة من هذه الدول الثلاث كتابات كثيرة معتمدة على مصادر تاريخية مختلفة. ولعل من أوفى الكتابات باللغة العربية عن الدولة السعودية الأولى ما كتبه كل من الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم والدكتور منير العجلاني لما أوردها فيما ألفاه من وثائق مفيدة. على أن المؤلفين يختلفان اختلافاً

واضحاً من حيث أسلوب الكتابة ومنهجها. أما الدولة السعودية الثانية فلعلَّ أوفى ما كتب عنها كتاب بيلى وايندر، الذي لا يزال باللغة الإنجليزية وترجمة عنوانه: العربية السعودية في القرن التاسع عشر. وأما الدولة السعودية الثالثة فلم يكتب بعد عنها - حسب علمي - كتابة شاملة مستقلة تضاهي ما كتبه وايندر عن الدولة السعودية الثانية. لكن من المؤلفات المفيدة عنها تلك التي كتبها فيليبي والزركلي.

وإلى جانب المؤلفات التي تناولت تاريخ كل دولة سعودية بالتفصيل هناك بحوث قيِّمة اقتصر كل منها على تناول تاريخ منطقة من المناطق التي شملها الحكم السعودي أو ناحية معيَّنة من نواحي النشاط فيها.

وكثير من الكتابات التي كتبت عن الدولة السعودية الأولى اعتمدت، بدرجة كبيرة، على تاريخي حسين بن غنَّام وعثمان بن بشر اللذين هما مصدران مهمَّان لأحداث تلك الدولة التي تحمَّس كل منهما لقادتها<sup>(١)</sup>.

(١) ولد حسين بن غنَّام في الأحساء. وتعلَّم فيها حتى أصبح عالماً بقواعد اللغة العربية والعلوم الشرعية. ثم قدم إلى الدرعية بعد أن قويت دولتها، وازدهرت فيها الحركة العلمية. وقد توفي فيها سنة ١٢٢٥هـ. انظر عنه حمد الجاسر، «مؤرخو نجد...» العرب، ربيع الأول ١٣٩١هـ. ص ٢٩٢ - ٢٩٤، أما ابن بشر فولد في جلاجل سنة ١٢١٠هـ، وتعلَّم في الدرعية. وله عدة كتب. وتوفي سنة ١٢٩٠هـ. انظر عنه المصدر نفسه، العرب، ربيع الثاني، ١٣٩١هـ، ص ٨٨١ - ٨٨٤.



وقد كتب ابن غنّام تاريخه بأسلوب سيطر عليه السجع المتكلف، وسمّى ذلك التاريخ: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام<sup>(١)</sup>. ولعله أراد باتباع الأسلوب الذي اتّبعه في كتابته إظهار مقدماته الأدبية؛ وبخاصة أنه كان مدرّساً لقواعد اللغة العربية في الدرعية. ولكن تاريخه، على أي حال، أول سجل دُونَ عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونشأة تلك الدولة التي قامت على أساس دعوته الإصلاحية، وما بذله قادة الدرعية من جهود في سبيل نشر الدعوة الإصلاحية، وتوسيع رقعة الدولة. وقد اعتنى عناية فائقة بالجانب الديني، فخصّ الجزء الأول من تاريخه بالحديث عن الأوضاع الدينية السائدة في المنطقة قبل ظهور الشيخ محمد، وعن حياة ذلك المصلح، وأورد فيه كثيراً من رسائله الشخصية، وما رأى إيراداً من فتاواه وتفسيره لسور من القرآن الكريم أو آيات منه. ومع أنه جعل الجزء الثاني من تاريخه للحديث عن الجانبين السياسي والعسكري للدولة السعودية فإنه ضمّنه رسالة مطوّلة كتبها الشيخ محمد رداً على أحد معارضيه<sup>(٢)</sup> وضمّنه، أيضاً، رسالة أخرى أجاب فيها الشيخ حمد بن ناصر بن

(١) الطبعة المعتمدة، هنا، طبعة القاهرة، ١٣٦٨هـ.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١ - ٤٠. وقد طبعت رسالة الشيخ محمد هذه كتاباً مستقلاً في القاهرة بعنوان مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد. وكان، رحمه الله، قد رد بها على أخيه سليمان.

مُعَمَّرٌ عَمَّا أَثَارَهُ عُلَمَاءُ مَكَّةَ مِنْ أَسْئَلَةٍ تَتَعَلَّقُ بِمَبَادِئِ الدَّعْوَةِ<sup>(١)</sup>. وَقَدْ غَطَّى هَذَا الْجُزْءُ الْأَحْدَاثَ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا الدَّوْلَةُ السُّعُودِيَّةُ الْأُولَى مِنْذَ قِيَامِهَا حَتَّى سَنَةِ ١٢١٢هـ؛ مُتَّبِعاً الطَّرِيقَةَ الْحَوْلِيَّةَ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ سَبَقُوهُ بِتَدْوِينِ الْحَوَادِثِ. وَلَقَدْ مَرَّتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ بِأَحْدَاثٍ مَهْمَّةٍ جَدًّا خِلَالَ السَّنَوَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ تَوْقُفٍ مَا هُوَ مَوْجُودٌ مِنْ تَارِيخِهِ وَبَيْنَ وَفَاتِهِ سَنَةَ ١٢٢٥هـ. وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمُرْجَحِ أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ عَنْ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمَهْمَّةِ فَإِنَّ مَا كَتَبَهُ عَنْهَا يَعدُّ فِي حُكْمِ الْمَفْقُودِ الْآنَ.

أَمَّا عَثْمَانُ بْنُ بَشْرٍ فَقَدْ كَتَبَ تَارِيخَهُ بِأَسْلُوبٍ سَهْلٍ. لَكِنَّهُ ضَمَّنَهُ فِقْرَاتٍ مَسْجُوعَةٍ سَجْعاً غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ؛ وَبِخَاصَّةٍ حِينَمَا يَرِيدُ أَنْ يَبْرِزَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَكُنُّ لَهُمْ وَدًّا كَبِيراً، أَوْ يَضَحِّمُ حَادِثَهُ فَرِيدَةً فِي نَظَرِهِ. وَقَدْ سَمَّى تَارِيخَهُ: عِنْوَانُ الْمَجْدِ فِي تَارِيخِ نَجْدِ<sup>(٢)</sup>.

وَرَكَّزَ كِتَابَتَهُ عَلَى النُّوَاحِي السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ اعْتَنَى عِنَايَةً لَا بِأَسْ بِهَا بِالنُّوَاحِي الْإِدَارِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ. وَلِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ

(١) ابن غنَّام، ج ٢، ص ٢٠٣ - ٢٣٢. والشَّيْخُ حَمْدٌ مِنْ أَشْهُرِ تَلَامِيذِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ. وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ مِنْ سَنَةِ ١٢٢١هـ إِلَى وَفَاتِهِ سَنَةَ ١٢٢٥هـ. وَرِسَالَتُهُ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمُؤَرِّخُ ابْنُ غَنَّامٍ، هُنَا، نَشَرْتُ كِتَابًا مُسْتَقِلًّا بِعِنْوَانِ الْفَوَاكِهِ الْعَذَابِ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْكَمْ السَّنَةَ وَالْكِتَابَ. أَنْظَرَ تَرْجُمَتَهُ فِي كِتَابِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَسَامِ، عُلَمَاءُ نَجْدٍ خِلَالَ سِتَّةِ قُرُونٍ، مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ الْحَدِيثَةِ بِمَكَّةَ، ١٣٩٨هـ، ج ١، ص ٢٣٩ - ٢٤٣. وَسِيَّشَارُ إِلَيْهِ، مُسْتَقْبَلًا، بِالشَّيْخِ الْبَسَامِ. وَذَلِكَ لِثَلَا يَشْتَبِهَ اسْمُهُ بِاسْمِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَسَامِ الْمُؤَرِّخِ.

(٢) الطَّبَعَةُ الْمَعْتَمَدَةُ، هُنَا، بِتَحْقِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ الشَّيْخِ، وَزَارَةَ الْمَعَارِفِ السُّعُودِيَّةِ، ط ٢، ١٣٩١هـ.

تاريخ نجد لا يبدأ، حقيقة، إلا بظهور دعوة الشيخ محمد فإنه جعل بداية تاريخه من السنة التي تباع فيها ذلك الشيخ والأمير محمد بن سعود على نشر الدعوة. لكنه لم يرد إغفال ما وقع في نجد من أحداث قبل تلك السنة. فدوّن هذه الأحداث متفرقة في ثنايا تاريخه؛ واضعاً كل حدث منهما تحت كلمة «سابقة». وقد بدأ تلك الأحداث بما وقع سنة ٨٥٠هـ. وانتهى الجزء الثاني من تاريخه بذكر أحداث سنة ١٢٦٧هـ. على أنه ورد في آخره ما يدل على أنه كان عازماً على كتابة جزء ثالث له؛ إذ قال:

«تمّ هذا الكتاب بعون الملك الوهاب. ويتلوه إن شاء الله تعالى دخول السنة الثامنة والستين، وفيها مغزى عبدالله بن فيصل على عمان... كما ستقف عليه مفصلاً إن شاء الله تعالى في الكتاب بعد هذا»<sup>(١)</sup>.

وليس من المؤكد ما إذا كان ذلك المؤرخ النجدي قد نفذ ما كان عازماً عليه أم لم ينفذه. فإن كان قد فعل ذلك فإن ما كتبه لم يعثر عليه - حسب علمي - حتى الآن.

أما الذين كتبوا عن الدولة السعودية الثانية فقد اعتمدوا اعتماداً كبيراً على عنوان المجد، وعلى ما ألفه إبراهيم بن عيسى ذيلاً لهذا الكتاب<sup>(٢)</sup>. وسماه: عقد الدرر فيما وقع في نجد من

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٣.

(٢) ولد إبراهيم بن عيسى في أسيقر سنة ١٢٧٠هـ. وتعلّم داخل وطنه وخارجه حتى أصبح عالماً بالشريعة والأنساب والتاريخ. وقد استقر أخيراً في عنيزة إلى أن توفي فيها سنة ١٢٤٣هـ. انظر عنه الشيخ البسام، ج ١، ص ١١٧ - ١٥٢.

الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر<sup>(١)</sup>. وقد بدأ تسجيل الحوادث من سنة ١٢٦٨هـ وانتهى بحوادث سنة ١٣٠٤هـ. لكن من حققه ونشره مع كتاب ابن بشر زاد عليه ما دوَّنه ابن عيسى في كتاب أخر له حتى سنة ١٣٤٠هـ<sup>(٢)</sup>. وعقد الدرر مشابه لكتاب عنوان المجد من حيث الأسلوب والمنهج. لكن مؤلفه كثيراً ما تجاوز سنوات دون ذكر حوادثها<sup>(٣)</sup>.

وما كتب عن الدولتين السعوديتين الأولى والثانية من كتابات جيدة فيه إطالة بالنسبة لعامة القراء وطلاب الجامعة؛ وبخاصة أن قسماً من الطلاب يدرسون المقررات وفق النظام الفصلي المتَّبَع في أكثر الجامعات السعودية. وهذا النظام يعيق طالب الدراسات الإنسانية عن قراءة ما يمكن أن يقرأه طالب تلك الدراسات في الجامعات التي تتَّبَع النظام السنوي في تدريس المقررات. وبالإضافة إلى ذلك فإن ما كتب عن الدولتين المذكورتين لا يخلو من أمور تحتاج إلى تدقيق وإعادة نظر.

- 
- (١) الطبعة المعتمدة، هنا، هي المنشورة مع كتاب ابن بشر المذكور سابقاً.  
 (٢) انظر عقد الدرر، ص ١٠٥ واسم الكتاب الآخر تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ). وقد نشره الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٣٨٦هـ.  
 (٣) من ذلك أنه لم يدوّن حوادث السنوات الواقعة بين ١٣٢٠ و ١٣٢٩هـ. انظر عقد الدرر، ص ١٠٥ وتاريخ بعض الحوادث، ص ٢٠٢.  
 على أن الشيخ البسام ذكر (ج ١، ص ١٢٣) أن للمؤلف تاريخاً ما زال مخطوطاً يبدأ بذكر حوادث سنة ١٣٠٢هـ وينتهي بحوادث سنة ١٣٢٩هـ غطّى فيه ما نقص من الكتابين المطبوعين.

ولما سبق ذكره جاء تدويني لما دونته عن تاريخ المملكة أملاً في إخراجها بصورة تجمع بين الشمول وعدم الإطالة. وقد أشرت في الهوامش إلى المصادر التي استقيت منها المعلومات؛ وبخاصة تلك المصادر التي غلب على ظني أنها أكثر توافراً من غيرها في المكتبات المحليّة، وذلك لمن أراد أن يتأكد من صحة ما كُتِبَ أو يستقصي حادثة معيّنة<sup>(١)</sup>. وأتّبع فيما دونت إيراد الحوادث التاريخية مع ذكر ما اتضح لي من أسبابها ونتائجها ومناقشة ما يحتاج إلى مناقشة.

ولقد ارتبط التاريخ الحديث لهذه البلاد ارتباطاً عميقاً بالحكم السعودي حتى أصبح اسمها المملكة العربية السعودية. واختير هذا الاسم ليكون عنوان المقرر الجامعي الذي يتناول تاريخ الدول السعودية الثلاث كلها مع أن تلك التسمية لم تحدث إلا في الدولة السعودية الثالثة. وهذا هو السبب الذي جعل هذا الكتاب يسمّى بما سُمِّيَ به.

ولأن تناول تاريخ المملكة بالصورة التي سبق أن أشير إليها لو أخرج في مجلد واحد لكان كبير الحجم رأيت تقسيمه إلى جزأين: الأول عن الدولتين السعوديتين الأولى والثانية. والثاني عن الدولة

---

(١) على أني أوردت أسماء المصادر الأجنبية في الهوامش مترجمة إلى العربية تسهيلاً للطباعة واكتفاء بإيرادها ضمن قائمة المصادر باللغة التي كتبت بها.

السعودية الثالثة؛ وبخاصة أن تغيراً اجتماعياً واقتصادياً كبيراً قد حدث خلال تاريخ هذه الدولة، وهذا ما يحتاج إلى عرض وافٍ يوضح جوانبه المختلفة.

وكان الإسراع بإخراج الجزء الأول من الكتاب يهدف إلى أن أجد من تعليقات القارئ الكريم وتوجيهاته ما يساعدني في تدوين الجزء الثاني وإخراجه. وقد حدث هذا والحمد لله.

ومن بين الأمور التي سيرها القارئ الكريم في الجزء الأول من الكتاب أن الكلام عن منطقة نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى أكثر تفصيلاً عن الكلام عن بقية المناطق التي تكونت منها المملكة العربية السعودية فمياً بعد. وذلك عائد إلى سببين: أولهما أن المصادر عن تاريخ نجد في تلك الفترة أقل توافراً من المصادر عن تاريخ المناطق الأخرى كالحجاز والأحساء. فرأيت من المستحسن إمداد القارئ بمعلومات قد لا يجدها بسهولة في المصادر التي بين يديه. وثانيهما أن نجداً مهد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية التي قام على أساس مبادئها الحكم السعودي. ولذلك يستحسن معرفة الأوضاع التي سادت المنطقة قبلها.

ومما سيراه القارئ الكريم، أيضاً، أن هناك تفصيلاً لا بأس به عن حياة الشيخ محمد وبداية دعوته. وذلك لما تحقق للبلاد من خير على يدي ذلك المصلح. لكنه سيرى بعد ذلك أن الكلام عن

الأمر الحربية أكثر من الكلام عن الأمور الأخرى. وذلك عائد إلى أن تاريخ الدولة السعودية الأولى اُتسم بالحروب والفتوحات؛ إذ لم تمرّ سنة واحدة من ١٥٩هـ إلى ٢٣٣هـ إلا وقد حدثت فيها معركة أو عدة معارك بين أنصار الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية وبين خصومهم. ومع أن الحروب في الدولة السعودية الثانية كانت أقل من الحروب في الدولة السعودية الأولى فإنها كانت من الكثرة بحيث شغلت حيزاً كبيراً من كتابات المؤرخين المعاصرين لها. على أني استعرضت بعض الملامح الأخرى في كلتا الدولتين آملاً أن يكون ما ذكرته وافياً بالفرض الذي كتب من أجله.

والله ولي التوفيق

عبدالله الصالح العثيمين







# أوضاع البلاد

قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب



## ١. الحجاز:

كانت الحجاز من المناطق التي شهدت حركات علوية عنيفة ضد الدولة العباسية منذ قيامها. ولقد استطاعت هذه الدولة أن تقضي على تلك الحركات في عهود خلفائها الأقوياء. لكن ضعفها في أواخر القرن الثالث الهجري أغرى زعماء العلويين باستئناف نشاطهم. فانتزع محمد بن سليمان الحسني إمارة مكة من الوالي العباسي سنة ٣٠١هـ، واستقل بها<sup>(١)</sup>. ومع أن المصادر لا تعطي تفصيلات عما حدث لمحمد بن سليمان بعد ذلك فإنها تفيد بأن حكم البلدة المقدسة بقي في أيدي الأشراف الحسنيين حتى دخلها القرامطة سنة ٣١٧هـ<sup>(٢)</sup>. وقد نجح العباسيون في استعادة نفوذهم الرسمي على الحجاز بعد سنوات قليلة من هذا التاريخ مسندين ولايتها لأتباعهم الإخشيديين الذين كان مركز حكمهم في مصر.

وحينما بدأت علامات الانهيار تدبُّ في أوصال كيان الإخشيديين أمام الزحف الفاطمي انتعشت روح الأمل مرة أخرى في نفوس العلويين في الحجاز، وفرض الزعيم جعفر بن محمد

---

(١) عبد الملك العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ج٤، ص ١٩٢.

(٢) أحمد الزيلعي، مكة وعلاقتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ)، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود)، ١٤٠١هـ، ص ٢٣ - ٢٤.

الحسني سيطرته على سير الأحداث في مكة وما حولها. ولما سقطت مصر في أيدي الفاطميين سنة ٣٥٨هـ استولى على مقاليد الأمور في البلدة المذكورة. ودعا في الخطبة للخليفة الفاطمي<sup>(١)</sup>. وكان ذلك إيذاناً بتأسيس حكم الطبقة الأولى من طبقات حكام الأشراف، وهي طبقة الموسويين<sup>(٢)</sup>.

وكما دُعي للخليفة الفاطمي في مكة المكرمة دُعي له في المدينة المنورة من قبل العلويين الحسينيين، الذين سيطروا على الأوضاع هناك<sup>(٣)</sup>. وبذلك أصبحت الحجاز تحت النفوذ الفاطمي وإن بذل الوزراء العباسيون من بني بُوَيه محاولات لمدِّ نفوذهم عليها. وقد بلغ الحاكم الثالث من الطبقة الموسوية، أبو الفتوح الحسن بن جعفر، درجة من القوة مكَّنته من انتزاع حكم المدينة المنورة من أبناء عمه الحسينيين، وأغرته بأن يعلن نفسه خليفة مستقلاً<sup>(٤)</sup>. على أن خلافته لم تطل. ذلك أن الدسائس الفاطمية استطاعت أن ترغمه على التخلّي عنها وإعلان تبعيته لحكام مصر<sup>(٥)</sup>. وكما شهد عهد

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢ .

(٢) نسبة إلى موسى الجون من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما. انظر عن نسبه أحمد السباعي، تاريخ مكة، دار قريش للطباعة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ، ج ١، ص ١٧٢ .

(٣) عبدالله عنقاوي، تاريخ الجزيرة العربية من القرن الثالث الهجري... طبعته بالألة الكتابة دار المعارف السعودية بالرياض، ص ١٢ .

(٤) ولي إمارة مكة سنة ٢٨٤هـ بعد وفاة أخيه عيسي، وتوفي عام ٤٣٠هـ. انظر النجم عمر بن فهد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ، ج ٢، ص ٤٢٣ و ٤٥٩ .

(٥) الزيلعي، ص ٥٠ - ٥٧ .

هذا الأمير مدَّ نفوذ الطبقة الموسوية ثم جزره النسبي كانت وفاة ابنه شكر، سنة ٤٥٣هـ، بمثابة إعلان نهاية حكم تلك الطبقة. فقد انتزع السليمانيون حكم مكة من عبد شكر بع دفرة قصيرة جداً من استيلائه عليه<sup>(١)</sup>.

ومع أن كثيراً من المؤرخين يعدُّون السليمانيين طبقة من طبقات الأشراف التي تداولت حكم مكة إلا أن حكمهم لم يستمر أكثر من سنتين. ذلك أن ميلهم للعباسيين دفع حاكم اليمن المتحالف مع الفاطميين إلى الإطاحة بهم، وتسليم حكم البلاد إلى طبقة أخرى من الأشراف تسمى الهواشم<sup>(٢)</sup>.

ولقد شهد القرن الأول من حكم طبقة الهواشم تنافساً شديداً بين العباسيين والفاطميين لكسب ولاء أمراء مكة وإغرائهم بالدعاء لهم في الخطبة. وكان ولاء بعض هؤلاء الأمراء يتذبذب بين الفريقين المتنافسين حسب الظروف. لكن النصيب الأوفر من الولاء كان للفاطميين بصفة عامة<sup>(٣)</sup>. وبالإضافة إلى ذلك شهدت تلك الفترة صراعاً حاداً بين أشراف الطبقة الحاكمة ذاتها على الإمارة<sup>(٤)</sup>.

(١) السباعي، ج ١، ص ١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٣) الزيلعي، ص ٦٧ - ٧٠ .

(٤) السباعي، ج ١، ص ١٨٠ - ١٩٠ .

وحينما نجح صلاح الدين الأيوبي في إنهاء حكم الفاطميين لمصر، واستولى على مقاليد الأمور فيها سنة ٥٦٧هـ، أصبح له نفوذ في الحجاز تمثل في إضافة اسمه إلى اسم الخليفة العباسي في الخطبة<sup>(١)</sup>.

على أن الصراع الداخلي بين الهواشم استمر حتى انتزع الإمارة منهم قتادة بن إدريس سنة ٥٩٧هـ<sup>(٢)</sup>. وبذلك بدأ حكم الطبقة الرابعة من الأشراف، وهي الطبقة التي بقيت تحكم الحجاز حتى سنة ١٣٤٣هـ.

ولقد أدى صراع أبناء قتادة على الحكم إلى تدخل بني رسول، حكام اليمن، في شؤون مكة منافسين بذلك حكام مصر من الأيوبيين وخلفائهم المماليك الذين استولوا على مقاليد الأمور هناك سنة ٦٤٨هـ. لكن المماليك كسبوا الجولة في نهاية الأمر، وأصبح لهم نفوذ كبير في الحجاز؛ وبخاصة في القرن التاسع الهجري. وقد ظل هذا النفوذ واضحاً حتى زالت دولتهم في مصر على أيدي العثمانيين سنة ٩٢٣هـ<sup>(٣)</sup>. وكان من أبرز الأشراف في تلك الفترة

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه. ج ١، ص ٢٠٥.

(٣) انظر عن نفوذ المماليك في الحجاز كتاب العلاقات الحجازية زمن سلاطين المماليك، لعلي بن حسين السليمانى، القاهرة، ١٣٩٣هـ.

الحسن بن عجلان الذي استطاع أن يمد نفوذه من ينبع شمالاً إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان) جنوباً<sup>(١)</sup>.

وحينما استولى السلطان سليم الأول العثماني على مصر، سنة ٩٢٣هـ، كان أمير مكة الشريف بركات الثاني، الذي أوفد ابنه

أبا نُمَيٍّ إلى ذلك السلطان معلناً ولاءه له<sup>(٢)</sup>. وهكذا أصبحت الحجاز

تحت نفوذ العثمانيين وكان من مظاهر هذا النفوذ الدعاء للسلطان

العثماني في الخطبة، وأخذ موافقته على ولاية الشريف الجديد،

ووجود ممثل له يشارك في إدارة شؤون المدينة المنورة، وتعيين شيخ

الحرم، ومشاركة أمير الحجاز في واردات جدة من الجمارك.

ولقد كان الصراع الأسري بين أشرف الحجاز على الحكم دمويًا

ارتكبت خلاله أنواع من القسوة والعنف<sup>(٣)</sup>. ولم يخلُ تاريخهم الطويل

من ذلك الصراع إلا في فترات قليلة جداً. وكان أولئك الأشراف

يعتمدون في صراعهم مع منافسيهم على من ينضم إليهم من أسرته

ومماليكهم وقبائل المنطقة. وفي بعض الأحيان كان أمراء الحج

العثمانيون يتدخلون بقواتهم الخاصة لمصلحة هذا الشريف أو ذاك<sup>(٤)</sup>.

(١) سميت منطقة جازان بالمخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي الذي وحد تلك المنطقة تحت إمرته سنة ٣٧٢هـ.

(٢) السباعي، ج ٢، ص ٧.

(٣) انظر مثلاً لذلك، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦.

ونتيجة لذلك عانى الأبرياء من السكان والحجاج كثيراً من المصائب والمحن.

وكان عماد اقتصاد بادية الحجاز الثروة الحيوانية ومنتجاتها.

أما سكان السواحل فمن أهم وجوه نشاطهم صيد السمك.

وأما غالبية سكان المدن الحجازية الكبيرة فكانت التجارة دعامة حياتهم الاقتصادية.

وكما كان الأشراف والتجار يستفيدون من الحج استفادة كبيرة فإن بقية سكان البلاد كانوا ينتفعون به بوسائل مختلفة. وكان لرؤساء القبائل؛ خصوصاً أولئك الذين في شمال الحجاز، منافعهم الذاتية من الحج. ذلك أنهم كانوا يفرضون إتاوات على القوافل المارة بمناطق نفوذهم، ويتسلمون هدايا من قادة تلك القوافل.

على أن الأوضاع الاقتصادية في الحجاز كانت تتأثر تأثراً كبيراً بالأوضاع السياسية العامة. فإذا استقرت الأوضاع السياسية الداخلية، وكانت علاقة الشرافة بالقوى الإسلامية الكبرى طيبة، تحسنت الأوضاع الاقتصادية، وسادت البلاد نوع من الرخاء. وإن لم تكن كذلك حلت الكوارث الاقتصادية وتدهورت الأحوال.

وتشير إحدى الدراسات إلى أن أشراف الحجاز كانوا يتبعون للذهب الريدي حتى القرن التاسع الهجري، ثم اعتنقوا المذهب  
كيف كانت  
الأوضاع  
الريدي  
الحجاز



السني خلال النصف الأول من هذا القرن.<sup>(١)</sup> أما باقي سكان الحجاز فكانوا، بصفة عامة، سنّة قبل ذلك التاريخ وبعده. وكان لوجود الحرمين الشريفين في البلاد أثره الكبير في الحياة العلمية. فقد كان بعض العلماء من الأقطار الإسلامية المختلفة يجاورون في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكثيراً ما قام بعضهم بالتدريس والتأليف.

ومع وجود العلماء وازدهار الحركة العلمية في مكة والمدينة فإن الحجاز لم تخلُ من أصحاب المذاهب التي يستنكرها المحققون من علماء المسلمين، كما أنها لم تخلُ من الأمور البدعية والخرافية المنتشرة في كثير من البلدان الإسلامية. وكان كثير من فئات القبائل الحجازية على جهل كبير بأحكام الدين الإسلامي. ولذلك لم تكن محافظة على ممارسة شعائره أو ملتزمة بواجباته. وهناك من المصادر ما يشير إلى انحطاط الأخلاق وانتشار بعض الأمور التي يحرّمها الدين الإسلامي الحنيف وتآبها القيم العربية الأصلية؛ وبخاصة بين أفراد الطبقة المتنفّذة في البلاد.<sup>(٢)</sup>

(١) ريتشارد مورتيل، وترجمة عنوان بحثه: «المذهب الزيدي وأشرف مكة الحسينيون». مجلة دراسات الشرق الأوسط الدورية، العدد ١٩، ١٩٨٧م، ص ٤٦٨. وهذه الدراسة مبنية على مصادر معاصرة للأحداث.

(٢) محمد بن عبد الوهاب، مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٨هـ، ج ٥، ص ٩٧.

## الأشراف يمتد نفوذهم من العقبة عمان إلى القنفذة

٢ - جنوبي غرب البلاد:

إلى أين امتد نفوذ الحكام الأشراف؟

ويشتمل ذلك على عسير والمخلاف السليمانى ونجران، وقد

امتد نفوذ أشراف الحجاز إلى القنفذة جنوباً. وهذا يعني أن منطقة

عسير، بسراتها وتهامتها، قد دخلت تحت نفوذ أولئك الأشراف

وإذا كان من المرجح أن نفوذ الأشراف كان واضحاً في تهامة

لسهولة التحرك العسكري في الجهات الساحلية فإنه من المحتمل

أن نفوذهم في الجهات الجبلية لم يكن أكثر من تحالف بعض

القبائل هناك معهم. أما ولاء السكان الحقيقي فكان للزعماء

المحليين التقليديين.

وكانت الحياة الاقتصادية في عسير تقوم على أمور عدة أبرزها

الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية. وكانت الزراعة والثروة

الحيوانية تتأثران بالعوامل الطبيعية والظروف السياسية المحلية.

ولكن وجود الأمطار الموسمية في تلك المنطقة يوحي بأن الحياة

الاقتصادية هناك لم تكن سيئة.

وكانت منطقة عسير بعيدة نسبياً عن مركز الحركة العلمية في

مكة والمدينة واليمن. ولهذا فإن المصادر المتوافرة لدى الباحثين لم

تشر إلى وجود علماء فيها خلال تلك الفترة. ويبدو أن الوضع

الديني هناك لم يكن حسناً إلا من حيث العقيدة ولا من حيث القيام

بأركان الإسلام والالتزام بواجباته.

أما المخلاف السليماني فقد شهد وحدة إقليمية في القرن الرابع الهجري على يد سليمان بن طرف الحكمي، الذي سُمِّي المخلاف باسمه<sup>(١)</sup>. لكن إمارته انتهت على يد الحسين بن سلامة، أحد موالى الدولة الزيادية الأقوياء، قبل نهاية ذلك القرن<sup>(٢)</sup>. وبعد ذلك أصبح المخلاف إمارات متعددة تتولَّى قيادة أكثرها زعامات من الأشراف الذين يدينون بالولاء لحكام صنعاء<sup>(٣)</sup>. وظل الوضع السياسي للمخلاف هكذا حتى قرب منتصف القرن الثاني عشر الهجري حينما نجح الشريف أحمد بن محمد بن خيرات في كسب ولاء الزعماء المحليين، ثم نجح ابنه محمد في توحيد البلاد تحت قيادته<sup>(٤)</sup>.

وكان سكان المخلاف السليماني يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على الزراعة والتجارة والثروة الحيوانية والسمكية. وكان وضعهم الاقتصادي جيداً بصفة عامة. ذلك أن الأمطار الموسمية في المنطقة غزيرة والتربة خصبة، وكانت الموانئ هناك مراكز تجارية نشطة<sup>(٥)</sup>.

(١) أحمد بن محمد العقيلي، من تاريخ المخلاف السليماني، ط ٢، دار اليمامة، ١٤٠٢هـ، ج ١، ص ٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٢.

(٣) سواء كان أولئك الحكام محليين أو غير محليين كالعثمانيين.

(٤) العقيلي، ج ١، ص ٣٩٠ - ٣٩١، ٤٢٠ - ٤٢٤.

(٥) مَيَّ العيسى، المخلاف السليماني في عهد الدولة السعودية الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ، ص ٢٦ - ٢٧ و ٣١ - ٣٢.

ومن الواضح أن الحياة العلمية في المخلاف السليماني كانت لا بأس بها، على أنها لم تصل حينذاك إلى مستوى الحياة العلمية في الحجاز أو اليمن. وكان بعض سكان المنطقة يعتقدون المذهب الزيدي، وبعضهم يعتقدون المذهب السنِّي؛ وبخاصة الشافعي<sup>(١)</sup>. وقد ظهر بين أولئك السكان علماء أجلاء في فترات تاريخية مختلفة. على أن الصوفية وجدت لها موطناً قدم هناك<sup>(٢)</sup>، كما أن البدع والخرافات انتشرت في المنطقة بدرجة تشبه انتشارها في بلاد إسلامية أخرى<sup>(٣)</sup>.

وأما نجران فأكثر سكانها من قبائل يام، وكانت من المناطق التي وصلت إليها الحركة القرمطية أثناء مد تلك الحركة في أواخر القرن الثالث الهجري<sup>(٤)</sup>. وحينما تغلب الأئمة الزيديون على الإسماعيليين في اليمن بعد عدة قرون اضطر بعض المهزومين إلى الهجرة من جزيرة العرب إلى بلدان مختلفة، وانحصر بعضهم الآخر في نجران التي أصبح المكارمة زعماءها الدينيين، وقد بقيت الزعامة لهم هناك حتى دخلت تلك المنطقة تحت حكم آل سعود.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٢) ولعل أحسن مرجع لهذا الموضوع كتاب محمد العقيلي، التصوف في تهامة، مطابع الأصفهاني بجدة ١٣٨٤هـ.

(٣) مي العيسى، ص ٣٤ - ٣٥.

(٤) يحيى بن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ص ١٩٩.

وكانت قبائل نجران اليامية نشطة جداً من الناحية العسكرية. ولذلك فإن زعماء المخلاف السليماني كثيراً ما استعانوا بتلك القبائل في حروبهم ضد منافسيهم المحليين وخصومهم من الخارج. ومن هنا فإن النشاط العسكري كان من مصادر دخل القبائل النجرانية المهمة. كيف كانت من الناحية الدينية؟

وكان الجهل الديني كبيراً بين القبائل الرحل في ذلك الإقليم. ويبدو أن ممارستها لأركان الإسلام من صلاة ونحوها كانت قليلة حينذاك؛ مثلها في ذلك مثل كثير من فئات القبائل في مناطق متعددة.

### ٣. شرقي البلاد:

كان شرقي البلاد يسمى البحرين، ويشتمل على جهتي الأحساء والقطيف أو ما أصبح يدع الآن المنطقة الشرقية. وكانت قبيلة بني عبد القيس الساكنة هناك من أولى القبائل التي استجابت للإسلام.

ولهذا فإن أول جمعة أقيمت في غير المسجد النبوي كانت في مسجد جواثي المقام في تلك المنطقة<sup>(١)</sup>. ثم أصبح المد الشيعي<sup>ما هموا عندهم</sup> الباطني فيها أشد عنفاً منه في بقية مناطق الجزيرة العربية. ذلك أنها كانت مركز دولة القرامطة التي بدأت في أواخر القرن الثالث

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر كلاً من: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، لمحمد آل عبدالقادر، مطابع الرياض، ١٣٧٩هـ، ج ١، ص ١١، والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية، لمحمد الجاسر، دار اليمامة، ١٣٩٩هـ، ج ١، ص ٤٢٣ - ٤٢٢.

الهجري. وقد بلغت هذه الدولة عنفوان قوتها العسكرية في الربع الأول من القرن الذي تلاه. وما قام به زعماء القرامطة حينذاك من أعمال رهيبة في الحجاز والعراق والشام من الأمور التي فصلتها المصادر التاريخية المختلفة<sup>(١)</sup>.

على أن الضعف حلَّ في كيان الدولة القرمطية خلال القرن الخامس الهجري. وبدأت كثير من القبائل، التي انضمت إليها في السابق لأغراض مادية، تنفصل عنها وتقاومها. وفي سنة ٤٦٦هـ استطاع عبدالله بن علي العيوني من بني عبدالقيس أن يحصل على معونة عسكرية من الدولة العباسية تمكَّن بها من القضاء على دولة القرامطة، وأسس في المنطقة دولة له ولأسرته من بعده<sup>(٢)</sup>.

وظلت الأسرة العيونية تحكم المنطقة الشرقية من جزيرة العرب حتى دبَّ الخلاف بين أفرادها مما أدَّى إلى زوال حكمهم قبيل منتصف القرن السابع الهجري. وكان من أشهر رجال تلك الأسرة في أواخر عهدها الشاعر علي بن المقرَّب، الذي يعدُّ ديوانه مصدراً مهماً من مصادر تاريخ البلاد في تلك الفترة<sup>(٣)</sup>.

(١) من الكتب الحديثة التي تناولت تاريخ القرامطة في البحرين بتفصيل جيّد كتاب محمد آل عبدالقادر السابق الذكر، ج١، ص ٨٤ - ٩٨. وللباحث ناصر الزامل دراسة بعنوان: قرامطة البحرين، نال بها درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٣هـ.

(٢) آل عبدالقادر، ج١، ص ٩٨؛ الجاسر، المنطقة الشرقية، ج١، ص ٦٨.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الأسرة العيونية انظر آل عبدالقادر، ج١، ص ٨٦ - ١١٨؛ علي الخضير، علي بن المقرَّب العيوني: حياته وشعره، بيروت ١٤٠١هـ.

وكانت قبيلة بني عامر من أقوى القبائل في شرقي الجزيرة العربية. وقد استغل فريق منها، بزعامة عصفور بن راشد، فرصة ضعف العيونيين، فانتزع حكم البلاد منهم<sup>(١)</sup>. واستمر بنو عصفور يحكمون البلاد حتى أنهى حكمهم لها سعيد بن مَغامس<sup>(٢)</sup>. على أن حكم سعيد للمنطقة لم يطل؛ إذ لم يزد على خمس سنوات. ثم انتقل حكم البلاد إلى فريق آخر من بني عامر بزعامة جَرَّوان المالكي. وقد أشارت المصادر إلى ثلاثة أمراء من أسرته كان آخرهم يحكم سنة ٨٢٠هـ. ثم بدأ حكمه يضعف تدريجياً إلى أن استولت على البلاد أسرة عامرية أخرى هي أسرة زامل الجبّري<sup>(٣)</sup>.

وكان أشهر أمراء هذه أسرة زامل - بل أشهر زعيم حكم تلك البلاد في العصر الإسلامي الوسيط - أجود بن زامل الذي اتسع نفوذه اتساعاً عظيماً شمل شرقي الجزيرة العربية وأجزاء كبيرة من

(١) آل عبدالقادر، ج ١، ص ١١٩.

(٢) يرى محمد آل عبدالقادر (المصدر نفسه، الصفحة ذاتها)، أن نهاية حكم آل عصفور كانت في مستهل القرن الثامن، لكن الدكتور عبداللطيف الحميدان يرى أنها كانت حوالي نهاية ذلك القرن. انظر دراسته القيّمة «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية»، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٥ سنة ١٩٧٩م، ص ١٢٣.

(٣) آل عبدالقادر، ج ١، ص ١٢٠. والمالكي نسبة إلى فخذ من بني عامر يسمّى بني مالك، وليس نسبة إلى المذهب المالكي.

عمان ونجد<sup>(١)</sup>. ولعل مما زاد في شهرته؛ إضافة إلى قوته العسكرية، ما كان يتصف به من صفات جليلة ورعاية كريمة للعلم وأهله. ومن أمراء تلك الأسرة المشهورين مقرر بن زامل الكذي استشهد على أيدي البرتغاليين وحلفائهم من الهرمزيين دفاعاً عن بلاده سنة ٩٢٧هـ<sup>(٢)</sup>.

وبعد استشهد الأمير مقرن حلَّ الخلاف بين أفراد أسرته على الحكم. وبذلك أصبح هنالك عاملان يقوَّضان كيان حكم تلك الأسرة: الصراع الداخلي، والغزو الخارجي. ونتيجة لهذه الظروف لم تبق الأسرة الجبرية في الحكم بعد مقرن إلا أربع سنوات؛ إذ استولى راشد بن مغماس على مقاليد الأمور في البلاد سنة ٩٣١هـ<sup>(٣)</sup>.

وفي أثناء ذلك كان القادة العثمانيون قد عزموا على إدخال الجزيرة العربية تحت نفوذهم؛ وبخاصة بعد أن أصبحت الحجاز

(١) قال السخاوي عن أجود: «إنه ملك البحرين وعمان». انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ج ١، ص ١٩٠. ووصفه السمهودي بأنه «رئيس نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف». انظر وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ج ٢، ص ٢٨٨. ولعل المراد برئاسته لنجد نفوذه في كثير من أجزائها، أو مقدرته على فرض رعي أتباعه في مراعيها الجيدة وحماية قوافله المارة عبرها.

(٢) لعل أوفى دراسة عن الدولة الجبرية تلك التي قام بها الدكتور عبداللطيف الحميدان بعنوان «التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرف الجزيرة العربية»، مجلة كلية الآداب، بجامعة البصرة، العدد ١٦، سنة ١٩٨٠م، ص ٢١ - ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٥؛ الجاسر، المنطقة الشرقية، ج ١، ص ٩٨.



تابعة لهم. وكان يدفعهم إلى ترسيخ وجودهم في الجزيرة عاملان مهمَّان. أحدهما ما يحس به، عادة، قادة كل دولة قوية من رغبة في التوسع. وثانيهما ما كان القادة العثمانيون يشعرون به من واجب الدفاع عن منطقة تضم الأماكن الإسلامية المقدسة من الأخطار البرتغالية التي كانت تهددها حينذاك. ولقد نجح العثمانيون في الحصول على ما كان لأسلافهم الماليك من نفوذ في اليمن. ثم عمَّقوا ذلك النفوذ حتى أصبحت اليمن ولاية عثمانية<sup>(١)</sup>. وبذلك نجحوا في مجابهتهم للبرتغاليين في البحر الأحمر. وحينما استولوا على العراق سنة ٩٤١هـ كثَّفوا نشاطهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي، وأحرزوا بعض النجاح. وكان من نجاحهم هناك أن استولوا على الأحساء سنة ٩٥٧هـ تقريباً<sup>(٢)</sup>. والواقع أن بعض زعماء هذه

(١) من الكتب التي تحدثت عن ذلك بالتفصيل البرق اليماني في الفتح العثماني، لقطب الدين النهرواني، دار اليمامة، ١٢٨٧هـ.

(٢) جون مندافيل، وترجمة عنوان بحثه: «منطقة الحسا العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر»، مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، ١٩٧٠م، ج ٩٠، ص ٤٨٨. وقد بنى ما ذكره على وثائق عثمانية. على أن آل عبد القادر أرخ فتح العثمانيين للأحساء سنة ٩٦٢هـ. انظر كتابه السابق ذكره، ج ١، ص ١٢١. ولعل ما جعله يميل إلى هذا التاريخ أن أول حاكم عثماني لتلك البلدة قد بنى مسجداً في السنة المذكورة. لكن بناء المسجد قد يكون حدث بعد استيلائه على المنطقة بسنوات. أما ابن بشر فقد أخطأ في كلامه عن هذا الحدث؛ إذ قال (ج ٢، ص ١٩٥): إنه وقع سنة ألف من الهجرة. وقد ناقش الباحث عبد الكريم المنيف هذا الموضوع بتفصيل جيد. انظر كتابه: بنو خالد وعلاقتهم بنجد ١٠٨٠ - ١٢٠٨هـ، الرياض، ١٤١٠هـ، ص ١١٩ - ١٢٣.

## علاء

البلاد كانوا يتطلعون إلى الدخول تحت الحكم العثماني علّه يحميهم من الأخطار البرتغالية المحدقة بهم. وقد ظلت المنطقة الشرقية خاضعة للعثمانيين حوالي مئة وعشرين عاماً.

وكانت قوة زعماء بني خالد تزداد وتتوطد في شرقي الجزيرة العربية. وكانوا يثيرون المشكلات للحكام العثمانيين الذين لم يجدوا بداً من استرضائهم بالمال حيناً وبالمناصب حيناً آخر<sup>(١)</sup>. على أن طموح أولئك الزعماء لم يتوقف. وحينما اضطرت أحوال الحكام العثمانيين في المنطقة نتيجة الخلافات بين والي بغداد وحاكم البصرة انتهب براك بن غرير آل حميد الفرصة فثار ضدهم. وقد نجح في الاستيلاء على الأحساء بين سنتي ١٠٧٤هـ و ١٠٧٦هـ<sup>(٢)</sup>. وبذلك أصبح حكم المنطقة الشرقية لآل حميد زعماء بني خالد. وظل هؤلاء الزعماء يحكمونها حتى دخلت تحت حكم الدولة السعودية الأولى في العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري<sup>(٣)</sup>.

## معاهدة المصاهرة

وتتوافر المياه في المنطقة الشرقية أكثر مما تتوافر في غيرها من مناطق الجزيرة العربية. وسواحلها على الخليج العربي طويلة

(١) مندافيل، ص ٤٩٨ - ٤٤٩ .

(٢) يذكر ابن بشر (ج ٢، ص ٢١١) أن استيلاء براك على الأحساء كان سنة ١٠٨٠هـ. أما آل عبدالقادر فيشير (ج ١، ص ١٢٣) إلى أن ذلك حدث سنة ١٠٨١هـ. على أن المنيف أوضح في دراسته (ص ١٦٣ - ١٧٨) أن ما ذكر في المتن هو الأرجح. ولعل ما أشار إليه ابن بشر وآل عبدالقادر متعلق باستيلاء براك على القطيف.

(٣) انظر صفحة (١٣٠) من هذا الكتاب.

توجد فيها موانئ جيدة ولذلك كانت في تلك المنطقة فرص طيبة للعمل في مجالات الزراعة والتجارة وصيد الأسماك واللؤلؤ، ونعم أهلها برخاء اقتصادي وبخاصة في فترات الاستقرار السياسي، أكثر من جيرانهم عبر الجزيرة الآخرين. وبذلك كانت المنطقة الشرقية من أهم مناطق هجرة أولئك الذين أجبرتهم ظروفهم المعيشية على النزوح من نجد<sup>(١)</sup>.

وكان المذهب الشيعي الباطني هو المذهب السائد في المنطقة الشرقية زمن القرامطة<sup>(٢)</sup> ثم أصبحت تلك المنطقة موطناً يوجد فيه المذهب الشيعي الجعفري جنباً إلى جنب مع المذاهب السنية الأربعة<sup>(٣)</sup>. على أن زعامتها السياسية منذ القضاء على الحكم القرمطي فيها كانت سنية بصفة عامة<sup>(٤)</sup>. وربما كان لوجود مذاهب

(١) محمد الفاخري، الأخبار النجدية، تحقيق عبدالله الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دون تاريخ للطباعة، ص ٧٦ و ٩٨؛ ابن بشر، ج ٢، ص ٢١٢ و ٢٣٥ .  
(٢) ليس هناك ما يؤيد ما ذكره فؤاد حمزة (قلب جزيرة العرب، القاهرة ١٣٥٢هـ، ص ٢٩٢) من وجود قرامطة في المنطقة حتى القرن الرابع عشر الهجري. كذلك لا يوجد من المصادر ما يدعم رأي عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم من انتشار المبادئ الإباحية في معظم قرى تلك المنطقة ومدنها. انظر كتابه الدولة السعودية الأولى ١١٥٨ - ١٢٣٣هـ، الطبعة الثانية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦م، ص ٨٠.

(٣) من المعلوم أن العيونيين كانوا سنة. ويبدو أن بني عصفور كانوا سنة أيضاً. أما بنو جروان فقد ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ج ١، ص ٧٥) أنهم كانوا شيعة. على أن حكم هؤلاء لم يكن طويلاً. وأما آل أجود فكانوا سنة. وكذلك كان زعماء بني خالد. فإضافة إلى ظاهر عبارات آل عبدالقادر (ج ١، ص ١٢٣ - ١٢٤) نص على كونهم سنة مرتضى بن علوان الذي زار المنطقة سنة ١١٢١هـ. انظر رحلته ضمن مجموعة خطية في مكتبة برلين رقم ٦١٢٧ ورقة ١١٢.

دينية مختلفة في تلك المنطقة أثر في تقدم الحركة العلمية فيها وقدوم طلاب العلم إليها من مناطق أخرى<sup>(١)</sup>. وبالرغم من تقدم الحركة العلمية في المنطقة فقد انتشرت فيها البدع والخرافات المنتشرة في كثير من بلدان العالم الإسلامي حينذاك. وكانت الأوضاع الدينية عند قبائلها الرُّحْل مشابهة لأوضاع القبائل الأخرى في بلاد العرب من حيث غلبة الجهل الديني والإخلال بممارسة شعائر الدين. أبرز الامارات

#### ٤ - نجد:

##### ١. لمحة تاريخية:

تكوّن منطقة نجد وسط الجزيرة العربية. وتنقسم إلى عدة أقاليم أهمها وادي الدواسر والفرع - حوطة بني تميم والحريق - والأفلاج والخرج والعارض والمحمل وسدير والوشم والقصيم وجبل شمّر. وكان يُطلق على هذه الأقاليم - باستثناء وادي الدواسر والقصيم وجبل شمّر - اسم اليمامة في كثير من الفترات التاريخية<sup>(٢)</sup>. وكانت ولاية اليمامة في القرنين الأول والثاني من الهجرة مربوطة بعاصمة الخلافة مباشرة حيناً وتابعة لمناطق إدارية حيناً آخر.

(١) عبدالعزيز الخويطر، عثمان بن بشر: منهجه ومصادره، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٩٥هـ. ص ٧.

(٢) حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، دار اليمامة ١٣٨٦هـ، ص ٩ - ١٠.

وفي منتصف القرن الثالث الهجري قامت ثورة علوية في الحجاز بقيادة إسماعيل بن يوسف. لكن هذا القائد توفي بالجدري<sup>(١)</sup>.. ولم ينجح أخوه محمد - الملقَّب الأخيضر - في مواصلة الثورة هناك. فهرب إلى اليمامة، واستطاع أن يستولي عليها سنة ٢٥٣هـ. وبذلك بدأت الدولة الأخيضرية التي كانت تعتق المذهب الزيدي، واستمرت حوالى مئتي سنة<sup>(٢)</sup>.

وبعد زوال الدولة الأخيضرية أصبحت نجد مفكَّكة؛ كل بلدة لها زعامتها المستقلة المعادية في كثير من الأحيان لجارتها، وكل قبيلة تسيطر بقدر استطاعتها على منطقة رعوية وبخاصة بها. ولذلك أصبحت الأراضي النجدية مجال توسع للدول التي قامت بجوارها شرقاً أو غرباً.

ويستفاد من شعر ابن المقرب أن دولة العيونيين كانت من القوة في فترة من الفترات مكنتها من أن تحمي القوافل التابعة لها عبر نجد<sup>(٣)</sup>. ولكنها، فيما يبدو، لم تكن قادرة على بسط أي نوع من النفوذ السياسي المستقر لها في الأراضي النجدية. ولم يكن وضع

(١) السباعي، ج ١، ص ١٤٦.

(٢) عن هذه الدولة انظر عبدالله الشبل، «الدولة الأخيضرية»، مجلة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد السادس، ١٣٩٦هـ، ص ٤٥٩ - ٤٦٦.

(٣) ديوان ابن المقرب، تحقيق عبدالفتاح الحلو، القاهرة ١٣٨٣هـ، ص ٥٤٨.

بني عصفور وبني جروان، على الأرجح، أفضل من وضع العيونيين فيما يتعلّق ببسط نفوذهما في نجد. لكن حينما قامت دولة آل جَبْر، ورسخت قدمها في شرقي الجزيرة العربية، بدأت تغزو بعض القبائل النجدية<sup>(١)</sup>. ولعل انتصاراتها على تلك القبائل هي التي جعلت المؤرخين يصفون أجود بن زامل الجبري بأنه رئيس نجد<sup>(٢)</sup>.

وحينما دخلت المنطقة الشرقية تحت نفوذ العثمانيين، وذلك بعد ضمّهم الحجاز واليمن، أصبحت نجد محاطة بمناطق عثمانية من أكثر جهاتها. وقد واكب ذلك ظهور شخصيات قويّة بين أشرف مكة المكرمة؛ مثل أبي نَمي الثاني وابنه حسن. وكان لهذا وذاك أثر واضح على نجد. ذلك أن الأشرف، التابعين من الناحية الرسمية للعثمانيين، استغلوا الظروف الجديدة إلى أبعد حد ممكن. فبدأوا يفتنون الأراضي النجدية ليبسطوا نفوذهم عليها. ومن أشهر غزواتهم الأولى ما قام به الشريف حسن بن أبي نَمي سنة ٩٨٦هـ من مهاجمة لبلدة معكال، التي أصبحت جزءاً من مدينة الرياض

(١) عن هذه الغزوات انظر عبدالله المحمد البسام تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، بخط نور الدين شريعة الورقات ٨، ١٠، ١١، ١١٥، ١١٦، ١٩، ٢١، ٢٤. وسيشار إليه مستقبلاً بالمؤرخ البسام تمييزاً له عن الشيخ عبدالله.

(٢) انظر صفحة ٢٨، هامش ٤ من هذا الجزء من الكتاب.

الحالية<sup>(١)</sup>. واستمرت الغزوات الشريفة للأراضي النجدية خلال القرن الحادي عشر وإن كانت متباعدة في أزمان حدوثها<sup>(٢)</sup>.

وكان أكثر الغزوات الشريفة لنجد موجهاً ضد سكان المدن والقرى. ويما أن الحضر ، عادة ، لا يعتدون على قوافل الحج أو التجارة فإنه من غير المحتمل أن تكون حماية تلك القوافل، المهمة بالنسبة لاقتصاد الأشراف، سبباً قوياً لغزواتهم لنجد. بل المرجح أن الهدف الأساسي من الغزوات المذكورة هو الحصول على غنائم، وفرض نفوذ على البلاد تُسَنُّ من خلاله ضرائب سنوية على السكان<sup>(٣)</sup>. وكانت البلدان التي لا تفي بالتزامها لأولئك الأشراف، أو تحاول الثورة ضدهم، تعاقب بشدة<sup>(٤)</sup>.

على أن نفوذ العثمانيين في الجزيرة العربية لم يستمر قوياً. ذلك أن المشكلات التي بات يعانيها قادتهم داخلياً خلال القرن الحادي عشر الهجري أرغمتهم على التخلّي عن اليمن وتسليمها للثائرين من أئمتها الزيديين. ثم اضطروا إلى مغادرة الأحساء أمام ثورة زعيم بني خالد، برّك بن غرير، كما سبق أن ذكر.

(١) العصامي، ج٤، ص٣٦٨ .

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٩٥، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٥، ٢٠٨، ٢٠٩ .

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٧؛ دي جوري، وترجمة عنوان كتابه: حكام مكة، لندن

١٩٥١م، ص١٥٨ .

وما إن تمكن الزعيم الخالدي من السيطرة على شرقي الجزيرة العربية حتى اتجه نظره إلى نجد محاولاً، فيما يبدو، أن يحصل على ما كان لدولة آل جبر من نفوذ فيها. وكانت أولى غزواته للأراضي النجدية سنة ١٠٨١ هـ. ومن الواضح أن غزواته وغزوات خلفائه قد نجحت في مدّ النفوذ الخالدي على بعض الأماكن النجدية؛ وبخاصة العارض.

وهكذا بدأ النفوذان الشريف والخالدي يتنافسان على نجد. لكن نفوذ الأشراف أخذ يضعف نتيجة لتلاشي الوجود العثماني المؤيد لهم من معظم مناطق الجزيرة العربية. ولذلك لم تعد الغزوات الشريفية تصل إلى الأماكن التي كانت تصل إليها قبل بداية الغزوات الخالدية.

وعلى أية حال فإن نجداً لم تشهد نفوذاً عثمانياً مباشراً في تلك الفترة. وما ورد من أن بعض أئمة المساجد النجديين كانوا حينذاك يمجّدون السلطان العثماني، أو يدعون له، في الخطبة ربما كان سببه ما يكتنه السنّة عامة من مشاعر طيبة تجاه ذلك السلطان<sup>(١)</sup>. وربما كان ناتجاً عن استعمال أولئك الأئمة لخطب من هم أغزر علماء في المناطق الخاضعة خضوعاً مباشراً للعثمانيين<sup>(٢)</sup>.

(١) أبطل الشيخ محمد بن عبد الوهاب تمجيد السلطان على أساس أنه من الأمور البدعية. انظر ابن غنم، ج ١، ص ١١٣ و ١٢٢.

(٢) ولعلّ ما يؤيد ذلك أنه وجد من الأئمة في المملكة العربية السعودية من كان يدعو للسلطان العثماني بعد زوال السلطنة. وما ذلك إلا لأنه كان يستعمل خطب أئمة سبقوه.



على أن نجداً لم تشهد نفوذاً قوياً يحقق الاستقرار السياسي داخلها لأيّ جهة خارجية. فرغم نفوذ الجبريين وبنو خالد في بعض جهاتها، ورغم نفوذ أشرف الحجاز في بعض جهاتها الأخرى، ظلت الحروب قائمة بين البلدان النجدية، وبقي الصراع حاداً بين القبائل المختلفة.

### ب. الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

كانت نجد من أقلّ مناطق جزيرة العرب تأثراً من حيث اختلاط العناصر غير العربية بالسكان العرب المحليين لأنها بعيدة عن مواطن الامتزاج السكاني المتمثلة، عادة، بالمناطق الساحلية والأماكن المقدّسة. وعلى هذا الأساس فإن الغالبية العظمى من أهلها كانت تنتمي إلى قبائل عربية معروفة النسب. أما الأقلية منهم فكانت فئات متعددة؛ بعضها - على الأرجح - عربية الأصل، لكن أصلها ضاع، أو سلب منها، لسبب من الأسباب. وبعضها من أصول غير عربية أتت إلى البلاد بطرق مختلفة كالرق ومزاولة بعض المهن.

وكانت النظرة الاجتماعية لدى النجديين، بصفة عامة، نظرة قبلية. ومن هنا كان ثبوت الانتماء العربي مهماً لتحديد مكانة الفرد أو الأسرة في المجتمع. واتّضحت هذه النظرة في قضية الزواج ومزاولة بعض الأعمال والحرف<sup>(١)</sup>.

(١) جرت العادة ألا يتزوج من هو من أصل عربي معروف بمن هي ليست من أصل عربي معروف، ولا تتزوج من هي من أصل عربي معروف بمن هو ليس من أصل عربي معروف، وألا يزاول حرفاً معيَّنة؛ مثل الجزارة والحدادة.

أما من حيث طريقة المعيشة فإن المجتمع النجدي كان منقسماً إلى قسمين: حضر وبدوي غير أنه كانت توجد مرحلة انتقالية معينة يمر بها بعض السكان. وهذه المرحلة من الصعب إلحاق مجتازيها بأي من القسمين السابقين. ذلك أن هؤلاء لم يقطعوا الصلة بحياتهم البدوية التي كانوا بصدد تركها، ولم يألفوا بعد الحياة الحضرية التي كانوا في سبيل الانتقال إليها.

وكان من أهم دوافع الاستقرار عوامل المناخ فقد ترغم أيام القحط البدو على الالتجاء إلى البلدان إبقاءً لحياتهم. وأكثر هؤلاء كانوا - بدون شك - يغادرون هذه البلدان بمجرد تحسن الوضع بنزول المطر ونبات الكلاء<sup>(١)</sup>. لكن منهم من كان يستمرىء حياة الحاضرة فيبقى مستقراً.

وكما هو متوقع جاء استقرار النجديين حول الأمكنة التي تتوافر فيها مصادر المياه اللازمة لقيام الزراعة؛ مثل جوانب الأودية المشهورة والواحات المختلفة. وقد يكون اختيار موضع الاستقرار ناتجاً عن وقوعه على طريق تجارية. لكن صلاحيته للزراعة كانت تفوق كل اعتبار.

ولأن الزراعة كانت أهم مقومات الحياة الاقتصادية لدى حاضرة نجد أولوها عناية كبيرة حسب ظروفهم وإمكاناتهم. وكانت

(١) يعبر. ابن بشر، عادة، عن التجاء البدو إلى البلدان في مثل تلك الظروف بكلمة «هتل». انظر ابن بشر، ج ٢، ص ٢٠٩.

البلاد تنتج أنواعاً مختلفة من المحصولات الزراعية والخضروات والفواكه. لكن النخيل كانت أهم تلك الأنواع لدى السكان. ذلك أن ثمارها كانت مهمة جداً في تغذيتهم، كما أن كل جزء منها كان يستخدم في غرض من أغراض حياتهم اليومية وغير اليومية. وبلغ إعجابهم بها درجة جعلتهم يتفانون في الدفاع عنها ويتفنون بمدحها<sup>(١)</sup>.

وكانت تواجه المزارعين النجديين مشكلات متعددة؛ منها ما يعود إلى ظروف المنطقة الطبيعية. ومنها ما يحدث نتيجة أعمال الخصوم. فقد كان على المزارعين في أكثر الأقاليم النجدية أن يحفروا آباراً يستخرجون منها الماء. وفي ذلك ما فيه من إنفاق مالي. واستخراج الماء من الآبار يتطلب حيوانات تقوم به، ويداً عاملة تلاحظ تلك الحيوانات وترعاها. وفي ذلك ما فيه من إنفاق وجهد مستمرين. وكان عدم نزول الأمطار على بعض الجهات مشكلة كبيرة للمزارعين؛ وبخاصة في إقليم سدير؛ إذ ينتج عنه جفاف الآبار<sup>(٢)</sup>.

على أن نزول المطر، أحياناً، بغزارة مصحوباً بعواصف أو برد كان مشكلة أخرى. ذلك أنه يتلف المحصولات الزراعية. وكثيراً ما

(١) انظر قول حميدان الشويمع في كتاب خيار ما يلتقط من الشعر النبط،

لعبدالله الحاتم، الطبعة الثانية، دمشق ١٣٨٧هـ، ص ١٣٠ - ١٣٤.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص ٢٣٥.

تعرّضت تلك المحصولات، أيضاً، لهجمات الجرّاد أو لتخريب الأعداء<sup>(١)</sup>.

وكانت هناك أهمية كبيرة لأنواع من الحيوانات بالنسبة لحاضرة نجد. فقد كانت الإبل تستخدم في مجال الزراعة كاستخراج الماء من الآبار، كما كانت تستخدم من قِبَل التاجر والمسافر والمحارب. وكان لحمها من أهم مصادر اللحوم اللازمة لتغذية السكان. وكانت البقر ذات فائدة في المجال الزراعي وفي إمداد الأهالي باللبن واللحم. وكانت حاضرة نجد تقنتي، أيضاً، الأغنام للانتفاع بألبانها ولحومها<sup>(٢)</sup>.

والمقوم الثاني من مقومات الحياة الاقتصادية المهمة لدى حاضرة نجد هو التجارة. وكان يوجد ثلاثة أنماط من التجارة حينذاك: محلية، وإقليمية، وخارجية. م

أما التجارة المحلية فقد تجلّت في التعامل التجاري الذي كان سائداً بين السكان الحضر أنفسهم في كل بلدة على انفراد. وكانت المنتجات الزراعية والمصنوعات المحلية تباع إلى المستهلك مباشرة أو عن طريق وسيط بينه وبين المنتج.

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٠ و ٢٣٨.

(٢) الفاخري، ص ٧٩، ٧٧ و ٩٧.

وأما التجارة الإقليمية فهي تلك التي كانت قائمة بين البلدان النجدية أو بين حاضرة نجد من جهة وباديتها من جهة ثانية. فبعض البلدان كانت أكثر إنتاجاً زراعياً من البعض الآخر. وكان الفائض من إنتاجها يصدّر إلى تلك البلدان المحتاجة إليه. وكان كلُّ من الحضر والبدو يحتاج إلى الآخر اقتصادياً. فالبدوي كان لا بد له من أن يأتي إلى البلدان ليشتري ما يحتاج إليه من تمر وحبوب وملح وملابس وأوان وأسلحة، وليبيع ما يزيد على حاجته من إبل وأغنام ودهن وأصواف<sup>(١)</sup>.

وأما التجارة الخارجية فهي تلك التي كانت قائمة بين سكان نجد؛ حاضرة وبادية، وبين سكان الأقطار الأخرى. ذلك أن نجداً لم تكن تنتج كل ما تحتاج إليه. ولذا كان لا بد من استيراد ما كان غير متوفر فيها أو ما كان غير كاف لسكانها؛ مثل بعض الأطعمة والملابس والأسلحة. ولكنها من ناحية أخرى كانت غنية ببعض المنتجات الحيوانية كالإبل والخيل، ولصلاحيّة مراعيها للإبل من ناحية، ووفرة تلك الإبل فيها من ناحية أخرى، سمّيت «أمّ الإبل»<sup>(٢)</sup>. ومن هنا انطلق التجار النجديون من بلادهم إلى الأقطار الأخرى

(١) المصدر نفسه، ص ٩٥ و ١٠١؛ ابن بشر، ج ٢، ص ١٣١ و ٢٢٨ .

(٢) بوركهارت، وترجمة عنوان كتابه: ملحوظات على البدو الوهابيين، لندن، ١٨٣١م، ج ١، ص ٦٩ .

بائعين ومشتريين. على أنه من الملاحظ أن التجارة الخارجية وبخاصة كانت لها مشكلات من أكبرها عدم الأمن؛ إذ كثيراً ما تعرّضت قوافل التجارة للنهب<sup>(١)</sup>.

ومن أشهر العملات التي كان النجديون يتعاملون فيها الأحمر والمحمّدية والجديدة والمشخص<sup>(٢)</sup>.

أما بالنسبة للبادية فأهم مقومات حياتهم الاقتصادية الثروة الحيوانية ومنتجاتها. وكانت تلك الثروة تتأثر بعاملين أساسيين: أحدهما المطر، والثاني الغزو. فالحيوانات تنمو بنزول الغيث وتقلُّ وتضعف بالقحط. ونزول الغيث في جهة دون أخرى كثيراً ما أدى إلى حرب بين قبيلة وقبيلة حول موطن الكلاً. والغزو كثيراً ما نتج عنه فقر من كان غنياً وغنى من كان فقيراً.

وكانت الإبل لدى البادية أهم الحيوانات؛ إذ هي مصدر من مصادر اللبن الذي يعتمدون عليه كثيراً في التغذية، كما أنها وسيلة مواصلاتهم المهمّة. بل هي معيار لكثير من أمور حياتهم الاجتماعية؛ سواء منها ما حدّدته الشريعة كالديات، أو غيرها كالمهور التي تقدرُّ بأعداد من الإبل. وما دامت هذه هي مكانتها فلا

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه ج٢، ص٢١٩ و٢٣٢؛ أحمد المنقور، الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، دمشق، ١٣٨٣هـ، ج١، ص١٥٨.

عجب أن حفل شعر فرسانهم بذكرها جنباً إلى جنب مع ذكر المحبوبة في الدفاع عنها، والاستماتة من أجلها<sup>(١)</sup>.

أما الأغنام فكانت مهمة للبادية. ذلك أن البدو كثيراً ما اشتروا بتمنها وثن من ما تنتجه من سمن وأقط وصوف ما كانوا يحتاجون إليه من أمور موجودة لدى الحاضرة.

وأما الخيـل فكانت منفعتها الخاصة للبادية تتضح في الحروب لسرعتها. وكانت حياة تلك البادية مليئة بمفاجآت الغزو دفاعاً أو هجوماً. على أن الخيل، أيضاً، كانت مما يُعتزُّ باقتائه ويفتخر في المجال الاجتماعي.

وكان كلُّ من حاضرة نجد وباديتها يستفيد من قوافل الحج التي تمرُّ بالمنطقة بطريقته الخاصة. فقد كان هناك تبادل تجاري بين رجال تلك القوافل وسكان البلدان النجدية التي يمرون بها. وكان رؤساء القبائل يتسلّمون مبالغ مالية من القوافل التي تعبر الأراضي الواقعة تحت سيطرتهم، كما كانوا يبيعون عليهم منتجاتهم الحيوانية ويعملون أدلاءً لهم.

وكانت المرأة النجدية؛ سواء في الحاضرة أو البادية، تقف مع الرجل للتغلب على ظروف الحياة التي لم تكن ميسورة بصفة عامة.

(١) الحاتم، ج ٢، ص ٢٣٦.

فكانت نساء الحاضرة يقمن بأعباء المنزل ورعاية الأطفال، كما يساعدن في أعمال الزراعة. وكانت الفقيرات منهن يخرجن، أحياناً، من البلد لجمع العشب أو الحطب وبيعهما. وكانت نساء البادية يقمن بحاجات بيوتهن ويساعدن في الرعي والإنتاج المختلف. وقد أشارت المصادر إلى بروز بعض النساء النجديات في المجالات الاجتماعية العامة<sup>(١)</sup>. لكن الدور القيادي كان، بطبيعة الحال، للرجل.

### جـ. الحالة السياسية: ملامح صفات الزعامة العربية

يمكن أن يقال: إن الصفات التي كان المجتمع الحضري النجدي يرى ضرورة توافرها في الزعامة السياسية لم تكن تختلف، بصفة عامة، عما هو معروف عن مؤهلات الزعامة العربية التقليدية التي من أهمها أصالة النسب والشجاعة والكرم. ولقد كانت زعامات البلدان النجدية تنتمي إلى قبائل عربية مختلفة. على أن قبيلة بني تميم احتلت، فيما يبدو، مكاناً واسعاً بين تلك الزعامات لكثرتها العددية بين السكان من ناحية، ولنزعتها الاستيطانية المعهودة منذ زمن طويل من ناحية أخرى. ومن أمثلة الأمراء المنتمين إليها أمراء العيينة - أقوى بلدة نجدية حينذاك - وأمراء ثرمداء وروضة سُدير وُبُرَيْدة<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن بشر، ج٢، ص ٢٢٧.

(٢) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ٢٥، ١٠٥، ٥٥.



على أن الأسر التي كانت تسيطر على مقاليد الأمور في البلدان النجدية وصلت إلى الإمارة بطرق مختلفة. منها أن يكون جد الأسرة هو الذي أنشأ البلدة أو أحيائها بعد أن هجرها آخرون<sup>(١)</sup>. ومنها أن يستولي على البلدة بالقوة وينتزع الإمارة ممن كانوا يتولون زعامتها<sup>(٢)</sup>. وفي كلتا الحالتين السابقتين جرت العادة أن تكون الإمارة وراثية في الأسرة أو تذهب إلى فرد من أفرادها باختيار منهم. وذلك باستثناء الصراعات التي قد تقوم داخل الأسرة أحياناً.

والصراع حول السلطة أمر مألوف في تاريخ جميع الأسر في مختلف بلاد العالم وفي سائر الفترات التاريخية. ولكن نسبة ذلك الصراع وشراسته تتأثران باختلاف الظروف. وعلى هذا الأساس فإن الصراع داخل الأسر الحاكمة في نجد حينذاك لم يكن أمراً غريباً. ولعله لم يبلغ في عنفه ما بلغه الصراع بين أشراف الحجاز في بعض الفترات التاريخية. وما دام الصراع حول السلطة موجوداً داخل الأسر الحاكمة ذاتها فإنه لم يكن غريباً إلاّ تجدي صلة القرابة القبلية، التي كانت موجودة بين أمراء بعض البلدان، في خلق جو من التآلف أو الوحدة الإقليمية. بل إن وجود مثل تلك الصلة لم يمنع

(١) ابن بشر، ج٢، ص ١٨٩ .

(٢) الفاخري، ص ٦٥ و ٦٧ .

قيام الحروب بين أولئك الأمراء. وقد أصبح التفكك السياسي نتيجة طبيعية لتلك الأوضاع حتى غدت كل بلدة مستقلة بذاتها ذات علاقة غير ودية مع جارتها في أغلب الأحيان. وكان على كل أمير أن يظل في حالة استعداد عسكري إما لمهاجة خصمه وإما للدفاع عن بلده.

### الجزء الثاني من التاريخ

ولقد تعاقبت على الإمارات النجدية المختلفة فترات ضعف وقوة. لكن أقوى إمارة ظهرت في تلك الفترة كانت إمارة العيينة - كما ذكر سابقاً - وبخاصة في عهد رئيسها عبدالله بن معمر (١٠٩٦ - ١١٢٨هـ)، الذي قال عنه ابن بشر: إنه لم يذكر مثله «في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث»<sup>(١)</sup>. ومع ذلك فإنه من الواضح أن تلك العظمة لم تصل إلى درجة تمكّن العيينة من الإخلاق بميزان القوة السياسي والعسكري لصالحها في نجد.

أما بالنسبة للقبائل الرحل في المنطقة فقد كانت المؤهلات التي يصل بها صاحبها إلى مركز القيادة هي صفات الزعامة لدى القبائل العربية في مختلف العصور. ومع أن زعيم القبيلة كان يختار حسب مؤهلاته القيادية الذاتية من قبل رؤساء العشائر والبطون

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٢٦. ويرجع إنشاء العيينة إلى منتصف القرن التاسع الهجري حينما اشترى جد آل معمر، حسن بن طوق، مكان تلك البلدة من آل يزيد سنة ٨٥٠هـ. انظر المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩.

فإن قرب الفرد من الزعيم القديم كان من بين مرجحات زعامة من سيخلفه. ولهذا يلاحظ أن الزعامة لا تخرج في كثير من الأحيان عن أسرة الزعيم القديم ذاتها حتى أصبحت لدى معظم القبائل وراثية تقليدية.

وكانت العلاقات بين القبائل النجدية سيئة بصفة عامة. وكانت القوة هي الفيصل فيما يحدث بينها من نزاع؛ سيراً على المثل المشهور: «نجد لمن طالت قناته». وقد تعددت القبائل المتنازعة حول موارد المياه ومواطن الكلاً في نجد. وطمح بعضها إلى احتلال مركز الصدارة في هذه المنطقة. وكان ذلك المركز لبني لام في بداية القرن العاشر الهجري<sup>(١)</sup>. لكنه من الواضح أن قبيلة عنزة كانت أقوى من غيرها خلال بقية ذلك القرن والقرن الذي تلاه<sup>(٢)</sup>. ومن أشهر القبائل التي أشارت المصادر إلى قوتها في تلك الفترة بنو خالد والدواسر والظفير وسُبيع والفضُول وقحطان ومُطَير.

وإذا تأمل الباحث في تاريخ تلك الفترة فإنه يرى أن علاقة الحاكم بالمحكوم والرئيس بالمرؤوس لم تكن على وتيرة واحدة. بل وُجد اختلاف بين علاقة الحضري بأمييره عن علاقة البدوي برئيسه. ولعل من أهم أسباب ذلك اختلاف طريق الزعامة لدى

(١) حمد بن لعبون، تاريخ حمد بن محمد بن لعبون، مكة، ١٣٥٧هـ، ص ٣٢.

(٢) ويوحى بذلك كثرة هجماتها المنتصرة على القبائل الأخرى. انظر المورخ البسام، الورقات: ١١٦، ١١٨، ١٣٤، ١٤٥.

الحاضرة عنها لدى البادية، واختلاف طبيعة ثروة كل منهما. فقد كانت القوة أو الاغتيال من الطرق المؤدية إلى الإمارة لدى الحضرة. وما من شك أن الخوف من الثأر قد يؤدي إلى اتخاذ إجراءات ظالمة أحياناً. وكان الاختيار المبني على وجود مؤهلات وبخاصة هو الطريق، غالباً، إلى رئاسة القبيلة. لذلك لم يكن الرئيس خائفاً من أتباعه، وإنما كان حريصاً على أن تظل الثقة به موجودة في نفوس أولئك الأتباع. وهكذا كان لزاماً عليه أن يحسن علاقته بهم. وثروة الحضرة، عادة، غير قابلة للنقل؛ مثل المزرعة والبيت والمتجر. ولهذا كان عليه أن يصبر على بعض ما يحدث له من جور لأنه إن حاول الهروب منه قد يفقد كثيراً من ممتلكاته الثابتة. أما ثروة البدوي فقابلة للنقل. بل إن حياته ذاتها حياة تتقل وترحال وعلى هذا الأساس فإنه لو أحس بنوع من الجور فما عليه إلا أن يطوي خيمته ويسوق حيواناته بعيداً عن موطن ذلك الجور دون أن يعرض ثروته لضرر كبير. وكان من السهل عليه دائماً أن يجد ترحيباً لدى قبيلة أخرى<sup>(١)</sup>. وهذا ما أدركه كل من الرئيس والمرؤوس، وكيف علاقته بموجبه.

ومع أن بعض المصادر تشير إلى أن الظلم كان من الصفات الغالبة في أمراء البلدان النجدية<sup>(٢)</sup> - وهذا متوقع لما ذكر سابقاً -

(١) كثير من القبائل المشهورة فيها أفخاذ أو أفراد ليسوا منها أصلاً، وإنما انضموا إليها لأسباب مختلفة، منها ما أشير إليه أعلاه.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٠؛ الحاتم، ج ١، ص ١٠٤.

فإنه وجد أمراء نجديون عادلون يحلُّون أمور أتباعهم بطريقة شرعية<sup>(١)</sup>.

### د - الحالة العلمية والدينية:

يدخل في إطار الحديث عن الحالة العلمية والدينية أمور أهمها العلم والعلماء، والانتماء المذهبي الفقهي للسكان، والقضاء، ثم العقيدة وأركان الإسلام.

ومن الواضح أن التعليم في نجد كان على نطاق ضيق جداً. فقد كان معدوماً لدى قسم كبير من السكان، وهم البادية. وكان قليلاً لدى القسم الآخر من المجتمع النجدي، وهم الحاضرة. وكانت صعوبة الحياة الاقتصادية، بصفة عامة، وانشغال أكثر الناس بالبحث عن لقمة العيش، وعدم وجود من يتولَّى التعليم برعاية هالية، من الأمور التي حالت بين الغالبية العظمى من السكان وبين السبيل إلى المعرفة. ومع ذلك فقد وجدت محاولات للتعلُّم والتعليم حسب الإمكانيات المتوافرة. ويبدو أن العامل الديني كان له أثر في إقبال بعض أرباب الأسر القادرة مالياً على تعليم أبنائهم قراءة القرآن الكريم أو أجزاء منه على الأقل. كذلك كان للعامل الديني أثر في دفع القادرين علمياً إلى بذل ما في وسعهم لتعليم غيرهم ما يعرفونه من علوم الشريعة.

(١) ومن بين هؤلاء عبدالله بن معمر، أمير العيينة.

ومن المؤكد وجود علماء في نجد قبل القرن العاشر الهجري. ولعل من أبرز الأدلة على ذلك الوثائق الشرعية التي كتبها علماء من هذه المنطقة تلك الفترة<sup>(١)</sup>. وإذا كانت المصادر لا توجد فيها معلومات كافية عن علماء نجد خلال القرنين الثامن والتاسع من الهجرة فإن المعلومات عن العلماء النجديين من بداية القرن العاشر إلى منتصف القرن الثاني عشر متوافرة<sup>(٢)</sup>.

ويرى المتأمل في تراجم علماء نجد الذين سبقوا شهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن أكثر من نصف أولئك العلماء قد وُلِدوا في بلدة أشيقر وتعلّموا فيها، وأن بعضاً ممن لم يُولدوا فيها قد وفدوا إليها لتلقّي العلم عن مشائخها. ويرى، أيضاً، أن أكثر من نصف العلماء النجديين في تلك الفترة ينتمون إلى آل وهبة من تميم، وأن ما يقرب من نصف هؤلاء ينتمون إلى فرع واحد من آل وهبة، وهو آل مُشَرَّف أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهذا يدل على أن بلدة أشيقر كانت مركزاً علمياً في نجد، وأن آل وهبة بصفة عامة، وآل مُشَرَّف بصفة وبخاصة، قد احتلوا مركز الصدارة العلمية في المنطقة حينذاك.

(١) انظر دراسة عبدالعزيز المبارك عن هذه الوثائق، العرب، رجب ١٣٨٧هـ، ص ٥١

- ٥٩ -

(٢) من أحسن المعلومات عن علماء نجد خلال تلك الفترة كتاب الشيخ البسام السابق ذكره.

ومن الأمور التي يراها الباحث في تاريخ تلك الفترة أن عدد علماء القرن الحادي عشر الهجري يقرب من ضعف عدد علماء القرن الذي سبقه، وأن عدد علماء النصف الأول من القرن الثاني عشر يقرب من مجموع عدد علماء القرن الحادي عشر كله. وهذا يدل على أن الحركة العلمية في نجد كانت في تقدم مستمر. وكذلك يرى الباحث أن عدد المسافرين من طلاب العلم النجديين إلى الأقطار الأخرى للتعلم على أيدي علمائها قلَّ بالتدريج. ولعلَّ من أهم أسباب ذلك ازدياد عدد العلماء النجديين المتكئين من معرفة العلوم الشرعية مما أتاح الفرصة لأولئك الطلاب أن يتعلموا ما يريدون معرفته داخل وطنهم.

وكان أبرز علماء تلك الفترة سليمان بن علي - جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ومحمد بن إسماعيل، وعبد الله بن دَهْلان<sup>(١)</sup>.

وتدلُّ الوثائق الشرعية، التي أشير سابقاً إلى وجودها قبل القرن التاسع الهجري، على أن المذهب الحنبلي كان منتشرًا في نجد منذ تلك الفترة، ثم أصبح بعد ذلك المذهب السائد في المنطقة. ذلك أن أغلب علماء نجد الذين ظهوروا قبل الشيخ محمد

(١) انظر تراجم هؤلاء العلماء لدى الشيخ البسام، ج ١، ص ٣٠٩ - ٣١٢، ج ٢، ص ٦٢٠ - ٦٢٢ و٢، ص ٧٨٨ - ٧٩٠.

ابن عبد الوهاب كانوا حنابلة. بل كان من النادر وجود عالم غير حنبلي<sup>(١)</sup>.

على أن الطريقة التي دخل بها المذهب الحنبلي إلى نجد ليست واضحة كل الوضوح. ولعلَّ هذه المنطقة كانت من الأماكن التي قدم إليها بعض علماء الحنابلة الذين لم تلائمهم ظروف الحياة العامة في العواصم الإسلامية الكبرى، فوضعوا نواة المذهب الحنبلي هنا. ومن المحتمل، أيضاً، أن أحد النجديين - أو فريقاً منهم - درس على عالم حنبلي خارج نجد، ثم بدأ يدرِّس هذا المذهب بعد عودته إلى وطنه.

ولم يكن غريباً أن يجد المذهب الحنبلي أرضاً خصبة في نجد. ذلك أنه أقرب المذاهب إلى ظاهر نصوص القرآن والسنة. وهو بهذه الصفة يمثلُّ البساطة إلى حدِّ ما. والبساطة من الأمور المحبَّبة إلى نفسية الفرد النجدي الذي كان أقلَّ إخوته من عرب الجزيرة تأثراً بالخارج. والنجدي كان يعجب بمن يصمد في سبيل ما يؤمن به. وربما كان لصمود بعض الحنابلة؛ مثل إمامهم أحمد ابن حنبل والشيخ ابن تيمية، أثر في إعجاب النجديين بهم وحبِّهم لمذهبهم.

(١) من أولئك النادرين العالم حسين بن زيد، الذي كان حنبلياً، ثم أصبح شافعيّاً. انظر: أحمد بن محمد المنقور، الفواكه العديدة ج ١، ص ٢٢٢.



وقد تركزت دراسة علماء نجد في تلك الفترة على مادة الفقه؛ وبخاصة المذهب الحنبلي. أما العلوم الشرعية الأخرى فكان حظها من العناية أقل من هذه المادة. وكان من أهم ما تؤهل له الدراسة تولّي القضاء. وكان إتقان الفقه كافياً، فيما يبدو، لذلك التأهيل.

ومن الواضح أنه قد وُجد اكتفاء ذاتي من القضاة النجديين في أكثر بلدان منطقتهم. والمعلومات التي توضح دخل أولئك القضاة غير متوافرة. ومع أنه لم تكن لهم مرتبات نقدية فإن مصادر دخلهم كانت متنوعة. فقد كانت هناك بعض الأوقاف المحلية التي تذهب منفعتها أو جزء منها للقاضي. وكان بعض القضاة يتعاطون التجارة أو الزراعة بطريقة من الطرق<sup>(١)</sup>. على أن من بين هؤلاء من كان يأخذ أجوراً من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم<sup>(٢)</sup>. ويبدو أن دخل القضاة كان، بصفة عامة، كافياً لإعاشتهم عيشة طيبة، كما كان كافياً لإتاحة الفرصة أمام أبنائهم ليتفرغوا للدراسة. وهذا ما لم يتوفر لكثير من الأسر النجدية.

وكان أكثر القضاة النجديين في تلك الفترة يتحلّون بالعدل وحب الخير. ولذلك وقف المجتمع منهم موقف احترام وتقدير.

(١) تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٠هـ، ص ١٩.

(٢) ابن غنّام، ج ١، ص ١١٣ و ١٢٣.

ولكن فئة قليلة من أولئك القضاة لم تتحلَّ بما تحلَّت به الأكثرية من صفات عالية. ولذلك أصبحت محلَّ انتقاد اجتماعي لاذع؛ وبخاصة من بعض الشعراء<sup>(١)</sup>.

والحديث عن القضاء والقضاة، هنا، خاص بحاضرة نجد. أما باديتها فلم يكن لهم قضاة شرعيون، وإنما كانوا يتحاكمون إلى العرف والتقاليد الخاصة بقبايلهم<sup>(٢)</sup>.

والم تأمل في التاريخ الإسلامي العام يرى أن كثيراً من البدع في الدين قد انتشرت بين فئات من المسلمين عبر العصور المختلفة، كما يرى أن كثيراً من الخرافات قد تسلَّت إلى عقائد بعض الناس؛ وبخاصة الجهال. ومن أمثلة الأمور المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي بناء القباب على قبور من يعتقد فيهم الولاية، وجعل تلك القبور أماكن للعبادة، وتقديس أولئك الأموات وسؤالهم الشفاعة عند الله ونحو ذلك ومن بين الجهال من اعتقد أن الأولياء ينفعون ويضرون وكان النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري من أسوأ الفترات التي مرَّ بها المسلمون؛ بعامّة، بالنسبة لتلك الأمور.

(١) الحاتم، ج ١، ص ١١٦، ١٢١.

(٢) وقد ذكر مؤلف مع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، دون تاريخ، ص ٢٩، أن أهل وادي الدواسر وجبل شمر كانوا، أيضاً، يتحاكمون إلى العرف لعدم وجود علماء بينهم.

وتختلف المصادر في وصفها للحالة التي كان عليها النجديون من حيث العقيدة والقيام بأركان الإسلام. فالمصادر المتحمسة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية تعطي صورة قاتمة لتلك الحالة؛ إذ يصدر ابن غنّام حكماً عاماً على أهل نجد بأنهم كانوا يأتون كل باب من أبواب الشرك. ثم يذكر تفصيلات عمّا كان يُفعل من أمور شركية في العارض والخرج<sup>(١)</sup>. أما ابن بشر فيقول: إن الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر قد فشا في نجد. ثم يضرب أمثلة لما كان شائعاً من ذلك الشرك<sup>(٢)</sup>. ويسمّي ابن غنّام تلك الفترة بالجاهلية<sup>(٣)</sup>. وقد أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه إلى أن كثيراً من بوادي نجد كانوا جاهلين بالإسلام جهلاً تاماً، وأنهم كانوا لا يمارسون أركانه من صلاة وزكاة وصيام<sup>(٤)</sup> بل إن فريقاً من هؤلاء كانوا لا يؤمنون بالبعث بعد الموت<sup>(٥)</sup>. ومما أشار إليه الشيخ، أيضاً، وجود أناس يزاولون أنواعاً من أعمال الصوفية، ويعتقدون عقائدهم المذمومة<sup>(٥)</sup>.

على أن بعض المصادر - ومنها ابن بشر نفسه - تبرز نجداً موطناً لعلماء تحلّى بعضهم بالورع والتقوى والاستقامة. بل إنها

(١) ابن غنّام، ج ١، ص ٧ - ٨.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٩ و ٢٢.

(٣) ابن غنّام، ج ١، ص ١٤ و ٢، ص ٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٨ و ١٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٢، ١٤٧، ٢١٩.

تصوّر أكثرية حاضرة نجد - على الأقل - متمسكة بأحكام الإسلام منفذة لواجباته وسننه<sup>(١)</sup>. والأشعار العامية التي قيلت في تلك الفترة لا تشتمل على ما يوضح أن قائلها كانوا يخالفون العقيدة الصحيحة أو أحكام الإسلام العامة<sup>(٢)</sup>.

وعلى أي حال فإن المقارنة بين المصادر المختلفة توحى بأن هناك مبالغة في تعميم الحكم على أهل نجد بأنهم كانوا مشركين، وتبين أن الحالة الدينية في المنطقة غير متفحة مع قول من قال: إن النجديين في تلك الفترة قد خلعوا ربقة الإسلام والدين<sup>(٣)</sup>، ولا مع قول من قال: إن كل أثر للإسلام كان قد اختفى من نجد<sup>(٤)</sup>. لكن تلك الحالة لم تكن مستقيمة ولا غير محتاجة إلى إصلاح. لقد كان هناك جهلة من الحاضرة يمارسون أعمالاً شركية. لكن عدد هؤلاء كان، فيما يبدو، قليلاً إذا قورن بمجموع عدد السكان. وكان هناك كثير من أبناء البادية الذين لا يقومون بأركان الإسلام نتيجة جهلهم بها. وإضافة إلى هؤلاء وأولئك كان هناك قليل من الذين ينتسبون إلى العلم وهم يزاولون أعمالاً لا تتفق مع عقيدة السلف الصالح. لكن

(١) يرى الباحث هذا واضحاً في كتابات المنقور وابن بشر والفاخري.

(٢) الحاتم، ج ١، ص ٨٩ و ١١٣ و ج ٢، ص ١١٣، ١٢٨ .

(٣) انظر - مثلاً - عبدالرحمن آل الشيخ، علماء الدعوة، القاهرة، ١٢٨٦هـ، ص ١٢ .

(٤) انظر بالجريف، وترجمة عنوان كتابه: رحلة عبر وسط بلاد العرب وشرقيها...،

لندن، ١٨٦٥م، ج ٢، ص ٣٧٠ .

كان هناك قائلون بأركان الإسلام. وكان هؤلاء يمثلون غالبية حاضرة نجد.

وهكذا يتبين أن نجداً كانت في حاجة إلى دعوة إصلاح دينية توضح للجهال من الناس ما خفي عليهم من أمور الدين وأحكامه، وتقضي على كل ما من شأنه أن يخل بعقائد المسلمين، وتلزم من لم يكونوا يؤدون أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج بأدائها.

وكانت نجد، فيما يبدو، مكاناً مناسباً لنجاح الدعوة الإصلاحية الدينية. ذلك أن الصوفية لم تكن ذات جذور عميقة فيها، كما هي الحال بالنسبة لكثير من الأقطار الإسلامية حينذاك. وكانت خالية من المذاهب غير السنية. ولم يكن لدى باديتها آراء عن الدين. ولذلك كان من المحتمل ألا تكون مجابتهم صلبة لأي دعوة دينية؛ وبخاصة إذا كان الجهاد هدفاً من أهدافها.

وكانت نجد، أيضاً، في حاجة إلى حركة سياسية إصلاحية تجمع شتات إماراتها وقبائلها تحت راية واحدة ليسود الأمن والاستقرار فيها. ومن الواضح أنها كانت أرضاً قابلة لنجاح حركة من هذا النوع. ذلك أنها كانت بعيدة عن متناول السلطة العثمانية المركزية؛ لا سيما أن النفوذ العثماني في جزيرة العرب كان قد تقلص إلى درجة كبيرة حينذاك. وكان في إمكان أي حركة سياسية

محلّية أن تقوم في نجد، وأن تحرز نجاحاً أولياً - على الأقل - قبل أن تلتفت إليها الأنظار الخارجية، وتمتد أيدي الآخرين للقضاء عليها.

واختلاف الإمارات النجدية وإن بدا عاملاً سلبياً إلا أنه كان من الممكن الاستفادة منه في مسيرة الحركة الإصلاحية. ذلك أن زعيم الإصلاح عندما يفشل في بلدة معينة فإن فرصة نجاحه في بلدة أخرى غير بعيدة عنها كان أمراً كبير الاحتمال. فخلاف أمير البلدة الثانية مع صاحب البلدة الأولى قد يدفعه إلى الترحيب بالمصلح الذي رفضه ذلك الأمير. وما حدث لزعيم الإصلاح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الدينية السياسية أكبر الأدلة على صحة ما ذكر.

الإمارات، الكتايب والعوام  
قطر، آل حلفينة  
أشراي سير



الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته





الدرعية / فيما نوع من الاستقرار  
الرياضة / السائح يرحل بها كتائب  
العرب الدم / فيما طبقة متففة وهي القضاء  
الصينة

تاريخ المملكة العربية السعودية

واكب التطور السياسي والديني ظهر في نفس ختم آل سعود ولذلك  
يعتبره على تلك الفترة ومهمة

١. أسرته ومولده:

ينتمي الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أسرة تسمى آل  
مُشَرَّف. وهذه الأسرة فرع من فروع آل وهبة أحد بطون قبيلة بني  
تميم المشهورة<sup>(١)</sup>. وكان مُشَرَّف الجد التاسع للشيخ محمد حسب  
الروايات الراجحة. فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي  
بن أحمد بن راشد بن بُرَيْد بن محمد بن بُرَيْد بن مُشَرَّف<sup>(٢)</sup>.

وكانت أسرة آل مُشَرَّف تسكن في بلدة أُشَيْقر. ومن هناك  
انتقل بعض أفرادها إلى بلدان نجدية أخرى. ولقد اشتهرت تلك  
الأسرة بالعلم فمنذ القرن العاشر الهجري والمصادر تتحدث عن  
علماء منها. ذلك أن الشيخ عبدالقادر بن بُرَيْد بن مُشَرَّف كان  
قاضياً، وكان من بين ستة علماء حُكِّموا في مسألة الخلاف الذي  
وقع بين الفقيهين النجديين أحمد بن عَطْوَة وعبدالله بن رَحْمَة<sup>(٣)</sup>.  
وكان أحمد بن محمد بن مُشَرَّف أحد تلاميذ العلامة موسى  
الحجاوي في دمشق، كما كان أحد أستاذة العالمين الجليلين محمد  
ابن إسماعيل وسليمان بن علي<sup>(٤)</sup>.

(١) عن فروع آل وهبة انظر ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث...، ص ٢٠٥ - ٢٢١ .

(٢) ابن غنّام، ج ١، ص ٢٥؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٢٣؛ ابن عيسى، تاريخ بعض  
الحوادث، ص ١٢٥؛ عبداللطيف بن عبدالرحمن، مجموعة الرسائل والمسائل  
النجدية، المنار، القاهرة، ١٣٤٤هـ، ج ٢، ص ٢٧٩ .

(٣) ابن بشر، ج ٢، ص ١٩٤ .

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٤، ٢٠٨ و ٢١٠ .

وكان أكبر عالم ظهر في نجد خلال القرن الحادي عشر الهجري سليمان بن علي جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>(١)</sup>. وقد تولّى القضاء في روضة سدير. ثم انتقل إلى العيينة حيث أصبح قاضياً لها وشيخاً لعدد من طلاب العلم بينهم ابنه عبد الوهاب وإبراهيم<sup>(٢)</sup>.

وكان عبد الوهاب بن سليمان، والد الشيخ محمد، على درجة علمية أهّلته ليصبح قاضياً في بلدة العيينة<sup>(٣)</sup>. لكن مكانته العلمية لم تبلغ، على أي حال، ما بلغته مكانة أبيه سليمان.

والمصادر التاريخية لا تذكر شيئاً محدداً عن الوضع الاقتصادي للأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. لكن من المرجح أن ذلك الوضع كان فوق متوسط وضع الأسرة العادية ذلك أن كثيراً من أفراد الأسرة تولّوا مناصب قضائية. وكان القضاء عملاً ذا دخل يربح أنه جيد. ومن الواضح أن دخل أسرة الشيخ محمد كان كافياً لإتاحة الفرصة لصغار أفرادها ليتفرّغوا لطلب العلم.

وهكذا وُلد الشيخ محمد في أسرة علمية بادية الثراء، أو على الأقل ميسورة الحال. وكان مولده في بلدة العيينة سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م.

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٠.

(٢) الشيخ البسام، ج ١، ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٣) ابن بشر، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٤) ابن غنّام، ج ١، ص ٢١؛ الفاخري، ص ٩١؛ ابن بشر، ج ٢، ص ٢٢٦.

## ٢ - نشأته ودراسته الأولى:

المعلومات المتعلقة بنشأة الشيخ محمد قليلة جداً. وعلى أي حال فقد جرت العادة أن يتبع الأبناء سيرة الآباء في كثير من اتجاهات الحياة؛ وبخاصة في تلك الفترة. ولذلك كان أبناء العلماء، في الغالب، يسلكون طريقة آبائهم في الدراسة والاشتغال بالعلم. وكان أولئك الآباء يشجعون أبناءهم على ذلك. وكما شجّع سليمان بن علي ابنه عبد الوهاب وإبراهيم على طلب العلم، ووفّر لهما سبيله، قام ابنه عبد الوهاب بمثل ما قام به تجاه ولديه محمد وسليمان<sup>(١)</sup>.

ولقد أظهر محمد بن عبد الوهاب رغبة عظيمة في التعلّم منذ صغره لدرجة أنه لم يكن يمارس ما كان يمارسه الأطفال في مثل سنّه من لهو ولعب<sup>(٢)</sup>. وكان أول شيء اتجه إليه في بداية مسيرته العلمية هو القرآن الكريم. ويقال: إنه حفظه قبل بلوغه سن العاشرة من عمره<sup>(٣)</sup>. وبعد أن انتهى من هذه المهمة شرع في دراسة العلوم الشرعية الأخرى؛ وبخاصة الفقه الحنبلي الذي أخذ يدرسه على أبيه عبد الوهاب<sup>(٤)</sup>.

وصلى إلى مرحلة الاكتفاله يتعلم إلى  
النهج خارج نجد بوجه كغيره  
المطاميرية المخالفة

(١) الشيخ البسام، ج ٢، ص ٦٧٠.

(٢) ابن غنّام، ج ١، ص ٢٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

## العوامل

ولقد تهيأت للشيخ محمد عوامل ساعدته على سرعة التحصيل والنجاح في الدراسة. ومن هذه العوامل ما كان عائداً إلى شخصيته ذاتها، ومنها ما كان عائداً إلى البيئية الأسرية التي نشأ فيها. فقد كان ذكياً قوياً الذاكرة شغوفاً بالعلم<sup>(١)</sup>. وكان أبوه الفقيه القاضي يحثه على الدراسة ويرشده إلى طريق المعرفة. وكان عمه إبراهيم فقيهاً<sup>(٢)</sup>، كما كان أخوه سليمان وابن عمه عبدالرحمن بن إبراهيم يطلبان العلم<sup>(٣)</sup>. وبما أن أباه كان قاضي البلدة فإن منزله كان - في أغلب الأحيان - ملتقى طلاب العلم؛ سواء كانوا من أهل البلدة ذاتها أو ممن يفدون إليها من بلدان أخرى. وكانت اجتماعات هؤلاء وأولئك تتخلفها مناقشات علمية. وحضور الشيخ محمد تلك المناقشات كان من الأمور التي تضيف إلى معلوماته الشيء المفيد. ومن المرجح أنه كان على علم بأحكام أبيه القاضي في بعض القضايا. وهذا أمر له أهميته بالنسبة لتوسيع مداركه.

ونتيجة لكل ما سبق نجح محمد بن عبدالوهاب في خطواته العلمية الأولى نجاحاً عبّر عن مداه أبوه بقوله: «لقد استفدت من

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) انظر ترجمة إبراهيم لدى الشيخ البسام، ج ١، ص ١١٠ - ١١١.

(٣) عن سليمان وعبدالرحمن. انظر المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٢ - ٣٠٦ و ج ٢،

ولدي محمد فوائد من الأحكام قبل بلوغه»<sup>(١)</sup>. وكان بلوغه - على غير عادة الكثيرين - في الثانية عشرة من عمره. ولذلك زوجه والده في تلك السن، كما قام بحجه الأول<sup>(٢)</sup>.

ومن المرجح أن الشيخ محمداً قد تأثر كثيراً بما شاهده في المسجد الحرام من حلقات طلاب العلم حول مشائخ يدرسون مختلف المعلومات النافعة، وبما رآه من حلقات الناس حول الوعاظ المتعددين، وبما لاحظته من وحدة إسلامية متجلية في مشاعر الحج. وحين قضى حجه سافر إلى المدينة المنورة حيث بقي هناك مدة لم تتجاوز شهرين. ولعله تعرّف خلال إقامته هناك بالشيخ عبدالله بن سيف، الذي أصبح أحد أساتذته في المستقبل<sup>(٣)</sup>.

وبعد رجوع الشيخ محمد من حجه وزيارته للمدينة المنورة إلى العينة واصل مثابرتة على التعلّم. ومع مواصلته دراسة الفقه أخذ يقرأ في كتب التفسير والحديث والتوحيد. وكان يفهم ما يقرأ فهماً جيداً<sup>(٤)</sup>. ولكن المناخ التعليمي في العينة كان بعيداً كل البعد عن إشباع طموحه المتحفّز إلى مزيد من المعرفة. وعلى هذا الأساس

عقد العزم على البحث عن ضالته في أمكنة أخرى.

وهو قد وجد في مكة المكرمة ما يشبعه من العلم.

(١) ابن غنّام؛ ج ١، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦.

(٣) عن ابن سيف انظر الشيخ البسام، ج ٢، ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

(٤) ابن بشر، ج ١، ص ٢٠.

### ٣ - سفره لطلب العلم:

كانت الانطباعات التي تكوّنت لدى الشيخ محمد إبّان حجه الأول لا تزال عالقة في ذهنه حينما همّ بمغادرة العيّنة لمواصلة تعلّمه. وكان ما رآه في الحرمين الشريفين من حلقات العلم والوعاظ كافياً لإقناعه بأن تكون خطوته الأولى في أسفاره العلمية إلى الحجاز. وهكذا سافر إلى مكة المكرمة حيث حج مرة ثانية. ومع احتمال بقاءه في تلك البلدة المقدسة بعد الحج للدراسة فإن المصادر لا تذكر دراسته على علماء فيها. ولعلّه لم يمكث هناك مدة تستحق العناية والتسجيل. على أنه ما لبث أن سافر من مكة إلى المدينة حيث بدأ مرحلة مهمّة من مراحل دراسته.

وكانت المدينة المنورة ملتقى العلماء وطلاب العلم من الأقطار الإسلامية المختلفة. وكان بعض هؤلاء يأتون إليها ويستقرون فيها للمجاورة. أما البعض الآخر فيقدمون إليها ويمكثون فيها فترة ثم يغادرونها عائدين إلى أوطانهم. ومع أنه من المرجح أن الشيخ محمداً قد حضر دروس عدة علماء في المسجد النبوي فإن صلته بالشيخين عبدالله بن سيف ومحمد حياة السندي كانت أوثق وأعمق من صلته بأي عالم غيرهما<sup>(١)</sup>. وكان لهذين العالمين الجليلين

(١) ممن ذكرت المصادر دراسة الشيخ محمد عليه إسماعيل العجلوني. انظر سليمان بن عبدالله، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق...، القاهرة، ١٣١٩هـ، ص ١٧.

أثر كبير على الشيخ محمد لا بالنسبة لتحصيله العلمي فحسب، وإنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحى أيضاً؛ وبخاصة أن صلته بهما قد تمّت وهو في مرحلة من مراحل عمره القابلة للتأثر والتوجيه.

كان ابن سيف من بلدة المَجْمَعَة في نجد. وكان عالماً بالفقه الحنبلي والحديث الشريف، كما كان معجباً بشيخ الإسلام ابن تيمية. ولا شك أنه شجع تلميذه على قراءة كتب ذلك العالم الجليل. أما محمد حياة السندي فكان علامة في الحديث وعلومه. وكان من الداعين إلى الاجتهاد في الشريعة، ومن المعارضين للتعصب المذهبي. وإضافة إلى ذلك فإنه كان من أشد المحاربين للبدع في الدين وللأعمال التي قد تؤدّي إلى الشرك<sup>(١)</sup>. وكل هذه الأفكار والمواقف تنطبق مع الأفكار والمواقف التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووقفها فيما بعد.

ولا تذكر المصادر التي تحدّثت عن حياة الشيخ محمد طول المدة التي قضّاها في المدينة المنورة. وحينما عاد منها إلى العُيُنة كانت قد تبلورت لديه فكرة المنادة بالإصلاح، لكنه لم يصبح بعد مؤهلاً تأهيلاً كافياً من الناحية العلمية. ولذلك فإن إنكاره لبعض

(١) انظر عن تأثير السندي على عدد من دعاة الإصلاح مقال جون فول، الذي ترجمه عنوانه: «محمد حياة السندي ومحمد بن عبد الوهاب...»، مجلة معهد الدراسات الشرقية والإفريقية، لندن ١٩٧٥م، ص ٢٢ - ٢٩.

الأمر التي لا تتفق مع الدين الإسلامي الخالص كان محدوداً في مداه وفي تأثيره على الآخرين<sup>(١)</sup>. وإداركاً منه لوجوب إكمال تأهيله العلمي من ناحية، ولعدم تأثير أقواله على ذوي الشأن في بلده من ناحية ثانية، قرّر أن يسافر مرة أخرى لطلب العلم.

وكانت البصرة البلدة التي اتجه إليها محمد بن عبد الوهاب بعد إقامته في العيينة سنة واحدة تقريباً منذ عودته إليها من المدينة<sup>(٢)</sup>. وقد درس في البصرة الفقه والحديث على عدد من علمائها. لكن العالم محمداً المجموعي كان الشيخ الذي لازمه أكثر من غيره. على أنه درس إلى جانب العلمين السابقين قواعد اللغة العربية حتى أتقنها<sup>(٣)</sup>. وفي ذلك ما فيه من منفعة لمن كان يُعِدُّ نفسه ليصبح قائد دعوة تحتاج إلى من يكتب مرغباً فيها ومدافعاً عنها.

كتبه الخديعة  
والبصرة - كما هو معروف - ميناء تجاري تلتقي فيه طوائف مجتمعات مختلفة. ومن المرجح أنه كان فيها كثير من الأمور التي تتعارض مع نظرة رجل قادم من بلدة صغيرة كالعيينة، ومجتمع محافظ كالمجتمع النجدي حينذاك. وكان فيها، أيضاً، كثير من الشيعة. ومن المعروف ما بين هؤلاء وبين السنة المحافظين من

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٠.

(٢) عبدالرحمن آل الشيخ، ص ٧.

(٣) ابن غنّام، ج ١، ص ٢٧.



اختلاف في وجهات النظر في المسائل الدينية. وفي ظل تلك الظروف بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينكر ما يعتقد أنه مخالف للحق<sup>(١)</sup>. وهكذا لم يعد مجرد طالب علم في تلك المدينة، وإنما أصبح داعية يعظ فيستمع إليه. ومن الواضح أن جوًّا اجتماعياً كجوِّ البصرة لا بد أن يكون مؤيدو الشيخ محمد فيه أقلَّ بكثير من معارضيه. وقد أصبحت المناقشات بينه وبين خصومه حادة ومثيرة. وكان أكثرها حدة وإثارة ما يتعلق بالعقيدة وقضية التوحيد والشرك. ونتيجة لذلك رأى المسؤولون هناك أنه مثير للقلق، واضطروه إلى مغادرة البصرة<sup>(٢)</sup>.

ومرة أخرى لا تحدد المصادر الموثوقة طول المدة التي قضاهما الشيخ محمد في البصرة. لكن منها ما يفيد بأنها كانت أطول إقامة له خارج وطنه<sup>(٣)</sup>. وقد مرَّ بالزبير بعد خروجه من البصرة، لكنه لم يمكث فيها طويلاً<sup>(٤)</sup>.

وكانت الأحساء من المناطق التي زارها الشيخ محمد وأقام فيها بعض الوقت<sup>(٥)</sup>. ولعلَّه استفاد من علمائها في بعض الأمور

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢١ .

(٣) ابن غنَّام، ج ١، ص ٢٧ .

(٤) ابن بشر، ج ١، ص ٢١ .

(٥) ابن غنَّام، ج ١، ص ٢٦؛ سليمان بن عبد الله، ص ١٦ .

الشرعية. وقد ناقش عدداً من أولئك العلماء في شؤون التوحيد والعقيدة<sup>(١)</sup>. ومن بين هؤلاء عبدالله بن فيروز، ومحمد بن عفالق، وعبدالله بن عبداللطيف<sup>(٢)</sup>.

عبدالله بن عبدالمطلب

وقد عاد الشيخ محمد في نهاية المطاف إلى نجد منهيماً بذلك رحلاته العلمية. وكان أبوه عبدالوهاب قد عُزل عن قضاء العيينة سنة ١١٣٩هـ، فانتقل إلى حُرَيْمَلاء حيث أصبح قاضياً لها<sup>(٣)</sup>. وبذلك اتجه الشيخ محمد إلى هذه البلدة ليلتحق بأبيه وأسرته<sup>(٤)</sup>.

بنيو

والمصادر الموثوقة المقرّبة من الشيخ محمد لا تذكر أن رحلاته العلمية خارج نجد تجاوزت ثلاثة أمكنة: الحجاز، والأحساء، والبصرة<sup>(٥)</sup>. لكن بعض المصادر أشارت إلى أنه سافر إلى بلدان أخرى في العراق والشام وفارس<sup>(٦)</sup>. غير أن النتيجة التي يصل إليها الباحث من خلال مقارنة جميع المصادر هي الأخذ برواية المؤرخين

(١) ابن غنّام، ج ١، ص ٢٦ .

(٢) عن ابن فيروز وابن عفالق انظر الشيخ البسام، ج ٢، ص ٨١٨ - ٨٢١ ، ٨٨٢ - ٨٨٦ .

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢١ و ج ٢، ص ٢٣٨ .

(٤) ابن غنّام، ج ١، ص ٢٨ .

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦ - ٢٨؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢٠ - ٢١؛ سليمان بن عبدالله، ص ١٦؛ عبدالرحمن بن حسن، الدرر السنية في الأجيال النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٨هـ، ج ٩، ص ٢١٦ .

(٦) من هؤلاء نيبور في كتابه، الذي ترجمته عنوانه: رحلات عبر بلاد العرب وأقطار أخرى في الشرق، الذي ترجمه إلى الإنجليزية هيرون، ادنبرا، ١٧٩٢م، ج ٢، ص ١٢١، ومؤلف مع الشهاب....، ص ٥ - ١٦ .

المؤيدين للشيخ محمد المقرئين منه. وذلك لسببين: أحدهما أنهم أدري بتفاصيل حياته من غيرهم، وثانيهما أنهم حرصوا كل الحرص على تدوين فضائله. ومن المعروف أن السفر في طلب العلم فضيلة. ولو سافر الشيخ محمد إلى بلدان غير التي ذكروها لما ترددوا في تدوين ذلك وتفصيله إظهاراً لفضله.

#### ٤ - بداية دعوته في نجد وأهدافها:

من المرجح أن وصول الشيخ محمد إلى حريملاء بعد عودته من أسفاره خارج نجد كان بين سنتي ١١٤٤هـ و ١١٤٩هـ<sup>(١)</sup>. ومن الواضح أنه كان حينذاك في مستوى علمي جيد يؤهله لبداية دعوته الإصلاحية بنجاح. وحينما بدأ تلك الدعوة انقسم الناس حولها إلى فريقين: مؤيد ومعارض. وكان المؤيدون لها أقل من المعارضين بكثير، لكنهم كانوا متحمسين للسير مع الداعية في طريق الإصلاح مهما كانت النتائج<sup>(٢)</sup>. وممن اختلف مع الشيخ محمد في تلك الفترة أبوه عبدالوهاب<sup>(٣)</sup>. لكن الخلاف بينهما كان، فيما يبدو، حول أسلوب الدعوة لا جوهرها. وقد ألف الشيخ محمد وهو في

(١) انظر مناقشة المسألة في كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره،

لعبدالله العثيمين، ط٢، دار العلوم بالرياض، ١٤١٢هـ، ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) ابن غنّام، ج ١، ص ٢٩.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢١.

من (أ) -

حريملاء كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد<sup>(١)</sup>. ولقي هذا الكتاب رواجاً كبيراً، وانتشرت نسخ منه في مختلف بلدان

المنطقة<sup>(٢)</sup>.

ولعلَّ أهمَّ ما تهدف إليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، ومحاربة الشرك بجميع أنواعه، وسدُّ الذرائع المؤدِّية إليه. ومن أبرز أهدافها، أيضاً، القضاء على البدع في الدين، وتطبيق الشريعة الإسلامية في كل أمور الحياة؛ وذلك

في ظل دولة قادرة على تحقيق تلك الأهداف<sup>(٣)</sup>.

وبعد وفاة عبد الوهاب بن سليمان، سنة ١١٥٣هـ، ازداد إنكار ابنه الشيخ محمد لما يراه باطلاً، وانتشرت دعوته أكثر من ذي قبل في المنطقة كلها حتى بدأ بعض أنصاره يفدون إليه، وبدأ عدد من الأمراء يصفون لما ينادي به. وممن قبل دعوته حينذاك أمير العيينة عثمان بن معمر<sup>(٤)</sup>.

(١) طبع أول مرَّة ضمن مجموعة التوحيد في دلهي، ١٣٠٨هـ، ثم تكرَّرت طباعته. ولأهميته من ناحية، واختصاره من ناحية أخرى، كثرت الشروح له والتعليقات عليه.

(٢) عبد الرحمن آل الشيخ، ص ٩.

(٣) الفصل الخامس من كتاب العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره، يناقش مبادئ الدعوة، ص ١٠١ - ١٣٩.

(٤) ابن غنَّام، ج ١، ص ٣٠.

## ٥ . انتقاله إلى العيينة وبداية تطبيق الدعوة:

من المرجح صحة القصة التي رواها ابن بشر عن محاولة الاعتداء على الشيخ محمد في حريملاء من قبل أناس عزم ذلك الشيخ على تأديبهم لمزاولتهم أعمالاً قبيحة<sup>(١)</sup>. لكن من المرجح، أيضاً، أن تلك المحاولة لم تكن السبب الأكبر في انتقاله من البلدة المذكورة إلى العيينة بل كان السبب الجوهرى لذلك الانتقال هو قبول عثمان بن معمرٍ للدعوة، كما ذكر سابقاً. ومن الأسباب الأخرى أن العيينة كانت أقوى من حريملاء المنقسمة حينذاك إلى فئتين لا تعترف إحداهما بزعامة الثانية على البلدة<sup>(٢)</sup>، وأن العيينة مسقط رأس الشيخ ومكان نشأته الأولى، وفي ذلك ما فيه من ميله النفسي إليها. وكان انتقاله إلى هذه البلدة سنة ١٥٤هـ. وحين وصل إليها رحب به أميرها عثمان كل الترحيب، وأكرمه غاية الإكرام. وأمر أتباعه أن ينفذوا ما أمرهم به<sup>(٣)</sup>. ثم تزوج الشيخ عمه الأمير عثمان، الجوهرية بنت عبدالله بن معمر، التي كانت لها مكانة رفيعة في الحياة العامة<sup>(٤)</sup>. وازدادت بذلك أواصر التقارب بين الأمير والشيخ وبين أسرة كل منهما.

- (١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٢ .  
 (٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها .  
 (٣) ابن غنّام، ج ١، ص ٣٠ .  
 (٤) ابن بشر، ج ١، ص ١٢٢ . وانظر عن دورها في الحياة العامة المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٧ .

وهكذا اجتمع الجو المناسب مع ما كان للشيخ محمد من سمعة طيبة وتأهيل جيد، فأصبحت فرص النجاح لدعوته كبيرة جداً. وقد ازداد عدد المنضمين إلى تلك الدعوة من أهل العُيَينة وما حولها بسرعة<sup>(١)</sup>، وأصبح هو في وضع يتيح له أن يبدأ بتطبيق ما سبق أن نادى به من آراء. فقام هو أو أنصاره بقطع الأشجار التي يتوسل بها الجهال، وهدم القبة المبنية على قبر في الجُبيلة يظن كثير من الناس أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه. وكان بعض الجهلة من العامة يتبركون بتلك القبة ويقدمون النذور إليها<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمور المهمة التي قام بها الشيخ محمد في العُيَينة معاقبة من لا يؤدون الصلاة جماعة في المساجد، وإرسال الدعاة إلى البلدان النجدية القريبة من تلك البلدة لنشر دعوته<sup>(٣)</sup>. لكن من أعظم الأعمال التي قام بها، فهزَّت المجتمع، رجمه لامرأة توافرت لديه شروط رجمها<sup>(٤)</sup>. وكانت تلك الأعمال بمثابة إعلان بداية دعوته عملياً ودخولها إلى مرحلة جديدة مهمة.

(١) ابن غنَّام، ج ١، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) ابن غنَّام، ج ١، ص ٥٥ و ١٤٠ - ١٤١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢٣، وقد أوضح ابن غنَّام أهمية تلك

الحادثة، وأفاض في ذكر ردود الفعل نتيجة لها، كما أشار إلى ما حدث من

نقاش حولها بين أنصار الدعوة وخصومها.

## ٦- ردود الفعل لتطبيق الدعوة:

سبق أن ذُكر أنقسام الناس حول دعوة الشيخ محمد إلى مؤيدين ومعارضين منذ بداية تلك الدعوة في بلدة حريملاء. وكان في طليعة هؤلاء وأولئك العلماء المحليون. ولعلَّ أهم سبب للتأييد أو المعارضة الاقتناع الشخصي بصحة مبادئ الدعوة أو عدم صحتها. لكن حينما دخلت الدعوة مرحلة التطبيق ازداد نشاط معارضيها وانضم إليهم عدد قليل ممن سبق أن اعترفوا بصحتها<sup>(١)</sup>. ويبدو أن هؤلاء كانوا غير معارضين للخطوط العريضة التي أكدها الشيخ محمد للتوحيد والشرك. فلما طُبِّق ما كان يدعو إليه اختلفوا معه. ولعلَّ من أسباب معارضة بعض المعارضين إنكار الشيخ محمد على من اعتاد أن يأخذ أجوراً من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم وعدّه ذلك رشوة<sup>(٢)</sup>. على أن من تلك الأسباب خوف بعض العلماء من هبوط مكانتهم الاجتماعية. فقد رأوا أن الناس سوف يسألون: هل كان هؤلاء العلماء يعرفون خطأ ما تزاوله العامة

= على أن مجيء المرأة إلى الشيخ واعترافها المتكرر طوعاً، مع احتمال معرفتها بما قد ينتج عن ذلك من عقوبة، من الأمور التي تدل على عمق أثر الدعوة في نفوس المجتمع الجديد. ذلك أنه من المتوقع دائماً أن يقع انحراف بين أفراد من المجتمعات. لكن أن يصل الندم بمن انحرف إلى هذا المستوى أمر لافت للنظر.

(١) ابن غنّام، ج ١، ص ١١٤ و ص ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٤.

من أمور أنكرها الشيخ ولم يبيِّنوه لهم أو كانوا لا يعرفون حكم هذه الأمور؟ فإن كانوا يعرفون ذلك وأخفوه فهم غير مخلصين. وإن كانوا لا يعرفونه مع أهميته فهم جهلاء بالدين. وكلا الأمرين سيجعل الناس يحتقرونهم اجتماعياً. وقد فسَّر الشيخ محمد ذلك بالبغي<sup>(١)</sup>.

وكان في طليعة المعارضين من علماء نجد للشيخ محمد في تلك الفترة سليمان بن سُحَيْم من الرياض، وعبدالله المُوَيْس من حَرَمَة<sup>(٢)</sup>. لكن معارضة من عارض الدعوة من العلماء النجديين لم تستطع أن توقف مسيرتها أو تحدَّ من تقدمها. وإدراكاً من أولئك المعارضين لضعف موقفهم بذلوا نشاطاً كبيراً ليؤثِّبوا العلماء من خارج نجد ضد تلك الدعوة. وكان من ذلك النشاط إرسال سليمان ابن سحيم رسالة إلى علماء البصرة والأحساء هاجم فيها الشيخ محمداً، ووعده ماأخذه عليه، واستتهض همهم للرد على دعوته<sup>(٣)</sup>. وقد لقيت تلك الرسالة آذاناً صاغية لدى بعض علماء البلدتين المذكورتين، وكتبوا ردوداً قامت المعارضة النجدية بترويجها بين السكان<sup>(٤)</sup> لكن جميع محاولات العلماء المعارضين للدعوة من داخل نجد ومن خارجها فشلت فشلاً ذريعاً فيما هدفت إليه.

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) انظر تَرْجَمَتِي هذين الرجلين لدى الشيخ البسام، ج ١، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ وج ٢، ص ٦٠٤ - ٦٠٦.

(٣) نص هذه الرسالة لدى ابن غنَّام، ج ١، ص ١١٠ - ١١٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٦.



وحين أدرك المعارضون لدعوة الشيخ محمد فشل محاولاتهم الجدلية رأوا أن يعمدوا إلى استعمال أسلوب آخر للقضاء عليها. فأتجهوا إلى الأمراء، وأغروهم بوضع حدٍّ لها لئلا يستفحل خطرهما - على حدِّ زعمهم - محذرين بأن من أهدافها إثارة العامة على الخاصة والزعماء<sup>(١)</sup>. وكان أهم أمير اتجه إليه المعارضون سليمان ابن محمد آل حميد، زعيم بني خالد وحاكم الأحساء. ذلك أن الأحساء، بموقعها وبموائنها، كانت مهمة من الناحية الاقتصادية لسكان نجد بعامة ولسكان العارض بخاصة. وكانت العلاقات بين الزعامة الخالدية وآل معمر قوية جداً وكان سليمان بن محمد بالذات يدفع معونة مالية كل سنة إلى الأمير عثمان بن معمر<sup>(٢)</sup>. وكان لعثمان - إضافة إلى ذلك - مزرعة في الأحساء تدرُّ عليه دخلاً لا بأس به<sup>(٣)</sup>. وكل هذه أمور يمكن أن تستعمل في الضغط على أمير العيينة ليتخلَّى عن تأييده للشيخ محمد ودعوته.

وقد نجح المعارضون للدعوة من العلماء في إقناع الزعيم الخالدي برأيهم، وكسبوه إلى جانبهم. فكتب ذلك الزعيم رسالة إلى عثمان بن معمر يطلب منه أن يتخلَّص من الشيخ محمد. وقد هدده - إن هو لم يقم بما طلب منه - بقطع معونته الاقتصادية، ومنعه من

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٣.

(٣) لمع الشهاب، ص ٣١.

استلام دخل مزرعته، وعدم السماح لتجار بلدته بدخول الأحساء واستخدام موانئها<sup>(١)</sup>.

﴿ وإدراكاً من عثمان بن معمر لخطورة ما هدده به الزعيم الخالدي، وخوفاً من اتخاذ إجراءات عسكرية ضده، أخبر الشيخ محمداً بأن عليه أن يترك بلدته<sup>(٢)</sup>. ولم تتحج محاولات الشيخ في إقناعه بالصمود أمام تهديدات الحاكم الأحسائي ورفض أوامره<sup>(٣)</sup>. وبات على الشيخ محمد في نهاية الأمر أن يغادر البلدة التي شهدت بداية تطبيق دعوته وازدياد شهرته داخل نجد وخارجها.﴾

لاص الأسياد إلى حصته في الصينة

بداية تطبيق الدعوة.

ازدياد شهرته أصبح

له مؤيديه في نجد وخارجها

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ٣؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢٣.

(٣) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

قيام الدولة السعودية الأولى  
وتوحيد نجد



## ١ - آل سعود قبل قيام دولتهم:

رتسب بعض المصادر آل سعود إلى قبيلة عنزة المشهورة بهذا الاسم في الوقت الحاضر<sup>(١)</sup>. وهذا هو الشائع لدى كثير من الناس. غير أن ابن بشر، في إحدى روايته، وابن عيسى يذكران أنهم من بني حنيفة<sup>(٢)</sup>. ومعروف أن عنزة وبني حنيفة من وائل، ولذلك فإن آل سعود وائلون على أي حال. وكانت الأسرة السعودية قبل تسميتها بهذا الاسم تُدعى آل مُقَرِن نسبة إلى مقرن بن مرخان، جد محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى.

وكان أحد أجداد آل سعود، مانع المريدي مقيماً في مكان يقال له: الدرعية قرب بلدة القطيف في المنطقة الشرقية من جزيرة العرب وذلك قبيل منتصف القرن التاسع الهجري<sup>(٣)</sup>. ولا تعطي المصادر الموثوقة تفصيلات عن أسرة مانع قبل ذلك التاريخ. ومن المعروف أن فروعاً من بني حنيفة قد انتقلت من واديهما إلى شرقي

(١) من هؤلاء بوركهارت، وترجمة عنوان كتابه: رحلات في جزيرة العرب، لندن ١٨٢٩م، ص ٤٦١ وفؤاد حمزة، ص ١٧٤ هامش ٢ .

(٢) ابن بشر ج ٢، ص ١٥؛ ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث...، ص ٣٦. ويذكر العجلاني أن الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، أخا الملك عبدالعزيز، والمشهود له بمعرفته بالأنساب يقول: إن آل سعود حنفيون. انظر كتابه تاريخ البلاد العربية السعودية، دار الكتاب العربي، دون ذكر تاريخ الطباعة، ج ١، ص ٧٧ .

(٣) انظر عن هذا المكان محمد الفهد العيسى «مدينة الدرعية»... العرب. العدد الرابع، ١٣٨٦هـ، ص ٢٢٥ .

الجزيرة العربية في فترات تاريخية مختلفة. لكن من غير المعروف متى حدث انتقال أسلاف مانع المريدي إلى هناك.

وعلى أي حال فإن مانعاً المريدي كان له قريب يُسمى ابن درع. وكان هذا القريب يسكن في جهة مدينة الرياض الحالية التي كانت تُسمى حَجْر اليمامة. وكان له نفوذ في تلك الجهة. ونتيجة لمراسلات تمّت بينهما قدم مانع وأقاربه إلى ابن درع سنة (٨٥٠هـ)<sup>(١)</sup>. ومنحه الأخير موضعي غصيبة والمليبيد اللذين أنشئت عليهما بلدة الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى.

ومن مصادره العرّاص ولا تشير المصادر إلى السبب الذي أدّى إلى المراسلات بين مانع وابن درع، نتج عنها انتقال الأول إلى منطقة الثاني. ومن المحتمل أن مانعاً كان يواجه حينذاك مشاكل سياسية أو اقتصادية لم يستطع التغلّب عليها. ومعروف أن الدولة الجبرية قد ثبتت أقدامها في شرقي الجزيرة العربية في تلك الفترة، ولعلّ مشاكل

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٩؛ ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث. ص٣٦. وقد ذكر ابن بشر أن مانعاً هو الذي انتقل من شرقي الجزيرة العربية إلى العارض. وهو في ذلك يتفق مع الفاخري ص٦٠ وابن عيسى. لكنه يخلط نوعاً في موضع آخر من كتابه إذ يقول (ج٢، ص١٨٩): إن الذي قدم إلى العارض ربيعة بن مانع، ثم يذكر (ج٢، ص١٩٠) أن مانعاً هو الذي انتقل. وهذا هو الصحيح. على أن ابن عيسى يذكر أن مانعاً كان مصحوباً بابنه ربيعة. ويدل ذكر ربيعة بجانب والده على أنه كان حينذاك شخصية قوية. وما جرى على يديه من أحداث فيما بعد يؤيد ذلك.

كيف بدأت تتحول من منطقة قبيلية إلى دولة داخل  
منطقة صغرى؟

تاريخ المملكة العربية السعودية

ما الهدى لعمود ما من المريدي إلى ابن زرع

مانع المحتمل وقوعها كانت من أعمال الدولة المذكورة. واستقدام  
ابن درع لقريبه ربما كان الهدف منه نجدته من ناحية، والتقوي به  
وبأتباعه من ناحية أخرى

وقد أطلق مانع المريدي وأتباعه على مستقرهم الجديد اسم

الدرعية إحياء لاسم بلدتهم القديمة التي هاجروا منها، أو نسبة بجعلها  
لابن درع الذي منحهم ذلك المستقر اعترافاً بفضلته وتخليداً لذكوره. بلدة ارتكاز  
نعم

والمتأمل في تاريخ الأسرة السعودية منذ استقرار جدها مانع  
في الدرعية حتى تولي محمد بن سعود إمارة هذه البلدة - أي  
حوالي ثمانين ومئتي عام - يرى أنه مشابه، بصفة عامة، لتاريخ  
كثير من الأسر التي كانت تحكم بلدان نجد في تلك الفترة. وكانت  
هذه الأسرة ضعيفة، ثم قويت وتوسع نفوذها على حساب جيرانها  
من آل يزيد الحنفيين (وكغيرها من الأسر) قام بين أفرادها صراع  
حول السلطة حتى ضعف أمرها، وانتزع إمارة البلدة منها رجل يقال  
له: سلطان بن حمد القيس؛ وذلك سنة ١١٠٧هـ.

على أن إمارة الدرعية عادت بالقوة إلى أصحابها السابقين بعد  
ثلاثة عشر عاماً من استيلاء القيس عليها. وأصبح موسى بن ربيعة  
ابن وطبان الأمير على البلدة. لكنه خلع عن الإمارة بعد فترة،  
وتولاهها سعود بن محمد بن مقرن حتى توفي سنة ١١٢٧هـ، وبعد  
وفاته تأمر زيد بن مرخان في الدرعية، لكن محمد بن سعود كان له  
تأثير قوي جداً على سير الأحداث في البلدة.

وفي عام ١١٣٨هـ حلَّ وباء في العُيَينة. وتوفي بسبب ذلك الوباء أميرها المشهور عبدالله بن معمر بعد أن حكمها حوالي أربعين عاماً. وتوفي مع الأمير عبدالله عدد كبير من رجال تلك البلدة. ويبدو أن زيد بن مرخان حاول الاستفادة من الظروف التي حلت بالعيينة. فبدأ يخطط مع فريق من قبيلة سُبَيْع لمهاجمتها؛ وبخاصة أنها كانت تحتضن أحد خصومه؛ وهو موسى بن ربيعة. لكن الأمير الجديد، محمد بن معمر، عمل حيلة أنقذته من الهجوم المخطط ضده؛ إذ دعا زيد بن مرخان للتفاوض واعدأ إياه أن يستجيب لما أراده منه. وحينما قدم زيد إليه مع عدد من رجال بلدته غدر به وقتله. وكان ذلك سنة ١١٣٩هـ. وعاد من كانوا مع زيد إلى الدرعية بقيادة محمد بن سعود، الذي أصبح أميراً لهذه البلدة منذ ذلك التاريخ<sup>(١)</sup>. وفي عهد محمد بن سعود حدث ما غير وجه تاريخ المنطقة كلها.

## ٢ - قيام الدولة السعودية؛ أو عهد معمر بن معمر مع الشيخ؟

عَلَى سبب اختيار الشيخ للدرعية؟  
 عندما أصبح ضرورياً أن يترك الشيخ محمد بن عبد الوهاب العُيَينة كانت الدرعية أنسب مكان يمكن أن يتوجه إليه. فقد كانت قوتها آخذة في الازدياد. ولعل من أدلة ذلك أنها تمكنت من الصمود أمام هجوم قائد بني خالد عليها سنة ١١٣٣هـ. وأنها كانت في

(١) انظر عن تفصيلات الأحداث السابقة، ابن بشر، ج ٢، ص ٢١٠ - ٢٢٢، ٢٢٨ -

٢٢٩ و ٢٣٧ و ٢١٦ و ٢٣٦ .



مركز قوي جعلها تفكر في الهجوم على العيينة سنة ١١٣٩هـ<sup>(١)</sup>، وأن دهام بن دؤاس، أمير الرياض، لم يستطع أن يسيطر على مشكلاته الداخلية سنة ١١٥٢هـ إلا بمساعدتها<sup>(٢)</sup>. وإضافة إلى ذلك فقد شهدت استقراراً داخلياً منذ تولّى محمد بن سعود عليها سنة ١١٣٩هـ<sup>(٣)</sup>. وكانت إمارتها ذات علاقة سيئة مع الزمامة الخالدية التي كانت وراء إخراج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة. ولهذا كان من المتوقع أن ترحب بمن يشاركها في سوء العلاقة مع تلك الزمامة. على أن ما هو أهم من ذلك كله أن دعوة الشيخ محمد سبق أن لقيت قبولاً حسناً لدى كبار الدرعية ومشهورها. وفي مقدّمة هؤلاء أخوا الأمير، مشاري وثنيان، وابنه عبدالعزيز<sup>(٤)</sup>.

لخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأسرته من العيينة ومعه فرقة من حرس الأمير عثمان بن معمر لحمايته<sup>(٥)</sup>. وحينما وصل

وصوله إلى الدرعية من نظام

السرية

- (١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٣ و ٢٣٧.
- (٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٥؛ ابن بشر، ج ١، ص ٣٠ و ج ٢، ص ٢٤١.
- (٣) فلم تسجل المصادر أي حركة ضد ذلك الأمير خلال تلك الفترة.
- (٤) ابن غنّام، ج ١، ص ٣١ و ٢٢٢.
- (٥) ابن بشر، ج ١، ص ٢٣. وقد حذف ابن بشر في مبيضة كتابه التي تمّت بموجبها هذه الطبعة ما سبق أن ذكر في مسودته التي طبعت طبقاً لها بعض طبعات الكتاب من أمر عثمان بن معمر قائد رجاله بقتل الشيخ. وقد جاء هذا الحذف نتيجة تبينه عدم صحة تلك الرواية. وإذا كان المؤلف نفسه قد حذف الرواية المذكورة فإنه يتضح أن خروج الشيخ من العيينة ووصوله إلى الدرعية قد حدثا بشكل طبيعي.

## العهد الحميري وراز الالقاء

إلى الدرعية نزل ضيفاً عند آل سويلم الذين كانوا من كبار البلدة ومن المتحمسين للدعوة<sup>(١)</sup>. ثم أتى إليه الأمير محمد بن سعود برفقة أخويه مشاري وثنيان، ورحب به غاية الترحيب، ووعد

الحماية والتأييد<sup>(٢)</sup>. علاقة حميدة بين الاسراء والصح

وبينما يتفق كل من ابن غنّام وابن بشر على أن الأمير محمد بن سعود اشترط على الشيخ محمد - مقابل تأييده والوقوف مع دعوته - ألا يغادر الدرعية مستقبلاً يضيف ابن بشر إلى ذلك شرطاً آخر للأمير، وهو ألا يعارضه الشيخ فيما كان يأخذه من سكان البلدة من ضريبة سنوية. وكانت إجابة الشيخ الموافقة على الشرط الأول. أما بالنسبة للشرط الثاني فقد قال: إني أرجو الله أن يعوّضك من الغنائم ما هو خير مما كنت تأخذه من أولئك السكان<sup>(٣)</sup>. وإذا كان ما أضافه ابن بشر صحيحاً فإنه من الواضح أن الشيخ قارن بين

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ٢؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ٣ . لكن ابن بشر (ج ١، ص ٢٤) انفرد بالإشارة إلى خوف آل سويلم من نتائج حلول الشيخ لديهم، وزيارة بعض كبار أهل الدرعية له سرراً، وإخبارهم زوجة الأمير بالقضية، وإقناعها زوجها بأن يستقبله استقبالاً حسناً. وقد أوضح العجلاني ضعف هذه الرواية، ورجح أن يكون انتقال الشيخ إلى الدرعية بدعوة من الأمير محمد بن سعود، وأيد رأيه هذا بما نقله عن المؤرخ الفرنسي مانجان من دعوة الأمير للشيخ. انظر تاريخ البلاد العربية السعودية، ج ١، ص ٩٠ - ٩١ . والواقع أن هناك أوراقاً بخط المؤرخ النجدي ابن لعبون ذكر فيها أن الشيخ محمداً انتقل إلى الدرعية بدعوة من الأمير محمد بن سعود .

(٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ٣؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢٤ - ٢٥ .

المصلحة العامة للدعوة في اعتمادها على حماية الأمير محمد ووقوفه معها مسألة جزئية كان واثقاً كل الثقة من حلها بسهولة في

المستقبل القريب. فكان أن أجاب بما أجاب به. لقد قبلنا بحصول توافقه شخصياً والأزبائياً بين الاثنين معاً اللهم تبايناً ومهما اختلفت تفاصيل الروايات حول الطريقة التي تم بها

اللقاء بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود، والذي قد ورد في بعض المصادر والفتاوى والخطب وما دار بينهما في ذلك اللقاء، فإنها تتفق على أنهما تبايناً على أن

يعملاً في سبيل الدعوة الإصلاحية ونشرها بكل ما يستطيعان من وسائل الدولة الوسائل. وكان ذلك سنة ١١٥٧ هـ (١٧٤٤م) (١). وعلى هذا الأساس السياسية

قامت دولة جديدة في المنطقة هي الدولة السعودية الأولى. والتي كانت من نتائج اللقاء ويشير بعض المؤلفين إلى أن الشيخ والأمير اتفقا، أيضاً، على أن

أن تكون الأمور السياسية في الدولة الجديدة لمحمد بن سعود وذرئته وأن تكون الشؤون الدينية لمحمد بن عبد الوهاب ونسله (٢). والذي قد ورد في بعض المصادر والفتاوى والخطب

ويبدو أن هؤلاء استنتجوا ما أشاروا إليه من سير الأحداث فيما بعد. والواقع أنه كان طبيعياً أن تستمر القيادة السياسية لآل سعود والتي كانت من نتائج اللقاء

لأنهم كانوا أمراء الدرعية - قاعدة الدولة الجديدة - قبل المبايعة والتي قامت على أساسها هذه الدولة. ووقوفهم مع الشيخ ودعوته والتي كانت من نتائج اللقاء

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ٤، ابن بشر، ج ١، ص ٢٥. (٢) أرياد حيد (لواء ابن الردييه) مع الشهاب، ص ٢٦ و ٢٧. ويبدو أن من ذكروا ذلك، فيما بعد، قد نقلوا عن هذا المصدر.

قوى مركزهم وحثم استمرار قيادتهم. وكان من أتى بعد محمد بن سعود منهم إلى القيادة مؤهلاً لتوليها كل التأهيل. وكان طبيعياً، أيضاً أن تكون إدارة الشؤون الدينية في أيدي أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد وفاته؛ لكفائتهم العلمية من ناحية، ولكانة أبيهم في قيادة الدعوة وإسهامه في تصريف أمور دولتها من ناحية أخرى. وعلى هذا فما حدث من تولي أبناء الزعيمين مستقبلاً لما تولوه كان نتيجة طبيعية، ولم يكن - على الأرجح - بناء على اتفاق سابق.

### ٣. الدولة قبل الصراع المسلح مع خصومها:

بعد المبايعة التي تمت بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب <sup>صكانه الميخ</sup> والأمير محمد بن سعود، والتي نشأ عنها قيام الدولة السعودية الأولى؛ واصل الشيخ جهوده في سبيل نشر دعوته. وكانت تلك الدعوة قد انتشرت بين سكان الدرعية - كما سبق أن ذكر - قبل انتقاله إليه. بل إن عدداً من كبارها قد قاموا بأعمال جليلة أزالوا بها ما حول بلدتهم من أشجار يتوسل بها الجهال<sup>(١)</sup>. لكن انتقال الشيخ محمد إلى الدرعية ووقوف أميرها معه زاد من فرص إيضاح حقيقة دعوته لبقية سكانها وتعليمهم مبادئها، وقد هب أنصاره وتلاميذه لمساعدته في مهمته التعليمية. وكان في مقدمة

(١) ابن غنّام، ج ١، ص ٣١.

هؤلاء إخوة الأمير محمد بن سعود الثلاثة: مشاري، وثنيان، وفرحان، والشيخان أحمد بن سويلم، وعيسى بن قاسم<sup>(١)</sup>. ولم تمض مدة طويلة على استقراره في وطنه الجديد إلا وقد تعلّم السكان أصول دينهم التي تجب عليهم معرفتها<sup>(٢)</sup>.

وما إن استقر الشيخ محمد في الدرعية، وعلم أنصاره في المنطقة أنه محمي من قبل أميرها محمد بن سعود، حتى أخذوا يفتنون إليه. ومن هؤلاء الأنصار من استقر عنده ولم يعد إلى بلده. ومنهم من تركوا بلدانهم نتيجة لما كانوا يلاقونه من مضايقة على أيدي زعمائهم الذين لم يؤيدوا الدعوة، أو لخوفهم من وقوع مضايقة لهم من أولئك الزعماء. لكن من المحتمل أن استقرار بعض أنصار الشيخ في الدرعية كان سببه رغبتهم في أن يبقوا قريه ليستفيدوا من علمه، ويساعدوه في نشر الدعوة.

كان أولئك الوافدون من طبقات اجتماعية مختلفة. فممنهم من كانوا من أسر حاكمة؛ مثل أناس من آل معمر<sup>(٣)</sup>. وربما كانت الحالة الاقتصادية لهؤلاء حسنة. لكن أكثر الوافدين كانوا من الفقراء

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤.

(٢) وكان من وسائله للوصول إلى ذلك تأليف رسالة الأصول الثلاثة وتعليم الناس

إياها. انظر ابن بشر، ج ١، ص ٢٦.

(٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ٤؛ ابن بشر ج ١، ص ٢٥.

الذين قال عنهم ابن بشر: إنهم كانوا يعملون ليلاً ليتفرغوا لحضور دروس الشيخ نهاراً<sup>(١)</sup>. وسواء كان تعليل هذا المؤرخ صحيحاً أو لم يكن فإنه ما من شك بأن المجتمع الجديد كان حريصاً على التعلم. وإذا كان بعض المحتاجين من الوافدين قد وجدوا أعمالاً مهما كانت شاقة فإن بعضهم الآخر لم يجدوا أعمالاً على الإطلاق. وقد شعر الشيخ بالعطف عليهم، والمسؤولية تجاههم. فكان يستلف من القادرين ليساعد أولئك المحتاجين<sup>(٢)</sup>.

مرتبة سمان بن مرس

ولم تكن الأمور السابقة تجري في منأى عن علم سكان المنطقة؛ قادة وأتباعاً. وحين رأى الأمير عثمان بن معمر ازدياد المنتقلين إلى الدرعية من بلدان نجدية مختلفة، ومن بلدته ذاتها، أدرك أنه قد ارتكب خطأ فادحاً في عدم إبقائه الشيخ محمداً عنده، وأن حكم آل سعود سوف يقوى بدرجة تجعل مركزه ثانوياً في المنطقة. وفي محاولة لعلاج الموقف ترأس وفداً من كبار قومه، وقدم إلى الدرعية. وعندما قابل الشيخ محمداً طلب منه أن يعود إلى العيينة مؤكداً له أنه سيحميه وينصره. لكن الشيخ أخبره بأن ذلك الأمر في يد الأمير محمد بن سعود. وكما كان متوقعاً رفض

(١) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧.

هذا الأمير طلب عثمان<sup>(١)</sup>. وذلك لاقتناعه أكثر فأكثر بصحة الدعوة، ولبعد نظره ومعرفته بنتائج وجود الشيخ في بلده.

وفي أثناء ذلك كان الشيخ محمد يكاتب العلماء ورؤساء البلدان والقبائل في نجد لينضموا إلى الدولة الجديدة التي قامت على أساس دعوته. وقد أثمرت الجهود المبذولة في هذا الشأن، فانضم أمراء بعض البلدان إليها طائعين مختارين. ومن هؤلاء أمراء العيينة وحرملاء ومنفوحة<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أن العامل الديني كان مهماً في تحديد مواقف الذين أيّدوا الانضمام أو الذين عارضوه. فمن المؤيدين من كانوا مقتنعين بصحة دعوة الشيخ محمد. وبما أن الدول الجديدة قائمة على أساس تلك الدعوة فإنهم اختاروا الانضمام إليها. ومن المعارضين من لم يكونوا يرون صحة الدعوة المذكورة. ولذلك رفضوا الانضمام إلى دولة أسست على مبادئها. على أن هناك عوامل سياسية واقتصادية كانت وراء انضمام بعض الأمراء النجديين إلى دولة الدرعية أو رفض الانضمام إليها من قبل البعض الآخر.

وعلى أي حال فإن القيادة في الدرعية رأت، سنة ١١٥٩ هـ، أن الوقت قد حان للانتقال إلى مرحلة جديدة ينال فيها بالقوة ما لم

(١) ابن غنّام، ج٢، ص٤؛ ابن بشر، ج١، ص٢٥.

ابن غنّام، ج٢، ص٦ و٨ - ٩؛ ابن بشر، ج١، ص٢٨، ٢١، ٢٢.

(٢) ابن غنّام، ج٢، ص٦.

## لاهية الملك المينى

ينل بطريفة الءةة والإقناع. ففء شهءء السنءان الأوليان من عمر الءولة الءءءة انءصارات سلساسفة ومعنوفة كبفرة. ذلك أن عءة بلءان نءءفة قء انءمءء إليها. وبهءا ءففر مفزان القوة المءلفة لصالءها. ولقء شعر أنصارها المءزافءون بالاطمءنان أكءر من ذف قبل. وكان هؤلاء على اسءءءاء لءنففء ما ءطلبه منهم قفاءءهم؛ إء كانوا فرون أن ءصومها أءءاء للإسلام. والمءطقة كانت بعفءة عن أف سفءة مءكزفة قوفة. ولذلك فإنها مفءان فسفء لءءقق كءفر من النءاء العسكرف قبل أن ءمءء إليها فء ءارءفة لءءاول القضاء عليها. وكانت إمكانات الءرعة الاقءصاءفة مءءوءة أمام ازءفء الوافءفن إليها من أنصار الءعوة الفقراء، الءفن شءء فرص العمل أمامهم مما ءعل الشفء مءمءاً فسءلف أموالاً لمساءءءهم كما ذكر سابقاً. وكان أولئك الوافءون - من ناءفة آءرى - مؤهلفن لأن فقوموا بءور كبفر فف ءأسفس ءفش قوف. وإضافة إلى ذلك كله فإن ما ءءء من مضايفة لبعض أنصار الءعوة كان ءافعاً لأن ءقوم الءولة الءءءة بمهاءمة الءفن ألءقوا أضراراً بهؤلاء الأنصار. وما ءامء الظروف مهبأة لاءءءاء الصراع المسلء بين الءولة الءءءة وءصومها فكفف بءأ ذلك؟

فقول ابن بشر:

«ءم أمر الشفء بالءهاء... فأول ءفش ءزا سبع ركائب، فلما ركبوها، وأعءلء بهم النءائب فف سفرها سقءوا من أكوارها لأنهم



لم يعتادوا ركوبها. فأغاروا، أظنه على بعض الأعراب، فغنموا ورجعوا»<sup>(١)</sup>.

ورواية هذا المؤرخ تفيد أن الدولة الجديدة هي التي أخذت زمام المبادرة في بدء الحروب ضد خصومها. وكان هذا أمراً متوقفاً. لكن تفاصيل هذه الرواية تثير سؤالاً لدى الباحث. ذلك أنه من المرجح أن يبذل قادة الدرعية كل ما في وسعهم لإظهار الغزوة الأولى من غزواتهم بمظهر قوي لتترك أثراً في نفوس المعارضين لهم. ومن المرجح، أيضاً، أنه كان في استطاعتهم أن يجهزوا جيشاً أكبر بكثير مما ذكر. ومعروف أن الإبل كانت وسيلة المواصلات الأساسية في نجد حينذاك. ومن المستبعد جداً أن يكون جميع أفراد ذلك الجيش غير معتادين على ركوبها. والمؤلف يشير إلى عدم معرفته بمن وُجّهت إليهم تلك الغزوة. وغريب أن تكون الغزوة الأولى - بما لها من أهمية تاريخية - مجهولة الهدف.

على أن مؤلفاً مجهولاً قد ذكر أن أول غزوة خرجت من الدرعية كان قوامها ستة عشر رجلاً على ثمان من الإبل، وأن الذين قاموا بها رجعوا دون الحصول على غنائم<sup>(٢)</sup>. ويذكر بوركهارت أن عدد

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) انظر كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبدالله العثيمين، دار الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٣هـ، ص ٤٧ - ٤٨ .

الإبل في الغزوة الأولى كان سبعاً. لكنه لم ينص على عدد الرجال، ولم يشر إلى نتيجة غزوهم<sup>(١)</sup>.

وما ذكره المؤلفون الثلاثة السابقون يدل على ضعف الغزوة الأولى وإن اختلفوا في التفاصيل. كما يدل على أن الدولة الجديدة هي التي بدأت الحرب ضد خصومها. واتفاق المصدرين الأخيرين مع ابن بشر يوحى بأن ما ذكره هؤلاء الثلاثة كان شائعاً لدى الأوساط الشعبية، على الأقل، في وسط جزيرة العرب.

أما ابن غنّام، تلميذ الشيخ محمد المهتم بذكر مثل هذه الحادثة، فلم يشر إليها. بل ذكر أن دهام بن دؤاس، أمير الرياض، هو الذي قام بمهاجمة بلدة منفوحة التي سبق أن انضمت إلى دولة الدرعية. فأرسلت قيادة هذه الدولة نجدة لمساعدتها ضد من هاجمها. على أن ابن دؤاس اضطر، على أي حال، إلى الانسحاب من منفوحة إلى الرياض بعد أن أصيب بجروح. وبهذه الحادثة بدأت الحروب والغزوات<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يبدو من رواية ابن غنّام أن خصوم الدولة الجديدة هم الذين بدأوا بمهاجمتها، وأوقدو شرارة الحرب ضدها. وما ورد في إحدى رسائل الشيخ محمد يؤيد هذه الرواية إلى حد ما؛ إذ قال:

(١) بوركهارت، ملحوظات، ج ٢، ص ٢٨ .

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ٦ .

«وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلا دون النفس والحُرمة. وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن غريباً أن يهاجم دهام بن دُوَّاس بلدة منفوحة، ذلك أنه كان يضر الحقد لزعمائها الذي سبق أن انتزعوا إمارتها من أسرته قبل حوالي عشرين عاماً من هجومه عليها<sup>(٢)</sup>. ثم إن انضمامها إلى الدولة الجديدة جعل الرياض بين فكِّي الرحي لوقوعها بين الدرعية شمالاً ومنفوحة جنوباً. وأصبح لزاماً عليه أن يتحرك لإزالة الخطر المحقق به. فرأى مهاجمة منفوحة أسهل عليه من مهاجمة الدرعية لكونها أضعف عسكرياً، ولقربها من بلده مسافة.

#### ٤. توحيد نجد: ٢٧٠ هـ مع دهام بن دواس

من الواضح أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رأى منذ بداية دعوته أن مجال نشاطها منطقة نجد. ولعلَّ من أكبر الأدلة على ذلك ما قاله للأمير عثمان بن معمر في أول لقاء بينهما:

- (١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥.  
 (٢) كان أبودهام بن دُوَّاس أميراً لبلدة منفوحة. وقد وقع بينه وبين أناس من جماعته؛ بينهم المزارع، خلاف نتج عنه قتله لعدد منهم. وحين توفي دُوَّاس سنة ١١٣٩ هـ تولَّى إمارة منفوحة ابنه محمد. لكن زامل بن فارس تزعم ثورة ضده، فقتله وأجلى إخوته الباقين عن البلدة. فاستقروا في الرياض. وتزوجت أختهم بأميرها، فأنجبت له ابناً. وفي عام ١١٤٦ هـ قتل هذا الأمير على يد أحد أقاربه، فتولَّى مملوك له شؤون البلدة. وبعد ذلك بخمس سنوات تقريباً هرب المملوك من الرياض. فاستولى دهام بن دُوَّاس على مقاليد الأمور فيها بحجة أنه وصيُّ على ابن أخته الذي كان لا يزال صغير السن. لكنه لم يلبث أن جعل الإمارة له. انظر تفاصيل ذلك لدى ابن بشر ج ١، ص ٢٩، ج ٢، ص ٢٢٧ و ٢٤٠ - ٢٤١.

«إني لأرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتملك نجداً أو أعرابها»<sup>(١)</sup>.

ولقد استغرق توحيد الدولة الجديدة لنجد أكثر من أربعين عاماً. ويبدو أن من أسباب ذلك ما تعمق في نفوس كثير من أمراء بلدان المنطقة، وزعماء قبائلها، من نزعة استقلالية محلية وشعور سلبي تجاه الوحدة الإقليمية.

ويلفت نظر الباحث أن هناك ثلاث مراحل متميزة إلى درجة كبيرة في الجهود التي بُذلت لتوحيد نجد. المرحلة الأولى من بداية الحرب بين الدولة الجديدة وخصومها سنة ١٥٩هـ، إلى بداية التدخل الخالدي ضدها سنة ١٧٢هـ. والمرحلة الثانية من هذه السنة الأخيرة إلى استيلائها على الرياض سنة ١٨٧هـ. والمرحلة الثالثة من ذلك التاريخ إلى استكمالها توحيد نجد في مستهل القرن الثالث عشر الهجري.

#### أ. المرحلة الأولى:

كانت جهود الدولة في المرحلة الأولى من تحركها العسكري لتوحيد نجد محدودة من حيث القوة، ومن حيث اتساع المدى الجغرافي لذلك التحرك. وكان أشد خصومها حينذاك

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٣ .

دهام بن دؤاس، أمير الرياض؛ إذ حدث بينها وبينه سبع عشرة موقعة ومع أن زمام المبادرة في أكثر هذه المواقع كان في يدها إلا أن ذلك الأمير استطاع في أحيان قليلة أن يبدأ بالهجوم وأن ينقل ميدان المعركة إلى أراضيها<sup>(١)</sup>. وحينما أدرك ضعف موقفه ونجاح دولة الدرعية في القضاء على مشكلاتها الداخلية، سنة ١١٦٧هـ، اضطر إلى مهادنتها، ودفع غرامة مالية إليها<sup>(٢)</sup>. لكن تلك الهدنة لم تستمر أكثر من سنة واحدة عاد بعدها دهام إلى نشاطه العسكري.

ومما يلفت النظر أن المرحلة الأولى من مراحل توحيد نجد شهدت انضمام بلدان نجدية إلى الدولة الجديدة بطريقة سلمية؛ مثل ضرماء وشقراء. ولكنها شهدت، أيضاً، حدوث مشكلات داخلية متعددة. وكان في مقدمة هذه المشكلات قضية أمير العيينة عثمان ابن معمر.

لقد كان عثمان - كما ذكر سابقاً - أول أمير نجد يناصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتدخل مرحلة التطبيق في المجال الديني. ثم وقع عليه تهديد من زعيم بني خالد جعله يتخلى عن ذلك الشيخ. وحين أدرك خطأه في موقفه تجاهه حاول إعادته إلى

(١) انظر تفاصيل تلك المواقع لدى ابن خنّام، ج ٢، ص ٦ - ١٩ و ٤٥ - ٥٣، وابن بشر،

ج ١، ص ٣٣ - ٤٨ .

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٤٣ .

بلدته. لكنه فشل في مسعاه. ويبدو أنه رجع من الدرعية إلى العيينة وفي نفسه ما فيها من غيرة سياسية بالنسبة لآل سعود، وأن تلك الغيرة ظلت تسيطر على مشاعره رغم مساييرته للدولة الجديدة التي أعلن انضمامه إليها. ففي سنة ١١٥٩هـ اشترك مع أهل بلدته متزعماً إياهم في الحرب ضد الرياض<sup>(١)</sup>. لكنه في السنة التالية لم يشترك بنفسه في غزو تلك البلدة<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أنه أدرك ما قد يترتب على موقفه من توتر في علاقته مع قيادة الدولة في الدرعية، فوفد إليها للتفاوض. ولعل هذه القيادة شعرت بما يدور في نفسه من طموح، فرأت أن تحقق له ما يرضي طموحه. وأسندت إليه القيادة العامة لجيوش الدولة كلها<sup>(٣)</sup>. وبدا وكأن الأمور قد حُلَّت حلاً موفّقاً. لكن الأحداث لم تجر وفق ما كان <sup>أول أمرت بعد من الدولة السعودية</sup> مؤملاً. فمع أن عثمان أصبح يقود جيوش الدولة ضد خصومها إلا أنه قام بتصرفات أثارت شكوك قادة تلك الدولة في إخلاصه. ومن هذه التصرفات دعوته كلاً من دهام بن دوّاس والعنقري للاجتماع به في العيينة دون علم الشيخ بذلك، وعدم إقدامه على دخول ثرمداء التي كان أكثر مقاتليها خارج أسوارها حين وصل إليها غازياً<sup>(٤)</sup>. وقد بلغت الشكوك فيه لدى المتحمسين للدعوة

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩ - ١٠؛ ابن بشر، ج ١، ص ٣٤.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٣٤ - ٣٦.

الإصلاحية من أهل العيينة حداً جعلهم يقدمون على قتله سنة

١١٦٥هـ<sup>(١)</sup>

على أن المشكلات الداخلية للدولة السعودية الناشئة لم تنته بمقتل عثمان بن معمر. ذلك أنه لم يمض على مقتله عام إلا وقد تمرد أمير بلدة ضرماء على الدولة، وبدأ يحاربها. وفي عام ١١٦٥هـ ثارت بلدة حريملاء. ثم ثارت بلدة منفوحة بعد ذلك بسنة<sup>(٢)</sup>. وكان من أكبر أسباب ثورة حريملاء، بالذات، ما قام به قاضيها سليمان بن عبد الوهاب - أخو الشيخ محمد - من نشاط عدائي ضد الدعوة ودولتها<sup>(٣)</sup>. لكن قيادة الدولة تمكّنت من التغلب على تلك المشكلات الداخلية بطريقتها الخاصة. واستطاعت أن تعيد البلدان الثائرة إلى الطاعة. وكان نجاحها في هذا المجال مما زاد من هيبتها في نظر الآخرين، ودفع بلداناً نجدية أخرى إلى الانضمام إليها<sup>(٤)</sup>. ومن حسن حظ تلك القيادة أنها كانت في تلك المرحلة التأسيسية المهمة تواجه قوى محلية مفككة بصفة عامة، وأن نشاطها لم يتعرّض لأي تدخل خارجي.

- (١) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٢ - ١٤؛ ابن بشر، ج ١، ص ٣٦ و ٣٩.
- (٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٨ - ١٩؛ ابن بشر، ج ١، ص ٤١ - ٤٢.
- (٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٧ - ١٨؛ ابن بشر، ج ١، ص ٤١ - ٤٢.
- (٤) من هذه البلدان القويّة. انظر ابن غنّام، ج ٢، ص ٤٧.

ب. المرحلة الثانية:

كان التدخل المتوقع حدوثه ضد الدولة الجديدة في نجد محتملاً أن يأتي من حكام الأحساء، زعماء بني خالد، أو من أشراف الحجاز. وذلك بسبب ما كان لهؤلاء وأولئك من نفوذ في بعض الأقاليم النجدية. لكن تدخل حكام الأحساء كان أكثر احتمالاً للأسباب الآتية:

١- أن الأحساء أقرب إلى الدرعية، قاعدة الدولة الجديدة، من الحجاز.  
٢- أن النفوذ الخارجي في إقليم العارض قبيل قيام تلك الدولة كان لحكام الأحساء.

٣- أن حاكم الأحساء قد بدأ فعلاً نشاطه ضد الدعوة قبل تلك الفترة، وذلك بتهديده عثمان بن معمر ليتخلص من الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٤- أن العلاقة بين الزعامة الخالدية وإمارة الدرعية كانت سيئة قبل بداية الدولة السعودية الأولى.

وكان أن حدث التدخل العسكري من حكام الأحساء قبل التدخل العسكري من أشراف الحجاز بأكثر من ثلاثين سنة. على أن التدخل الأحسائي نفسه لم يحدث إلا بعد حوالي ثلاثة عشر عاماً من بدء القتال بين الدولة الجديدة في نجد وبين خصومها. فما أسباب تأخر ذلك التدخل؟



محمد بن سعود كانت قوته السامية كبيرة جداً  
علم مكانة آل نمناصرتهم الدعوة وأصبحت لها راحة سياسية

تاريخ المملكة العربية السعودية

لعلَّ من هذه الأسباب اعتقاد الزعامة الخالدية بأن المعارضة المحلية النجدية قادرة على مقاومة الدولة الجديدة والقضاء عليها. لكن من الثابت، أيضاً، أنه حدث صراع بين زعماء بني خالد على القيادة. ومن نتائج ذلك الصراع أن توفي سليمان بن محمد، الذي كان وراء إخراج الشيخ من العيينة، طريداً في الخرج سنة ١١٦٦هـ<sup>(١)</sup>.

واستمر الصراع بين أولئك الزعماء حتى تمكن عريعر بن دجين من السيطرة على مقاليد الأمور في الأحساء حوالي سنة ١١٧٠هـ<sup>(٢)</sup>. ولعلَّ هذا الصراع الداخلي كان أهم الأسباب في تأخر تدخل الزعامة الخالدية عسكرياً ضد دولة الدرعية.

وما إن استقرت الأمور لعريعر بن دجين في منطقة الأحساء حتى بدأ يستعد لغزو نجد محاولاً القضاء على دولتها الناشئة؛ وذلك عام ١١٧٢هـ. لكن قادة هذه الدولة علموا بنشاطه، فأعدوا للأمر عدته، وبنوا سورين حول الدرعية، كما عززوا مواقعهم الأخرى<sup>(٣)</sup>. وحينما وصل الزعيم الخالدي بأتباعه إلى نجد انضم

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. ويبدو أن اسم الزعيم الخالدي الجديد عريعر. وذلك ما نص عليه نيبور (ج ٢، ص ١٢٦). الذي زار المنطقة في أيام حكمه، كما نص عليه آل عبدالقادر، ج ١، ص ١٢٨. لكن المصادر المؤيدة للشيخ محمد صغرت اسمه، ثم قبلت أسرته بها التصغير وأصبحت تنسب إليه.

(٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ٥٤ - ٥٥.

إليه المعارضون لتلك الدولة. لكن قواته التي بعثها لمساعدة المعارضين للاستيلاء على حريملاء فشلت في مهمتها، ثم عجزت قواته الرئيسية أن تقتحم بلدة الجبيلة. وبذلك اضطر إلى الانسحاب من نجد دون تحقيق أي انتصار<sup>(١)</sup>.

وكان لفشل الحملة العسكرية الخالدية الأولى ضد الدولة السعودية أثر كبير على سير الأحداث في المنطقة. فقد أدرك خصوم هذه الدولة قوتها، فأسرع بعضهم إلى مصالحتها ودفع غرامات مالية إليها<sup>(٢)</sup>. وارتفعت معنويات قادتها وأتباعهم حتى أصبحت غزواتهم تصل إلى أمكنة لم تكن تصل إليها من قبل، وأخضعوا أكثر بلدان الوشم وسدير<sup>(٣)</sup>. ولم تمض أربع سنوات إلا وقد أصبحت لديهم الجرأة على غزو الأحساء ذاتها<sup>(٤)</sup>. ومن الواضح أن هدف هذا الغزو لم يكن محاولة الاستيلاء على تلك المنطقة، وإنما إظهار القوة أمام حكامها ومن يرجو مساعدتهم من أهل نجد. وكان من ثماره أن دهام بن دؤاس، الذي كان لا يزال أشد الخصوم النحديين، جنح إلى السلم ودفع غرامة مالية كبيرة إلى الدرعية<sup>(٥)</sup>.

ارتفع معنويات أتباعه  
كل من كان

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٥١.

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٥٢ - ٥٤.

(٤) ابن غنّام، ج ٢، ص ٦٢.

(٥) ابن بشر، ج ١، ص ٥٦.

على أن المرحلة الثانية من مراحل توحيد نجد لم تخلُ من مشكلات صعبة. ذلك أن نكسة حَلَّت بالدولة خلالها نتيجة تدخل غير نجدية من جهة لم يكن متوقفاً تدخلها، وهي نجران.

كان عبدالعزيز بن محمد بن سعود قد أصبح قائد جيوش الدولة كلها بعد مقتل عثمان بن معمر. وبينما كان في إحدى غزواته النشطة علم أن جماعة من قبيلة سُبَيْع، الموالية لقادة الدرعية حينذاك، قد نهبها فريق من قبيلة العجمان. فما كان منه إلا أن لحق بذلك الفريق، وفاجأه بالهجوم. فقتل منه حوالي خمسين رجلاً، وأسر آخرين. وهرب الناجون من العجمان إلى نجران حيث القبائل اليامية التي تَمَّت إليهم بصلة النسب. وطلبوا من رئيس تلك البلاد، حسن بن هبة الله المكرمي، أن يساعدهم في الثأر لما حلَّ بهم على يد عبدالعزيز بن محمد. فهبَّ ذلك الرئيس لنجدتهم يدفعه عاملان: أحدهما اختلاف مذهبه الديني الباطني مع عقيدة قادة الدولة السعودية وأتباعها. وثانيهما صلة النسب بين القبائل التابعة له وبين قبيلة العجمان. والتقى جيشه بجيش عبدالعزيز بن محمد في الحائر الواقعة جنوب الرياض. وانتهت المعركة بهزيمة كبيرة لجيش عبدالعزيز؛ إذ قتل منه ما يزيد على أربع مئة رجل، وأسر كثيرون. ثم دفع قادة الدرعية مبالغ مالية إلى الرئيس النجراني،

وتوصلوا معه إلى صلح يتبادل بموجبه الطرفان الأسرى ويعود ذلك الرئيس إلى بلاده<sup>(١)</sup>.

ولقد بعث انتصار الرئيس النجراني على عبدالعزيز بن محمد الأمل في نفوس المعارضين النجديين للدولة السعودية، وحاولوا أن يغفروا ذلك الرئيس بالزحف على عاصمة هذه الدولة. واتصلوا بزعيم بني خالد يستقدمونه لاستغلال فرصة ما حلَّ بجيشها من هزيمة. وقد نجح اتصالهم بالزعيم الخالدي، فتوجه بأتباعه إلى العارض، وأرسل إلى الرئيس النجراني يحثُّه على البقاء هنا حتى يصل إليه ليقضيا معاً على تلك الدولة. لكن رسالته لم تصل، فيما يبدو، إلى ذلك الرئيس إلا بعد اتفاهه مع قادتها. فرأى أن ما حققه من نصر قد أدَّى الغرض الذي جاء غازياً من أجله. وانسحب إلى نجران<sup>(٢)</sup>.

وحيثما وصل زعيم بني خالد إلى نجد انضمت إليه المعارضة النجدية، واتجه الجميع إلى الدرعية فحاصروها. وكانوا يعتقدون أنهم سينتصرون على قوتها بعد ما أصابها في الحائر. لكن جميع تقديراتهم فشلت لما أبداه سكان العاصمة من بسالة وإقدام.

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص ٦٥ - ٦٧؛ ابن بشر، ج١، ص ٥٦ - ٥٨ .

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص ٦٧ .

# الاحصار وفاة سرير بن دهمين يعنقل بين محمد للمرة @ في مواجهة آل سعود

تاريخ المملكة العربية السعودية

فاضطر المهاجمون إلى الانسحاب بعد عشرين يوماً من الحصار تاركين وراءهم خمسين قتيلاً<sup>(١)</sup>.

وقد رفع فشل الزعيم الخالدي ومن معه أمام أسوار الدرعية معنويات أتباعها التي كانت قد اهتزت نوعاً ما إثر معركة الحائر. ولم يجد رأس المعارضة النجدية، دهام بن دؤاس، بداً من طلب الهدنة مع قادة الدولة السعودية. فأجيب إلى طلبه<sup>(٢)</sup>. لكن الهدنة لم تستمر أكثر من تسعة شهور. ولعل وفاة محمد بن سعود كانت من أسباب نقض دهام لتلك الهدنة.

وفي نهاية ربيع الأول من عام ١١٧٩هـ توفي الأمير محمد بن سعود<sup>(٣)</sup>. فخلفه في الحكم ابنه عبدالعزيز، الذي كان تلميذاً للشيخ محمد، كما كان متمرساً في أمور الدولة العامة، وبارعاً في القيادة العسكرية.

وقد واصل عبدالعزيز بن محمد النشاط العسكري للدولة يشاركه، أحياناً، في تولي الجيش ابنه سعود<sup>(٤)</sup>. ولم تأت سنة ١١٨٣هـ إلا ونفوذها قد تجاوز وسط نجد، كالوشم وسدير، إلى بعض بلدان القصيم<sup>(٥)</sup>. وبعد ذلك بأربع سنوات أدرك دهام بن

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ٧٣ .

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٤ .

(٤) ابن بشر، ج ١، ص ٦٦ و ٧٥ .

(٥) ابن غنّام، ج ٢، ص ٧٩ .

دوَّاس أنه لا يستطيع الصمود أكثر مما فعل؛ وبخاصة أن العمر تقدَّم به، وأن ابنه دوَّاساً وسعدوناً قُتِلَا سنة ١١٨٥هـ<sup>(١)</sup>. فهرب من الرياض مع أسرته وعدد غير قليل من أنصاره<sup>(٢)</sup>.

وبذلك انتهت مقاومة ذلك الخصم التي استمرت ثمانية وعشرين عاماً تخللتها فترات هدنة قصيرة جداً كان يلجأ إليها في حالات ضعفه الشديد. وقد قُتِلَ في الحروب التي دارت بينه وبين أتباع الدرعية أربعة آلاف رجل؛ منهم ألفان وثلاث مئة من رجاله<sup>(٣)</sup>.

وبعد هروب دهام بن دوَّاس ومن معه من الرياض دخلها عبدالعزيز بن محمد دون قتال. فاستولى على ثروات الهاريين، وضمَّها إلى خزينه دولته<sup>(٤)</sup>.

### جـ. المرحلة الثالثة:

وكان استيلاء عبدالعزيز بن محمد على الرياض ذا أهمية كبيرة في تاريخ الدولة السعودية الأولى. وقد عبَّر ابن غنَّام عن هذه

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٧٥.

(٢) يذكر ابن بشر أن دهاماً بعد هروبه من الرياض قصد الخرج. وتذكر الروايات الشفهية أنه ذهب بعد ذلك إلى زعيم بني خالد، وأن هذا الزعيم لأمه على هروبه من بلده فردَّ عليه قائلاً: إني قاومت آل سعود حوالي ثلاثين عاماً، فهل تستطيع حربهم ثلاثين يوماً؟ ويؤيد ما ورد في هذه الروايات من ذهاب دهام إلى زعيم بني خالد بعد هروبه ما ذكره أحد المعاصرين لتلك الحادثة. انظر كيف كان ظهور شيخ الإسلام، ص ٧٦.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٧٧٧.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

الأهمية بتسميته فتحاً، وإفراد قصيدة من قصائده لتخليده في تاريخه<sup>(١)</sup> ومن نتائجه أن الدولة الجديدة غنمت أموالاً ساعدت في قضاء ما كان على الشيخ محمد من ديون سبق أن استدانها لمساعدة الفقراء من أنصاره<sup>(٢)</sup> وأن الشيخ تخلّى عن كثير من الأعباء التي كان يقوم بها، فأصبح يقوم بها عبدالعزيز بن محمد<sup>(٣)</sup>. ومن الواضح أن سبب هذا تقدّم سنّه، واطمئنانه إلى كفاءة عبدالعزيز ونجاح دولته. على أن من أهم نتائج الاستيلاء على الرياض أن الدولة السعودية تخلّصت من أقوى خصم نجدي لها، وأضافت قوة بلده إلى قواتها، كما أصبح في إمكانها أن ترسل جيوشها إلى مناطق بعيدة؛ وبخاصة في جنوبي نجد، دون أن تخشى ضرب مؤخرتها أو قطع مواصلاتها.

وقد أدركت الدولة السعودية غاية الإدراك أبعاد ما توصلت إليه من نصر، فعزمت على الاستفادة منه في توسيع نفوذها لتشمل مساحتها منطقة نجد كلها. ولم تكن المعارضة لتلك الدولة بأقل إدراكاً منها لأبعاد ذلك النصر. فلقد رأت فيه نذير خطر عليها. وتحركت بكل ما تستطيع لتقف في وجه التيار الذي أوشك أن يكتسحها.

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ٨٦ - ٨٨ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧ .

أمر وفاة عريعر بن دحيض على الحالة  
السياسة

وهكذا جمع زعيم بني خالد، عريعر بن دجين، ما لديه من قوات، واتجه إلى نجد، على أنه بات يعلم حق العلم أن قاعدة الدولة الدرعية قد أصبحت بعيدة المنال بعد الاستيلاء على الرياض. فإذا كان قد فشل أمام أسوارها قبل أن يترك الميدان دهام بن دؤاس فإن فشله أكثر احتمالاً بعد انهيار رمز المقاومة النجدية. ورأى أن من الأنسب له أن يهاجم بلداناً سعودية نائية عن تلك القاعدة لأن نجاح مهاجمته لها أكثر احتمالاً. فإن هو حقق نجاحاً في تلك البلدان أصبح في إمكانه أن يتقدم إلى قلب الدولة تقدم المنتصر. وكانت بريدة الجهة التي اتجه إليها. وقد تمكن من الاستيلاء عليها خدعة. ثم غادرها إلى الخابية حيث انهالت عليه رسائل التأييد من خصوم آل سعود النجديين. لكن المنية وافته هناك، فعادت القوات الخالدية إلى الأحساء، وذلك سنة ١١٨٨هـ<sup>(١)</sup>.

لاحمد

### توحيد جنوبي نجد:

كان قادة الدرعية قد قاموا ببعض الغزوات على إقليم الخرج قبل استيلائهم على الرياض. وكان من أبرز أمراء ذلك الإقليم زيد ابن زامل، أمير الدِّم، الذي وضع يده في يد دهام بن دؤاس في عدة مناسبات. ولذلك كان طبيعياً أن تتجه أنظار أولئك القادة إلى إقليم الخرج بعد أن انفتحت الطرق إليه بالاستيلاء على الرياض.

(١) ابن غنّام، ج٢، ص٨٩؛ ابن بشر، ج١، ص٧٨.



وهكذا أرسل عبدالعزيز بن محمد رسالة إلى زيد بن زامل يخبره فيها بأن عليه أن ينضم إلى دولته وإلا فإنه سيحاربه. لكن زيداً رفض الانضمام إلى الدولة المذكورة<sup>(١)</sup>. فبدأت القوات السعودية تهاجم بلاده. وكان أول ما قام به السعوديون ضد زيد بن زامل غزوة قادها سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٨٨هـ<sup>(٢)</sup>. وفي السنة التالية أغار عبدالعزيز بن محمد نفسه على الدلم، وألحق بها من الخسائر ما دفع زيد بن زامل إلى البحث عن حليف قوي يستعين به على درء الخطر المحدق به<sup>(٣)</sup>. وقد رأى أن أنسب من يمكن الاستعانة به رئيس نجران، الذي كان صدى انتصاره على قوات الدرعية في الحائر، سنة ١١٧٨هـ، لا يزال عالقاً في الأذهان.

والتزم زيد بن زامل لحسن بن هبة الله المكرمي بدفع أموال طائلة مقابل اشتراكه في عمل عسكري ضد عبدالعزيز بن محمد. واجتمع الحلفاء من نجران وقبائل يام والدواسر وغيرهم، وساروا حتى وصلوا إلى الحائر. وهناك جرت بينهم وبين أتباع الدرعية مناوشات غير حاسمة. ثم ارتحل الحلفاء إلى ضرماء حيث دارت معركة اضطر بعدها أولئك الحلفاء إلى الانسحاب تاركين وراءهم عدداً من القتلى، وذلك سنة ١١٨٩هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ٨٨.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٧٨.

(٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ٨٨ و ٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٨ و ٩١ - ٩٢؛ ابن بشر، ج ١، ص ٨٠.

ويعود انتصار أتباع الدرعية على جيش المتحالفين إلى أسباب  
من أهمها:

١- ارتفاع معنوياتهم بعد الاستيلاء على الرياض، وعودة جيوش بني خالد سنة ١١٨٨ هـ دون أن تحقق أهدافها.

٢- عدم وجود الثقة بين أطراف المتحالفين. ولعلّ مما يوضح ذلك أن رئيس نجران لم يشترك في الحرب إلا بمال دفع إليه، وأن ذلك المال لم يدفع إليه إلا بعد أخذ رهائن منه. وهكذا كان غرض ذلك الرئيس من الاشتراك في الحرب الحصول على المال لا جدية القتال. وما دام قبض المال فإن أي قتال يقوم به كافٍ للتدليل على وفائه بالتزامه تجاه من دفعه إليه.

٣- ما ذكره ابن غنّام من أن الرئيس النجراني مرض أثناء المناوشات<sup>(١)</sup>. ولا بدّ أن مرضه أثر على معنويات قومه وعجلّ بانسحابهم.

وكان من نتائج فشل المتحالفين أن أصبح زيد بن زامل في موقف أكثر حرجاً من ذي قبل. فاضطر إلى أن يفد إلى الدرعية معلناً ولاءه لقادتها. لكن ولاءه لم يطل. ذلك أنه قام بتصرفات جعلت عبد العزيز بن محمد يجهز جيشاً ضده. وما إن اقترب ذلك

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ٩٣.

الجيش من الدِّلم حتى هرب منها زيد. فدخلها الجيش السعودي، وعين قائده أميراً لها من قبله. على أن زيد بن زامل ما لبث أن عاد إلى بلده بمساعدة قسم كبير من أهلها<sup>(١)</sup>.

ومضت مدة انشغل فيها قادة الدرعية بمشكلات داخلية قامت في كل من الزُّلفي وحرمة. ثم قاد سعود بن عبدالعزيز، سنة ١١٩٥هـ، جيشاً حاصر به الدِّلم وقطع به بعض نخيلها. وكان مما قام به، أيضاً، أن بنى قصراً قرب البلدة سُمِّي قصر البِدْع، ووضع فيه رجالاً لمضايقة أهلها عسكرياً واقتصادياً. وقد أدرك زيد وأتباعه خطورة ذلك القصر، فحاولوا الاستيلاء عليه دون جدوى. فاستجدوا بزعيم بني خالد، سعدون بن عريعر، لكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل<sup>(٢)</sup>.

واستمرت الغزوات السعودية على إقليم الخرج. واستمر زيد بن زامل نشطاً في معارضته. وبينما كان عائداً من إحدى غزواته، سنة ١١٩٧هـ، صادفته كتيبة سعودية، فاشتبكت معه، وقتلته. وتولَّى

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٨١ - ٨٢ و ٨٦.

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٠٧ - ١١١. ومن بين المحاولات التي قام بها المحاصرون للاستيلاء على القصر عمل صندوق كبير له عجلات ووضع أناس داخله حتى يقتربوا من السور. وعندئذ يخرجون ليقتموه. لكن هذا الصندوق خرب وتوقف قبل الاقتراب من سور القصر، ولم يستطع من كانوا داخله الخروج منه إلا بعد حلول الظلام خوفاً من رصاص أهل القصر.

إمارة الدلم ابنه برّاك، الذي سلك مسلك أبيه في عدائه لقادة الدرعية. لكن من حسن حظ هؤلاء القادة أن خلافاً نشب بين أفراد أسرته على الإمارة. ونتج عن ذلك الخلاف مقتل برّاك بن زيد، ولجوء من قتلوه إلى الدرعية سنة ١١٩٩هـ. ثم قام سعود بن عبدالعزيز في تلك السنة بحملة إلى الدلم، فاستولى عليها. وجعل إمارتها لسليمان بن عَفِيصَان، الذي أصبح من أعظم القادة العسكريين في الدولة السعودية الأولى<sup>(١)</sup>.

النتائج

وقد واكب النجاح السعودي في إقليم الخرج نجاح آخر في الجهات الواقعة جنوباً عنه كحوطة بني تميم والحريق. ثم وفد عدد من زعماء وادي الدواسر إلى الدرعية معلنين ولاءهم لقادتها. وبعد هذا بايع جميع أهل الوادي أولئك القادة سنة ١٢٠٢هـ<sup>(٢)</sup>. وهكذا شمل الحكم السعودي كل جنوبي نجد في مستهل القرن الثالث عشر الهجري.

توحيد شمالي نجد:

كانت بريدة أول بلدة من بلدن القصيم تعلن ولاءها لقادة الدرعية؛ وذلك سنة ١١٨٢هـ<sup>(٣)</sup>. وقد شهدت تلك السنة والسنة

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) ابن غنّام، ج ١، ص ٦٧ .

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٦٧ .

التي بعدها نشاطاً عسكرياً سعودياً في ذلك الإقليم. وفي عام ١١٨٨هـ استولى زعيم بني خالد، <sup>أ- برادة</sup> عريعر بن دجين، على بريدة، ثم ارتحل منها إلى الخابية حيث وافته المنية. وعادت القوات التي كانت معه إلى الأحساء، كما سبق أن ذكر. وكان عريعر قد ولى في بريدة راشداً الدريبي، أحد أفراد أسرة الإمارة في تلك البلدة<sup>(١)</sup>.

ولم يكن متوقفاً أن يقف قادة الدرعية مكتوفي الأيدي تجاه ما حدث في بريدة. ولهذا قاد سعود بن عبدالعزيز جيشاً، سنة ١١٨٩هـ، وهاجم به تلك البلدة. لكنه لم يوفق في الاستيلاء عليها. فبنى حولها قصرأ ترك فيه رجالاً بقيادة عبدالله بن حسن، الذي كان أميراً للبلدة المذكورة قبل استيلاء الزعيم الخالدي عليها. وقد تمكن عبدالله بن حسن من استعادة بريدة. وكان من نتيجة ذلك أن أعلنت بلدان القصيم الولاء للدولة السعودية. لكن بعض هذه البلدان ثارت ضد هذه الدولة سنة ١١٩٦هـ، متعاونة مع الزعيم الخالدي، سعدون بن عريعر، الذي قاد الجميع وحاصر بريدة. وكان أمير هذه البلدة حينذاك حجيلان بن حمد، الذي تولّى إمارتها بعد مقتل عبدالله بن حسن في الخرج سنة ١١٩٠هـ<sup>(٢)</sup>. ورغم محاصرة

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٧٨. ومعروف أن أحد أجداد راشد، واسمه راشد الدريبي، أيضاً، هو الذي اشترى موضع بريدة من آل هذال من شيوخ قبيلة عنزة سنة ٩٨٥هـ. انظر إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص٨٢.

(٢) ابن غنّام، ج٢، ص٩٩.

## دولة حريم جبل شمر

الزعيم الخالدي وحلفائه لتلك البلدة أربعة شهور فإنهم فشلوا في الاستيلاء عليها. فانسحب سعدون وقومه عنها<sup>(١)</sup>. واضطر أكثر الثائرين من أهل القصيم إلى إعلان ولائهم للدولة السعودية من جديد. لكن بلدة عنيزة لم تخضع خضوعاً تاماً لتلك الدولة إلا سنة ١٢٠٢هـ<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان لحجيلان بن حمد دور كبير في تثبيت الحكم السعودي في القصيم، وفي إدخال جهات من شمالي نجد تحت ظل هذا الحكم. فقد رأس، سنة ١٢٠٠هـ، حملة عسكرية اتجه بها إلى جبل شمر، وكان مما قام به هناك أن رصد في بقعاء لقايلة تجارية قادمة من العراق، وقتل عدداً من رجالها، وأخذ ما كان معها من لحم الأساليب <sup>والأساليب</sup> بضائع لأهل الجبل<sup>(٣)</sup>. وكان الإنهاك الاقتصادي من الأساليب الناجحة التي اتخذها قادة الدرعية لإرغام خصومهم على الاستسلام لهم. ويبدو أن إدراك زعماء الجبل لقوة الدولة السعودية، واقتناع بعضهم بصحة مبادئ الدعوة الإصلاحية، كانا من الأمور التي جعلت غزو حجيلان لتلك الجهة بعد حملته الأولى بسنة يؤدي ثماره المرجوة. ذلك أنه لم يعد من هناك إلا وقد دخل إقليم جبل شمر تحت طاعة آل سعود<sup>(٤)</sup>. وهكذا أصبح شمالي نجد

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٩٢ - ٩٣. (٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٠. (٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٢٦. (٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٠.

جزءاً من الدولة السعودية في مستهل القرن الثالث عشر الهجري  
مثلما أصبح جنوبيها، وأنصهرت جميع البلدان والأقاليم النجدية  
في بوتقة دولة واحدة.

وبعد دخول جبل شمر في طاعة آل سعود اتجهت أنظارهم إلى  
ما يليه شمالاً من جزيرة العرب. وقد بدأ نشاطهم بغارة قادها أمير  
جبل شمر، محمد بن عبدالمحسن بن علي، على فئات من قبيلة  
الشرارات حول دومة الجندل، منطقة الجوف حالياً<sup>(١)</sup>. وفي عام  
١٢٠٨هـ اتجهت قوات سعودية من الجبل والقصيم والوشم بقيادة  
محمد بن معيقل، أمير الإقليم الأخير، إلى الجوف، وتمكنت بعد  
قتال عنيف من إدخال أكثر تلك البلاد تحت نفوذ الدولة  
السعودية<sup>(٢)</sup>. وحينما تم إخضاعها كلها فيما بعد رُبطت إدارياً بأمير  
جبل شمر<sup>(٣)</sup>. وقد قام هذا الأمير بجهود موفقة استولى بها على  
تيماء، ووادي السرحان، وخبير وما حولها، حتى أصبح شمالي  
الجزيرة العربية كله جزءاً من الدولة السعودية الأولى<sup>(٤)</sup>.

(١) كيف كان ظهور شيخ الإسلام، ص ١٤١ .

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٦٨، ابن بشر، ج ١، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٣) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ . وقارن ذلك بحمد الجاسر، في

شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، ١٣٩٠هـ، ص ١٢٣ .

(٤) كيف كان ظهور شيخ الإسلام، ص ١٤٠ - ١٤٥ .

## ٥ - الدولة السعودية والقبائل في نجد:

لم تكن الجهود التي بذلتها الدولة السعودية الأولى لتوحيد نجد مقصورة على حاضرة هذه المنطقة، وإنما كانت شاملة للحاضرة والبادية على حدٍ سواء. ومن القبائل التي حدثت بينها وبين الدولة الجديدة اشتباكات في تلك الفترة سُبَّيع، ومُطَيْر، والظَّفِير، وعنزرة، والدواسر، والعجمان. وكما كانت بعض البلدان النجدية تذعن حيناً وتثور حيناً آخر فإن بعض القبائل كانت توالي قادة الدرعية فترة ثم تنضم إلى خصومهم فترة أخرى وفق ما تمليه عليها مصالحها الخاصة وتمشياً مع الظروف الآنية.

ومن الواضح أن كثيراً من القبائل في نجد لم تخضع للدولة السعودية اقتناعاً بالدعوة التي قامت على أساسها تلك الدولة، أو إعجاباً بما ترمي إليه من توحيد سياسي للمنطقة، وإنما خضعت لها لشعورها بالضعف أمام هجماتها المفاجئة في أغلب الأحيان. وكان لهذا أثره في المستقبل. إذ إن هذه القبائل ما إن رأت ضعف موقف الدولة السعودية أمام الغزو المصري العثماني حتى رمت بثقلها مع الغزاة.

ومما يراه المتأمل في تاريخ تلك الفترة أن أكثر غزوات قادة الدولة السعودية للقبائل في نجد كانت موفقة؛ وبخاصة من الناحية

لصبا ب



المادية، وما إن تمكنت هذه الدولة من توحيد بلدان نجد حتى اضطرت جميع القبائل الموجودة فيها إلى إعلان الولاء لها. أما القبائل التي لم تحببُ التبعية لها فقد غادرت المنطقة. وممن نرح عن نجد فئات من قبيلتي شمر والظفير.

مغادرة بعض القبائل إلى الأحساء  
والجذب المرام.





اتساع الدولة السعودية  
خارج نجد

اهم مبادئ دعوة الشيخ  
@ كتاب الوصية رسول  
@ الجهاد  
@ الشهادة المكر

## ١ - شرقي البلاد:

اتخذ زعماء بني خالد، حكام الأحساء، موقفاً عدائياً من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقادة الدرعية قبل قيام الدولة السعودية الأولى. فقد هاجم الزعيم الخالدي سعدون بن محمد بن غرير الدرعية سنة ١١٣٣هـ. وكان أخوه سليمان وراء إخراج الشيخ محمد من العيينة، كما سبق أن ذكر. ولقد كان متوقفاً أن يقوم الزعماء الخالديون بأعمال عدائية ضد الدولة السعودية التي جمعت بين أعدائهم من آل سعود وقائد الدعوة الإصلاحية. ولهذا فإنهم ما إن وجدوا الفرصة سانحة للقيام بتلك الأعمال حتى اغتتموها. وكانت بداية غزواتهم للدولة المذكورة سنة ١١٧٢هـ. واستمر زعماء بني خالد يستغلون كل فرصة مواتية للنيل من الدولة السعودية، وذلك بغزوها حيناً وتأييد معارضيها في نجد حيناً آخر.

ومضت مدة غير قصيرة والزعماء الخالديون في موقف المهاجم في نزاعهم مع قادة الدولة السعودية. لكن جميع محاولاتهم للقضاء عليها أو إيقاف مدّها باءت بالفشل. وظلت تحرز انتصاراً بعد انتصار داخل نجد.

وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري تغير ميزان القوة بين الدولة السعودية وزعماء بني خالد. فأصبحت تلك الدولة في

موقف المهاجم، وبات أولئك الزعماء في موقف المدافع. ومن الواضح أن أهم أسباب هذا التغيير أن الدولة السعودية أصبحت قاب قوسين أو أدنى من توحيد نجد كلها، وأن الصراعات الداخلية على السلطة تجددت بين زعماء بني خالد.

وفي عام ١١٩٨هـ بدأ قادة الدرعية جهودهم للاستيلاء على الأحساء<sup>(١)</sup> (ومن أعظم دوافعهم إلى إدخال تلك المنطقة تحت نفوذهم:)

أ - أن حكام الأحساء ناصبوا الدولة السعودية العداء فترة طويلة وقاموا بغزوها مرةً تلو أخرى.

ب - رغبة قادة تلك الدولة في نشر الدعوة الإصلاحية التي آمنوا بها؛ وبخاصة أن شرقي الجزيرة العربية كانت توجد فيه بعض المذاهب التي لا تتفق مع مبادئ الدعوة المذكورة.

ج - الشعور الطبيعي لدى قادة كل دولة فتية تعتقد أنها قادرة على توسيع نفوذها.

د - الأهمية الاقتصادية للمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية؛ سواء بالنسبة لثروتها الزراعية أو بالنسبة لموقعها على الخليج بما في ذلك من موانئ تجارية وفرص عمل في المجال البحري.

كانت كجارتها مع الهند وجزيرة  
الأمم

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٢٠.

هـ - أن المنطقة كانت حينذاك مستقلة عن الدولة العثمانية التي كان القادة السعوديون يتحاشون الصدام معها في تلك الفترة. وكان أولئك القادة يدركون هذا الوضع غاية الإدراك بدليل ما ذكره سعود بن عبدالعزيز في رده على رسالة علي باشا، مساعد والي بغداد، حينما قام بحملته على تلك المنطقة سنة ١٢١٣هـ<sup>(١)</sup>. *شواهد تاريخية*

وكانت أول غزوة يوجهها آل سعود للاستيلاء على الأحساء تلك التي قادها سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٩٨هـ، ونجح في كسب كثير من المواشي والأمتعة<sup>(٢)</sup>. وفي عام ١٢٠٠هـ ثار دُوَيْحَس بن عريعر على أخيه سعدون، وانضم إليه قسم من بني خالد، كما انضم إليه رئيس قبيلة المنتفق، تُؤيني بن عبداللّه. وتقابل سعدون مع المتحالفين ضده فهزموه. ولم يجد أمامه ملجأ يتجه إليه إلا الدرعية. ولقد ترددَّ عبدالعزيز بن محمد في إيوائه خوفاً من أن تسوء العلاقة بين دولته ورئيس قبيلة المنتفق. لكنه آواه في نهاية الأمر بمشورة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب<sup>(٣)</sup>.

(١) رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمه من التركية إلى العربية موسى كاظم نورس، بيروت ١٣٨٥هـ، ص ٩.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٩٦.

(٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٢٤ - ١٢٥؛ ابن بشر، ج ١، ص ٩٨.

وفي سنة ٢٠٢هـ وصلت القوات السعودية إلى الأحساء بقيادة سليمان بن عفيصان مرتين هاجم في الأولى منهما قرية الجبشة، وهاجم في الثانية ميناء العُقَيْر<sup>(١)</sup>. وفي السنة التالية توجه سعود ابن عبدالعزيز بقوته إلى الأحساء حيث وصل إلى البلدة المُبَرَّز. ثم تركها بعد مناوشات قصيرة، واتجه إلى قرية الفُضُول، فاتخذ ضدها إجراءات قاسية جداً. ثم عاد إلى الدرعية<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ١٢٠٤هـ توجه سعود بن عبدالعزيز بقوات كبيرة إلى المنطقة الشرقية لمحاربة قبيلة بني خالد. وكان معه زيد بن عريعر. وحين تقابل مع القوات الخالدية هزمها، وعيّن زيدا قائداً لتلك القبيلة بعد أن فرَّ أخوه دويحس وخاله عبدالمحسن بن سِرْداح إلى قبيلة المنتفق<sup>(٣)</sup>. على أنه من الواضح أن بلدان المنطقة الشرقية لم تدخل كلها تحت النفوذ السعودي نتيجة لهزيمة بني خالد. ولعلَّ مما يوضح ذلك أن سعود بن عبدالعزيز قام بغزو المنطقة المذكورة سنة ١٢٠٦هـ حيث هاجم القطيف، وأنزل بها خسائر فادحة<sup>(٤)</sup>.

ولم تكن سيرة زيد بن عريعر على ما يرام. فقد أرسل إلى عبدالمحسن بن سِرْداح يطلب منه الرجوع إلى قومه، ويَعده بأن

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٣٦ و ١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٠ .



يتنازل له عن رئاسة قبيلة بني خالد. وحين رجع عبدالمحسن من المنتفق غدر به زيد وقتله. وغضبت القبيلة الخالدية على زيد، فثارت ضده بزعامة برّاك بن عبدالمحسن. وقد هبَّ سعود بن عبدالعزيز لمحاربة بني خالد، والتقى ببرّاك ومن معه فهزمهم هزيمة عظيمة. وهرب برّاك إلى المنتفق<sup>(١)</sup>.

وكان من نتائج المعركة السابقة أن أدرك أهل الأحساء ما تنطوي عليه معارضة سعود من أخطار. وحين اقترب من بلدانهم طلبوا منه الأمان، وأعلنوا ولاءهم له. غير أنهم ثاروا بعد مغادرته المنطقة، وقتلوا محمداً الحملي، الأمير الذي عينه عليهم، كما قتلوا مدير بيت المال والمرشدين الذين تركهم هناك لوعظ السكان وتعليمهم أصول الدين وفق ما نادى به الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ثم قدم زيد بن عريعر إليهم، وتولّى قيادتهم ضد الحكم السعودي<sup>(٢)</sup>.

وحين علم سعود بن عبدالعزيز بما حدث في الأحساء توجه بقوات كبيرة إلى هناك، وأخذ يوالي ضرباته الشديدة ضد مدن المنطقة وقراها. وكان برّاك بن عبدالمحسن قد عاد من قبيلة المنتفق والتحق بسعود ومن معه. ولعلّ مما دفعه إلى ذلك أن زيد بن

(١) ابن غنّام، ج٢، ص١٥٨ - ١٥٩؛ ابن بشر، ج١، ص١١١ و١٢٧.

(٢) ابن غنّام، ج٢، ص١٥٩ - ١٦٤؛ ابن بشر، ج١، ص١٢٨ و١٢٩.

عريعر، خصمه السابق، أصبح ضد آل سعود. وحين اشتدت وطأة سعود وقواته على أهل الأحساء أوعزوا إلى برّاك أن يطلب منه الانسحاب من المنطقة على أن يدخلوا في طاعة الدولة السعودية بعد انسحابه. وقد نجحت محاولة برّاك بمساعدة بعض قادة الجيش السعودي في إقناع سعود بالانسحاب. ثم قدم برّاك إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد ليأخذ منه أماناً لأهل الأحساء، ووافق الإمام على ذلك<sup>(١)</sup>. وحينما رجع الزعيم الخالدي إلى المنطقة مؤملاً أن يفي أهلها بما تعهّدوا به انقسموا إلى مؤيّد للحكم السعودي ومعارض له. واستتجد برّاك بآل سعود، فأرسلوا إليه نجدة بقيادة إبراهيم بن عفيصان. وتمكّن من إجبار زيد بن عريعر ومن معه على مغادرة المنطقة، والاستيلاء عليها. وهكذا أصبحت الأحساء جزءاً من الدولة السعودية، وذلك سنة ١٢٠٨هـ، وأصبح برّاك بن عبدالمحسن والياً عليها من قبّل تلك الدولة<sup>(٢)</sup>.

على أن بعض أعيان المنطقة الشرقية لم يخلدوا إلى الراحة. فقد ثاروا على الحكم الجديد سنة ١٢١٠هـ بممالة من برّاك بن عبدالمحسن نفسه. واستتجد المواليون لآل سعود في المُبرزّ بقيادة

(١) ابن غنّام، ج٢، ص ١٦٦ - ١٦٧؛ ابن بشر، ج١، ص ١٣٠ - ١٣١. لكن آل عبدالقادر (ج١، ص ١٣٤) يذكر أن أهل الأحساء أوفدوا برّاكاً إلى الإمام ليصالحوه على أن يدخلوا في طاعته مقابل أمره ابنه بالانسحاب، فوافق الإمام على ذلك، وأمر ابنه بالانسحاب.

(٢) ابن بشر، ج١، ص ١٣٠ - ١٣١.

الدرعية، فبعثوا إليهم نجدة مع إبراهيم بن عفيصان. ثم اتجه إلى المنطقة سعود بن عبدالعزيز ومعه قوات كبيرة. واتخذ ضد الثائرين إجراءات صارمة. وحين أخضعهم عاد إلى الدرعية ومعه عدد من زعماء بني خالد. ووئى على المنطقة أميراً من عامة سكانها<sup>(١)</sup>.

وكان لاستيلاء آل سعود على الأحساء نتائج عظيمة من أهمها:

أ - أن دائرة نفوذ الدولة السعودية اتسعت اتساعاً كبيراً مما زاد في هيبتها السياسية وقدرتها العسكرية.

ب - أن الطرق أصبحت ممهّدة أمام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية لتنتشر بين سكان المنطقة الجديدة من الدولة.

ج - أن الجهات الخارجية التي لها مصالح في الخليج العربي بدأت تهتم بأمر الدولة السعودية وتقيم وزناً كبيراً لها. ومن هذه الجهات شركة الهند الشرقية البريطانية، والحكومة الفارسية.

د - أن الدولة السعودية أصبحت ذات حدود مع بقية إمارات الخليج العربي ومع الدولة العثمانية ممثلة في باشوية بغداد. وبات لا مفرّاً لها من التعامل مع تلك القوى سياسياً وعسكرياً.

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٦ - ١٣٧.

هـ - أن الدولة السعودية تمكَّنت من الوصول إلى البحر، فأصبح في إمكانها أن تستورد ما تحتاج إليه من بضائع خارجية بطريقة مباشرة، وأصبح لدى مواطنيها القداماء فرصة للعمل في البحر. على أن أهمَّ من هذا كله أن استيلاءها على المنطقة الشرقية أضاف إلى رقعتها منطقة زراعية خصبة زاد إنتاجها الخزينة العامة للدولة ثروة وغنى.

## ٢ - الحجاز:

كان لأشراف مكة - كما سبق أن ذكر - نفوذ في بعض الأقاليم النجدية قبل قيام الدولة السعودية الأولى. لكنه كان يضعف تدريجياً لتلاشي قوة الدولة العثمانية، التي يتبع أولئك الأشراف لها من الناحية الرسمية، في جزيرة العرب، ومنافسة النفوذ الخالدي له. وكان من الطبيعي أن يهتم أولئك الأشراف بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، ثم بقيام الدولة السعودية على أساسها.

وتختلف المصادر حول الطريقة التي وصلت بها أخبار الدعوة الإصلاحية النجدية إلى الحجاز. فالمؤرخ المكي، أحمد دحلان، يقول: إن الوهابيين - يعني قادة الدعوة - أرسلوا ثلاثين عالماً إلى مكة في عهد الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٦ - ١١٦٥ هـ). وحين باحثهم علماء هذه المدينة، الذين كانوا قد سمعوا بظهور ابن عبد الوهاب،

تحققوا جهلهم. وبعد إقامة الدليل عليهم كَفَرهم قاضي الشرع وحبسوا. ثم منعهم أشرف الحجاز بعد ذلك من الحج<sup>(١)</sup>.

وما ذكره دحلان يحتاج إلى مناقشة. فعدد العلماء، الذين قال: إنهم أوفدوا، من المستبعد أن يكون حقيقياً، لأن الدعوة كانت حينذاك في بدايتها، ولأنه لا داعي لإكثار العدد إلى هذا الحد على أي حال. ولو أرسل وفد من هذا النوع - مهما كان عدد أفراده - لما ترك ذكره ابن غنَّام الذي كان يحرص كل الحرص على تدوين ما له علاقة بالأمر الدينية من حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته.

أما المؤرخ التركي، سليمان عَزِي، فيذكر في حوادث سنة ١١٦٣هـ أن شريف مكة أخبر السلطنة العثمانية بظهور الشيخ ابن عبد الوهاب في نجد، وأنه سمع أن العلماء في جهته بدأوا يتبعونه، وأنه استشار علماء مكة بشأنه، فأشاروا عليه أن يحاول إقناعه بالعدول عن رأيه. فإن رفض ذلك فيجب قتاله. وعندما لم يردَّ ابن عبد الوهاب على رسالة الشريف قبض على ستين رجلاً من جماعته في موسم الحج، ونكل بهم. ثم نفاهم إلى بلادهم<sup>(٢)</sup>.

(١) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ج٢، ص٢٢٧ - ٢٢٨ .  
(٢) تاريخ عَزِي، القسطنطينية، ١١٩٩هـ، ص٢٠٧، وهذا الكتاب تاريخ للدولة العثمانية من سنة ١١٥٧ إلى ١١٦٥هـ. ولعلَّه أول مصدر تاريخي تركي يشير إلى دعوة الشيخ محمد. أما أخبار الدعوة فقد وصلت إل العراق والحجاز التابعين لتلك الدولة قبل ذلك، وكتبت فيهما ردود ضدها.

وواضح من رواية عزّي أن معلومات شريف مكة عن دعوة الشيخ محمد مبنية على السماع. وفي رواية دحلان، أيضاً، ما يؤيد ذلك. ولقد أشار ابن غنّام إلى ما قام به بعض العماء النجديين المعارضين لدعوة الشيخ من تشويه لحقيقتها في الحجاز<sup>(١)</sup>. ولذلك فإنه من المرجح أن تلك الدعوة قد وصلت إلى الأشراف، أول الأمر، مشوّهة عن طريق خصومها في نجد.

ورواية عزّي تفيد، أيضاً، أن الذين سجنهم شريف مكة لم يكونوا وفداً من العلماء. وهذا ما تؤيده رواية ابن بشر من أن ذلك الشريف سجن حجاج نجد سنة ١١٦٢هـ<sup>(٢)</sup>. وهذا المؤرخ النجدي يقصد، بطبيعة الحال، أن المسجونين كانوا من أتباع الشيخ محمد ابن عبدالوهاب. ومن المحتمل أنه كان من بين أولئك الأتباع من دفعتهم حماساتهم للدعوة إلى الجهر بمبادئها في موسم الحج. ولعلمهم كانوا غير مؤهلين من الناحية العلمية لإزالة الصورة القاتمة التي سبق أن بثّها في الحجاز معارضو الدعوة من النجديين. فلم يكن غريباً إذاً أن يتخذ الشريف حيالهم ما اتخذه من إجراءات ظالمة.

وتتفق المصادر على أن الشريف مسعود بن سعيد منع أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أداء الحج. وموقفه هذا

(١) ابن غنّام، ج ١، ص ٣١ و ١٦٠ - ١٦١ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٣٧ .

موقف عدائي واضح. وقد سار خليفته، أخوه مساعد، على نهجه. على أنه في آخر عهد مساعد حدثت حادثة مهَّدت الطريق أمام السعوديين للحج. ففي سنة ١١٨٣هـ عثرت كتيبة سعودية في عالية نجد على جماعة من الحجازيين بقيادة الشريف منصور. وحين أحضروا إلى الدرعية أكرمهم عبدالعزيز بن محمد غاية الإكرام، وأطلق سراحهم دون فدية. وبعد ذلك قدم منصور ومعه إذن من شريف مكة للسعوديين بالحج<sup>(١)</sup>.

ولما تولَّى شرافة مكة أحمد بن سعيد، سنة ١١٨٤هـ، تحسنت العلاقات بينه وبين قادة الدرعية؛ إذ طلب منهم بعد تولّيه بسنة أن يبعثوا عالماً من علمائهم يبيِّن لعلماء مكة حقيقة ما يدعون إليه. فأرسلوا إلى هناك الشيخ عبدالعزيز الحُصَيْن. وتناقش هذا الشيخ مع أولئك العلماء حول مسائل مهمَّة من أصول الدعوة. ثم عاد إلى الدرعية معزَّزاً مكرماً<sup>(٢)</sup>.

وعلى أيِّ حال فإنَّ عمر العلاقات الحسنة بين الدرعية ومكة كان قصيراً جداً. ذلك أنه لم يمض عام واحد على وفادة الحُصَيْن إلا وقد أبعَد الشريف أحمد عن الحكم<sup>(٣)</sup>. وحلَّ محلُّه ابن أخيه،

(١) ابن غنَّام، ج ٢، ص ٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٠ - ٨١. وقد أرسل الشيخ محمد مع الحُصَيْن رسالة إلى الشريف أحمد أورد نصها ابن غنَّام حينما تكلم عن هذه الحادثة.

(٣) السباعي، ج ٢، ص ٨٥.

سرور بن مساعد، الذي قضى على محاولة التفاهم بين الطرفين الشريفى والسعودى، فعادت العلاقات بينهما إلى سباق سوئها. ولم يسمح لأتباع الدرعية بالحج إلا سنة ١٩٧هـ بعد أن تودد قادتها إلى شريف مكة وأهدوه هدايا ثمينة<sup>(١)</sup>. على أن السماح لهم بالحج لم يكن، فيما يبدو، إلا لسنة واحدة فقط.

و حين توفي الشريف سرور، سنة ١٢١٢هـ، خلفه في الحكم أخوه غالب، الذي قضى السنتين الأوليين من عهده في تثبيت أموره الداخلية<sup>(٢)</sup>. وبعد أن استقر له الوضع رأى أن يحدد سياسته إزاء الدولة السعودية، التي كانت تحرز انتصاراً بعد آخر في كل اتجاه. فطلب منها أن ترسل إليه عالماً من علمائها للتباحث حول مبادئ الدعوة الإصلاحية. ومرة أخرى أرسل قادة الدرعية الشيخ عبدالعزيز الحُصَيْن إلى مكة المكرمة. لكن علماء هذه المدينة رفضوا أن يتباحثوا معه<sup>(٣)</sup>. ومن المرجح أن رفضهم كان بإيحاء من الشريف نفسه، وأن طلبه من الدولة السعودية إرسال عالم إليه كان الهدف منه التظاهر أمام المسلمين بحسن النية تمهيداً لما سيقوم به من أعمال عسكرية ضد السعوديين. وهذا ما قام به في السنة التالية.

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) السباعي، ج ٢، ص ٩١ - ٩٣ .

(٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٥ .



وقد يسأل الباحث عن عدم إقدام أشرف الحجاز على التدخل العسكري ضد الدولة السعودية حتى سنة ١٢٠٥هـ؛ وبخاصة أن علماء مكة قد أفتوا قبل أربعين عاماً من ذلك التاريخ بوجوب قتال الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه إن لم يعدل عن رأيه، وأن الدولة العثمانية قد كتبت إلى الشريف مسعود بموافقتها على أي خطوة يقوم بها ضد الدعوة والداعية).

ولعل من أسباب تأخر التدخل الشريف في شؤون الدولة السعودية أن الأشرف في بداية الأمر لم يكونوا مدركين تمام الإدراك لخطورة تلك الدولة الناشئة (وأنهم كانوا يعتقدون أن المعارضة النجدية قادرة على القضاء عليها) وكانوا يرون، فيما يبدو، أن منع أتباعها من الحج سيقوي معارضيها المحليين من الناحية المعنوية ثم إن تلك الدولة قد ظهرت أول ما ظهرت في إقليم العارض، الذي كان النفوذ الخالدي فيه بارزاً قبيل ظهورها. وكان الأشرف يعتقدون أنها إن انتصرت على من عارضها من النجديين فإن حكام الأحساء، زعماء بني خالد، سوف يقضون عليها.

وعندما أصبحت الدولة السعودية تضم نجداً كلها، وأوشكت أن تستولي على الأحساء ذاتها، أدرك شريف مكة أنه إن لم يتحرك عسكرياً ضدها فإن القبائل التابعة له في الأراضي الحجازية

ستتضم إليها؛ سواء كان انضمامها اقتناعاً بصحة الدعوة الإصلاحية، أو رغبة في مشاركة أتباعها غنائم انتصاراتها المتزايدة، أو خوفاً من التعرض لغزواتها الناجحة.

وكانت أول حملة عسكرية جهَّزها الشريف غالب ضد الدولة السعودية بقيادة أخيه عبدالعزيز. وقد وصلت هذه الحملة إلى السُّرِّ، وانضمت إليها قبيلتا شَمَّر ومطير. لكن الحملة فشلت أمام صمود السعوديين. فخرج الشريف غالب من مكة بتعزيزات لها، وحاصر الشُّعراء. ومع ذلك فإن الجيش الحجازي لم يحرز أي انتصار مما اضطره إلى الانسحاب؛ لا سيما أن موسم الحج قد اقترب. وذلك أمر يتطلب وجود الشريف غالب في مكة<sup>(١)</sup>.

وهكذا بدا، منذ الغزوة الأولى ضد الدولة السعودية، أن ميزان القوة العسكرية لم يكن في صالح الأشراف. وكان انتصار سعود بن عبدالعزيز العظيم في تأديبه للقبيلتين، اللتين انضمتا إلى حملة الشريف، بعد انسحاب الحملة<sup>(٢)</sup>، ثم ما حققه من نجاح كبير على حكام الأحساء من الأمور التي زادت من هيبة الدولة السعودية، وأغرقت فئات من القبائل التي كانت تابعة لأشراف الحجاز

(١) ابن غنَّام، ج٢، ص١٤٤ - ١٥٠؛ ابن بشر، ج١، ص١٠٨ - ١٠٩. وقارنهما بدحلان، ج٢، ص٢٦٢.

(٢) ابن غنَّام، ج٢، ص١٥٠ - ١٥٢؛ ابن بشر، ج١، ص١٠٩ - ١١٠.

بالانضمام إليها. وإدراكاً من الشريف غالب لخطورة وضعه طلب النجدة من الدولة العثمانية سنة ١٢٠٧هـ، لكنها لم تتجده<sup>(١)</sup>. فحاول بقواته الذاتية أن يعيد الفئات القبلية التي خرجت عن نفوذه إلى طاعته. لكن الدولة السعودية تصدّت له، وردّت على هجماته بهجمات أشد وأعنف.

وفي عام ١٢١٠هـ جهّز الشريف غالب حملة كبيرة بقيادة الشريف ناصر بن يحيى. وسارت هذه الحملة حتى وصلت إلى عالية نجد. وكان عبدالعزيز بن محمد على علم بتحركاتها. فأمر القبائل التابعة له القريبة من تلك الجهة أن تقف مع رئيس قبيلة قحطان، هادي بن قرملة، لصدّها. وحينما تقابلت القوات السعودية مع قوات الأشراف في الجَمَّانية كان النصر العظيم حليف السعوديين الذين غنموا غنائم كبيرة جداً. وفرّ الشريف ناصر ومن معه عائدين إلى الحجاز<sup>(٢)</sup>.

وكانت معركة الجَمَّانية من المعارك الفاصلة بين أشراف الحجاز والدولة السعودية الأولى. ذلك أنها مهدت الطريق أمام قوات هذه الدولة لتتوغل في الأراضي الحجازية، وجعلت موقف الأشراف يتغيّر من الهجوم إلى الدفاع. ولعلّ هذا كان من أهم

(١) دحلان، ج ٢، ص ٢٦٢ .

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٧٣ - ١٧٤؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

الأسباب التي جعلت الشريف غالباً يطلب من الإمام عبدالعزيز إرسال علماء لمناقشة الأمور الدينية. فاستجاب الإمام، وأرسل وفداً برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر<sup>(١)</sup>. على أنه لم ينتج عن هذا الاتصال أي تقارب أو تصالح سياسي.

وكانت سنة ١٢١٢هـ من السنوات الحرجة بالنسبة للشريف غالب في مجابهته للسعوديين. ذلك أن ابن ربيعان، رئيس أحد فرعي قبيلة عتيبة الكبيرين، خرج عن طاعته وانضم إلى الدولة السعودية وفعل مثل فعله رؤساء البقوم<sup>(٢)</sup>. ثم تلا هذين الحدثين المهمين أن تكبد الشريف نفسه هزيمة ساحقة في الخُرمة على أيدي القبائل التابعة لتلك الدولة؛ إذ قتل من جيشه أكثر من ألف رجل بينهم عدد من الأشراف. وكان في طليعة القبائل السعودية المذكورة قحطان والدواسر<sup>(٣)</sup> وبالإضافة إلى ذلك فقد شهد مطلع تلك السنة فشل الحملة العراقية العثمانية على السعوديين ومقتل قائدها ثويني بن عبدالله<sup>(٤)</sup>. وبعد ذلك بقليل توغل سعود بن عبدالعزيز داخل الأراضي العراقية وحقق نجاحاً كبيراً<sup>(٥)</sup>. وفي

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٤٩ .

(٣) المصدر نفسه. ج ١، ص ١٥١ - ١٥٢؛ دحلان. ج ٢، ص ٢٦٧ .

(٤) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٨٦ - ١٨٧ و ٢٣٢ - ٢٣٥ .

(٥) ابن بشر، ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١ ،

سنة ١٢١٣هـ، استولى نابليون على مصر، وانتشرت إشاعات بأنه سيحاول الاستيلاء على الحجاز. وكان على الشريف غالب أن يتخذ جانب الحيطة والحذر، ويعمل على تحصين جدة<sup>(١)</sup>. وهذا أمر يتطلب جهداً وأموالاً.

وهكذا أدرك الشريف غالب أنه غير قادر على الصمود أمام الدولة السعودية؛ ناهيك عن مهاجمتها، فجنح إلى الصلح. وجرت اتصالات بينه وبين قادتها نتج عنها اتفاق بين الطرفين على تحديد القبائل التابعة لكل منهما، والدخول في هدنة مدتها ستة أعوام على أن يسمح للسعوديين بالحج. وكان ذلك الاتفاق في جمادى الأولى سنة ١٢١٣هـ<sup>(٢)</sup>.

الاحداث السوديه الخارجيه

على أن العلاقات الشريفية السعودية شهدت انتكاسة عام ١٢١٧هـ. ذلك أن فئات من القبائل التي حدد الاتفاق السابق ذكره تبعيتها للشريف غالب فضلت أن تنضم إلى الدولة السعودية. وكان من الصعب على هذه الدولة أن ترفض انضمامها إليها. واعتقد الشريف أن السعوديين يتآمرون عليه بإغراء القبائل التابعة له بالخروج عن طاعته. وأرسل وفداً برئاسة صهره رئيس بني عدوان، عثمان المضايقي، إلى الدرعية ليتفاوض مع قادتها حول الوضع الجديد.

(١) المصدر نفسه؛ ج ١، ص ١٥٣؛ دحلان، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

ويبدو أن المضايقي وجد من القادة السعوديين ما جعله يطمئن إلى حسن نواياهم ويثق بهم. وحينما عاد من الدرعية إلى الحجاز اختلف مع الشريف غالب. وانضم إلى جانب الدولة السعودية<sup>(١)</sup>.

ومهما كانت الأسباب وراء تغيير عثمان المضايقي لموقفه من الشريف فإن ذلك الحدث كان كسباً عظيماً للسعوديين. ذلك أن عثمان قريب من غالب وعلى علم بجوانب ضعفه العسكري.

وفور انضمام المضايقي إلى الدولة السعودية اتخذ من بلدة العُبَيْلاء - بين تُرْبَة والطائف - مركزاً له. وانضمت إليه القبائل التي لا تميل إلى شريف مكة. وهاجمه غالب هناك، لكنه تصدَّى له بنجاح. ثم أتته إمدادات من القبائل التابعة للدولة السعودية، فزحف بها على الطائف، واستطاع أن يستولي عليها بعد أن هرب منها غالب إلى مكة المكرمة<sup>(٢)</sup>.

وبينما كانت الحوادث تسير لصالح آل سعود في نزاعهم مع الشريف غالب انضمت إليهم منطقة عسير، وبرز فيها الزعيم عبد الوهاب أبو نقطة متحمساً للدعوة الإصلاحية. وحينما علم سعود بن عبدالعزيز بما جرى في الحجاز بين الشريف غالب وعثمان المضايقي ومن انضم إليه توجه بقوات كبيرة إلى هناك.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧١ - ٢٧٢؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٦٢ .

(٢) دحلان، ج ٢، ص ١٧٢؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

وانضم إليه عثمان ومن معه، فعسكر خارج مكة منتظراً انتهاء موسم الحج. ولعله أراد بذلك الانتظار ألا يعرض أرواح الحجاج الأبرياء لأي خطر قد ينتج من جرأء دخوله تلك البلدة. وألاً يعطي لأمرء قوافل الحج ذريعة ليقفوا مع غالب ضده. ولقد طلب الشريف مساعدة أولئك الأمراء، لكن من الواضح أنهم أدركوا قوة سعود وأتباعه، ورأوا ألا يعرضوا أتباعهم للخطر، فلم يساعده. وبعد أن غادروا مكة المكرمة انسحب منها الشريف غالب إلى جدة تاركاً أخاه عبدالمعين أميراً للبلدة المقدسة. وأدرك عبدالمعين حرج موقفه، فأرسل إلى سعود بن عبدالعزيز يعرض ولاءه على أن يبقى أميراً لمكة. فوافق سعود على ذلك. ودخل البلدة دون قتال في الثامن من شهر المحرم سنة ١٢١٨ هـ<sup>(١)</sup>. وهكذا أصبحت مكة المكرمة تحت حكم الدولة السعودية الأولى.

اعماله بعد فتح مكة

وكما كان متوقفاً قام سعود بن عبدالعزيز بعد دخوله إلى مكة بإزالة ما كان يراه مخالفاً لتعاليم الدين؛ مثل القباب المبنية على القبور. ومما قام به إلغاء الضراب الحائرة، والمناداة بالمواظبة على الصلوات جماعة خلف إمام واحد<sup>(٢)</sup>. ثم كتب رسالة إلى السلطان العثماني، سليم الثالث، يخبره بما حدث، ويطلب منه أن يمنع والي

(١) دحلان، ج ٢، ص ٢٧٤ - ٢٧٦؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، رسالة ضمن الهدية السنوية والتحفة النجدية الوهابية. الطبعة الثانية، المنار، ١٣٤٤ هـ، ص ٣٥ .

دمشق ووالي القاهرة من إرسال المحمل الذي تصحبه الطبول والمزامير<sup>(١)</sup>. بعد ذلك توجه إلى جدة وحاصرها. لكنه وجد أن تحصيناتها قوية، فتركها عائداً إلى مكة المكرمة ثم إلى الدرعية<sup>(٢)</sup>.

وبعد مغادرة سعود بن عبدالعزيز بقواته الحجاز عاد الشريف غالب من جدة إلى مكة، وأجبر الحامية العسكرية السعودية فيها على الانسحاب منها، وتسلم مقاليد أمورها من أخيه عبدالمعين. ثم قام ببعض الأعمال العسكرية محاولاً استعادة ما فقده من نفوذ في المنطقة المحيطة بها. وتوالت الحروب من جديد بينه وبين السعوديين.

وفي عام ١٢١٩هـ أمر سعود بن عبدالعزيز، الذي أصبح حاكماً للدولة بعد اغتيال أبيه في الثاني والعشرين من رجب سنة ١٢١٨هـ، ببناء قلعة في وادي فاطمة - على غرار ما فعله السعوديون قرب بعض البلدان التي طاولتهم الحرب - لترصد حركات الشريف العسكرية، وتضايقه من الناحية الاقتصادية. ثم أمر القائد عبدالوهاب أبا نقطة أن يقود جيشاً لمهاجمة جدة. وحين علم الشريف غالب باقتراب عبدالوهاب ومن معه إلى هذه البلدة جمع

(١) انظر نصها في تاريخ البلاد العربية السعودية: عهد سعود الكبير، للمجلاني، دون ذكر مكان وتاريخ الطباعة، ص ١١ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٦٥ .



ما استطاع جمعه من قوات ومعدات، وخرج من مكة لقتالهم. لكنه مُني بهزيمة كبيرة أمام القوات السعودية فعاد بفلول من معه إلى مكة<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٢٢٠هـ أمر الإمام سعود بن عبدالعزيز أتباعه في الحجاز وعسير أن يتجهوا إلى مكة المكرمة لمحاصرة الشريف غالب. فوصل أولئك الأتباع إلى ضواحي تلك البلدة قرب موسم الحج. وأدرك غالب ضعف موقفه، فطلب الصلح ورضي بأن يكون تابعاً للإمام سعود على أن يبقى أميراً لمكة. فأجيب إلى طلبه<sup>(٢)</sup>. وكانت المدينة المنورة قد أعلنت ولاءها لسعود في السنة ذاتها<sup>(٣)</sup>. وهكذا أصبحت الحجاز كلها جزءاً من الدولة السعودية الأولى.

ولعل من أهم الأسباب التي ساعدت الدولة السعودية على تحقيق النصر في نزاعها مع الشريف غالب ما يأتي:

١ - أن أكثر القوات السعودية كانت تقاتل عن عقيدة آمنت بصحتها ونذرت أنفسها لحمايتها ونشرها.

(١) لمزيد من التفاصيل انظر دحلان، ص ٢٨٠ - ٢٧٨؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٨٢ -

١٨٣؛ العجلاني، ... عهد سعود الكبير، ص ٤٥ - ٤٧ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٦ . ولمزيد من التفصيل انظر العجلاني، عهد سعود

الكبير، ص ٤٧ - ٥٤؛ محمد عبدالباري، وترجمة بحثه: «الوهابيون الأوائل

وأشراف مكة» مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية، عدد ٣، ١٩٥٥م، ص ٩١ -

١٠٤ .

د - أن الدولة السعودية حينما دخلت مرحلة الصراع المسلح مع الشريف غالب كانت قوية. فقد وُحِّدَت منطقة نجد كلها، ووُحِّدَت معها المنطقة الشرقية من جزيرة العرب أو كادت توحيدها، كما انضمت إليها خلال ذلك الصراع منطقة عسير. وبذلك أصبحت الحجاز - باستثناء ساحلها - محاطة بمناطق نفوذ سعودية.

هـ - تخلى عثمان المضايفي - بما كان يحتلُّه من مكانة - عن الشريف غالب وانضمامه إلى الدولة السعودية.

و - أن فئات من القبائل الحجازية انضمت إلى الدولة السعودية؛ لاقتناع زعمائها بمبادئ الدعوة الإصلاحية التي تساندها تلك الدولة، أو رغبة في مشاركته غنائم غزواتها الناجحة في أكثر الأحيان، أو خوفاً من التعرض لهجماتها.

ز - تدهور الوضع الاقتصادي للشريف غالب نتيجة الحروب التي كان الإنفاق عليها باهظاً من ناحية، والتي سببت قلة الحجاج في تلك السنوات من ناحية أخرى.

ح - عدم مساعدة الدولة العثمانية للشريف غالب لأنها كانت غير مهتمة بالدولة السعودية في بداية الأمر، ثم أصبحت مشغولة بمشكلاتها الداخلية والخارجية؛ وبخاصة الغزو الفرنسي لمصر وما تلاه من تطورات.

ومن نتائج دخول الحجاز تحت حكم الدولة السعودية:

أ - أن مساحتها ازدادت كثيراً، فأصبحت تمتد من الخليج العربي إلى البحر الأحمر.

ب - أن هيبتها ارتفعت في الأقطار الإسلامية؛ إذ أصبح الحرمان الشريفان في يدها، وهي الدولة المتمسكة بالشرعية إلى أقصى حد المصممة على منع كل ما من شأنه أن يخالف تعاليم الإسلام.

ج - <sup>توقفت</sup> توقفت الحج من بعض الأقطار الإسلامية لعدم رضا زعمائها بالتقيد بما تراه الدولة السعودية من الدين، وعدم إقلاع قادة حجاجها عما هو من البدع، وإصرارهم على أن تصحبهم قوات عسكرية؛ الأمر الذي رآته تلك الدولة مهدداً لسلطتها في الحجاز. وقد أثر ذلك على الأوضاع الاقتصادية للبلاد.

د - إصابة الدولة العثمانية بضرية معنوية هائلة لأن سلاطينها حرصوا دائماً على أن يظهروا بمظهر حراس الحرمين الشريفين وخدامهما. وفي ذلك ما فيه من كسب زعامة العالم الإسلامي من الناحية المعنوية. وإذا كان السلاطين العثمانيون قد أدركوا خطر الدولة السعودية على نفوذهم قبل استيلائها على الحجاز، وحاولوا القضاء عليها عن طريق باشا بغداد

فَعَجَزُوا، فَإِنَّهُمْ صَمَّمُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْاِسْتِيْلَاءِ عَلَى مَضَاعِفَةِ الْجُهُودِ وَالْبَحْثِ عَمَّنْ هُوَ فِي وَضْعٍ أَحْسَنَ مِنْ وَضْعِ ذَلِكَ الْبَاشَا لِيَقُومَ بِمَحَارِبَتِهَا. وَقَدْ وَجَدُوا ضَالَّتَهُمُ الْمَنْشُودَةَ فِي حَاكِمِ مِصْرَ مُحَمَّدِ عَلِيٍّ بَاشَا.

### ٣ - جنوبي غرب البلاد:

#### بَيْشِيَّةٌ مَفْتَاحُ لَعْسِرٍ

#### أ - عَسِيرٌ:

اتجهت أنظار قادة الدرعية إلى مد نفوذهم على منطقة عسير نتيجة استيلائهم على الجهات المتاخمة لها من الناحية الجنوبية الشرقية. وفي عام ١٢١١هـ بدأ نشاطهم في هذا المجال بأن أرسلوا جيشاً كبيراً بقيادة ربيع بن زيد الدوسري الذي أغار على فئات من شهران، وقتل خمسين رجلاً منهم، وغنم إبلاً وغنماً كثيرة<sup>(١)</sup>. وفي العام الذي تلاه سار ربيع بأتباعه إلى بيشة، وحاصر سكانها حتى اضطروا إلى مبايعته على السمع والطاعة. وكان رد فعل الشريف غالب لإيقاف المد السعودي في تلك الجهة سريعاً؛ إذ قاد جيشاً ضخماً في العام نفسه، وتمكّن من الاستيلاء على البلدة المذكورة. لكن القوات السعودية انتصرت عليه انتصاراً عظيماً في الخُرمة وهو عائد من هناك<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥١.

ومن الواضح أن معركة الخُرْمَة، التي أجبرت الشريف غالباً على مصالحة الدولة السعودية، قد أكّدت لكثير من قبائل عسير قوة تلك الدولة وهيأتها للدخول في طاعتها. وفي عام ١٢١٣هـ غزا ربيع بن زيد الدوسري بيشة مرة أخرى وأدخلها تحت الحكم السعودي. وعيّن الإمام عبدالعزيز بن محمد سالم بن شُكبان، أحد زعماء تلك الجهة، أميراً لها<sup>(١)</sup>. أكثر العوامل التي ساعدت آل سعود على فتح عسير؟

وإذا كان دخول بيشة في طاعة آل سعود خطوة مهدت الطريق أمامهم إلى عسير فإن اقتناع عبدالوهاب أبي نقطة وأخيه محمد بالدعوة الإصلاحية النجدية وانضمامهما إلى الدولة السعودية كانا أهم العوامل التي أدخلت منطقة عسير؛ سراة وتهامة، تحت نفوذ هذه الدولة. ولقد بقي عبدالوهاب مخلصاً كل الإخلاص لقادة الدرعية، وبذل جهوداً عظيمة ساهمت في دخول الحجاز والجهات الجنوبية الغربية من جزيرة العرب في طاعتهم. وظل سكان عسير من أكثر الناس إخلاصاً للدعوة الإصلاحية وللحكم السعودي، كما شهدت بذلك مواقفهم البطولية أمام غزوات محمد علي باشا.

ب. المخلاف السليمانى (جازان):

وكانت أخبار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد وصلت إلى اليمن منذ قيام الدولة السعودية الأولى. وممن اتفقت مبادئها مع

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٧.

ما كان يؤمن به العالم الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، الذي أرسل إلى الشيخ محمد قصيدة طويلة يثني فيها عليه، والذي بذلت المعارضة النجدية جهوداً مكثفة لتشويه سمعة الدعوة والداعية لديه<sup>(١)</sup>. ولذلك فإنه من المرجح أن أخبار تلك الدعوة قد وصلت، أيضاً، إلى المخلاف السليمانى (منطقة جازان) في الفترة المذكورة أو بعدها بقليل. ذلك أنه كانت توجد بين علماء اليمن وعلماء المخلاف صلات وثيقة.

على أن بداية انتشار الدعوة الإصلاحية في المخلاف السليمانى حدثت سنة ١٢١٥هـ على يدي أحمد بن حسين الفلقي من صبيا، وعرار بن شار أمير بني شُعْبَةَ. وكان الفلقي قد التقى بأتباع الدعوة في موسم الحج سنة ١٢١٤هـ، وأعجب بما سمعه منهم. ثم وفد إلى الدرعية لمعرفة المزيد عن تلك الدعوة والاتصال بزعماء دولتها. وقد عينه الإمام عبدالعزيز بن محمد داعية في بلاده، وأرسل معه رسالة إلى رؤساء المخلاف وأهاليه يحثهم فيها على التعاون معه لنشر الدعوة الإصلاحية<sup>(٢)</sup>. وانتشرت هذه الدعوة بسرعة بين السكان. وحينما أدرك بعض الزعماء هناك ما قد يترتب على ذلك من أبعاد سياسية وقفوا ضدها عسكرياً. وكانت

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٧ - ٧١؛ الشيخ البسام، ج ٣، ص ٩٤٧ - ٩٤٨ .

(٢) مي العيسى، ص ٧٣ .

المعركة التي دارت بين مؤيديها ومعارضيه في صالح المعارضين<sup>(١)</sup>. فسارعت الدولة السعودية إلى إرسال تعزيزات لمؤيديها، واضطر المعارضون، فيما يبدو، إلى المهادنة.

وكان هناك تنافس على إمارة أبي عريش بين الأمير علي بن حيدر وعمه الشريف حمود بن محمد - ولقبه أبو مسمار - . وحينما رحلت التعزيزات السعودية عن المخلاف السليمانى نجح حمود في كسب الجولة على ابن أخيه، وتسلم مقاليد الأمور في البلاد<sup>(٢)</sup>. وكان لجهوده أثر كبير في تحقيق النصر لمعارضى الدعوة ضد مؤيديها قبل وصول التعزيزات المذكورة سابقاً إليهم<sup>(٣)</sup>. وعندما آل إليه الأمر كان النفوذ السعودى قد شمل جزءاً كبيراً من المخلاف. فبدأ بمقاومة ذلك النفوذ ومحاربة أنصار الدعوة حتى أضعفهم. وكانت الأمور حينذاك قد استقرت للدولة السعودية في منطقة عسير. فهبت تلك الدولة، وأرسلت إلى أنصارها في المخلاف نجدات عسيرة بقيادة عبدالوهاب أبى نقطة. وحينما أدرك الشريف حمود ضعف موقفه طلب النجدة من إمام صنعاء. لكن هذا الإمام فضلّ ألاّ يتدخل في الصراع الدائر في المخلاف لضعف

(١) عبدالرحمن البهكلي، نضج العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق محمد العقيلي، دار الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٢هـ. ص ٧٢ و ٩٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٨ - ٩٩ .

جبهته الداخلية من ناحية، ولعلمه بقوة الدولة السعودية من ناحية أخرى. فما كان من حاكم أبي عريش إلا أن أعلن طاعته لهذه الدولة، وتمسكه بالمبادئ التي قامت عليها. وقد أبقاه قادتها في الإمارة، لكنهم ربطوه إدارياً بأمر عسير وتهامة عبدالوهاب أبي نقطة<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن الوضع الذي وصل إليه الشريف حمود كان بعيداً كل البعد عن إرضاء طموحه. فقد خرج من تجربته المرة ناقماً على إمام صنعاء الذي لم ينجده وقت حاجته إليه، وساخطاً على ربطه إدارياً بأمر كان يرى أنه يفوقه مقدرة وأهمية. ولذا بدأ يخطط للانتقام من الطرفين. ورأى أن مهاجمة الأراضي التابعة لإمام صنعاء تحقق غرضين: أحدهما معاقبة ذلك الإمام على عدم مساعدته له، وثانيهما الظهور أمام قادة الدولة السعودية بمظهر القائد المخلص الكفاء مما يمهد لاستقلاله عن أمير عسير. وجمع ما استطاع جمعه من قوات، ووجهها إلى الأراضي اليمينية، فاستولت على مَورَ واللُّحَيَّة<sup>(٢)</sup>. وبعد هذا النجاح العسكري أرسل وفداً إلى الدرعية طالباً من قادتها فصله إدارياً عن أمير عسير، وربطه مباشرة بهم. فاستجابوا لطلبه<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفصيل ذلك في المصدر نفسه، ص ١٢٧ - ١٢٨؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ١٧٠ - ١٧٣ .

(٢) البهكلي، ص ١٥٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٢ و ١٦٨ .



وقد أدَّى نجاح الشريف حمود في الانفصال عن أمير عسير إلى توتر العلاقات بينهما. وانضم عرار بن شار إلى صف حمود<sup>(١)</sup>. وبلغ التوتر بين الطرفين مدى جعل عبدالوهاب يهيئ لغزو المناطق التابعة لحمود. وأمام هذا الوضع طلب الإمام سعود من هذين الأميرين أن يفدا إليه لحل المشاكل القائمة بينهما. فوفد إليه عبدالوهاب، لكن حموداً أرسل ابنه نيابة عنه مدّعياً أن غيابه عن منطقتة قد يعرضها لغزو يماني. ويبدو أنه لم يتوصل إلى حل شامل للمشاكل المناقشة. ومع أن سعوداً كان، فيما يبدو، يثق بإخلاص عبدالوهاب أكثر مما يثق بإخلاص حمود فإنه أبقى الأخير مستقلاً إدارياً عن الأول<sup>(٢)</sup>.

وظل التنافس قائماً بين أميري عسير وأبي عريش. وكان من مظاهره تسابقهما على إيجاد نفوذ لهما في المناطق اليمانية التي لم تكن قد دخلت بعد تحت النفوذ السعودي. لكن أمير أبي عريش نال قصب السبق؛ إذ تمكّن من ضم زبيد والاستيلاء على الحُدَيْدة، وتوغلت قواته حتى قرب عدن<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن انتصار الشريف حمود في الأراضي اليمانية، وما يوجد في نفس الإمام سعود من شكوك في إخلاصه له، قد دفعا

(١) ميّ العيسى، ص ١٠٠.

(٢) البهكلي، ص ١٨٤ و ١٩٣؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٩٤.

(٣) ميّ العيسى، ص ١٠٥ - ١٠٧؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ١٧٤ و ١٨٠.

ذلك الإمام إلى أن يطلب منه مهاجمة صنعاء ذاتها<sup>(١)</sup>؛ رغبة في التوسع من ناحية، وامتحاناً لصدق نوايا ذلك الشريف من ناحية ثانية. لكن حموداً تقاعس في تنفيذ ما طلب منه<sup>(٢)</sup>. ولعلّ من أهم ما حمله على ذلك اعتقاده بصعوبة الهجوم على العاصمة اليمنية، وخوفه حين انشغاله بذلك من هجوم أمير عسير على منطقتة. بل إن هناك من المصادر ما يشير إلى أنه اتصل بإمام صنعاء وتصالح معه<sup>(٣)</sup>. وأمام هذا الموقف طلب الإمام سعود من عبدالوهاب أبي نقطة أن يقوم بمهاجمة الشريف حمود. ولم يكن شيء أحب إلى نفس أمير عسير حينذاك من تلبية هذا الطلب. وحين اجتمعت لديه قواته ومن انضم إليها من المناطق السعودية الأخرى زحف على أراضي المخلاف السليماني. ودارت معركة عنيفة بينه وبين حمود هناك سنة ١٢٢٤هـ. ومع أن عبدالوهاب قُتل في تلك المعركة إلا أن القوات التي كانت معه انتصرت. وانسحب الشريف حمود إلى قلعته في أبي عريش<sup>(٤)</sup>.

وتوالت الحروب بين الشريف حمود وأمير عسير الجديد، طامي بن شعيب، حتى تمكّن هذا الأخير من انتزاع اللحية

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٩٤ .

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) ميّ العيسى، ص ١١٥ .

(٤) ابن بشر، ج ١، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

والحديدية من الأول. وإدراكاً من حمود لضعف موقفه العسكري طلب العفو من الإمام سعود على أن يتنازل عن بعض المناطق التابعة له، ويدفع خراجاً سنوياً إلى خزينة الدولة السعودية. فوافق الإمام على طلبه. لكن ذلك لم يتم إلا سنة ١٢٢٦هـ<sup>(١)</sup>. وهي السنة التي بدأت فيها الحملة العثمانية المصرية ضد آل سعود. وكان من نتائج تلك الظروف أن استعاد إمام صنعاء الحديدة وقسماً من بلدان اليمن الأخرى<sup>(٢)</sup>.

وهكذا استطاعت الدولة السعودية الأولى أن تتشر مبادئ الدعوة الإصلاحية في المخلاف السليماني، وأن تدخله تحت طاعتها، وأن تضم إليها مناطق من أراضي إمام صنعاء. لكن نفوذها هناك كان مضطرباً نوعاً ما، وعرضة للمدّ والجزر بدرجة كبيرة.

### جـ - نجران:

وكانت علاقة زعماء نجران بالدولة السعودية سيئة. ومن أدلة ذلك ما سبق ذكره من غزو الرئيس النجراني، حسن بن هبة الله المكرمي، لأراضي هذه الدولة سنتي ١١٧٨ و ١١٨٩هـ. وفي سنة ١٢٠٢هـ استنجد المعارضون لآل سعود في وادي الدواسر برئيس

(١) انظر تفصيل ذلك في البهكلي، ص ٢٥٥ و ٢٧٧؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ١٨٢ - ١٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ١٨٥.

نجران، فأنجدهم. لكن المؤيدين لآل سعود في ذلك الوادي صمدوا أمام المعارضين والرئيس النجراني. فانسحب ذلك الرئيس إلى بلاده<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ١٢١٠هـ غزا مبارك بن هادي بن قمرلة ناحية نجران، وقاتل باديتها، فانتصر عليها وكسب منها خيلاً وأموالاً<sup>(٢)</sup>. وبعد ذلك بعشر سنوات غزتها قوات سعودية قدرها ابن بشر بثلاثين ألف مقاتل. وكانت بقيادة عبدالوهاب أبي نقطة، أمير عسير، وفهاد بن شكبان، زعيم منطقة بيشة. وإبراهيم بن مبارك، رئيس الوداعين من الدواسر. فوقع قتال شديد بين القوات السعودية وأهل نجران. وقتل من جيش عبدالوهاب كثيرون، في طليعتهم إبراهيم بن مبارك رئيس الوداعين. فبنى عبدالوهاب قصرًا هناك، ووضع فيه مرابطين لمضايقة النجرانيين عسكرياً واقتصادياً. ثم عادت بقية القوات السعودية إلى أوطانها<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ١٢٢٤هـ حارب النجرانيون مع أبي مسمار ضد أبي نقطة<sup>(٤)</sup>. ومع أن زعماء نجران بعثوا ممثلًا عنهم إلى الإمام سعود، وأن ذلك الإمام أرسل إليهم رسالة مع ممثلهم شرح فيها المبادئ

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٤ .

التي تسير عليها دولته، فإنه لا يبدو أن منطقة نجران قد خضعت خضوعاً تاماً للحكم السعودي حينذاك، وإن كانت قبائلها قد أدت الزكاة للإمام سعود<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - جهات الخليج وعمان:

##### أ - قطر:

بدأت غارات السعوديين على قطر سنة ١٢٠٢هـ<sup>(٢)</sup>؛ وذلك قبل أن يستولوا على منطقة الأحساء. وكانت أهم بلدة قطرية حينذاك الزيارة مقر آل خليفة<sup>(٣)</sup>. وبعد أن استتب الأمر لآل سعود في

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٢. وانظر، أيضاً، مقبل الذكير في مسودة تاريخه عند حديثه عن نجران، مكتبة كلية الآداب، جامعة بغداد، رقم ٥٦٩.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٠٠.

(٣) في القرن الحادي عشر الهجري غادر آل خليفة وآل صباح والجلاهمة الهدّار في الأفلاج، ونزلوا الزيارة. وكان سبب مغادتهم بلادهم حدوث نزاع بينهم وبين أبناء عموماتهم من جميلة من قبيلة عنزة، وقد انتصر عليهم هؤلاء بمساعدة الدواسر. ثم اضطروا إلى النزوح من الزيارة إلى الكويت، التي كانت تحت حكم بني خالد، ومنحهم إياها زعيم هذه القبيلة. واتفقوا على أن يتولّى سليمان بن أحمد، كبير آل صباح، الرئاسة، وخليفة بن محمد، كبير آل خليفة، التجارة، وجابر العتبي، كبير الجلاهمة، العمل في البحر على أن يقتسموا الأرباح بالتساوي. وبعد خمسين عاماً انفصل محمد بن خليفة وغادر الكويت إلى الزيارة. وبعد استقراره فيها اختاره أهلها شيخاً لها. ثم تولّى الحكم بعده ابنه خليفة المتوفى سنة ١١٩٧هـ. فخلفه أخوه أحمد. وفي عهد أحمد نشبت حروب بين أهل البحرين - بإيعاز من فارس التي كانت تحكمها من ١٠١٨هـ إلى ١١٩٨هـ - وبين أهل الزيارة. فهزم أهل البحرين، وفرّ زعماءهم إلى سواحل إيران تاركين البحرين دون حماية. فدعا سكانها أحمد بن محمد بن خليفة =

المنطقة الشرقية تمكّنوا من الاستيلاء على قطر، واضطر حكامها المعارضون لهم إلى مغادرتها والتوجه إلى البحرين حيث القسم الآخر من إماراتهم. وبذلك أصبحت قطر جزءاً من الدولة السعودية الأولى<sup>(١)</sup>.

ب. البحرين:

أما البحرين فإن سلطان عمان غزاها سنة ١٢١٦هـ، واستطاع أن يستولي عليها. فهرب آل خليفة منها عائدين إلى الزيارة. وبعد ذلك تمكّنوا، بمساعدة الدولة السعودية، من إبعاد العمانيين عن البحرين<sup>(٢)</sup>. لكن السعوديين أصبح لهم نفوذ كبير فيها. ثم حدثت مشكلات بين آل خليفة وآل سعود ودارت بينهما مفاوضات نتج عنها عودة السلطة الحقيقية في تلك البلاد إلى حكامها من آل خليفة<sup>(٣)</sup>.

دفع الزكاة نوع من أنواع الخوالة السامية

= حكمهم. وباستيلائه على البحرين انتهى حكم فارس لها. وظل أحمد ينتقل بين الزيارة والبحرين. ثم استقر ابنه في المنامة.

وفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري غادر آل ثاني الوشم، ونزلوا بيرين، الواقعة جنوب قطر. ثم هاجروا من هناك إلى الزيارة حيث ولد ثاني. وبعد وفاته اتخذ ابنه محمد البِدْع - أحد أحياء الدوحة - مقرأً له. وكان طموحاً، فدخل مع آل خليفة في معارك أنهاها تدخلُ العثمانيين عام ١٢٨٨هـ. وفي سنة ١٢٩٥هـ توفي محمد وخلفه ابنه قاسم مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٧٧؛ مع الشهاب، ص ٧٧.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٦١.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٦ - ١٩٧؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٩٨ - ١٠٠.

جـ - الكويت:

علاوة حوتية بين الكويت وعمان

وأما الكويت فقد أصبحت مهمة من الناحية التجارية؛ وبخاصة بعد احتلال الفرس للبصرة بين عامي ١١٩٠ و١١٩٣هـ. ذلك أن بعض تجار هذه المدينة المحتلة هاجروا إلى الكويت، كما انتقل إليها مركز ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية في المنطقة<sup>(١)</sup>. ولعلَّ إيواؤها لزعماء بني خالد المعادين لآل سعود كان سبباً لغزو السعوديين لها سنة ١٢٠٨هـ<sup>(٢)</sup>. وفي عام ١٢١٢هـ تعاون الكويتيون مع حملة ثويني بن عبدالله الموجهة ضد السعوديين. فكان ذلك سبباً، فيما يبدو، لإرسال السعوديين سريةً ضد الكويت<sup>(٣)</sup>. لكن الكويت لم تنضم إلى الدولة السعودية، ولم تدخل تحت حكمها مثل دخول قطر<sup>(٤)</sup>.

د - عمان:

توتة اعتم مائة وراعتة ادها السيارية كيرة حجرا

وحينما وصلت طلائع القوات السعودية إلى جهات عمان كان حاكم مسقط سلطان بن أحمد بن سعيد. وكان في طليعة قادة تلك القوات رجل اسمه الحرِّق. فأطاعت له قبائل بني ياس، وآل نعيم

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ١٠٢.

(٢) ابن غنَّام، ج ٢، ص ١٦٩؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٣٣.

(٣) ابن غنَّام، ج ٢، ص ٢٢٤؛ ابن بشر، ج ١، ص ٤٩.

(٤) لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب عبدالله العثيمين، العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، ط ٢، الرياض ١٤١١هـ.

وبني قتب والظواهر والشوامس<sup>(١)</sup>. وفي عام ١٢١٨هـ (١٨٠٣) عقد معه السلطان معاهدة يدفع إليه بموجبها مبلغ ١٢٠٠٠ ريال سنوياً، ويسمح لأتباع الدرعية بالدعوة في مسقط<sup>(٢)</sup>. وكان تحمُّس القواسم في رأس الخيمة كما حولها لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كسباً عظيماً لآل سعود في جهودهم العسكرية ضد الأراضي العمانية.

وحين توفي سلطان بن أحمد، سنة ١٢١٩هـ تولى الحكم بعده بدر ابن سيف، الذي كان متعاطفاً مع الدولة السعودية. لكن حكمه لم يستمر؛ إذ ثار عليه سعيد بن سلطان، وقتله. وقامت حروب بين سعيد والسعوديين وأتباعهم في جهات عمان. فانتصروا عليه في أكثرها. على أن مقتل القائد الشهير مطلق المطيري، سنة ١٢٢٨هـ؛ إضافة إلى انشغال الدولة السعودية بالحملة العسكرية العثمانية المصرية، كان من الأمور التي اضطرت القوات السعودية إلى أن تتخلى عن أماكن سبق أن استولت عليها من أراضي سلطان عمان، وأن تتمركز في البريمي<sup>(٣)</sup>.

(١) حميد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، ١٣٩٧هـ، ص ٤٣٢؛ كيلي، بريطانيا والخليج، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان، القاهرة ١٩٧٩م، ج ١، ص ١٦١ - ١٦٣.

(٢) المرجع الأخير نفسه، ص ١٦٦.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر ابن رزيق، ص ٤٣٨ - ٥٢١؛ كيلي، ج ١، ص ١٦٦ - ٢١٠؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ١٠٥ - ١١٦؛ محمد الشعفي، «العلاقات السعودية العثمانية: ١٨٠٠ - ١٨١٨م»، مجلة كلية الآداب، بجامعة الملك سعود، العدد الأول، ١٣٩٠هـ، ٢٠٦ - ٢٢٩.



## ٥ . أوج اتساع الدولة:

بعد أن أكملت الدولة السعودية الأولى توحيد منطقة نجد في مستهل القرن الثالث عشر الهجري بدأت تتسع في كل اتجاه. وكان النصر حليفها في أكثر خطواتها التوحيدية حتى بلغت ما بلغت من اتساع. فمن الشرق دخل تحت حكمها شرقي الجزيرة العربية: الأحساء والقطيف وقطر. وأصبح لها نوع من النفوذ القوي فترة في البحرين. ومن الناحية الجنوبية الشرقية دخلت تحت حكمها كثير من الجهات التي تكوّنت منها في العصر الحديث دولة الإمارات العربية المتحدة، كما دخلت أجزاء من أراضي سلطنة عُمان وبخاصة غير الساحلية. ومن الغرب أصبحت الحجاز كلها منطقة سعودية. أما من الناحية الجنوبية الغربية فقد انضمت إليها منطقة عسير ثم تبعها منطقة المخلاف السليماني، كما أدخلت تحت نفوذها أجزاء كبيرة من أراضي إمام اليمن وبلدانه المهمة؛ وبخاصة الساحلية. وقد ازداد توغلها في الساحل اليمني حتى أوشكت أن تستولي على عدن. ومن الجنوب امتدت رقعتها حتى الربع الخالي. بل إن غاراتها وصلت إلى مشارف حضرموت. أما من ناحية الشمال فقد أدخلت تحت طاعتها جميع أجزاء الجزيرة

العربية الشمالية، ومدّت لها نوعاً من النفوذ في أماكن من العراق والشام تمثّل في دفع بعض القبائل هناك الزكاة إليها. وهكذا توحدت معظم مناطق الجزيرة العربية في دولة لم يُر لها مثيل من قبل باستثناء فترة قصيرة من فجر التاريخ الإسلامي.



علاقات الدولة السعودية الأولى  
مع الدول الأخرى



## ١ - علاقتها بالدولة العثمانية:

سبق الحديث عن الدولة السعودية الأولى بأشراف الحجاز التابعين من الناحية الرسمية للدولة العثمانية. لكن الحجاز، وإن تبعت رسمياً للعثمانيين، كان لها وضع خاص يختلف عن أوضاع الولايات العثمانية التي كانت تُحكَّم حكماً مباشراً من قِبَل ولاة أو باشوات عثمانيين كانوا - إلا من ندر منهم - أتراكا. وهنا سوف تُناقش علاقة الدولة السعودية مع الدولة العثمانية ممثلة في كلٍ من باشا بغداد وباشا دمشق. أمّا علاقة الدولة السعودية بحاكم مصر العثماني فسوف يُتكلّم عنها بانفراد فيما بعد؛ وذلك لما ترتّب على أعمال ذلك الحاكم ضد هذه الدولة من نتائج خطيرة.

### أ - الدولة السعودية والعراق:

كانت البصرة البلدة التي قضى فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب أطول مدة في أسفاره العلمية خارج مسقط رأسه. وكانت البلدة التي بدأ فيها الجهر بمعارضة ما كان يراه مخالفاً للدين القويم. ثم اضطر نتيجة لذلك إلى مغادرتها. وحينما بدأت دعوته في نجد كان من بين من كتبوا ردوداً على مبادئها أناس من البصرة<sup>(١)</sup>. ولم تكن العراق، بصفة عامة، في منأى عمّا كان يجري

(١) من هؤلاء القبّاني الذي أُلّف رديّن أحدهما: فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبدالوهاب، والثاني: كشف الحجاب عن وجه ضلالة ابن عبدالوهاب. وكلاهما لا يزال مخطوطاً.

داخل نجد عبر مراحل توحيد الدولة السعودية لها. ومن ذلك أن بعض معارضي تلك الدولة من النجديين نزحوا إلى الزبير وغيرها من البلدان العراقية، وظلت العراق مأوى لمن لم يريدوا أن يدخلوا تحت الحكم السعودي بعد توحيد نجد.

على أن الاحتكاك بين الدولة السعودية الأولى والسلطات العثمانية في العراق بدأ نتيجة للأعمال العسكرية التي كانت تدور بين السعوديين وزعماء بني خالد في مرحلة الهجوم السعودي على الأحساء. وقد بدأت الاشتباكات بين الطرفين عن طريق قبيلة المنتفق، التي كانت مضاربها في جنوبي العراق. ففي عام ١٢٠٠هـ ثار بعض زعماء بني خالد على سعدون بن عريعر بمساعدة ثويني ابن عبدالله رئيس تلك القبيلة العراقية. وهُزم سعدون، فُلجأ إلى الدرعية. وفي تلك السنة هاجم أمير بريدة، حجيلان بن حمد، قافلة تجارية قادمة من العراق إلى جبل شمر، وقتل بعض رجالها، وأخذ ما معها من أموال لأهل الجبل<sup>(١)</sup>.

وفي مستهل عام ١٢٠١هـ زحف ثويني بن عبدالله على نجد، واتجه إلى بريدة فحاصرها. ومن المرجح أن ما قام به هذا الزعيم كان رداً على قبول الدرعية للزعيم الخالدي، سعدون بن عريعر، الذي اشترك ثويني في الإطاحة به. ومن المحتمل أن القافلة التي هاجمها حجيلان كانت تحت حماية المنتفق. فإن كانت كذلك فإن

(١) انظر صفحة ١١٨ من هذا الكتاب.

الهجوم عليها زاد من حماسة ثويني لمهاجمة السعوديين. ولعل اختياره لبريدة دليل على ذلك. لكن صمود حجيلان، وما وصل إلى ثويني بن عبدالله أثناء حصاره للبلدة المذكورة من أخبار خاصة بالعراق، جعلاه يرفع الحصار عنها ويعود مسرعاً إلى بلاده.

وحين وصل ثويني إلى العراق وجد أن باشا بغداد قد عزله عن رئاسة المنتفق، وعيّن بدلاً منه ابن أخيه حمود بن ثامر، فقامت بينه وبين خصومه معارك انتهت بهزيمته وانسحابه بمن معه إلى الصُّمَّان بين الأحساء ونجد. وهنا هاجمه سعود بن عبدالعزيز، فتقهقر إلى العراق. وهكذا أصبح بين نارين. فاتجه إلى بني خالد طالباً نجدتهم، فلم ينجدوه. ولما ضاقت به الحيل لجأ إلى الدرعية<sup>(١)</sup>. وكان سعود بن عبدالعزيز - بعد هجومه على ثويني بن عبدالله في الصُّمَّان سنة ١٢٠٣هـ - قد اتجه إلى العراق حيث اشتبك مع فئات من قبيلة المنتفق<sup>(٢)</sup>. وكان هذا أول مرة تدخل فيها القوات السعودية الأراضي العراقية.

واستمرت قبيلة المنتفق تستقبل الفارين من خصوم الدولة السعودية، كما حدث سنتي ١٢٠٤ و ١٢٠٧هـ<sup>(٣)</sup>، مما جعل قادة تلك الدولة يفكرون جدياً في تقليص أظافر القبيلة المذكورة. وقد شجعهم على ذلك استيلائهم على المنطقة الشرقية من جزيرة العرب. فقاموا بغارات وصلت إلى حدود البصرة. وكانت غارات آل سعود

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٩٨ - ٩٩ و ١٠٤ و ١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٤ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٦ و ١٢٨ .

على جنوبي العراق؛ إضافة إلى ما كانوا يحققونه من انتصارات على شريف مكة حينذاك، من العوامل التي جعلت حكام اسطنبول يدركون قوة الدولة السعودية الفتية ويأمرون باشا بغداد بالتحرك للقضاء عليها. لكن ذلك الباشا كان، فيما يبدو، يدرك صعوبة الإقدام على حرب صحراوية ضد قوات اشتهرت بخفّة حركتها. ولعله كان يخشى أن يستغل غيابه عن العاصمة العراقية أحد من يتطلعون إلى الباشوية. لذلك رأى أن يبحث عن رجل مناسب لينوب عنه في قيادة الحرب التي أمر بها.

وفي تلك الأثناء كان ثويني بن عبدالله قد غادر الدرعية، واتجه إلى الكويت، ثم إلى بغداد حيث عفا عنه حاكمها. ومكث هناك فترة محاولاً أن يجد سبيله إلى العودة لرئاسة قبيلته. وكان له مناصرون في شرقي الجزيرة العربية من بني خالد وغيرهم؛ وبخاصة أولئك الذين لا يكتفون مودة للدولة السعودية. وقد كتب بعض هؤلاء إلى باشا بغداد يثنون عليه ويشيدون بخبرته العسكرية ودرايته بالمنطقة<sup>(١)</sup>. وهكذا وجد فيه الباشا ضالته المنشودة، فأعاده إلى رئاسة المنتفق، وكلفه بقيادة الحملة ضد السعوديين.

واجتمعت لثويني بن عبدالله قوة كبيرة من البادية والحاضرة وبخاصة من جنوبي العراق، واتجه إلى منطقة الأحساء أواخر سنة ١٢١١هـ. وكان يظن أن استيلاءه عليها لن يكون صعباً. فقد كانت فيها عناصر غير راضية عن الحكم السعودي. ولعلّ مما يوضح

(١) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٨٨ - ١٨٩؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٢٨.



ذلك تلك الثورة التي قامت هناك قبل سنة من تاريخ سير الحملة من العراق. وكان برفقة ثويني زعيمان من زعماء بني خالد، حكام المنطقة سابقاً، هما برآك بن عبدالمحسن، ومحمد بن عريعر. وكان من السهل إمداد الحملة بحراً عن طريق البصرة والقطيف أو العقير. ومتى استولى قائد الحملة على الأحساء فإن طريقه إلى نجد ستكون سهلة نوعاً ما لأن الأحساء ستصبح مركز تموين ممتاز له.

وعلى أي حال فإنه كانت هناك أمور لم تؤخذ في الحسبان. فمع أن النظرة الأولى إلى الظروف المحيطة بحملة ثويني بن عبدالله كانت تبعث في نفوس مؤيديها التفاؤل بنجاحها فإنها لم تخل من بذور فشل في داخلها. ذلك أنه كان يوجد تنافس خفي بين زعيمة بني خالد المرافقين لها على رئاسة قبيلتهما مستقبلاً. وفي أثناء سير الحملة تبين لبرآك بن عبدالمحسن ميل ثويني إلى محمد ابن عريعر، واعتقد أنه قد اتفق معه على أن ينفرد برئاسة بني خالد وحكم الأحساء بعد الاستيلاء عليها<sup>(١)</sup>. ولذلك أضمر في نفسه العداوة لزعيم المنتفق.

وحيثما اقتربت قوات الحملة من القوات السعودية المكلفة بصددها اتصل برآك بن عبدالمحسن بالقائد السعودي تمهيداً لانضمامه إليه في الوقت المناسب. ثم لحق سعود بن عبدالعزيز

(١) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ١٤٣ .

بقوات كبيرة للاشتراك في المعركة المنتظرة. وقبل أن تدور رحى الحرب بين الطرفين وثب رجل اسمه طُعيس على ثويني بن عبدالله وأرداه قتيلاً. وكان ذلك الرجل أحد مماليك برّاك سابقاً، وأحد المتحمّسين للدعوة الإصلاحية<sup>(١)</sup>. وبمقتل ثويني دبّت الفوضى في صفوف جيشه، وانضم برّاك وأتباعه إلى القوات السعودية التي طاردت فلول الجيش المنهزم إلى بلاده. وذلك في مستهل عام ١٢١٢هـ<sup>(٢)</sup>.

وكانت حملة ثويني بن عبدالله بادية الخطورة لكثرة قواتها، ووفرة استعدادها ومؤنها. ولذلك لم يكن غريباً أن يرى ابن غنّام فشلها أمراً عظيماً يستحق أن يخلّد بقصيدتين طويلتين تقرب إحداهما من تسعين بيتاً، وتقرب الأخرى من ثمانين بيتاً<sup>(٣)</sup>.

ولم يتأخر ردُّ الفعل السعودي على حملة ثويني. ففي رمضان من سنة ١٢١٢هـ سار سعود بن عبدالعزيز بقواته، ودخل الأراضي

(١) بينما يقول ابن غنّام (ج ٢ ، ص ٢٣٥): إن طُعيساً أسره أناس من أتباع ثويني، فبقي لديهم حتى عزم على اغتياله، فقام بذلك، يقول ابن بشر (ج ١، ص ١٤٢ - ١٤٣): إنه كان من عبيد الجبور، وأنه فارق برّاكاً حين اختلف مع آل سعود. ولا يذكر من أسره، وإنما يشير إلى أنه تسلل حتى قام بما قام به. على أن كركوكلي ص ٢٠٥ يقول: إن مقتل ثويني كان بتدبير من برّاك. وابن بشر وإن لم ينص على ما ورد لدى الكركوكلي فإنه يؤيده. وقد أصبح ما قام به طُعيس مضرب مثل للإقدام؛ إذ يقال: باع بيعة طعيس.

(٢) ابن غنّام، ج ٢، ص ١٨٧ - ١٩٨ و ٢٣٣ - ٢٣٥؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٢٨ - ١٤٧.

(٣) انظر نصهما لدى ابن غنّام، ج ٢، ص ١٩٠ - ١٩٢ و ٢٣٧ - ٢٤٢.

العراقية حيث أغار على بلدة سوق الشيوخ. ثم اتجه إلى السماوة حيث هاجم بعض القبائل المجتمعة قريبا بزعامة مطلق الجرباء أحد زعماء شمر. وانتصر سعود على تلك القبائل، وغنم منها أموالاً كثيرة. وقد قُتل في تلك المعركة مطلق الجرباء، كما قُتل براك بن عبدالمحسن، الذي كان مع القوات السعودية<sup>(١)</sup>.

ورغم أن مصير حملة ثويني كان صدمة لسليمان باشا، حاكم بغداد، إلا أنه لم ييأس. بل رأى أن يجهز حملة أضخم منها تقوم فيها القوات النظامية بدور مهم. وأسند قيادة الحملة الجديدة لمساعدة علي، وبذل في إعدادها أقصى ما استطاع. وانطلقت تلك الحملة من العراق سنة ١٢١٣هـ في طريقين: الفرسان ومعهم علي نفسه براً، والمشاة والمدفعية بحراً<sup>(٢)</sup>. ووصل الجميع إلى منطقة الأحساء. وتعاون مع علي من تعاون من أهلها. لكن القوات السعودية الموجودة فيها صمدت أمامه صموداً عظيماً، ومنعته من تحقيق أهدافه. وظل يحاصر قصر صاهود في المبرز من اليوم السابع من رمضان حتى اليوم السابع من ذي القعدة، لكنه لم يستطع اقتحامه أو إرغام من فيه على الاستسلام أو المصالحة<sup>(٣)</sup>. وأدرك أن مهمته تزداد صعوبة؛ وبخاصة أن بعض فرسانه كانوا من

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) لمع الشهاب، ص ١٣٠ .

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ١٥٨ .

رجال القبائل الذين يملؤون، عادة، مطاولة الحصار. ونقصت المؤن بين أفراد جيشه، كما ماتت بعض الإبل<sup>(١)</sup>. ثم علم أن سعود بن عبدالعزيز قد توجه إليه بقوات كبيرة من نجد. فبدأ ينسحب عن البلدان الأحسانية. وبلغ به الخوف واليأس درجة جعلته يتلف بعض مؤنه وعتاده لئلا يثقله حمله أو يقع في أيدي خصومه<sup>(٢)</sup>.

ووصل سعود بن عبدالعزيز بقواته إلى الأحساء. ثم تعقَّب جيش علي المنسحب حتى اقترب منه. وحدثت بين الطرفين عدة اشتباكات أدرك بعدها علي ضعف موقفه، فمال إلى الصلح وإن حاول أن يظهر بمظهر القوي. ولم يكن سعود، فيما يبدو، غير ميَّال إلى الصلح ما دام لن ينال قوته ولا بلاده أي ضرر منه. وتبادل القائدان الرسائل<sup>(٣)</sup>. ثم اتفقا على صلح يعود بموجبه علي بقواته إلى العراق. وعاد إلى هناك سنة ١٢١٤هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) عباس العزراوي، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٣٧٣هـ، ج٦، ص ١٢٩.

(٢) ابن بشر، ج١، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٣) أورد الكركوكلي (ص ٢٠٩) نص رسالتين متبادلتين بين علي وسعود. وقد وضع علي في رسالته شروطه للصلح، وهي: تخلي السعوديين عن الأحساء، وإعادة المدافع التي غنمها من حملة ثويني بن عبدالله، ودفع تكاليف الحملة التي أتى بها علي، وعدم تعرضهم لقوافل الحجاج العراقيين بأذى. وقد أجاب سعود على ذلك بقوله: إن الأحساء لم تكن للأتراك حين استولى عليها آل سعود، وإن المدافع عند أبيه في الدرعية، فإن تمَّ الصلح بين الطرفين أعادها إلى العراق، وإنه سيأخذ رأي أبيه في مسألة تكاليف الحملة. أما أمن الحجاج فهو ما سعت إليه الدولة السعودية دائماً حتى تحقق.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٢ - ٢١٤.

على أن العلاقات بين باشوية بغداد والدولة السعودية الأولى سرعان ما توترت من جديد. ذلك أنه حدث خلاف بين أناس من نجد متحمسين لمبادئ الدعوة الإصلاحية قبيلة الخزاعل قرب النجف. وكان من نتائج ذلك الخلاف أن قتلت تلك القبيلة عدداً من أولئك النجديين. فاحتج الإمام عبدالعزيز لدى باشا بغداد، وطالبه بدفع ديات القتلى. لكن الباشا لم يتخذ من الإجراءات ما أرضى الإمام. ودارت بينهما مفاوضات عن طريق عبدالعزيز الشاوي، أحد رجالات العراق المشهورين، لكنها لم تؤد إلى نتيجة إيجابية<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٢١٦هـ توجه سعود بن عبدالعزيز بقوات كبيرة إلى العراق، وقام بهجوم خاطف على كربلاء حيث قتل عدداً غير قليل من سكانها، واستولى على كثير مما كان فيها من أشياء ثمينة، وحطّم ما رآه مخالفاً للدين القويم. ثم غادر تلك البلدة مسرعاً دون أن تدركه قوات علي باشا التي أرسلت لمهاجمته<sup>(٢)</sup>.

وكان من نتائج غزوة سعود بن عبدالعزيز لكربلاء أن ازداد الخوف والقلق من الهجمات السعودية في مناطق العراق؛ وبخاصة تلك القريبة من الحدود. وهبطت سمعة سليمان باشا، الذي اتضح أنه غير قادر على حماية البلدان العراقية؛ ناهيك عن إضعاف الدولة السعودية أو القضاء عليها في موطنها.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٩١؛ الكركوكلي، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) عثمان بن سند، مطالع السعود بطيِّب أخبار الوالي داود، مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٥٨٤٠، ص ١٣٩.

ولقد شاء الله أن يُتوفَّى سليمان باشا بعد حادثة كربلاء بقليل . فتولَّى باشوية العراق مساعده السابق علي باشا الذي كان قائداً للحملة العراقية ضد الأحساء، كما سبق أن ذكر .

وفي العشر الأواخر من شهر رجب سنة ١٢١٨هـ اغتال أحد العراقيين الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وهو يصلي في مسجد الطُريف في الدرعية . وانهاه من حوله على المجرم فقتلوه<sup>(١)</sup> . وكان ذلك المجرم قد اجتمع بعلي باشا حاكم العراق، وأطلعه على ما خطط للقيام به . فشجعه ذلك الحاكم وأيده<sup>(٢)</sup> . وقدم إلى الدرعية مظهراً للتدين والحماسة للدعوة الإصلاحية حتى تمكَّن من تنفيذ جريمته .

وفي السنة التي اغتيل فيها الإمام عبدالعزيز توجه ابنه سعود بقوات كبيرة إلى العراق، حيث هاجم منطقة الزبير والبصرة وقتل من سكان البلدة الأخيرة قتلى كثيرين، كما أخذ أموالاً وأتلف زروعاً ثم عاد إلى بلاده<sup>(٣)</sup> . وفي عام ١٢٢٠هـ توجه بقواته مرة أخرى إلى العراق، وتوغل في تلك البلاد حتى وصل إلى النجف . لكنه لم يستطع دخولها لأنها كانت محاطة بخندق واسع . فتركها إلى

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٦٧ . وكان مولده سنة ١١٣٣هـ .

(٢) لونجرج، وترجمة عنوان كتابه: أربعة قرون من تاريخ العراق، أكسفورد، ١٩٢٥م، ص ٢٢٩ .

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

السماء حيث وقعت بينه وبين بعض القبائل فيها مناوشات. ثم اتجه بعد ذلك إلى الزبير، وحدثت بينه وبين سكانها مناوشات قليلة. وبعد ذلك عاد إلى الدرعية<sup>(١)</sup>.

وظلت القوات السعودية توالي هجماتها المباغته في أكثر الأحيان على الأراضي العراقية محرزة قصب السبق على معارضيتها هناك حتى بات سكان بغداد ذاتها يشعرون بالقلق والخوف<sup>(٢)</sup>. واضطرت كثير من القبائل العراقية الموجودة غرب الفرات أن تدفع الزكاة إلى الدولة السعودية. ولم تتوقف الهجمات السعودية على العراق إلا حينما انشغلت تلك الدولة بالحملة العثمانية التي انطلقت من مصر للقضاء عليها. لكن السعوديين لم يضموا أراضي عراقية إلى دولتهم.

#### ب. الدولة السعودية والشام:

كان طبيعياً أن تصل غارات القوات السعودية إلى أطراف الشام وهي تمدُّ نفوذها في شمالي الجزيرة العربية. ذلك أن القبائل في تلك الجهة - شأنها شأن القبائل الرحل في كل مكان - لم تكن لها حدود واضحة لا تتجاوزها. وهي في تنقلها وراء مواطن

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٦ .

(٢) عبدالحميد البطريق، رسالة دكتوراه غير منشورة، ترجمة عنوانها: الحكم التركي والمصري في جزيرة العرب (١٨١٠ - ١٨٤١)، جامعة لندن، ١٩٥٢م، ص ٨٠ - ٨١ .

الكلاً، أو في هروبها أمام غارات خصومها، قد تصل إلى أراضي غير أراضيها.

وأول غارة ذكر ابن بشر أن القوات السعودية قامت بها صوب الشام هي تلك التي قادها حجيلان بن حمد ضد قبيلة الشرارات سنة ١٢١٢هـ<sup>(١)</sup>. لكن من المحتمل أن هذه القبيلة لم تكن حينذاك في البلاد الشامية ذاتها. ولعلَّ هذا المؤرخ النجدي جرى في تعبيره، هنا، على ما اعتاد بعض النجديين عليه من تسمية شمالي الجزيرة العربية شاماً<sup>(٢)</sup>. على أن المؤرخ المذكور أشار عند كلامه عن اغتيال الإمام عبدالعزيز بن محمد، سنة ١٢١٨هـ، إلى زكوات المناطق في عهده. ومن بينها زكوات بعض القبائل في الشام<sup>(٣)</sup>. ويبدو أن ما أحرزته القوات السعودية من نجاح في مناطق مختلفة من جزيرة العرب وفي الأراضي العراقية قد جعل تلك القبائل تدفع الزكاة إلى قادة الدرعية خوفاً من هجماتهم عليها، وإدراكاً منها بأن ولاة الشام غير قادرين على حمايتها.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٥٠ .

(٢) من ذلك قول مسلط بن ربيعان:

ماسايل عن بيريقي في الشام

عقلت سبلاكم لي من يوم

وهو يقصد بيريقي محمد بن رشيد أمير جبل شمر. ولعلَّ مما يؤيد ذلك ما ورد في كتاب كيف كان ظهور شيخ الإسلام: ١٠٢ من مهاجمة حجيلان بن حمد للشرارات في ناحية الجوف.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ١٧٣ .



أما أول تحدٍّ مباشر من الدولة السعودية لوالي الشام العثماني فقد حدث في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢١هـ. ذلك أن الإمام المذكور منع باشا دمشق، عبدالله العظم، من الوصول إلى مكة المكرمة لخوفه من أن يتآمر مع الشريف غالب ضد الحكم السعودي في البلد الحرام. وبذلك عاد عبدالله مع من كانوا معه من حجاج الشام وما يليها شمالاً دون أداء الحج<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الدولة العثمانية رأت في موقف عبدالله العظم ضعفاً لا يليق بوالٍ لها. فأبعدته عن ولاية دمشق، وعيّنت بدلاً منه يوسف كنج. لكن هذا الأخير لم يقم بأي عمل عسكري ضد الدولة السعودية رغم الأوامر المتكررة التي تلقّاها من السلطان العثماني.

وفي عام ١٢٢٥هـ وصل الإمام سعود بن عبدالعزيز بقواتٍ كبيرة إلى الشام قاصداً الإغارة على بعض قبائلها. لكن تلك القبائل علمت بتحركاته، فاتجهت إلى غور الأردن. وتوغلت القوات السعودية في سهل حوران وفي جهات الكرك، وأبدت من النشاط العسكري ما بثَّ هيبتها في نفوس سكان تلك المناطق<sup>(٢)</sup>. واقتنع السلطان العثماني بأن يوسف كنج لم يكن أقوى من سلفه عبدالله العظم، فعزله عن الباشوية، وعهد بها إلى سليمان باشا، الذي كان والياً لصيدا وما حولها.

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

ومن الواضح أن الدولة السعودية لم تضم إليها شيئاً من أراضي باشوية الشام. لكنها مدّت لها نوعاً من النفوذ على بعض القبائل التابعة له إدارياً. وقد تمثّل ذلك النفوذ في دفع هذه القبائل الزكاة إلى القادة السعوديين. ومن القبائل التي أدّت زكاتها إلى الإمام السعودي من كانت تقطن قرب مدينة حلب.

## ٢ . علاقتها بفارس:

سبق أن ذكر بأن من نتائج استيلاء الدولة السعودية على شرقي الجزيرة العربية اهتمام الدول المطلّة على الخليج العربي، أو التي لها مصالح فيه، بهذه الدولة الفتية. وكان من تلك الدول الدولة العثمانية ممثلة في باشوية بغداد. وقد مرّ الحديث عن علاقة السعوديين بالباشوية المذكورة.

ومن الدول التي اهتمت باستيلاء آل سعود على منطقة الأحساء الدولة الفارسية. وإذا كان قد وجد خلاف حاد بين أنصار الدعوة الإصلاحية وكثير من المنتمين إلى المذهب السني حينذاك فقد كان من المتوقع أن يوجد خلاف أكثر حدة بين أولئك الأنصار وحكومة فارس التي كانت تدين بالمذهب الشيعي. ومعلوم أن بعض سكان المنطقة الشرقية ينتمون إلى هذا المذهب. ومع أن هؤلاء كانوا خاضعين لحكم زعماء بني خالد السنين قبل دخول المنطقة المذكورة في حكم آل سعود إلا أن حكم أولئك الزعماء الخالدين لم

يكن قائماً على أساس من العقيدة مثلما كانت عليه الحال بالنسبة للحكم السعودي. ولذلك فإن حكومة فارس نظرت إلى دخول شركائهم في المذهب تحت ظل حكومة سُنِّيَّة متحمّسة لعقيدها نظرة تختلف عن ذي قبل.

على أن الضربة التي تلقّتها لحكومة الفارسية حدثت عندما شنَّ السعوديون، سنة ١٢١٦هـ، هجوماً خاطفاً على كربلاء، البلدة المقدّسة لدى الشيعة. فقد تعمّق الخوف لديها من الدولة السعودية، وازداد كرهها لها. ولم يكن غريباً أن تقف الحكومة الفارسية بعد تلك الحادثة بعام واحد مع سلطان مسقط في نزاعه مع آل خليفة وحلفائهم السعوديين<sup>(١)</sup>.

وقد استمرت الحكومة الفارسية في دعم السلطان العماني ضد قوات السعوديين المهاجمة لبلاده ذاتها<sup>(٢)</sup>. وكان القضاء على الدولة السعودية على يد محمد علي، حاكم مصر، مبعث فرح لدى الحكومة المذكورة<sup>(٣)</sup> ذلك أنها رأت فيه غياب دولة جمعت بين القوة العسكرية، التي كادت توحد المنطقة الخليجية بكاملها، والعقيدة السُنِّيَّة المحافظة التي تدفع مقاتليها إلى الاستماتة في سبيل نشر ما آمنوا به.

(١) عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٢٩٠ .

(٢) المصدر نفسه: الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٢ .

### ٣ - علاقتها ببريطانيا:

الدولة الأوروبية التي نتج عن استيلاء السعوديين على المنطقة الشرقية من جزيرة العرب احتكاك بها هي بريطانيا. ذلك أن ما يحدث في الخليج العربي كان مهماً بالنسبة لها لما قد يترتب عليه من تأثير على نفوذها في الهند وعلى خطوط مواصلاتها إلى هناك.

وكان يوجد تنافس بين بريطانيا وفرنسا على بسط النفوذ في عمان حينما بدأت الغزوات السعودية لتلك البلاد. ولعلّ مما دفع سلطان مسقط إلى توقيع اتفاق مع بريطانيا، سنة ١٢١٣هـ، ثم تأكيده سنة ١٢١٥هـ، خوفاً من نتائج تلك الغزوات وإن كان ظاهر بنود الاتفاق المشار إليه يتعلّق بالتنافس بين البريطانيين والفرنسيين.

وكان انضمام القواسم - وأهم مراكزهم رأس الخيمة - إلى الدولة السعودية، سنة ١٢١٤هـ، من الأمور التي أدّت إلى الاحتكاك بين هذه الدولة وبريطانيا. فقد ازداد النشاط القاسمي البحري، وأصبح لا يقتصر على مهاجمة السفن العمانية، وإنما يشمل سفن بريطانيا المتضامنة مع العمانيين. وقد تسبّب ذلك في هجوم بريطاني على رأس الخيمة سنة ١٢٢٠هـ. واتفق الطرفان القاسمي والبريطاني بعد ذلك الهجوم على ألاّ يعتدي أحدهما على الآخر<sup>(١)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٤ .

على أن نشاط القواسم ما لبث أن عاد بعد حوالي ثلاث سنوات إلى ما كان عليه قبل الاتفاق المذكور. وكان ردُّ بريطانيا أن قامت بهجوم عنيف على المواقع القاسمية سنة ١٢٢٤هـ.

ومن الواضح أن البريطانيين حاولوا أن يتعاملوا مع القواسم وكأنهم جهة مستقلة عن الدولة السعودية، وأن يتفادوا المواجهة المباشرة مع هذه الدولة. ولم يكن موقف السعوديين، أيضاً، موقف من يرغب في مواجهة مع البريطانيين. ولذلك فإن حكومة الهند البريطانية أعربت للإمام سعود بعد هجومها على القواسم عن رغبتها في استمرار العلاقات الطيبة بينهما. وجاء ردُّ الإمام على ذلك متضمناً مشاركة تلك الحكومة الرغبة في استمرار هذه العلاقات، وموضحاً أنه أمر أتباعه بالألَّا يتعرضوا لسفنها. ولعلَّ من بين أسباب عزله سلطان بن صقر القاسمي، سنة ١٢٢٥هـ، الحد من نشاط القواسم الذي قد يؤدي إلى اصطدام مع بريطانيا.

وهكذا بدا أن البريطانيين كانوا يدركون قوة السعوديين في داخل الجزيرة العربية، وأن قادة الدولة السعودية كانوا يدركون قوة البريطانيين في المجال البحري، فتصرف كل منهما بوحى من ذلك الإدراك.

وحيثما نالت قوات محمد علي باشا من الدولة السعودية ما نالت أبدى البريطانيون فرحهم وابتهاجهم، وانتهت تلك القوة التي

كانت تساند القواسم. فقاموا بمهاجمة رأس الخيمة، سنة ١٢٣٤هـ، بعنف لم يسبق له مثيل، واستطاعوا أن يفرضوا على شيوخ تلك الجهات معاهدات رسّخت نفوذهم في مناطق الخليج العربي كلها أكثر من ذي قبل.



بعض ملامح  
الدولة السعودية الأولى





## ١ - الإدارة والحكم:

قامت الدولة السعودية الأولى على مبدأ واضح هدفه الأكبر جمع شتات البلاد على أساس من توحيد الله وإخلاص العبادة له. وقد نذر قادة تلك الدولة أنفسهم لذلك المبدأ؛ دعوةً إليه ودفاعاً عنه. وكانت إدارة شؤون الدولة تتم بتعاون وثيق، وانسجام تام، بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقادة آل سعود. وكان متوقعاً أن يحدث الانسجام والتعاون بين ذلك الشيخ وأولئك القادة الذين تدل أعمالهم على أنهم كانوا مقتنعين بصحة ما دعا إليه. بل إن عبدالعزيز بن محمد، الذي شهد الشيخ سبعة وعشرين عاماً من حكمه، كان على صلة به قبل قدومه إلى الدرعية<sup>(١)</sup>. وكان من المنتفعين بعلمه بعد استقراره فيها.

ومن الواضح أن كثيراً من أعباء إدارة الدولة في مراحل تكوينها الأولى كانت تقع على كاهل الشيخ محمد بن عبد الوهاب. لكن الاستيلاء على الرياض، سنة ١١٨٧هـ، كان بداية مرحلة جديدة تخلى فيها الشيخ عن إدارة الشؤون المالية لعبدالعزیز بن محمد بن سعود<sup>(٢)</sup>. على أنه ظل حتى وفاته، سنة ١٢٠٦هـ، المستشار الذي

(١) ابن غنّام، ج ١، ص ٢٢٢. فقد طلب عبدالعزيز من الشيخ أن يفسّر له سورة الفاتحة والشيخ لا يزال في العيينة.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٧. وانظر صفحة ١١١ من هذا الكتاب.

يعتمد على رأيه في الأمور؛ وبخاصة تلك التي يترتب عليها مستقبل الدولة<sup>(١)</sup>.

وكان الحاكم السعودي يلقَّب بالأَمير حتى اتسعت الدولة، فأصبح من بين ألقابه الإمام<sup>(٢)</sup>. وقد حلَّ الابن الأكبر من أبناء الحاكم محلَّه في الحكم بعد وفاته، وذلك بولاية عهدٍ منه في أثناء حياته<sup>(٣)</sup>.

(١) من ذلك أنه هو الذي أشار على عبدالعزيز بن محمد بقبول سعدون بن عريعر لاجئاً في الدرعية سنة ١٢٠٠هـ، وأنه أخذ البيعة لسعود بن عبدالعزيز ليصبح حاكماً بعد أبيه سنة ١٢٠٢هـ. انظر ابن غنَّام، ج ٢، ص ١٢٥ و١٣٧.

(٢) لم يصف ابن غنَّام محمد بن سعود إلا بالإمارة. وكثيراً ما تحدَّث عن ابنه عبدالعزيز باسمه دون لقب. وعند كلامه عما حدث سنة ١٢٠٢هـ قال (ج ٢، ص ١٢٧): «أمر .. محمد بن عبدالوهاب المسلمين أن يبائعوا سعوداً على الإمارة بعد أبيه». لكنه في حديثه عن عبدالعزيز، بعد وفاة الشيخ محمد سنة ١٢٠٦هـ، كثيراً ما وصفه بالإمام. أما الشيخ عبدالرحمن بن حسن فقال: إن عبدالعزيز بن محمد بن سعود لم يكن يُسمَّى إماماً في حياته، وإنما حدثت تسمية من تولَّى إماماً بعد وفاته. انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٥هـ، ج ٤، ص ٢٤٠.

وفي وثيقة كتبها الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، سنة ١٢٢١هـ، وصف الحاكم سعود بن عبدالعزيز بالأَمير. انظر آل عبدالقادر ج ٢، ص ٦٩.

على أن ابن بشر، الذي ولد بعد وفاة محمد بن سعود ب ٢١ سنة، أطلق لقب الإمام على كل حكام الدولة السعودية الأولى.

(٣) نصت المصادر على ذلك بالنسبة لسعود، وهو ظاهر عبارة ابن بشر بالنسبة لكل من عبدالعزيز بن محمد وعبدالله بن سعود: انظر ابن بشر، ج ١، ص ٦٣، ١٠١ و٢٤١.

وكان من أهم واجبات الحاكم السعودي الإشراف على شؤون الدولة بصفة عامة بحيث يتحقق تطبيق الشريعة وحلّ الأمن والاستقرار. وكان في طليعة من يستشيرهم في الأمور المهمّة الشيخ محمد وأبناؤه وأعيان الدرعية. ومن بين من يستشيرهم الحاكم، أيضاً، أمراء المناطق ورؤساء القبائل، لا سيما فيما يتعلق بأمور السلم والحرب<sup>(١)</sup>.

وكانت الدولة السعودية مقسمة إلى مناطق متعددة يتولّى إمارة كل منطقة منها أمير معيّن من قبيل قادة تلك الدولة. وكثيراً ما كان أمراء المناطق من أسر لها الإمارة في بلادها قبل قيام الحكم السعودي. وينطبق هذا على البادية أيضاً؛ إذ استمر رؤساء القبائل من الأسر القيادية فيها<sup>(٢)</sup>.

ومما يلفت النظر أن قادة الدرعية لم يعيّنوا أمراء للمناطق من أفراد الأسرة السعودية، وإن كان لأولئك الأفراد جهود مهمّة في قيادة الغزوات<sup>(٣)</sup>. ولعلّ من أسباب ذلك الرغبة في بقائهم في العاصمة للاستشارة.

وكان من واجبات أمير كل منطقة أن يعمل على تطبيق أوامر الشرع بين سكان منطقتة، ويساعد عمّال الزكاة على جبايتها، ويعدّ

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١ / ٢٧ و ٢٢٦ .

(٢) مع الشهاب، ص ٢٩ .

(٣) ولعلّ الرياض هي البلدة الوحيدة التي وُلّي عليها واحد من آل مقرن لا من ذرية محمد بن سعود. انظر حمد الجاسر، مدينة الرياض، ص ٩٩ .

الغزاة للإسهام بحروب الدولة لتوسيع نفوذها أو الدفاع عن كيانها. وكثيراً ما عهد إليه بغزو الجهات القريبة منه<sup>(١)</sup>.

وكان يوجد إلى جانب أمراء المناطق قضاة يختارون، عادة، من ذوي الكفاءة العلمية والنزاهة الخلقية. وكانت مرتبّاتهم من خزينة الدولة العامة. وقد أجمعت المصادر على أنهم كانوا عادلين في أحكامهم حتى أصبحوا مضرب المثل في العدالة<sup>(٢)</sup>. ومن بين أولئك القضاة، إضافة إلى قضاة الدرعية، عبدالعزيز الحُصَيْن قاضي الوشم، وحمد العريني قاضي سدير، ومحمد العوسجي قاضي الأحساء<sup>(٣)</sup>.

## ٢ - الأمن والشؤون العسكرية:

ولقد أولى قادة الدولة السعودية الأولى الناحية الأمنية أهمية وبخاصة، وتكللت جهودهم التي بذلوها في هذا المجال بالنجاح الكبير حتى ساد البلاد أمن لم تشهد له مثيلاً إلا في فترة قصيرة جداً من فجر التاريخ الإسلامي<sup>(٤)</sup>. ولعلّ من أسباب ذلك النجاح

(١) من أمثلة هؤلاء حجيلان بن حمد، بالنسبة للمناطق الواقعة شمال القصيم، وهادي بن قرملة الذي كانت له جهود في الغزوات ضد الشريف غالب، وعبدالوهاب أبو نقطة، الذي كان له دور عظيم في الاستيلاء على الحجاز والمخلاف السلیماني انظر فقرة (و) الآتية عن بعض الأمراء والقادة المشهورين.

(٢) انظر - مثلاً - بوركهارت، ملحوظات ج٢، ص ١٩٦ .

(٣) ابن بشر، ج١، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ انظر فقرة (هـ) الآتية عن بعض العلماء والقضاة المشهورين.

(٤) انظر أمثلة من استتباب الأمن لدى المصدر نفسه؛ ج١، ص ١٦٨ - ١٧١ .

إلقاء مسؤولية الجرائم على عاتق رؤساء القبائل حينما يعتدي أي فرد من قبيلتهم على غيره، ومنع حماية مرتكبي الجرائم<sup>(١)</sup>.

ومن أهم ملامح الدولة السعودية الأولى أنه لم يمرَّ عام واحد من بداية القتال بينها وبين خصومها سنة ١٥٩هـ إلى نهايتها عام ٢٣٣هـ إلا وفيه غزوة أو عدة غزوات؛ بعضها دفاعاً، وأكثرها هجوماً. وإذا كانت المنطقة قبل قيام تلك الدولة قد شهدت حروباً بين إمارتها وقبائلها المختلفة فإن الحروب بعد قيامها ازدادت من حيث عدد المعارك. ومن حيث أعداد القتلى. لكن طبيعة الحروب تغيَّرت؛ إذ اتَّسمت بسمة الجهاد من قِبَل قادة الدرعية وأتباعهم.

ولم يكن هناك جيش دائم للدولة السعودية، وإنما كانت قواتها المحاربة تتكون بطريقة إلزامية أو تطوعية حسب متطلبات الحال. فقد كان الحاكم، أو نائبه في الغزو، يطلب من أمراء المناطق ورؤساء القبائل، أو من بعض هؤلاء وأولئك، عدداً معيناً من المقاتلين لينضموا إلى الغزو الذي يراد القيام به. وعلى كل من يطلب منه ذلك أن يقوم بتنفيذه<sup>(٢)</sup>. وربما انضم إلى العدد المطلوب أناس

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣١. من أحسن الكتابات عن النواحي الإدارية والاقتصادية في الدولة السعودية الأولى رسالة الدكتوراه لمحمد الشعفي، التي قدمت إلى جامعة ليدز سنة ١٩٦٧م. وترجمة عنوانها: الدولة السعودية الأولى في جزيرة العرب (مع إشارة خاصة إلى ملامحها الإدارية والعسكرية والاقتصادية) في ضوء المعلومات غير المنشورة من المصادر العربية والأوروبية.

متطوعون أقدموا على المشاركة في الغزو تديناً أو رغبة في الحصول على نصيب من الغنائم؛ وبخاصة أن أكثر الغزوات السعودية كانت ناجحة. على أنه كان هناك عدد من الجنود الدائمين؛ مثل الحرس الخاص للحكام في الدرعية وللأمراء في قاعدة كل منطقة من مناطق الدولة. وكان هناك عدد من الجنود الذين يقضون فترات تطول وتقتصر حسب الظروف في أماكن معينة؛ مثل المرابطين في الحصون المبنية قرب مدن لم يكن من السهل الاستيلاء عليها، أو المناطق التي لا تطمئن الدولة إلى ولاء سكانها.

وكان على كل منطقة أو قبيلة أن تجهز أفراد غزوها بما يلزمهم من عتاد ورواحل وأطعمة تكفيهم المدة المتوقعة للغزو. لكن الدولة تساعد الغزاة إذا طالت مدة الغزو<sup>(١)</sup>.

ومن الأساليب الناجحة التي اتبعتها القادة السعوديون في أعمالهم العسكرية سرعة الحركة، وسريتها، وتضليل الخصوم، وبناء قلاع أو قصور قرب البلدان التي تطول مقاومة أهلها؛ وذلك لمضايقتهم من الناحيتين العسكرية والاقتصادية حتى يضطروا إلى إعلان الولاء لهم<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٣١؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٢٥٣.  
 (٢) من هذه القلاع أو القصور قصر الغدوانة قرب الرياض، وقصر البدع حول الدلم، والقصر الذي بناه أبو نقطة في نجران، انظر ابن غنّام، ج ٢، ص ٥٣  
 ١٠٧؛ ابن بشر، ج ١، ص ٤٩، ٩٠.

أما الأسلحة التي استعملها السعوديون فمنها السيوف والرمح والخناجر والبنادق. ومع وجود مدافع لديهم غنموا بعضها من خصومهم فإنهم لم يستفيدوا منها في غزواتهم التوحيدية<sup>(١)</sup>. لكنهم استفادوا منها نوعاً ما في دفاعهم ضد الحملة العثمانية التي قام بها حاكم مصر<sup>(٢)</sup>.

على أنه ينبغي أن يشار إلى أن الأسلوب الحربي الذي أتبعه القادة السعوديون، ونجح نجاحاً كبيراً في مراحل تكوين دولتهم واتساعها، كان يحمل في طياته بعض الجوانب الضعيفة. ذلك أن من انضم إلى الدولة وحارب معها زمن انتصاراتها على القوى المحليّة من غير اقتناع بالدعوة التي قامت عليها سرعان ما أصبح عامل هدم خطير لكيانها حينما تعرضت لهجوم خارجي بدت بوادر تفوقه عليها.

### ٣. النظام المالي:

وكان النظام المالي للدولة السعودية الأولى مشابهاً للنظام المالي للدولة الإسلامية في الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام. فقد كانت أهم مصادر الدخل:

أ. الزكاة: وفي طليعة ما يُزكَّى الثروة الحيوانية كالإبل والغنم، والمحاصيل الزراعية من تمر وحبوب. وكان دخل الدولة من الزكاة

(١) يذكر ابن بشر (ج ١، ص ٢٣١) أنه كان لدى سعود ستون مدفعاً.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٣.

يزداد بازدياد قوتها واتساع نفوذها حتى بلغ قمته زمن الإمام سعود ابن عبدالعزيز<sup>(١)</sup>.

ب. الغنائم: وقد سبقت الإشارة إلى كثرة غزوات السعوديين وانتصاراتهم. وكانت الدولة تأخذ خمس ما يفنم من الخصوم بحرب. أما الباقي فيوزع على أفراد الجيش المحارب وفق أحكام الشريعة<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب الغنائم الضي، وهو ما أخذ من الأعداء بدون حرب؛ مثل أملاك من هربوا من الرياض عند استيلاء عبدالعزيز بن محمد عليها. ويدخل الضي كله إلى بيت مال الدولة<sup>(٣)</sup>.

ج. العقوبات: وهي متنوعة. منها النكال لنكث عهد أو مطاولة حرب<sup>(٤)</sup>. ومنها المعاقبة على إخلال بأمن، أو عدم الوفاء بالتزامات التجنيد<sup>(٥)</sup>.

أما وجوه الإنفاق فمن أهمها:

- 
- (١) انظر تفاصيل بعض مقادير الزكاة في المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٢ - ٢٣٣. وقد قدر ما يأتي من مطير وهتيم وعنزة فقط بسبعين ألف ريال.
- (٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٠.
- (٣) ابن غنّام، ج ٢، ص ٨٦.
- (٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦ - ٥٧ و ٦٣.
- (٥) ابن بشر، ج ١، ص ١٧١ و ١٧٤.



أ - المتطلبات التي كانت ضرورية للحكم؛ مثل الهدايا والهبات والضيافة<sup>(١)</sup>.

ب - مرتبات الولاة والقضاة وعمال الزكاة والحرس في العواصم والحصون العسكرية، والإنفاق الجزئي على الغزوات.

ج - مكافآت المعلمين وطلاب العلم<sup>(٢)</sup>.

د - مساعدة الفقراء ومن تحلُّ بهم كوارث<sup>(٣)</sup>.

على أن مصادر الدخل فاقت وجوه الإنفاق العامة بدرجة كبيرة. ولذلك فإن الدولة أصبحت غنية جداً؛ وبخاصة زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز. واستطاع قادتها أن ينعموا بحياة التمتع المناسبة مع ظروفهم الاجتماعية في تلك الفترة؛ مثل اقتناء الممالك والخيول وبناء القصور الفارهة نسبياً<sup>(٤)</sup>.

#### ٤ - العلم والتعليم:

ولقد كان أمراً طبيعياً أن تهتم الدولة القائمة على أساس من الدعوة الإصلاحية بالتعليم. وكان ذلك واضحاً في سيرة قادتها

(١) يذكر ابن بشر (ج ١، ص ٢٣٠) أن خازن قصر الإمام يظهر يومياً للضيوف خمس مئة صاع من البر والأرز.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٤) يذكر ابن بشر (ج ١، ص ٢٣١) أن ممالك سعود بلغوا ألفاً ومئتين بين ذكر وأنثى، وأن عدد خيله بلغ ألفاً وأربع مئة. ويقول بوركهارت (مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص ٢٧): إن خيله كانت ألفين.

الذين حرصوا كل الحرص على حضور مجالس العلم، وتعلمذوا على المشائخ العظام. بل إن من أولئك القادة من كانوا لا يقتصرون على المناقشة العلمية، وإنما يفسرون ما يقرؤه القارئ عليهم، ويوردون أقوال العلماء المختلفة حوله<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ من حرص قادة الدولة السعودية الأولى على التعليم أنهم كانوا يصطحبون معهم في الغزوات علماء يعقدون مجالس علمية ينتفع بها أفراد الجيش الغازي<sup>(٢)</sup>. وبجهود أولئك القادة، وإخلاص علماء البلاد، ازدهرت الحياة العلمية ازدهاراً عظيماً، ووجدت في الدرعية بالذات مكتبات قيّمة ضمت كتباً كثيرة في موضوعات علمية مختلفة<sup>(٣)</sup>.

وكان التعليم مركزاً، بدرجة كبيرة، على التوحيد وما يتعلّق بالعبادة<sup>(٤)</sup>. لكن العلوم الشرعية الأخرى؛ مثل الحديث والتفسير والسيرة النبوية والفقه، نالت حظاً وافراً من الاهتمام.

وفي طليعة علماء تلك الفترة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناؤه وأحفاده وتلاميذه الذين أضافوا إلى المكتبة العربية الإسلامية كثيراً من الكتب القيّمة؛ لا سيما في مجال التوحيد والعقيدة.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧ و ٢٢٦ .

(٣) بوركهارت، ملحوظات ج ١، ص ٢٥٠ ويقول: إن سعوداً كان يملك أغنى مكتبة عربية حينذاك.

(٤) وكان هذا متوقّماً لأن الدعوة الإصلاحية أساسها التوحيد.

ومن الواضح أن العلماء المشار إليهم قد درسوا قواعد اللغة العربية وأجادوها لأن كتاباتهم توضح ذلك غاية التوضيح. لكن من اللافت للنظر أنه لم تحدث نهضة أدبية - لا شعراً ولا نثراً - تضاهي النهضة العلمية الشرعية أو تقرب منها. ومن اللافت للنظر، أيضاً، أن ما أثر من الشعر العامي - القريب من الشعر بالفصحى في ألفاظه ومعانيه وفي أغراضه وبحوره - في تلك الفترة لم يصل إلى المستوى الذي كان عليه قبل قيام الدولة السعودية الأولى، ولا إلى ما وصل إليه بعد نهايتها؛ كثرة وجوده<sup>(١)</sup>.

#### ٥ - العلماء والقضاة:

كان على رأس علماء الدولة السعودية الأولى الشيخ محمد بن عبدالوهاب إمام الدعوة التي قامت على أساسها تلك الدولة، ومؤلف الكتب القيّمة الكثيرة في أصول الدين وفروعه. وقد برز في عهد الدولة المذكورة علماء أجلاء أغلبهم تتلمذ على ذلك الشيخ الإمام، ونهلوا من نعيم علمه الزلال. ومن أشهر هؤلاء:

أ - عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، الذي خلف أباه في الفتوى وإدارة الشؤون الدينية. وقد ألّف عدة كتب تدلُّ على سعة

---

(١) كان من أبرز شعراء نجد قبل الدولة السعودية حميدان الشويمير، وجبر بن سيّار، ورميزان بن غشام، وأخوه رشيدان. أما بعد الدولة السعودية الأولى فمن أشهر الشعراء عبّيد بن رشيد، وأخوه عبدالله، ومحمد القاضي، وتركبي بن حميد، وراكبان بن حثلين.

علمه؛ لا سيما في مجال العقيدة. وكان مع سعود بن عبدالعزيز عندما دخل مكة عام ١٢١٨هـ. وقد دافع دفاع الأبطال عن الدرعية خلال حصار إبراهيم باشا لها. ثم أُخِذَ مع من أُخِذَ من أسرته إلى مصر بعد نهاية الدولة السعودية الأولى، ومكث هناك حتى توفي عام ١٢٤٢هـ عن عمر يناهز السابعة والسبعين<sup>(١)</sup>.

ب - حسين بن محمد بن عبدالوهاب، الذي كان كفيف البصر نيّر البصيرة. وكان خطيب جامع الطُرَيْف الكبير في الدرعية، كما كان أحد قضاة هذه البلدة. وقد توفي عام ١٢٢٤هـ<sup>(٢)</sup>.

ج - سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب. ولد عام ١٢٠٠هـ، وتفقّه في الدين أصولاً وفروعاً، فألّف كتباً جيّدة. وتولّى القضاء في مكة فترة قصيرة. وقد وُشِيَ به عند إبراهيم باشا بعد استسلام الدرعية، فأحضره وأهانته، ثم أمر جنده أن يطلقوا عليه رصاصهم دفعة واحدة، ففعلوا، وتمزّق جسده إرباً<sup>(٣)</sup>.

د - عبدالعزيز بن عبدالله الحُصَيْن. ولد في القرائن سنة ١١٥٤هـ. ثم أكبَّ على طلب العلم في الدرعية حتى أصبح عالماً جليلاً. وقد أُرسِلَ إلى مكة لشرح ما كان يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١١٨٥هـ، ثم سنة ١٢٠٤هـ. وكان قاضياً للوشم في

(١) الشيخ البسام، ج ١، ص ٤٨ - ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٢ - ٢٩٨ .

عهد عبد العزيز بن محمد وابنه سعود وحفيده عبد الله. وقد جنَّب الله أهل شقراء بطش إبراهيم باشا بشفاعته لهم عنده. وكانت وفاته سنة ١٢٣٧هـ<sup>(١)</sup>.

هـ - عبدالرحمن بن نامي. ولد في العُيَينة، ولازم الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى أصبح فقيهاً لامعاً. ثم عيِّن قاضياً في مسقط رأسه، ثم في مكة فترة قصيرة. وأخيراً عيِّن قاضياً في الأحساء. وقد قتله القائد التركي الذي أرسله إبراهيم باشا إلى الأحساء عام ١٢٣٤هـ<sup>(٢)</sup>.

ح - حمد بن ناصر بن معمر. ولد في العُيَينة، ودوس على الشيخ محمد في الدرعية حتى أصبح عالماً جليلاً. وقد ترأس وفدًا من العلماء إلى مكة سنة ١٢١١هـ، وناظر علماء تلك البلدة في مجال التوحيد والعقيدة. وفي عام ١٢٢٠هـ حمل خطاب الصلح من الإمام سعود إلى الشريف غالب. ثم أصبح قاضياً في مكة حتى وفاته فيها سنة ١٢٢٥هـ<sup>(٣)</sup>.

ط - حمد بن راشد العُرَيني. تتلمذ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى نال من العلم ما أهَّله لتولِّي القضاء. فعين قاضياً لسدير في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٠٦، ١٢٠، ٣٠٨، ٣١٠؛ الشيخ البسام، ج ٢، ص ٤٧٦ - ٤٨٢ .  
(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ٤٣٢ وقد أشار إلى تقدير المكين لعِدالته بوركهارت، ملحوظات، ج ٢، ص ١٩٦ .  
(٣) الشيخ البسام، ج ١، ص ٢٣٩ - ٢٤٣ .  
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٣ .

ي - عبدالعزيز بن سويلم. ولد في الدرعية، وتلمذ على الشيخ محمد. ثم عين قاضياً في بريدة في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، وظلَّ قاضياً لها حتى وفاته فيها سنة ١٢٤٤هـ<sup>(١)</sup>.

ك - علي بن حمد بن راشد العُرَينِي. تلمذ على علماء الدرعية الكبار، وأصبح قاضياً للخرج. ولما استولى إبراهيم باشا على الدرعية قتله<sup>(٢)</sup>.

ل - سعيد بن حجي. درس على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدرعية، وتولَّى قضاء حوطة بني تميم وما حولها في عهدي الإمامين عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود. وتوفي سنة ١٢٢٩هـ<sup>(٣)</sup>.

م - عبدالله بن سليمان بن عبِيد. تعلَّم على أيدي علماء الدرعية. ثم تولَّى قضاء جبل شمر في عهدي الإمامين سعود بن عبدالعزيز وابنه عبدالله. ثم ولي قضاء سدير، وتوفي سنة ١٢٤١هـ<sup>(٤)</sup>.

ن - محمود الفارسي. تلمذ على علماء الدرعية، ثم ولي قضاء القطيف في عهدي الإمامين سعود وابنه عبدالله<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٧١٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٥٠.

(٥) ابن بشر، ج١، ص ٢٢٨ و ٢٨١.

س - قرناس بن عبدالرحمن. ولد عام ١١٩٠هـ، ونشأ في الرس. ثم درس على علماء الدرعية وقد عُيِّن قاضياً عند قبيلة حرب سنة ١٢٢٠هـ. وكان له دور كبير في صمود أهل الرس ضد قوات إبراهيم باشا. وقد تولَّى قضاء القصيم. وتوفي عام ١٢٦٢هـ<sup>(١)</sup>.

ع - عُنيَم بن سيف. ولد في ثادق، ودرس على علماء الدرعية. ثم ولي قضاء عنيزة في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز حتى توفي فيها سنة ١٢٢٥هـ<sup>(٢)</sup>.

ف - راشد السردى. ولي قضاء حوطة بني تميم في عهد الإمام عبدالله بن سعود. ولما استولى إبراهيم باشا على الدرعية قتله<sup>(٣)</sup>.

## ٦ - الأمراء وقادة الجيوش:

كان قائد الجيوش السعودية في الخمسة والعشرين عاماً الأولى من القتال بين أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخصومهم عبدالعزيز بن محمد بن سعود في أغلب الأحيان. ثم تلاه ابنه سعود؛ وبخاصة في الغزوات الكبيرة. وهناك عدد من أفراد الأسرة السعودية ذاتها قادوا بعض الغزوات والسرايا.

(١) الشيخ البسام، ج ٣، ص ٧٦٤ - ٧٦٨ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٧٥٣ .

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢٧٨ و ٢٨١ .

على أن أمراء المناطق ورؤساء بعض القبائل، وآخرين غير هؤلاء وأولئك، كانت لهم قيادة الغزوات ومدُّ الحكم السعودي وتثبيتته. والحديث عن كل فرد من هؤلاء يطول. ولذلك فإن من المستحسن الحديث بإيجاز عن بعض الأمراء والقادة الذين كان لهم أثر كبير في تاريخ الدولة السعودية الأولى؛ دفاعاً عنها، ومداً لحكمها. وكان بعض أولئك الأمراء والقادة من الحاضرة، وبعضهم الآخر من البادية. لكن أكثرهم كانوا من الحاضرة على أي حال. ومن أشهر هؤلاء:

أ - سليمان بن عُفَيْصَان. وقد وقف مع تلك الدولة ضد خصومها في منطقة الخرج بدءاً بسنة ١١٩٠هـ. ثم عُيِّن أميراً على تلك المنطقة عام ١١٩٩هـ. وقاد عدَّة غزوات في شرقي الجزيرة العربية حتى توفي عام ١٢٠٧هـ<sup>(١)</sup>.

ب - إبراهيم بن سليمان بن عُفَيْصَان. ولي إمارة الخرج بعد وفاة أبيه، وقاد - مثل ذلك الأب - غزوات في شرقي الجزيرة العربية. وكان رئيس إحدى الحاميتين السعوديتين في الأحساء سنة ١٢١٢هـ. ثم عُيِّن أميراً للأحساء عام ١٢١٩هـ. وبعد فترة عُيِّن أميراً لعنيزة حيث توفي فيها سنة ١٢٢٩هـ<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٥ - ٩٧، ١٠٠ - ١٠٣، ١١١ و ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٣ - ١٣٦، ١٥٩، ١٧٧، ١٨١، ٢٠٥، ٢٢٧ و ٢٤١.



ج - فهد بن سليمان بن عُفَيْصَان. كان أول نشاط مذكور له عندما أرسل إلى البحرين سنة ١٢٢٥هـ مديراً لبيت المال. ثم تولى إمارة الأحساء في عهد الإمام عبد الله بن سعود. وقد قتله قائد عسكر إبراهيم باشا مع من قتل من آل عُفَيْصَان في الدِّمِّ جوراً سنة ١٢٣٤هـ<sup>(١)</sup>.

د - حجيلان بن حمد. عُيِّن أميراً لبريدة وما يتبعها من بلدان القصيم سنة ١١٩٠هـ، فنجح في توطيد الحكم السعودي هناك. وقد قام بكثير من الغزوات لمصلحة ذلك الحكم ومدد رقعته. وظلَّ أميراً نشطاً في غزواته حتى قضى إبراهيم باشا على الدولة السعودية الأولى، فأخذ إلى المدينة المنورة سنة ١٢٣٤هـ حيث توفي هناك بعد وصوله إليها بقليل<sup>(٢)</sup>.

هـ - ربيع بن زيد. رئيس المخاريم من الدواسر. قدم إلى الدرعية عام ١١٩٩هـ، وباع قاداتها. ثم أخذ ينشر مبادئ الدعوة بحماس في الوادي، ويحارب بشجاعة من يعارضها. وكان له مواقف مشهودة في الدفاع عن الأراضي السعودية، وتوسيع رقعة نفوذ آل سعود؛ وبخاصة في جهات عسير<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٧ - ١٩٨، ٢٨١ و ٢٩١.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٣، ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ١٣٠، ١٥٠، ١٧٧، ١٨٨، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٨١، ٢٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٧، ١٠١ - ١٠٢، ١٠٨، ١٣٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٧ و ٢٢٧.

و - عثمان المضايقي. كان صهراً للشريف غالب، ثم اختلف معه، وانضم إلى آل سعود عام ١٢١٧هـ، فاستولى بمعاونتهم على الطائف، وأصبح أميراً لهم عليها. وقد ساهم في إدخال الحجاز كلها تحت حكمهم. ولما استولت قوات حاكم مصر العثماني، محمد علي باشا، على تلك المنطقة طاردته حتى قبض عليه أناس من المتعاونين معها، وأخذ إلى مصر، ثم إلى اسطنبول حيث قتل أواخر سنة ١٢٢٨هـ<sup>(١)</sup>.

ز - محمد بن مَعَيْقِل. بدأ نشاطه عام ١٢٠٥هـ عندما كلف بتعقب جيش شريف مكة المنهزم. ثم قاد جيوش المناطق السعودية المتجهة إلى الجوف سنة ١٢٠٨هـ. وقاد جيشاً ضد قبيلة عتيبة سنة ١٢١٠هـ، كما قاد جيشاً مسانداً لهادي بن قرملة في السنة ذاتها. وفي سنة ١٢١١هـ قاد الجيوش الموجهة لصد حملة ثويني بن عبدالله، كما قاد جيشاً ضد جزيرة العمائر في السنة ذاتها. ثم قاد جيشاً ضد آل خليفة سنة ١٢٢٤هـ<sup>(٢)</sup>.

ح - هادي بن قَرْمَلَة. زعيم قبيلة قحطان. وفد إلى الدرعية سنة ١٢٠١هـ، وبإيعادتها، فصدق معهم، وأبلى بلاء حسناً في المهمات التي كلفوه بها؛ وبخاصة في المعارك مع قوات أشرف مكة

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٦، ١٦٢ - ١٦٥، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١٤ - ٢١٧ و ٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٩، ١٣٢ - ١٣٦، ١٤٢، ١٤٨، و ١٩٦.

والمعارضين في جهات عسير. وقد وصل بغاراته إلى حدود حضرموت جنوباً. وقُتِل في معركة وادي الصفراء التي حدثت بين طوسون وعبدالله بن سعود عام ١٢٢٦هـ<sup>(١)</sup>.

ط - عبدالوهاب أبو نقطة. وفد إلى الدرعية مع أخيه محمد سنة ١٢١٥هـ، وعاهدا قادتها على السمع والطاعة. فبعث الإمام عبدالعزيز بن محمد معهما سرية بقيادة ربيع بن زيد. وانتشرت دعوة الشيخ محمد في عسير. ولما توفي محمد أبو نقطة، سنة ١٢١٧هـ، أصبح عبدالوهاب أميراً لتلك المنطقة. وكان له دور كبير في إدخال الحجاز وجزان تحت الحكم السعودي. وقد قاد غزوات كثيرة ضد خصوم ذلك الحكم، وقُتِل في معركة دارت بينه وبين الشريف حمود حاكم إقليم جزان سنة ١٢٢٤هـ<sup>(٢)</sup>.

ي - طامي بن شُعَيْب. ولأه الإمام سعود إمارة عسير بعد مقتل عبدالوهاب أبي نقطة، فأبدى نشاطاً كبيراً لمدِّ الحكم السعودي في ساحل اليمن، وقاد مقاومة بأسلة ضد قوات محمد علي باشا في عسير كَبَّد فيها خصومه خسائر فادحة. لكن تلك القوات انتصرت آخر الأمر، وراحت تطارده. فاستقدمه حسن بن خالد إلى صبيا، ثم

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١ / ١٠٠، ١٠٧، ١١، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٩، ١٥١، ١٦٢ و ٢١١.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٥ و ٢٣٧.

سَلَّمَهُ لِأَتْبَاعِ مُحَمَّدِ عَلِي سَنَةَ ١٢٣٠هـ، فَأَخَذَ إِلَى مِصْرَ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ إِلَى اسْطَنْبُولِ حَيْثُ قُتِلَ هُنَاكَ<sup>(١)</sup>.

ك - مطلق المطيري. ظهر نشاطه القيادي سنة ١٢٢٤هـ عندما أُرْسِلَ قَائِداً لِلجِيُوشِ الْمَتْجِهَةِ إِلَى عَمَانَ، فَحَقَّقَ نَجَاحاً كَبِيراً، وَظَلَّ قَائِداً لِلجِيُوشِ السُّعُودِيَّةِ هُنَاكَ طَوَالَ بَقِيَّةِ عَهْدِ الْإِمَامِ سَعُودِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَقَدْ قُتِلَ سَنَةَ ١٢٢٦هـ<sup>(٢)</sup>.

ل - غصَّاب العتيبي. بدأ نشاطه الواضح سنة ١٢٢٠هـ. وفي سنة ١٢٢٤هـ أُرْسِلَ مِنَ الدَّرْعِيَّةِ قَائِداً لِفِرْقَةٍ مَخْتَارَةٍ مِنَ الْفَرَسَانِ دَعْمًا لِعَبْدِ الْوَهَّابِ أَبِي نَقْطَةَ وَمِنْ مَعِهِ مِنَ السُّعُودِيِّينَ ضِدَّ الشَّرِيفِ حَمُودِ حَاكِمِ جَازَانَ. وَكَانَ مَعَ الْقَادَةِ فِي جَنُوبِ الطَّائِفِ ضِدَّ قَوَاتِ مُحَمَّدِ عَلِي سَنَةَ ١٢٢٩هـ. ثُمَّ قَادَ الْمَقَاوِمَةَ فِي مَنَاطِقِ تَرْبَةِ تَلِكِ السَّنَةِ. وَكَانَ رَئِيسًا لِلخِيَالَةِ فِي الدَّرْعِيَّةِ عِنْدَمَا حَاصَرَهَا إِبْرَاهِيمُ بَاشَا عَامَ ١٢٣٣هـ. لَكِنَّهُ آخَرَ الْأَمْرَ - رِبَمَا لِخِلَافِ مَعَ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعُودٍ - خَرَجَ مِنَ الدَّرْعِيَّةِ، وَقَصَدَ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا الْمَحَاصِرَ لَهَا<sup>(٣)</sup>.

م - مسعود بن مضيَّان. عِنْدَمَا تَوَفَّى أَخُوهُ بَدَأَ، سَنَةَ ١٢٢٠هـ، عَيْنَهُ الْإِمَامِ سَعُودِ مَحَلَّهُ فِي رِئَاسَةِ حَرْبٍ. وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ ذَلِكَ الْإِمَامُ بِمَنْعِ أَمِيرِ الْحِجِّ الشَّامِيِّ، عَبْدِ اللَّهِ الْعَظْمِ، مِنْ مَوَاصِلَةِ السَّيْرِ إِلَى مَكَّةَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ الشَّرِيفُ غَالِبٌ ضِدَّ الْحُكْمِ السُّعُودِيِّ. وَكَانَ لِمَسْعُودِ دُورٌ بَارِزٌ فِي مَعْرَكَةِ وَادِي الصَّفْرَاءِ الَّتِي

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٥، ٢٠٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٤٢ - ٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٦، ٢٠٣ - ٢٠٤، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٥، ١٩٤، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٧٣.

دارت، سنة ١٢٢٦هـ، بين القوات السعودية بقيادة عبدالله بن سعود وقوات محمد علي باشا بقيادة ابنه طوسون. وقد أخذه رجال حاكم مصر إلى القاهرة، وقتلوه فيها.

### نهاية الدولة السعودية الأولى:

سبق أن ذُكر بأن الدولة العثمانية رأت في خروج الحجاز عن دائرة نفوذها ضربة معنوية موجهة لهيبتها في العالم الإسلامي، وأنها عقدت العزم على انتزاع تلك المنطقة من آل سعود والقضاء على دولتهم التي لم تقتصر على بسط حكمها على أكثر مناطق الجزيرة العربية، وإنما بلغت طلائع قواتها المتحفزة أماكن عدة في كل من العراق والشام. وكانت تجربة العثمانيين في محاربة السعوديين عن طريق باشوية بغداد قد باءت بالفشل قبل بلوغ الدولة السعودية المستوى الذي بلغته بعد دخول الحجاز وعسير والمخلاف السليمانى تحت حكمها. وكان آخر وال رأى السلطان العثماني أن يكل إليه محاربة الدولة السعودية هو محمد علي باشا حاكم مصر<sup>(١)</sup>.

وتشير المصادر إلى أن أول أمر من الدولة العثمانية لمحمد علي بغزو السعوديين كان عام ١٢٢٢هـ<sup>(٢)</sup>. غير أن الغزو لم يبدأ إلا بعد

(١) بعد أن أجلى العثمانيون الفرنسيين من مصر، سنة ١٢١٦هـ، دبَّ الخلاف بين الجيش وقادته بسبب تأخر المرتبات، ثم تطور الخلاف إلى حدوث فوضى في البلاد. فانتهز هذه الفرصة الضابط الألباني، محمد علي، ونهض لإخماد الفتن. وقد نجح في مسعاه بمساعدة أعيان البلاد الذين رشحوه لولاية مصر. ووافقتهم الدولة العثمانية على ذلك عام ١٢٢٠هـ. ولقد حاول المماليك، الذي كان لهم نفوذ في الصعيد، الإطاحة به بمساعدة البريطانيين. لكنهم فشلوا.

(٢) عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٢٩٨.

أربع سنوات من ذلك التاريخ. فقد رأى حاكم مصر ضرورة الإعداد الجيد للحملة العسكرية التي سيقوم بها لأن مستقبله في الحكم سيتأثر، بدرجة كبيرة، بنجاحه أو فشله في تلك الحملة. ومن الخطوات التي قام بها في هذا المجال بناء أسطول مكون من ثمان وعشرين سفينة ومستودعات للأرزاق في السويس، والاتصال بالشريف غالب ليرتب معه ما ينبغي اتخاذه من إجراءات. ورأى حاكم مصر، أيضاً، ضرورة القضاء على خصومه في داخل البلاد قبل أن تتحرك قواته إلى الجزيرة العربية لئلا يعرض مركزه للخطر أثناء غياب تلك القوات<sup>(١)</sup>. وكان آخر إجراء اتخذه ضد أولئك الخصوم غدره بزعماء المماليك والقضاء عليهم في حفلة إسناد قيادة الحملة المتجهة إلى الحجاز لابنه طوسون؛ إذ قتل من حضر منهم، ولم ينج من غدره إلا واحد هرب من القلعة<sup>(٢)</sup>.

وكان الجو في الحجاز مهياً لنجاح الحملة المصرية العثمانية. ذلك أن الشريف غالباً لم ينضم إلى الدولة السعودية عن رضا واقتناع. وكان يتطلع إلى اليوم الذي يتخلص فيه من تلك الدولة<sup>(٣)</sup>. وكان انقطاع الحج من الولايات العثمانية الغنية قد أضرَّ ببعض التجار الحجازيين، كما أضرَّ ببعض زعماء القبائل الذين كانوا يأخذون إتاوات على قوافل الحجاج. ولهذا فإن الفئات التي لها

(١) البطريق، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) انظر تفصيلها في كتاب الرافعي، عصر محمد علي، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٧٠هـ، ص ١١٢ - ١١٧ .

ومن بين الأمور التي قام بها محمد علي خلال تلك الفترة محاولة إضافة سوريا إلى ولايته. لكن السلطان العثماني رفض طلبه. انظر البطريق، ص ٩٤ - ٩٦ .  
(٣) دحلان، ص ٢٩٥ .

النفوذ الأكبر في المجتمع كانت توافق زعامتها السياسية التقليدية في المشاعر غير الودية تجاه الحكم السعودي.

وبعد أن اطمأن محمد علي إلى وضعه الداخلي، واستكمل الترتيبات اللازمة للحملة، انطلق بها ابنه طوسون عام ١٢٢٦ هـ. ووصلت الحملة براً وبحراً إلى ينبع. وكان عدد أفرادها ثمانية آلاف مقاتل<sup>(١)</sup>. وحين وصلت إلى البلدة الحجازية المشار إليها استولت عليها دون عناء. ثم زحف طوسون من ينبع صوب المدينة المنورة؛ متخذاً إغراء القبائل الموجودة في المنطقة بالهدايا والأموال وسيلة لتمهيد الطريق أمام قواته. واستولى على بدر بسهولة. غير أنه حينما اشتبك مع القوات السعودية الكبيرة بقيادة عبدالله بن سعود في وادي الصفراء تكبّد هزيمة ساحقة. وفرّ مع من نجا من جيشه عائداً إلى ينبع. ومن حسن حظه أن السعوديين لم يتعقبوا فلول قواته المنهزمة ويقضوا عليها<sup>(٢)</sup>.

وبعد عودة طوسون إلى ينبع انتظر حتى قدمت إليه تعزيزات جديدة من مصر، كما وصلت إليه مبالغ كبيرة لتوزيعها على رجال القبائل. وقد نجح في استمالة بعض رؤساء قبيلتي حرب وجهينة الذين كانوا في الجهات المحيطة بوادي الصفراء<sup>(٣)</sup>. وكانت القوات

(١) عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٣٠٣ .

(٢) انظر تفصيلها لدى ابن بشر، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢١١؛ وفي كلام عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد، الذي كان مع الجيش السعودي، الدرر السنية ج ٩، ص ٢٢٢ - ٢٢٤؛ وقارن ذلك بعبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .

(٣) الرافي، ص ١٣٧ .

السعودية قد انسحبت من تلك الجهات بعد انتصارها العظيم على طوسون؛ معتقدة، فيما يبدو، أن الحامية التي تركتها في المدينة المنورة كافية لدرء الخطر عنها. وهكذا باجتذاب بعض فئات القبائل، وخلو الطريق نسبياً من المدافعين السعوديين، وصل طوسون إلى المدينة، وحاصرها. وقد استعمل في حصارها المدافع والمتفجرات. ومن سوء حظ الحامية السعودية الموجود فيها أن سكان المدينة كانوا، بصفة عامة، لا يكتنون مودة لقادة الدرعية. بل إنهم كانوا يضمرون كرهاً لهم. ولذلك تعاونوا مع الجيش الغازي ضد رجال الحامية السعودية حتى أصبحت في موقف حرج، وانتشر المرض بين أفرادها، واضطرت إلى الاستسلام في ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـ<sup>(١)</sup>.

وكان لاستيلاء طوسون على المدينة المنورة أثر كبير في رفع معنويته، وبتُّ الحماسة والثقة في نفوس أفراد جيشه، وزيادة المنضمين إليه من رجال القبائل، مما فتح الطريق أمامه للتوغل في بقية الحجاز. وبالاتفاق السري مع الشريف غالب توجه بقواته إلى جدة، ودخلها دون مقاومة. ثم اتجه إلى مكة المكرمة، ودخلها بمساعدة الشريف غالب بعد أن تركتها الحامية السعودية بأمر من عبدالله بن سعود الذي كان معسكراً خارج البلدة. وكان دخول

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢١٢ - ٢١٣ .



طوسون لمكة في شهر المحرم سنة ١٢٢٨هـ. وبعد دخوله إيَّها انسحب عبدالله بن سعود من معسكره خارجها إلى العُبَيْلاء ثم ترك هذه البلدة وتوجه إلى الخُرْمَة. ومن الواضح أن اليأس قد دبَّ في نفوس بعض قادة السعوديين بالنسبة لموقفهم في الحجاز. وكان عثمان المضايقي أحد هؤلاء. ذلك أنه لم يبق في الطائف بعد انسحاب عبدالله بن سعود، بل توجه إلى رنية. فأرسل طوسون فرقة من جيشه استولت على الطائف، وتوجه إلى هذه البلدة بصحبة الشريف غالب<sup>(١)</sup>.

وهكذا دخلت المدن الحجازية الكبيرة تحت نفوذ طوسون، وحققت الدولة العثمانية الهدف الأساسي من أهدافها باستعادة الحرمين الشريفين من السعوديين. ومن الواضح أن تعاون زعماء المدن الحجازية وزعماء القبائل في المنطقة مع جيش الغزاة كان أهم الأسباب التي سهلت لهم التغلُّب على القوات السعودية. على أن الدولة السعودية كانت لا تزال قوية. وهي وإن فقدت الحجاز فإنها كانت تحتفظ بالمناطق الأخرى التي تثق بولاء سكانها إلى درجة كبيرة.

ولقد شجع طوسون ما أحرزه من نجاح في الحجاز على محاولة ضم مناطق أخرى توسيعاً لنفوذه، ومحافظة على ما استولى عليه. ولذا بعث ثلاث مئة رجل إلى الحناكية ليكونوا طليعة لجيشه

(١) دحلان، ص ٢٩٥ - ٢٩٦؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢١٢ - ٢١٥؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٣١٠ - ٣١١ .

صوب نجد. ثم بعث فرقة من جيشه إلى تُرْبَة للاستيلاء عليها<sup>(١)</sup>.  
فماذا عمل السعوديون؟

قاد الإمام سعود قوات، واتجه إلى الحناكية حيث حاصر رجال طليعة طوسون، وأجبرهم على الاستسلام. وبعد أن استسلموا له أرسلهم مخفورين إلى العراق<sup>(٢)</sup>. ثم قام بهجمات ناجحة على القبائل التي وقفت مع جيش طوسون، واستطاع أن يصل بقواته إلى ضواحي المدينة المنورة ووادي الصفراء. ثم عاد إلى الدرعية. وانطلق من نجد جيش سعودي آخر تدعيماً للجبهة الجنوبية، واتخذ من بلدة تُرْبَة مركزاً له. ولما اشتبك هذا الجيش مع الفرقة التي بعثها طوسون إلى هناك استطاع - بإمدادات من بيثة وما حولها - أن يحقق انتصاراً عظيماً على خصومه<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن انتصرت القوات السعودية في تُرْبَة بدأ عثمان المضايقي بمهاجمة الطائف ذاتها، واتخذ من بسَل مقرأً لقيادته. فسار إليه الشريف غالب بقوات كبيرة، وحاصره. فهرب عثمان من هناك، لكن أناساً من المتعاونين مع الغزاة أمسكوه وسلّموه إلى

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٥ . وكان إرسالهم إلى هناك بخفارة أمير جبل شمر محمد بن عبدالمحسن.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٥ - ٢١٦؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٣١٢ .

غالب. فبعثه إلى مصر، ثم بُعث به من هناك إلى العاصمة العثمانية حيث قُتل<sup>(١)</sup>.

وإداراكاً من محمد علي لما طرأ على موقف قواته من ضعف أمام القوات السعودية قرّر أن يقود بنفسه إمدادات جديدة لعلّه يتمكّن من تغيير الوضع لصالحه. ولما وصل إلى الحجاز كان من أول

الأعمال التي قام بها القبض على الشريف غالب ونفيه عن البلاد. وعيّن محلّه في شرافة مكة ابن أخيه يحيى بن سرور<sup>(٢)</sup>. وأخذ يُعدُّ

قواته إعداداً جيداً حتى اعتقد أنها أصبحت قادرة على محاربة السعوديين، وزحفت تلك القوات بقيادة طوسون ومعه الشريف راجح، أحد كبار الأشراف وشجعانهم، إلى تُربة، لكنها فشلت في الاستيلاء عليها، وعادت إلى الطائف بعد أن تكبّدت خسائر فادحة<sup>(٣)</sup>.

ومن الواضح أن الأشراف شكّوا في نوايا محمد علي بعد غدره بالشريف غالب، وخافوا أن يكون مصيرهم مثل مصيره. ولذلك

(١) دخلان، ج ٢، ص ٢٩٦؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢١٦ - ٢١٧؛ العجلاني، عهد سعود الكبير، ص ١٣٠.

وتذكر بعض المصادر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز عرض دفع فدية كبيرة لإطلاق سراح عثمان، كما عرض الصلح مع محمد علي. لكن عرضه لم يقبل. انظر الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الطبعة الثانية، دار الجيل ببيروت، ١٩٧٨م، ج ٣، ص ٤٢٠. ودخلان، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٢١؛ دخلان، ج ٢، ص ٢٩٧ - ٢٩٨. وكان مصير غالب أن توفي منفياً في سلانيك. المصدر الأخير نفسه، ص ٢٩٩.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢٢٢.

هرب الشريف راجح وانضم إلى القوات السعودية في تُربة. ولعلَّ هروبه حدث وقوات محمد علي في طريقها إلى هذه البلدة. ثم خرج الشريف يحيى بن سرور من مكة؛ مظهراً أنه سيفوز بعض القبائل المعارضة له، وهرب إلى تهامة<sup>(١)</sup>.

وكان محمد علي قد أرسل قوات لتستولي على القنفة، فدخلتها دون صعوبة. لكن القوات السعودية انتزعتها منها وكبّدتها خسائر فادحة<sup>(٢)</sup>. وبذلك ازداد موقفه حرجاً. وتراجعت قواته إلى الطائف. لكن إمدادات جديدة قدمت إليه من مصر، كما وصلت إليه من هناك مبالغ مالية ضخمة، فأخذ يدرّب قواته تدريباً جيداً، ويغدق الهدايا والأموال على رجال القبائل<sup>(٣)</sup>.

وكانت وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢٩ هـ، من الأمور التي أضعفت الجبهة السعودية نوعاً ما<sup>(٤)</sup>. ذلك أن ابنه عبدالله، الذي خلفه في الحكم، لم يكن مثله صراماً وسداد رأي؛ وبخاصة في الأمور العسكرية ولم يكن مثله، أو قريباً منه، في هيبة القبائل له. ومع ذلك فإن القوات السعودية كبّدت قوات محمد علي

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢١؛ دحلان، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٢١٧ - ٣١٨؛ الرافي، ص ١٤٤.

(٤) وكان مولده سنة ١١٦٥ هـ.

هزيمة كبيرة بعد وفاة الإمام سعود بقليل<sup>(١)</sup> على أن الوضع سرعان ما تغير لصالح حاكم مصر. وحينما تقابل، سنة ١٢٣٠هـ، مع السعوديين في بسط انتصر عليهم. فتحرك بقواته حتى استولى على رنية وبيشة وتربة، كما استولى على مناطق أخرى من عسير وتهامة<sup>(٢)</sup>.

وبعد الانتصارات السابقة اطمأن محمد علي إلى سلامة موقف قواته في الجزيرة العربية، فعاد إلى مصر. ولعل من أسباب سرعة سفره إلى هناك الظروف التي ألمت ببلاده حينذاك<sup>(٣)</sup>.

وبينما كانت العمليات العسكرية تدور في منطقة عسير بين قوات محمد علي والقوات السعودية كان طوسون يتقدم في غربي نجد حتى وصل إلى القصيم. وكان الإمام عبدالله بن سعود على علم بتحركاته، فاتجه إلى تلك المنطقة لصدده عنها. وهناك حدثت مناوشات بين الطرفين. وبدا لكل منهما أنه لن يحقق انتصاراً على الآخر. ولذلك مالا إلى الصلح. وتختلف الروايات حول من بدأ بطلبه. لكن المهم أن طوسون وعبدالله توصلا في نهاية الأمر إلى

(١) لم تتمكن القوات السعودية من صد الهجمات الموجهة ضدها فقط، بل بدأت تهاجم مواقع الغزاة حتى اقتربت من الطائف ذاتها. انظر ابن بشر، ج ١، ص ٢٤٢ - ٢٤٣؛ الرافي، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٤٤ - ٢٤٧؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢٤٨ - ٢٤٩؛ الرافي، ص ١٤٨ . ومن هذه الظروف - كما يذكر الرافي - مؤامرة لطيف باشا ضده، وإشاعة هرب نابليون من منفاه واحتمال محاولته غزو مصر من جديد.

مشروع صلح تضيمن - كما روى ابن بشر - إيقاف الحرب بين الطرفين، وجلاء قوات العرارة عن نجد، وتأمين تنقل أتباع أي من الطرفين في بلاد الآخر<sup>(١)</sup>. ومن الواضح أن هذا المشروع كان مرهوناً بموافقة محمد علي. ذلك أن عبدالله بن سعود بعث مندوبين إلى القاهرة لأخذ موافقة حاكمها عليه<sup>(٢)</sup>. وكان ذلك سنة ١٢٣٠هـ.

نهاية هجوم طوسون  
على أن طوسون انسحب من نجد، على أي حال، وعاد إلى مصر. ولكن محمد علي لم يوافق على ما تم بين ابنه طوسون والإمام عبدالله بن سعود. وأصرَّ على أن يقدم إليه هذا الإمام ليرسله إلى السلطان العثماني، وأن يحضر معه ما سبق أن أخذه أبوه سعود من نفائس كانت موجودة في الحجرة النبوية الشريفة<sup>(٣)</sup>. ومن الواضح أن الإمام عبدالله أدرك ما يترتب على ذهابه إلى مصر، فرفض ذلك. وأخذ الطرفان يستعدان للحرب من جديد.

حينما استكمل محمد علي استعداداته لحملة جديدة ضد الدولة السعودية أسند قيادتها إلى ابنه إبراهيم. وتوجهت تلك

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) المندوبان هما عبدالله بن بنيان، وعبدالعزیز بن حمد بن إبراهيم. انظر ابن بشر: ج ١، ص ٢٥١. وقد حاول هذان المندوبان أن يقنعا محمد علي بحسن نوايا عبدالله بن سعود تجاهه وتجاه الدولة العثمانية، فلم ينجحا في إقناعه.

(٣) كان سعود بن عبدالعزيز قد أخذ تلك النفائس عند استيلائه على المدينة، وباع بعضها وأنفق ثمنه على فقراء البلدة. وقد ذكر ذلك عدة كتاب من بينهم عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، الذي ذكر بأن سعوداً لم يقم بما قام به إلا بعد أن أفتاه علماء المدينة بوجوب القيام به. انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج ٣، ص ٤٥١.

## العلماء العسكرية - تيمناً ببحر

الحملة من مصر، فوصلت الحجاز في ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ<sup>(١)</sup>. وقد أجرى إبراهيم قرب المدينة المنورة مناورات عسكرية كان الهدف منها إظهار قوته أمام القبائل ليبقى من كان موالياً لأبيه على ولائه، ولينضم إليه من لم يكن موالياً من قبل. وتحقق له هذا الهدف بدرجة كبيرة. فانضمت إليه فئات من حرب، ومطير، وعتيبة، وعنزة<sup>(٢)</sup>. ثم زحف متجهاً إلى القصيم.

وفي أثناء ذلك كان الإمام عبدالله بن سعود قد قام بإجراءات تأديبية ضد من وقف من أهل القصيم مع طوسون، أو تعاون معه بأي شكل من الأشكال<sup>(٣)</sup>. وحينما سمع أنباء وصول حملة إبراهيم إلى الحجاز وتحركها إلى القصيم جمع ما أمكنه جمعه من قوات، واتجه إلى تلك المنطقة لصد الحملة عنها.

وقبل أن يتوغل إبراهيم كثيراً في أراضي القصيم اشتبكت قواته مع أتباع الإمام عبدالله عدة اشتباكات. وكانت الغلبة لقوات إبراهيم<sup>(٤)</sup>. وبعد ذلك واصل هذا القائد زحفه حتى وصل إلى بلدة الرس، وبدأ يحاصرها. أما الإمام عبدالله فقد اتخذ من بلدة عنيزة مقراً لقيادته في المنطقة. وكانت الرس محصنة تحصيناً جيداً. وقد

(١) عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٥٥ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٢ .

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٦ .

أبدى أهلها، ومن بعثهم الإمام لمساعدتهم، شجاعة عظيمة؛ إذ صمدوا أمام قوات إبراهيم، بكل ما تملك من قوة واستعداد، أكثر من ثلاثة شهور ونصف. بل إنهم ألحقوا - خلال الحصار - بتلك القوات خسائر تفوق كثيراً ما ألحقته بهم<sup>(١)</sup>.

ومن المرجح أن القلق أخذ من نفس إبراهيم مأخذه لأن فشله في الاستيلاء على الرس، رغم حصاره الطويل لها، مما يضعف الأمل في القضاء على الدولة السعودية. لكن من المرجح، أيضاً، أن أهل الرس بعد ذلك الحصار قلَّت لديهم المؤن، وباتوا ينتظرون حلاً للموقف. فطلبوا من الإمام عبدالله أن يتقدم لمناجزة العدو، أو يسمح لهم بالصلح معه<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أن الإمام عبدالله بن سعود قد أدرك عدم قدرته على القيام بما طلب منه أهل الرس من مناجزة لقوات إبراهيم، فسمح لهم بأن يتصالحوا معه. ولم يكن شيء أحب إلى قائد القوات الغازية في تلك الظروف من حلٍّ يتيح له التقدم نحو هدفه الأكبر،

(١) استمر حصار إبراهيم للرس من الخامس والعشرين من شعبان إلى الثاني عشر من ذي الحجة سنة ١٢٢٢هـ، وقتل من جيشه - كما يقول ابن بشر (ج ١، ص ٢٥٧) أكثر من ٦٠٠ رجل بينما قتل ممن كانوا في الرس حوالي ٧٠ رجلاً. على أن الرافعي يقول (ص ١٥٧): إن قتلى جيش إبراهيم كانوا ٢٤٠٠ جندي وقتلى الرس ١٦٠ رجل.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٥٧.



وهو الوصول إلى الدرعية. وتوصل في نهاية الأمر مع أهل الرس إلى صلح من بنوده أن يرفع الحصار عن البلدة، وألاً يدخلها جنوده، وأن تخرج الحامية السعودية منها بأسلحتها، وأن يقف أهلها على الحياد حتى يتقرر مصير عنيزة؛ فإن خضعت له انضموا إليه وإلا وقفوا ضده<sup>(١)</sup>.

أما الإمام عبدالله بن سعود فانسحب من عنيزة بعد أن ترك فيها حامية صغيرة من جيشه. وتوجه إلى بريدة حيث أقام يراقب سير الأحداث. وتقدم إبراهيم بقواته إلى عنيزة، فأطاع له أهلها، وبدأ يحارب الحامية السعودية الموجودة فيها. ولما رأى قادة الحامية ضعف موقفهم صالحوه على أن يخرجوا من البلدة بأسلحتهم<sup>(٢)</sup>. ولما علم عبدالله بن سعود بذلك غادر بريدة إلى الدرعية. ولعل مغادرة عبدالله للقصيم قد قضت على ما بقي لدى سكانها من أمل في المقاومة. فدخلت بقية بلدان تلك المنطقة تحت نفوذ إبراهيم دون صعوبة. ثم المرعية.

ونتيجة لما تحقق لإبراهيم باشا من انتصارات في المنطقة ازداد عدد المنضمين إليه من رجال القبائل، وارتفعت معنويات أفراد جيشه. ثم وردت إليه إمدادات جديدة من مصر. فتحرك من

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ الرافي، ص ١٥٧.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٥٨. على أن الرافي يقول (ص ١٥٧): إن إبراهيم أخذ أسلحة الحامية. ويبدو أن ذلك هو الصحيح؛ إذ إن موقفه كان قوياً.

القصيم، وأخذ معه عدداً من زعماء بلدانها ليضمن عدم ثورة تلك البلدان عليه وقطع مواصالاته مع الحجاز. واتجه نحو الوشم حتى وصل إلى قاعدته شقراء. وسلط عليها نيران مدفيعته حوالي أسبوع حتى طلب أهلها منه الأمان. وقد أجابهم إلى ذلك على أن يسلموا إليه ما عندهم من أسلحة، وبيعوا ما لديهم من غذاء إلى جنوده<sup>(١)</sup>.

وباستيلاء إبراهيم باشا على الوشم ازدادت خشية النجديين منه. ثم تابع زحفه نحو الدرعية. وفي طريقه إليها حاصر بلدة ضرماء، التي كانت فيها قوات من جيش الإمام عبدالله لمساعدة أهلها ضد الغزاة. وقد دام حصاره لها أربعة أيام دارت خلالها معارك ضارية قتل فيها عدد كبير من كلا الجانبين<sup>(٢)</sup>. لكن إبراهيم تمكن في نهاية الأمر من احتلالها، فأصبحت الطريق إلى الدرعية مفتوحة أمامه.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٥٩؛ الرافعي، ص ١٥٨. ولزيد من التفصيلات انظر العجلاني، عهد عبدالله بن سعود، ص ٩٢ - ٩٧. وكان أهل شقراء من المتحمسين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصارها، كما كانوا من المحافظين على الواجبات الدينية حتى أصبح تمسكهم بها مضرب المثل. ولذا يقول أحد الشعراء:

حالف ما اسلي ولا انسى حب ساره  
لين اهل شقرا يخلون الصلاة  
وقصده أن يقول بما أن أهل شقراء لا يمكن أن يتركوا الصلاة فإنه لا يمكن أن ينسى حب محبوبته سارة، أو يسلو عنها.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٦١ - ٢٦٢. ويذكر ابن بشر هنا أن من قتل من الجانب السعودي حوالي ٨٥٠ رجلاً. وقد فتك إبراهيم بأهل البلدة بعد أن استولى عليها؛ إذ «أمر بقتلهم جميعاً عقاباً لهم على ما كبدوا الجيش من الخسائر. فقتلوا جميعاً». على حد تعبير الرافعي، ص ١٥٩.

الحملة الأولى: طعمون  
٥ : إبراهيم

تاريخ المملكة العربية السعودية

حرب الدرعية

وفي غرة جمادى الأولى من عام ١٢٣٢هـ وصل إبراهيم بقواته إلى مشارف الدرعية. وكان الإمام عبدالله بن سعود قد بذل كل ما استطاع لتحسينها، ورتب رجاله وأتباعه الترتيب اللازم للدفاع عنها<sup>(١)</sup>. ثم ابتدأت المناوشات بين المهاجمين للعاصمة والمدافعين عنها. وبعد ثلاثة أسابيع من بداية تلك المناوشات تمكّن المهاجمون من احتلال المتاريس والبروج الواقعة شمالها. غير أن ذلك لم يفت في عضود المدافعين. وقد اندلعت النيران في مستودع ذخيرة إبراهيم. لكن السعوديين لم يستغلّوا ذلك بهجوم قوي على قواته<sup>(٢)</sup>. فوصلت إليه إمدادات من المناطق التي استولى عليها من نجد، كما وصلت إليه إمدادات من مصر. وبدأ يعدّ العدة لمواصلة هجومه على الدرعية.

الحصار عام  
٢٢ ١٢٣٥هـ

وقد دام حصار إبراهيم باشا للعاصمة السعودية أكثر من ستة شهور. وأبدى أتباع الإمام عبدالله خلال ذلك الحصار شجاعة فائقة، وتكبّدوا - كما كبّدوا عدوهم - خسائر فادحة. لكن موقف أولئك الأتباع كان يضعف تدريجياً بسبب الحصار في حين كان موقف قوات إبراهيم يزداد قوة بما يصل إليه من إمدادات<sup>(٣)</sup>.

اتفق كثير من العرضيين انه اكثر  
من حجة لغيره

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) الرفاعي، ص ١٥٩ - ١٦٠؛ ابن بشر، ج ١، ص ٢٧١ .

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٢٦٤ - ٢٧٤ .

وهكذا بدأ اليأس يدبُّ في نفوس بعض المدافعين عن الدرعية. فترك جماعة منهم ميدان القتال متسلِّين إلى خارج البلدة. ورغم ما وصل إليه الوضع من سوء فإن الإمام عبدالله لم يشأ أن ينجو بنفسه ويغادر عاصمته. وكما رفض أن يكون بعيداً عنها لدى قبيلة قحطان من قبل أن يحاصرها إبراهيم بقواته فإنه صمَّم أن يبقى فيها خلال الساعات الحرجة من حصارها<sup>(١)</sup>. ولعلَّه رأى في هروبه منها عاراً تهون دونه أيُّ مصيبة. فانتصرت عوامل الشجاعة في نفسه على ما كانت تحتمُّه الجوانب السياسية الذكية والرأي السليم. ولم تقف الحال ببعض أتباعه عند حد الهروب من الدرعية نجاة بأنفسهم من المصير المخيف. بل إن منهم من خرج منها. وقصد إبراهيم باشا. وكان من هؤلاء أحد القادة المشهورين، غصَّاب العتيبي. ومهما كان السبب وراء اتخاذ ذلك الموقف فإن ما قام به كان ضربة قاسية للمدافعين السعوديين وتقوية لعزيمة إبراهيم. وكان من نتائجه تقريبه مدفعيته من أسوار البلدة وتركيز نيرانها عليها<sup>(٢)</sup>.

وفي نهاية الأمر اضطر الإمام عبدالله بن سعود إلى أن يخرج إلى إبراهيم باشا ليفاوضه حول إنهاء الحرب. واتفق الطرفان على

(١) كان قد أشير على الإمام عبدالله بعد انسحابه من القصيم أن يحمل ما له من الدرعية ويذهب إلى قحطان. ويعلِّق على هذا الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بقوله: «فلو شاء القدر لم يظفر به عدوه .. ولو قدر غير ذلك لكان». انظر الدرر السنية، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٧٢، وكان - كما يقول ابن بشر - رئيس الخيالية في الدرعية.

ذلك، كما اتفقا على أن يسلم عبدالله نفسه لإبراهيم ليبعث به إلى أبيه في مصر. وقد طلب الإمام من إبراهيم ألا يضرَّ أحداً من سكان الدرعية، وألا يخربها. فوعده بتلبية ما طلبه منه<sup>(١)</sup>. وكان تسليم الدرعية لعوات إبراهيم باشا استسلام الإمام عبدالله في الثامن من ذي القعدة سنة ١٢٢٣هـ (٩ سبتمبر ١٨١٨م)<sup>(٢)</sup>. وباستسلامه انتهت آخر حلقة من حلقات الدفاع البطولي الذي قام به السعوديون، وانتهت دولتهم الأولى. وقد قُتل في معارك الدرعية كثيرون من الطرفين. ومن بين القتلى السعوديين واحد وعشرون من أفراد الأسرة الحاكمة<sup>(٣)</sup>.

وقد بُعث بعبدالله بن سعود إلى مصر حيث قابل حاكمها محمد علي، الذي أعجب برياسة جأشه وشجاعته المعنوية، ثم أُرسِل من هناك إلى عاصمة الدولة العثمانية. وحُوكِم في تلك العاصمة في ١٢٢٤هـ<sup>(٤)</sup> حتى يصبح محكومة سورية. فقتل في شهر صفر سنة ١٢٢٤هـ<sup>(٤)</sup> عبرة للعالم العربي ونجد



(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٥؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية، ص ٣٤٣.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٧٥؛ عبدالرحيم، الدولة السعودية ص ٣٤٣.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢٧٦.

(٤) العجلاني، عهد عبدالله بن سعود، ص ١٤٠ - ١٤٢. ولزيد من التفصيلات عن حرب الدرعية ومصير الإمام وطريقة التحقيق معه انظر المصدر نفسه، ص ١١٣ - ١٤٨. وفي هذا المصدر، أيضاً، وثائق مهمة تتعلق بتاريخ تلك الفترة. كذلك توجد وثائق مهمة في كتاب الدولة السعودية، لعبدالرحيم.

محمد علي باشا ١٢٢٦

هدفنا إقامة الحجاز من الدولة العوية

اصداوه التوسعية -

تضعب المنطقة مسر  
درا الزيف غالب في رتقولة المنظمة

تضهد في منظمة الحجاز وله تشعب

أسباب سقوط الدولة السعودية -

① عدم التكاتف الحري بين السعوديين والقوات المصرية خاصة السعوديين على النفوس

② التزقة القبلية (القبائل التي انضمت للسعوديين بقدر ما كانت قوة لها كانت ضعفت ايضاً)

③ فكانت القبائل تسير للخروج وبعضهم قدموا معلومات للمصريين وكان هناك بعض القبائل مع المصريين بسبب صلح للتاسعة

التي هي الصلح فكانت المناطق التي فيها النفوذ السعودي يعطونها ليدوم ويعصره وكان هناك ترحيب وايضاً تدعيم بالهدايا.

نتائج سقوطها -  
الكيانات السياسية للدولة السعودية تنقسم انقساماً شاملاً ولكنها تركت مقومات

① ارض جغرافية واحدة قبائل واحدة لقاد الدعوة السلفية الولاد لكل خاصة عندما عانت الحوزة المصرية في المناطق

② ازدياد نفوذ محمد علي باشا فكان نفوذه يتوسع في مناطق عدة

### الدولة السعودية الثانية

③ ازدياد النفوذ الاستعماري على السواحل

حاكم الهند يرسل رسالة

• فترة امتداد نفوذ محمد علي باشا في تحقيقه عالم يحققه يبسط نفوذ  
على الشام .

• ينهز نفوذ محمد علي باشا بالتصالح البريطاني عليه ، فرضا وبريطانيا لهم  
وجود قوي .

• الفوضى التي سببها الناس جعلهم يتطلعون نحو الاستقرار ويريدون الانتعاش  
ويريدون الانتعاش

• الحجاز الثمرة المحرمة على الدولة السودانية الحديثة

• نضال انضمام موجودين في مصر تحت اقامة الجبرية

• الناس يريدون القوات المصرية يعطيها سرعة استجابة المناظرة .

• قوات عسكرية يوجد بها بطش وبالرغم من هذا قامت الدولة الثانية



W/lat

١ - أوضاع البلاد إثر نهاية الدولة السعودية الأولى:  
جود محمد بن باعلا لا يزالون موجودين  
بعد أن استسلم الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا قدمت  
إلى هذا الأخير وفود من بلدان وقبائل نجدية مختلفة معلنة ولاءها  
له. أما الذين خافوا على أنفسهم من بطشه، أو خافوا أن  
تضطرهم الظروف، وهم كارهون، إلى التعاون معه بأي شكل من  
الأشكال، فقد هربوا إلى المناطق النائية في جنوبي نجد، أو في  
الجهات القريبة من عمان التي كانت بعيدة عن متناول يده  
حينذاك<sup>(١)</sup>.

ولقد ارتكب إبراهيم باشا أعمالاً إجرامية في البلاد، فعذب  
عدداً من زعمائها، وقتل آخرين. وكان ممن ذهب ضحية جور  
وجور ضباط جيشه الشيخ سليمان بن عبدالله - حفيد الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب<sup>(٢)</sup> - وأخوه علي، والأمراء محمد بن سدحان  
من شقراء، ومحمد بن عبد المحسن بن علي من حائل، وعبدالله بن  
رشيد من عنيزة، وثلاثة من آل عفيصان<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٨٧ و ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) بلغ جور إبراهيم درجة جعلته يأمر بعزف آلات اللهو أمام الشيخ سليمان قبل  
قتله إمعاناً في إيذائه. ثم أطلقت عليه النيران حتى ذهب جسده قطعاً في

المقبرة. انظر المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٢ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٨ و ٢٩١ .

# سِيَرَةُ اِبْرَاهِيمَ تَجَاهُ بِلْدَانِ رِجَالِهِ

تاريخ المملكة العربية السعودية

ومن الأمور التي قام بها إبراهيم إرسال كل من وقعت عليه يده من آل سعود وآل الشيخ إلى مصر<sup>(١)</sup>. وذلك محاولة منه، فيما يبدو، أن يبعد عن البلاد أولئك الذين ينظر إليهم كثير من النجديين على أنهم رمز لنهضتهم ووحدهم. كذلك قام بهدم مدينة الدرعية التي سبق أن أعطى الإمام عبد الله بن سعود وعداً بالأبى يهدمها<sup>(٢)</sup>. وكان هدمه لها بناء على أوامر من أبيه<sup>(٣)</sup>. وقد أجبر سكان بعض البلدان النجدية، أيضاً، أن يهدموا أسوار بلدانهم<sup>(٤)</sup>. ولعلّه أراد بذلك أن يفقدوا كل أمل في المقاومة مستقبلاً.

وفي أثناء ذلك توجه ماجد بن عريعر، أحد زعماء بني خالد، إلى الأحساء التي كانت تحت حكم أسرته قبل استيلاء السعوديين عليها. وظاهر عبارة ابن بشر أن توجه ماجد إلى تلك المنطقة كان بموافقة إبراهيم باشا وتأييده<sup>(٥)</sup>. وعندما وصل القائد الخالدي إلى هناك هرب من الأحساء أميرها من قبل آل سعود. ولكن لم تمض أيام على استيلاء ماجد على المنطقة المذكورة إلا وقد وصل إليها محمد كاشف مع فرقة عسكرية صغيرة من جيش إبراهيم باشا.

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) عبدالرحيم ، الدولة السعودية، ص ٣٤٣ .

(٣) الرافي، ص ١٩٥ .

(٤) ابن بشر، ج ١، ص ٢٨٥ .

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها .

وصادر هذا القائد التركي جميع ما كان في بيت المال السعودي من أموال، وما كان يوجد في تلك البلاد من خيل وأسلحة لآل سعود. وقام هذا القائد، أيضاً، بأعمال إجرامية منها قتل العالم عبدالرحمن بن نامي وبعض المرشدين المعروفين بحماستهم للدعوة الإصلاحية<sup>(١)</sup>. ويبدو أن زعماء بني خالد، وفي مقدمتهم ماجد بن عريعر وأخوه محمد، خافوا أن ينالهم بطش ذلك القائد التركي، فهربوا إلى الحدود العراقية. ومكثوا هناك حتى انسحب محمد كاشف إلى نجد لاحقاً برئيسه إبراهيم باشا، فعادوا إلى الأحساء وتولّوا حكمها<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن فئات قبلية نجدية لم ترض بالخضوع الكامل لإبراهيم باشا، ولم تستجب لما طلب منها. ولعلّ مما يؤكد ذلك أنه اضطر إلى القيام بغزوها. وكاد يقتل في إحدى غزواته لها<sup>(٣)</sup>. على أنه قد حقق الهدف الأساسي من حملته، وهو القضاء على الدولة السعودية.

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٣ على أن رحمة بن جابر الجهمي اتخذ من الدمام والمنطقة الساحلية القريبة منها مركزاً لنشاطه البحري العسكري. وكان رحمة .. شجاعاً ومتحمساً لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد تحالف آل خليفة وزعماء بني خالد ضده في نهاية الأمر، وتوفي محارباً للطرفين سنة ١٢٤٢هـ. انظر ابن بشر، ج ٢، ص ٣٢ - ٣٤ ومحمد عرابي نخلة، تاريخ الأحساء السياسي (١٨١٨ - ١٩١٣)، ذات السلاسل في الكويت، ١٤٠٠هـ، ص ٤٤ - ٤٨ .

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

واعتقد أنه بإرسال آل سعود وآل الشيخ إلى مصر، وبتخريب الدرعية وتهديم أسوار البلدان النجدية المهمة، وقتل بعض زعماء نجد، قد قضى على أي أمل لسكان المنطقة في إقامة دولة تجمع شتاتهم من جديد. لذلك انسحب بقواته إلى الحجاز. ثم عاد من هناك إلى مصر حيث وصل إلى القاهرة في شهر صفر سنة ١٢٣٥هـ<sup>(١)</sup>.

وبعد انسحاب إبراهيم باشا بقواته من نجد وقع فيها ما كان متوقفاً نتيجة انعدام السلطة القوية؛ إذ دبَّت فيها الفوضى السياسية، وتجددت الضغائن بين زعمائها<sup>(٢)</sup>. وسيطر الخوف على كثير من سكانها لاختلال الأمن. فبات عدد غير قليل منهم يتوقون إلى الخلاص من الحالة التي وصلوا إليها.

## ٢ - المحاولات الأولى لتكوين دولة نجدية جديدة:

كان محمد بن مشاري بن معمر - وخاله عبدالعزيز بن محمد ابن سعود<sup>(٣)</sup> - ممن ترك الدرعية عند استيلاء إبراهيم باشا

(١) الجبرتي، ج ٣، ص ٦٠٦ .

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ . ويرجع مؤلف هذا الكتاب ذلك إلى محاولات الزعماء، الذين عزلهم آل سعود عن الزعامة لعدم خضوعهم لهم، أن يستعيدوا نفوذهم في بلدانهم.

(٣) انظر ما ذكره عبدالرحمن آل الشيخ في تعليقه على ابن بشر، ج ١، ص ٢٩٤ هامش ١ .

عليها. وقد استقر في بلدة العُيَينة التي كانت إمارتها لأسرته. وبعد أن انسحب إبراهيم بقواته من نجد راودته فكرة إقامة دولة في هذه المنطقة. ولعلَّ مما شجعه على ذلك أن إبراهيم قد أبعده من وجده من آل سعود إلى مصر، وأنه سليل أقوى أسرة نجدية قبل قيام الدولة السعودية الأولى، وأنه يمتُّ بصلة الرحم لأل سعود كما ذُكر سابقاً. ثم إنه كان يمتلك كثيراً من الأموال والأسلحة<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن ابن معمر قد أدرك المكانة التي تحتلها مدينة الدرعية في نفوس كثير من النجديين؛ إذ كانت رمزاً لقوة منطقتهم ووحدتها. فرأى أن تكون هذه المدينة قاعدة الدولة التي عزم على إقامتها، وكأنه يوحي بذلك إلى النجديين أنه يعمل لإعادة مجد دولة نجد لا مجد أسرته الخاص. وقدم إلى الدرعية أواخر سنة ٢٣٤هـ، فأخذ يعيد بناءها. ودعا قادة المنطقة إلى مبايعته. وكان زعماء بلدة منفوحة أول من انضم إليه<sup>(٢)</sup>. لكن بعض القادة النجديين رأوا في حركته مصدر خطر عليهم، فاتصلوا بزعماء بني خالد، وحثُّوهم على التوجه إلى نجد للقضاء على تلك الحركة في مهدها.

ولقيت اتصالات المعارضين لابن معمر بزعماء بني خالد نجاحاً كبيراً. وتوجه ماجد بن عريعر باتباعه إلى نجد حتى وصل إلى

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

العارض حيث انضم إليه أهل الخرج والرياض وحريملاء. وأمام هذا الخطر تصرف ابن معمر بذكاء؛ إذ أرسل إلى ماجد بعض الهدايا، وأخبره أنه تابع للسلطان العثماني. وبهذا الأسلوب عاد الزعيم الخالدي إلى بلاده، وتخلص ابن معمر من الخطر الذي أحرق به<sup>(١)</sup>.

وازدادت شعبية ابن معمر شيئاً فشيئاً لدى النجديين. وعاد إلى الدرعية كثير ممن تركوها قبيل استسلامها لإبراهيم باشا، أو عند تخريبه لها. ومن بين هؤلاء تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وأخوه زيد، اللذان أخذوا يساعدان ابن معمر في نشاطه<sup>(٢)</sup>. وبدت بوادر النجاح تلوح في الأفق أمام رئيس الدولة الناشئة؛ إذ استطاع أن يدخل حريملاء تحت طاعته. ثم دانت له بعض البلدان النجدية الأخرى بالولاء<sup>(٣)</sup>.

على أن نجاح ابن معمر لم يستمر. فقد جابهته مشكلة لم يتوقعها. ذلك أن مشاري بن سعود - أخا الإمام عبد الله - كان قد هرب من حراسه وهو في طريقه من المدينة المنورة إلى ينبع مع آل سعود الذين أرسلوا إلى مصر. ثم وصل إلى الوشم حيث انضم

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

إليه بعض الأعوان من مناطق نجدية مختلفة. فاتجه إلى الدرعية ودخلها بمن معه. ولم يجد ابن معمر أمامه حلاً إلا أن يتنازل له عن الحكم وإن كان يضمّر في نفسه ضده ما يضمّره<sup>(١)</sup>.

وما إن بويع مشاري بن سعود بالحكم في الدرعية حتى قدم إليه عدد من أفراد الأسرة السعودية الذين هربوا من تلك المدينة وقت استسلامها لإبراهيم باشا. ومن بين هؤلاء عمه عمر بن عبدالعزيز. ثم قدمت إليه وفود من سدير والوشم والمحمل معلنة ولاءها. وقد وقف معه تركي بن عبدالله آل سعود، وأيده غاية التأييد<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن انضمت إلى مشاري بن سعود كثير من بلدان الأقاليم المذكورة سابقاً أراد أن يوسع دائرة نفوذه. فجمع أتباعه من العارض وتلك الأقاليم واتجه إلى الخرج. وحالفه التوفيق، فلم يعد من هناك إلا وقد دانت له بلدان ذلك الإقليم بالولاء. لكن النجاح الذي حققه مشاري بن سعود قدّر له أن يصاب بانتكاسه شديدة. ذلك أن ابن معمر، الذي كانت الرغبة في الحكم مسيطرة على مشاعره، احتال

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٦.

(٢) قدوم الوفود المذكورة لمبايعة مشاري بن سعود تبين أن كثيراً من النجديين كانوا يكونون مودة للأسرة السعودية التي تمّ توحيد المنطقة سابقاً على يديها. وتعاون تركي بن عبدالله معه ومع ابن معمر قبل ذلك يوحي بأن تركي بن عبدالله كان حريصاً على أن يرى دولة تجمع شتات المنطقة وإن لم يكن رئيسها.

عليه وخرج من الدرعية إلى سدوس؛ مدّعياً أنه سيزور بعض أقاربه في تلك البلدة. وحين وصل إليها أظهر أنه مريض. لكنه كان، في حقيقة الأمر، يجمع الأنصار ليعود إلى الحكم. وقد نجح في كسب فيصل الدويش، زعيم قبيلة مطير، إلى جانبه<sup>(١)</sup>. فأرسل ذلك الزعيم بعض أتباعه إليه. ثم سار ابن معمر بمن اجتمع لديه من الأعوان إلى الدرعية، فدخلها وألقى القبض على مشاري بن سعود، وأرسله إلى سدوس. وبعد ذلك توجه إلى الرياض، واستولى عليها. وكان تركي بن عبدالله في هذه البلدة فغادرها عند اقتراب محمد بن معمر وأتباعه منها<sup>(٢)</sup>.

### الجملة الأولى صدرتها رُسُها

وفي هذه الأثناء كان محمد علي، حاكم مصر، على علم بالتطورات الجديدة في منطقة نجد. وقد ساءه أن تُبدل محاولات لتوحيدها. فبعث فرقة من الجيش إلى عنيزة بقيادة آبوش آغا. ولم يغب عن ذهن ابن معمر، الذي سبق أن أخبر زعيم بني خالد بأنه تابع للسلطان العثماني، أن يبعث رسالة إلى القائد آبوش يخبره فيها أن الأعمال التي يقوم بها في صالح محمد علي والدولة العثمانية. فأقره آبوش على أعماله، وأيد إمارته على المنطقة<sup>(٣)</sup>.

(١) لم يكن غريباً أن يقف الدويش مع ابن معمر الذي يظهر تبعيته للدولة العثمانية. ذلك أن زعيم مطير كان من المتعاونين مع إبراهيم باشا التابع حينذاك لتلك الدولة.

(٢) وجود تركي في الرياض وطريقة إيراد ابن بشر لهذا الخبر توحيان بأنه كان والياً عليها من قبل مشاري بن سعود. ابن بشر، ج ١، ص ٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٧. قارن ذلك بالفاخري، ١٥٤.



### ٣. تركي بن عبدالله وقيام الدولة السعودية الثانية:

لم يقف تركي بن عبدالله آل سعود مكتوف اليدين إزاء ما قام به محمد بن معمر من غدر بمشاري بن سعود. لقد وقف تركي مع ابن معمر حين بدأ جهوده لتكوين دولة جديدة في المنطقة. وعندما تنازل عن الحكم لمشاري بن سعود أصبح تركي ينظر إلى هذا الأخير على أنه الحاكم الشرعي، فوقف معه وأيده. ولما غدر ابن معمر بهذا الحاكم الشرعي صمم تركي على أن يعيد الحق إلى نصابه. فانطلق من بلدة الحائر، التي كان قد ذهب إليها بعد مغادرته للرياض، واتجه إلى بلدة ضرما. وهناك انضم إليه مؤيدوه، فسار بهم حتى فاجأ محمد بن معمر في الدرعية وقبض عليه. ثم توجه إلى الرياض فاستولى عليها، وقبض على أميرها مشاري بن محمد بن معمر. وفي محاولة لإنقاذ مشاري بن سعود هدد ابن معمر وابنه بأنه لن يطلق سراحهما حتى يسلم إليه الأمير السعودي المعتقل. لكن أنصار ابن معمر في سدوس خافوا من غضب القائد التركي أبوش آغا فسلموه أتباعه، وأخذ إلى عنيزة حيث وافته المنية في سجنه هناك. فلما علم تركي بن عبدالله بذلك نفذ ما هدد به تجاه محمد بن معمر وابنه مشاري<sup>(١)</sup>.

أحز منه  
العلم

(١) انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج٢، ص ٢٩٧ - ٢٩٨. وقد ذكر ابن بشر خطأ هذه الحوادث وهو يتكلم عما حدث سنة ١٢٣٤هـ. والصحيح أن قضاء تركي =

ولم يشأ تركي بن عبدالله أن يتخذ من الدرعية مركزاً لنشاطه، وإنما فضلَّ الرياض عليها. وربما كان من أسباب تفضيله لهذه المدينة أنها كانت قوية التحصين، كثيرة المزارع، وأنه - بصفته من الأسرة السعودية ذاتها - لم توجد لديه حساسية أين يضع مركز نشاطه؛ إذ إن مجده امتداد لمجد الأسرة السعودية السابق.

على أن الأمور ما إن استقرت لتركی بن عبدالله في الرياض حتى حاصره فيصل الدويش بأتباعه ومعه عدد من رجال الفرقة العسكرية الموجودة في عنيزة. لكنه صمد أمام المحاصرين له، فانسحبوا إلى الوشم. ولم يكن نجاح تركي بن عبدالله الأولي إلا حافظاً لمحمد علي، حاكم مصر، ليرسل تعزيزات أخرى للقضاء على الحركة السعودية الجديدة. فأرسل قوة بقيادة حسين بك إلى نجد. وحين وصلت إلى القصيم انضم إليها أبوش آغا ببعض من معه. وسار الجميع بقيادة حسين بك حتى وصلوا إلى الوشم. ومن هناك بعث القائد المذكور أبوش آغا مع عدد من أفراد جيشه ومن انضم إليه من أهل نجد إلى الرياض. ودخل أبوش ومن معه هذه المدينة، فحاصر تركي بن عبدالله وأنصاره في قصر إمارتها. وحينما اشتد

= على ابن معمر وابنه كان سنة ١٢٣٦هـ. فقد ذكر المؤلف نفسه (ج ١، ص ٢٩٦) أن قدوم مشاري بن سعود إلى نجد في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥هـ. ولا يمكن أن يكون تحرك تركي في ربيع الأول سنة ١٢٣٥هـ، وذلك أمر حدث بعد مدة من مجيء مشاري. وانظر، أيضاً، الفاخري، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

## يفادر الأمير الرياض والعامية لسمتمت

الحصار على هؤلاء تسلل تركي من القصر ليلاً إلى خارج المدينة، واتجه إلى الجهات الجنوبية من نجد. أما من كانوا معه فطلبوا الأمان من قائدة الفرقة المحاصرة لهم، واستسلموا له بعد أن وعدهم بتلبية ما طلبوه منه. لكنه غدر بهم، وقتل أكثرهم<sup>(١)</sup>.

ولقد أقدم حسين بك على ارتكاب جرائم شنيعة. ومن أعظم تلك الجرائم أنه طلب من أهل الدرعية أن ينفذوا إليه في ثرمداء ليعطي كل واحد منهم إذناً بأن ينزل أي بلد شاء. وحينما وفد إليه حوالي مئتين وثلاثين رجلاً منهم قتلهم أجمعين. ثم فرّق ضباطه في بعض البلدان النجدية، فقاموا بأعمال إجرامية في مقدمتها القتل والتعذيب ومصادرة الأموال<sup>(٢)</sup>. وبعد أن اعتقد بأن أعماله الإجرامية قد بثت الرعب من قوة حاكم مصر في نفوس النجديين انسحب بقواته من نجد؛ تاركاً حاميات صغيرة في كل من الرياض، ومنفوحة، وثرمداء، وعنيزة، لتذكّر السكان بأن محمد علي بالمرصاد لأي حركة توحيدية جديدة.

وبعد انسحاب حسين بك بقواته من نجد تجددت الاضطرابات بين الزعمات المحليّة بشكل عنيف. ثم قدمت إلى المنطقة حملة

الكافة

(١) انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج ١، ص ٣٠٠ والفاخري، ص ١٥٥. ومما يلفت النظر أن الذين لم يقتلهم قائد الفرقة هم من آل سعود. وقد بعث بهم إلى مصر.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

عسكرية أخرى قائدها حسين أبو ظاهر. ولم تكن سيرة هذا القائد تختلف كثيراً عن سيرة سلفه من حيث الظلم والجور والغدر<sup>(١)</sup>. لكن شعور السكان إزاء إجراءاته بدأ يتحوّل إلى ثورة ومقاومة. ومن بوادر ذلك أن قبيلة سبيع كبّدت الغزاة خسارة فادحة أواخر سنة ٢٢٧هـ؛ إذ قتلت منهم قرب الحائر أكثر من ثلاث مئة رجل<sup>(٢)</sup>. وقام أهل عنيزة على أبي ظاهر ومن معه وأرغموهم على الخروج من بلدتهم. ثم قدم إليه العسكر الموجودون في ثرمداء، وانسحبوا معه إلى المدينة المنورة؛ تاركين في قصر الصفا، الواقع خارج أسوار عنيزة حينذاك، نحو ست مئة جندي. ثم تصالح الطرفان على أن يترك بقية الجنود المذكورين المنطقة بأسلحتهم، وذلك في شهر رجب سنة ٢٢٨هـ<sup>(٣)</sup>. وبذلك لم يبقَ في نجد من جيش الغزاة إلا الذين كانوا في منفوحة والرياض.

وفي شهر رمضان من سنة ٢٢٨هـ استأنف تركي بن عبد الله نشاطه لإخراج بقية القوات الغازية من نجد وتوحيد المنطقة. فترك

بلدة الحلوة الواقعة جنوبي نجد، ووصل في نهاية الأمر مع عدد من سبيع الأبرج حلالاً القوافل المصرية من منطقة نجد

(١) انظر عن ذلك المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٧ وابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٥١.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧. ويذكر ابن عيسى (تاريخ بعض الحوادث، ص ١٥٢) أن أهل عنيزة هدموا قصر الصفا بعد رحيل العسكر عنه. ومن الواضح أن الهدف من هدمه هو ألاّ يستعمل قاعدة ضدهم مرة أخرى.

قليل من أنصاره إلى بلدة عرقة القريبة من الرياض<sup>(١)</sup>. وهناك وفد إليه مؤيدوه من الوشم وسدير. فبدأ بمحاربة الحاميتين الموجودتين في كل من الرياض ومنفوحة. وظل محارباً لهما أكثر من سنة. لكنه لم يقصر نشاطه على محاربة الحاميتين المذكورتين؛ بل كان يتحرك لإدخال بلدان نجدية أخرى تحت نفوذه مما يشير إلى أنه كان يرى مسألة انتصاره عليهما مسألة وقت فقط. وقد نجح في مسعاه نجاحاً عظيماً؛ إذ انضمت إليه، وهو لا يزال في عرقة، أكثر بلدان الوشم وسدير<sup>(٢)</sup>.

استولى الأُمير عام...؟

وفي أواخر عام ١٢٣٩هـ تقدم تركي بن عبدالله بأعوانه إلى منفوحة، وأجبر من كان فيها من الجنود على مغادرتها، واستولى عليها. ثم شدد حصاره على العسكر الموجودين في الرياض حتى طلب قائدهم، أبو علي المغربي، منه الصلح. فوافقه تركي على ذلك. وتم الصلح بينهما على أن يغادر المغربي نجداً بقواته وأسلحته، وأن يؤمن من تعاون معه من أهل الرياض<sup>(٣)</sup>.

(١) يذكر الفاخري (ص ١٦٠) أن تركي بن عبدالله استولى على ضрма قبل أن يتجه إلى عرقة. وقد ذكر ذلك ضمن حوادث سنة ١٢٢٧هـ. ومن الواضح أن هذا خطأ. لكن ابن بشر (ج ٢، ص ١٦ و ١٨) يذكر أنه اتجه من الحلوة إلى عرقة في التاريخ المذكور أعلاه. وبعد أن استقر فيها ذهب إلى ضрма واستولى عليها، وذلك سنة ١٢٢٩هـ.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣.

ولم يشأ تركي بن عبدالله، لُبُعد نظره، أن يدخل الرياض قبل أن يتأكد بنفسه من تنفيذ المغربي ما اشترط عليه من انسحاب عن المنطقة. ولذلك أمر مشاري بن ناصر آل سعود أن يدخل البلدة المذكورة ويضبط الأمور فيها. أما هو فتوجه بأعوانه إلى الوشم حيث استقام في شقراء شهراً مرَّ به خلاله أبو علي المغربي ومن معه متجهين إلى الحجاز<sup>(١)</sup>. وقد وفد إليه هناك أمير بلدة عنيزة، يحيى بن سُليم<sup>(٢)</sup>، وبايعه على السمع والطاعة؛ وذلك عام ١٢٤٠هـ<sup>(٣)</sup>. وكان استيلاء تركي بن عبدالله على الرياض في مستهل ذلك العام. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الرياض مقراً للحكم السعودي. وكان جلاء القوات الغازية عن نجد إيذاناً بقيام الدولة السعودية الثانية.

#### ٤ - توحيد نجد:

سبق أن أُشير إلى تطلُّع كثير من النجديين إلى وجود سلطة تحقق لهم الأمن والوحدة، كما سبق أن أُشير إلى ازدياد كره غالبية سكان نجد للغزاة. وبخاصة بعد أن قام هؤلاء بما قاموا به من غدر وظلم. وقد اتضح هذا وذاك في ضوء ما قام من حركات مقاومة

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) سُليم هو سليمان آل زامل. لكن سليمان عُرِف بِسُليم.

(٣) ابن بشر، ج ٢، ص ٢٤.

في أمكنة متعددة، وما أقدم عليه بعض الأمراء من انضمام إلى تركي بن عبد الله قبل أن يستكمل خطواته في إجلاء بقية رجال الحاميات العسكرية التابعة لحاكم مصر من البلاد ويستقر في الرياض، عاصمة دولته الجديدة.

ولم يمر عامان على جلاء القوات الغازية عن نجد واستقرار تركي بن عبد الله في الرياض إلا وقد بايعته البلدان النجدية كلها. ومن الواضح أن تلك البلدان - باستثناء بعض بلدان الخرج - قد انضمت إلى دولته دون حرب<sup>(١)</sup>. ولعلّ هذا يدل على أمرين مهمين؛ أحدهما ما سبق أن ذكر من تطّلع كثير من النجديين إلى زعامة تجمع شتاتهم وتحقق لهم الأمن، وهما مسألتان شعروا بفائدتهما زمن الدولة السعودية الأولى. وثانيهما تحلّي الإمام تركي بن عبد الله بصفات قيادية عظيمة أثّرت في نفوس كثير منهم؛ زعامات وأتباعاً.

ولقد شهد عام ١٢٤١هـ وصول الشيخ عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من مصر إلى الرياض<sup>(٢)</sup>. فحلّ محلّ جدّه محمد في إدارة الشؤون الدينية في الدولة وإبداء المشورة في تسيير أمورها العامة. وبعد ذلك بعامين استطاع فيصل

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧ .

ابن تركي أن يغادر القاهرة ويعود إلى نجد. وكان قد أُخِذَ مع مَنْ أُخِذَ من آل سعود إلى مصر بعد استسلام الدرعية لإبراهيم باشا<sup>(١)</sup>. وقد أصبح الساعد الأيمن لأبيه تركي في توطيد دعائم الدولة وتوسيع نفوذها.

### ٥ - توحيد المنطقة الشرقية مع نجد:

سبق أن ذُكِرَ بأن زعماء بني خالد استطاعوا أن يستعيدوا حكم المنطقة الشرقية بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى وانسحاب قائد الفرقة العسكرية التابعة لإبراهيم باشا منها. وكان أولئك الزعماء ينظرون إلى أيّ دولة توحيدية تقوم في نجد نظرة غير وديّة. ومن أدلّة ذلك ما سبق ذكره عن تحركهم ضد محمد بن معمر حينما حاول إقامة دولة في هذه المنطقة.

وكانت أول مناوشة بين دولة الإمام تركي بن عبد الله وزعماء بني خالد سنة ١٢٤٢هـ<sup>(٢)</sup>. لكن سنة ١٢٤٥هـ كانت السنة الحاسمة في العلاقة بين الطرفين. ذلك أن أولها شهد غزو عمر بن عفيّسان، بأمر الإمام تركي، للأحساء. ثم تلا ذلك غزو أحد زعماء بني خالد لبلدة حرّمة النجدية<sup>(٣)</sup>. وبعد هذين الغزوين سار محمد بن عريعر وأخوه ماجد بأتباعهما من قبيلتهما ومن انضم إليهما من القبائل الأخرى

(١) يذكر ابن بشر (ج٢، ص٤١) أن مجيئه كان هروباً، وكان فيصل بن تركي ممن

ثبت في حرب الدرعية. انظر المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢.

(٣) الفاخري، ص١٤٧ - ١٤٨؛ ابن بشر، ج٢، ص٤٥.



إلى نجد<sup>(١)</sup>. فأمر الإمام تركي ابنه فيصلاً بأن يقود أتباعه من الحاضرة والبادية لصد الزعيمين الخالدين ومن معهما<sup>(٢)</sup>. وقد دارت بين الطرفين اشتباكات عنيفة استمرت أياماً، وقُتل خلالها ماجد بن عريعر. ثم لحق الإمام تركي بابنه فيصل وأتباعه. وحينما وصل إلى ميدان المعركة دبَّ الفشل في صفوف محمد بن عريعر ومن معه، فولّوا مدبرين. وغنم الجيش السعودي الشيء الكثير مما كان في حوزتهم من الإبل والغنم والأمتعة والأموال. وقد عُرفت المعركة بمعركة السَّبِيَّة<sup>(٣)</sup>. ثم كتب الإمام تركي إلى كبار الأحساء يدعوهم إلى مبايعته. فأجابوه إلى ذلك. واتجه إلى هناك. فلما اقترب من الأحساء هرب منها كثير من بني خالد، ودخلها الإمام وابنه دون قتال، أما محمد بن عريعر، الذي كان قد وصل إلى تلك البلاد بعد هزيمته في معركة السَّبِيَّة، فقد تحصَّن في قصر الكوت. ثم استسلم للإمام تركي بن عبد الله، فعامله باللطف والتقدير<sup>(٤)</sup>. وهكذا خرجت الأحساء من حكم بني خالد، وأصبحت جزءاً من الدولة السعودية مرة ثانية.

- (١) كان من بين من انضموا إلى بني خالد فئات من سبيع ومطير وعنزة وبني حسين.  
 (٢) كان الحاضرة من العارض الجنوب والوشم وسدير والقصيم وجبل شمر ووادي الدواسر. وكان البادية فئات من سبيع والسهول وقحطان وآل شامر والعجمان.  
 (٣) علل ابن بشر (ج ٢، ص ٤٧)، تسمية المعركة بهذا الاسم لم غنم فيها، لكن الشيخ حمد الجاسر أوضح (المنطقة الشرقية، ج ٢، ص ٨٣٣): أنها سُميت بذلك لأنها وقعت في مكان اسمه السَّبِيَّة. وهو الأصح.  
 (٤) انظر عن ذلك وعمّا حدث في أثناء تلك المعركة وما أعقبها ابن بشر، ج ٢، ص ٤٧ - ٤٩.

وقد مكث الإمام تركي بن عبدالله في الأحساء أكثر من أربعين يوماً وفد إليه خلالها زعماء القطيف، وبايعوه على السمع والطاعة، كما وفد إليه زعماء رأس الخيمة وجددوا ولاءهم له<sup>(١)</sup>. وبعد أن رتب أمور المنطقة الشرقية وعين عمر بن عفيصان أميراً عليها، وعبدالله الوهبي قاضياً لها، عاد إلى عاصمة دولته<sup>(٢)</sup>.

## ٦. الإمام تركي والبادية:

كان هناك فرق بين موقف حاضرة نجد وموقف باديتها من الإمام تركي بن عبدالله. فالحاضرة - إلا من ندر منها - التفت حوله وانضوت تحت لوائه طائفة مختارة. ولم ينته عام ١٢٤٢هـ إلا وقد بايعته وأعلنت الولاء له<sup>(٣)</sup>. أما البادية فإن أكثرها لم يدعن له

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠، وكان زعماء رأس الخيمة قد بايعوه قبل ذلك. انظر صفحة ٢٤٤ من هذا الجزء من الكتاب.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. انظر عن عمر بن عفيصان صفحة ٢٤٨ من هذا الجزء من الكتاب.

أما الشيخ الوهبي فتلقى العلم في الدرعية حتى أصبح مؤهلاً للقضاء. وعينه الإمام عبدالله بن سعود قاضياً فيها. ثم هرب عند سقوطها إلى رأس الخيمة، فلما استولى الإمام تركي على نجد عاد إليها. وظل قاضياً في الأحساء حتى وفاته سنة ١٢٦٣هـ. انظر الشيخ البسام، ج٢، ص٢٥٢ - ٥٢٧.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٢٧ و٤١.

إلا بعد أن أدرك قوته العسكرية<sup>(١)</sup>. بل إن بعضاً ممن أذعنوا له منها غيروا موقفهم بعد ذلك لأسباب مختلفة<sup>(٢)</sup>. ولذلك لم تنقطع غزواته لعدد من القبائل عدة سنوات<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن وضع حاضرة المنطقة الشرقية من البلاد وباديتها مختلفاً عن وضع حاضرة نجد وباديتها بصفة عامة. على أن بعض القبائل من المنطقتين كان موقفها المعادي أو غير الودي من الإمام تركي بن عبدالله أكثر وضوحاً من البعض الآخر. بل إن قسماً من قبيلة واحدة كان مختلفاً، أحياناً، عن قسم ثانٍ منها في موقفه تجاه ذلك الإمام. ومما يراه الباحث أن القبائل كانت تتحارب فيما بينها رغم تبعيتها لجهة واحدة هي دولة الإمام المذكورة<sup>(٤)</sup>.

## ٧ - الإمام تركي وجهات عمان:

ظلت بعض المناطق التي دخلت تحت نفوذ الدولة السعودية الأولى في جهات عمان؛ مثل رأس الخيمة، على ولائها لآل سعود

(١) من ذلك أن رؤساء سبيع، والسهول، والعجمان، ومطير، وقحطان، وفدوا على الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٤٣هـ، وذلك بعد أن رأوا دخول حاضرة نجد كلها تحت نفوذه، ورأوا هزيمته لفريق من قبيلة مطير قبل عام من التاريخ المذكور. انظر المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢.

(٢) من ذلك أن فئات من قبيلة سبيع وفئات من مطير انضمت إلى زعماء بني خالد في زحفهم على نجد سنة ١٢٤٥هـ. المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧. وكانت سبيع ومطير ممن بايع الإمام قبل ذلك بسنتين، كما سبق أن ذكر.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠، ٥٢، و٥٥.

(٤) وقد اتضح ذلك من مناخ المربع، سنة ١٢٤٩هـ، الذي انقسمت فيه القبائل على نفسها انقساماً غريباً. انظر تفصيله لدى ابن بشر، ج٢، ص٥٩ - ٦١.

والمبادئ التي قامت عليها تلك الدولة. وقد لجأ إليها عدد ممن هربوا من الدرعية حين استسلم الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا<sup>(١)</sup>. وفي عام ١٢٤٤هـ وقد إلى الإمام تركي بن عبدالله جماعة من أهل تلك الجهات، وطلبوا منه أن يرسل إليهم قاضياً وسريّة تقف معهم ضد خصومهم. فأرسل إليهم سريّة بقيادة عمر بن عُفَيْصان ومعه الشيخ محمد العوسجي<sup>(٢)</sup>. وأصبحت البريمي مركزاً للقوة السعودية في الجهات المشار إليها.

على أن عمر بن عُفَيْصان لم يمكث طويلاً في جهات عُمان؛ إذ عاد إلى نجد، ثم صحب الإمام تركي بن عبدالله في غزوه للأحساء حيث عُيّن أميراً عليها كما سبق أن ذكر. وفي سنة ١٢٤٨هـ أرسله الإمام تركي على رأس حملة قوية إلى عُمان، واضطر السلطان سعيد، صاحب مسقط، إلى إظهار المودّة لذلك الإمام وإلى دفع مبلغ مالي إليه سنوياً<sup>(٣)</sup>. وهكذا وصل نفوذه في جهات عمان إلى المستوى الذي وصل إليه نفوذ قادة الدولة السعودية الأولى، أو كاد يصل إليه.

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢ .

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٥؛ بيلي وايندر وترجمة عنوان كتابه: العربية السعودية في القرن التاسع عشر، نيويورك، ١٩٦٥م، ص ٨٠ - ٨١ اعتماداً على بادجر في تاريخه لأحداث عمان من سنة ١٨٢٢ إلى سنة ١٨٢٤م.

## ٨. الإمام تركي وآل خليفة:

كان لدخول المنطقة الشرقية تحت حكم الإمام تركي بن عبدالله أثره المباشر في علاقته مع آل خليفة الذين كانوا يحكمون البحرين وجزءاً كبيراً من قطر حينذاك. وقد دخل الإمام مع عبدالله بن خليفة في مفاوضات أدت إلى اعتراف عبدالله بتبعيته للإمام المذكور، وقبوله دفع الزكاة إليه، على أن يساعده الإمام ضد أي عدوان يُوجه إلى البحرين<sup>(١)</sup>. لكن ذلك الاتفاق لم يستمر حتى نهاية عهد الإمام تركي. ففي أواخر عهده حدث خلاف بين العمائر وأمير القطيف<sup>(٢)</sup>. وذهب فيصل بن تركي إلى هناك لمعالجة تلك المشكلة. فلما أغار على العمائر لجأ من انهزم منهم إلى قصر الدمام، الذي كان فيه أبناء آل خليفة. فهاجمهم فيصل هناك، ثم رحل إلى سيهات، التي كان رئيسها متفقاً مع ابن خليفة على محاربة آل سعود. وقد حقق فيصل كثيراً من النجاح في المنطقة. لكن أخبار اغتيال أبيه في الرياض جعلته ينسحب بسرعة من المنطقة المذكورة إلى العاصمة<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ٧٨ .

(٢) العمائر: فرع من بني خالد .

(٣) ابن بشر، ج ٢، ص ٦١ .

## ٩. الإمام تركي والعثمانيون:

من الواضح أن العثمانيين كانوا يكرهون أن تقوم دولة جديدة لآل سعود بعد أن رأوا ما رأوه من الدولة السعودية الأولى. ولذا فإن حاكم مصر، الذي كان تابعاً للدولة العثمانية، بذل جهوداً مكثفة للقضاء على حركة الإمام تركي بن عبد الله في مهدها. لكن ذلك الإمام نجح أمام العقبات التي واجهته. ومع نجاحه العسكري في إرغام بقية رجال محمد علي على مغادرة نجد فإنه حاول أن يتقرب من الدولة العثمانية وينال اعترافها به، وذلك بمراسلة كل من والي مصر ووالي العراق والتودّد إليهما؛ معلناً استعدادهما لموالتهما<sup>(١)</sup>. وقد نجح في إقامة علاقة لا بأس بها مع باشا بغداد، لكن حاكم مصر لم يعترف به؛ بل كان ينظر إلى المناطق التي استولى عليها على أنها تابعة له. ولم يمنعه من التدخل ضده عسكرياً إلا انشغاله بحروبه خارج الجزيرة العربية، وبمحاولته القضاء على ثورة عسيران. وظل الإمام تركي يتصرّف في دولته تصرّف الحاكم القويّ المستقل. لكنه لم يحاول أن يتحدّى الدولة العثمانية أو حكومة محمد علي بالتعرض للمناطق الحساسة كالحجاز.

علامة - السعودية بالدولة العثمانية

(١) عبدالرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٢٥٠ -

## ١٠ - نهاية عهد الإمام تركي:

كان مشاري بن عبدالرحمن آل سعود<sup>(١)</sup> - ابن أخت الإمام تركي - مع من أخذ من أفراد الأسرة السعودية إلى مصر بعد استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية. وكان خاله يقدره غاية التقدير، ويراسله في منفاه<sup>(٢)</sup>. وقد حثه على القدوم إليه في نجد. فكان أن هرب مشاري من مصر، وقدم إلى الرياض سنة ١٢٤١هـ<sup>(٣)</sup>. فأكرمه الإمام تركي، وولاه إمارة منفوحة. لكنه عزله عن إمارة هذه البلدة، سنة ١٢٤٥هـ، إثر وشاية دارت حوله بأنه يتآمر مع آخرين للإطاحة بخاله عن الحكم. وبينما كان الإمام تركي غازياً بعد ذلك بعام خرج

(١) أورد ابن بشر نسبه في موضع من كتابه (ج ٢ - ص ٢٢) على أنه مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن. لكنه أورده في موضع آخر (ج ٢، ص ٢٧ و ٦٢) بحذف اسم حسن من النسب، وقد أورده آل الشيخ في تعليقه على ابن بشر (ج ٢، ص ٦٣ هـ ١) بإثبات اسم حسن. على أن عبارة بن بشر (ج ٢، ص ١٤) - عند حديثه عن ذرية مشاري بن سعود بن محمد ابن مقرن - توحى بأن عبدالرحمن، أبا مشاري، ابن لمشاري بن سعود.

(٢) من بين رسائل تركي إليه قصيدته المشهورة التي مطلعها:

طار الكرى من موق عيني وفرأ  
وفزيت من نومي طرى لي طواري

ومنها:

سريا قلم واكتب على ما تورأ  
أزكى سلام لابن عمي مشاري

(٣) ذكر ابن بشر (ج ٢، ص ٢٧) قدوم مشاري ضمن حوادث سنة ١٢٤١هـ. لكنه حين تكلم عن اغتيال الإمام تركي قال (ج ٢، ص ٦٢) عن مشاري: إنه قدم من مصر سنة ١٢٤٢هـ. ويبدو أن التاريخ الأول أصح. ذلك أن مشاري بن عبدالرحمن كان قائد إحدى الفزوات سنة ١٢٤٢هـ. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٩. وهذا يرجح أنه كان في نجد قبل تلك السنة.

مشاري من الرياض ثائراً ضده. وقد حاول أن يجد له مؤيدين في نجد، لكنه فشل فشلاً ذريعاً لما كان يتمتع به الإمام من تقدير وإعجاب بين السكان. ولذلك توجه إلى الحجاز محاولاً أن ينال تأييد الشريف محمد بن عون. لكن الشريف قبله لاجئاً عنده، وامتنع عن مساعدته عسكرياً.

وبقي مشاري بن عبدالرحمن في الحجاز حتى مستهل عام ١٢٤٨هـ. ثم توجه إلى نجد، فوصل إلى بلدة المذنب في القصيم، وطلب من أهل تلك البلدة أن يشفعوا له عند خاله. فركبوا معه إلى الرياض. وقد رهم الإمام، فعفا عنه، وأنزله في بيت من البيوت الخاصة بأسرته<sup>(١)</sup>.

على أن طموح مشاري بن عبدالرحمن إلى الحكم ظل مسيطراً على مشاعره. وحينما كان فيصل بن تركي على رأس القوات السعودية في شرقي الجزيرة العربية للقضاء على التمرد الذي قام به العمائر استغل مشاري بن عبدالرحمن هذه الفرصة فدبر مؤامرة أدت إلى اغتيال خاله الإمام تركي بن عبدالله، واستيلائه على مقاليد الأمور في الرياض. وكان ذلك في آخر يوم من سنة ١٢٤٩هـ<sup>(٢)</sup>. (١٨٣٤/٥/٩م).

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥١ .

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٣ - ٦٥ وكان الذي قام باغتيال الإمام تركي إبراهيم بن حمزة، أحد المماليك السود ويذكر موزل وترجمة عنوان كتابه: (شمالي نجد؛ نيويورك، ١٩٢٨، ص ٢٣٧) أن مشاري بن عبدالرحمن قتل تركي بن عبدالله =



وهكذا انتهى عهد الإمام تركي الذي اتصف بصفات قيادية عظيمة من أبرزها الشجاعة وحسن التخطيط والعدل. وقد تمكّن من إجلاء بقية القوات التابعة لحاكم مصر عن نجد، كما تمكّن من توحيد كثير من المناطق التي كانت تابعة للدولة السعودية الأولى. وهو، بما حققه من نجاح لم يتفوق عليه نجاح أي حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية، وبأقدميته زمنياً على أولئك الحكام، يُعدُّ المؤسس لتلك الدولة.



= بالذهب المصري، كما يذكر (ص ٢٧٢) أن للقائد إسماعيل بك يداً في هذا الموضوع، وأن الأتراك اعترفوا بحكومة مشاري بعد اغتياله لخاله. لكن من الواضح أن مشاري بن عبدالرحمن بدأ محاولاته للتخلّص من خاله منذ سنة ١٢٤٥هـ. على أن شريف مكة المؤيد للمصريين، والتابع لهم، لم يساعد مشاريًا حين قدم إليه ثائراً ضد تركي سنة ١٢٤٦هـ. وهذا وذاك مما يرجح أن الدافع لمشاري للإقدام على ما أقدم عليه كان ذاتياً، وهو الرغبة في الحكم، أما عن اعتراف الأتراك بحكومة مشاري فمعروف أن هذا الأمير حوَّصر من قِبَل فيصل بن تركي بعد ثمانية عشر يوماً من اغتيال تركي، وقُضي عليه بعد أربعين يوماً من ذلك الاغتيال. ومن غير المرجح أن يحدث الاعتراف المذكور خلال هذه المدة القصيرة في زمن مثل ذلك الزمن.



الفترة الأولى من حكم الإمام  
فيصل بن تركي

ادرس احسان له  
صناعة القنادية  
١٩٥٥ م  
غزة حاكم الإمام

## ١ - توليُّه الحكم وتثبيتته:

حينما وصل إلى فيصل بن تركي خبر اغتيال أبيه واستيلاء مشاري بن عبدالرحمن على مقاليد الأمور في الرياض جمع كبار قادة جيشه، وأطلعهم على ما حدث، فبايعوه بالإمامة. واستقر رأي الجميع على العودة بسرعة إلى الرياض لانتزاع الحكم ممن استولى عليه جوراً<sup>(١)</sup>.

وبعد ثمانية عشر يوماً فقط من اغتيال الإمام تركي بن عبدالله وصل ابنه فيصل بقواته من المنطقة الشرقية إلى الرياض. وتمكّن من دخول هذه المدينة مفاجئاً بذلك خصمه الذي اعتصم بقصر الحكم. وكان واضحاً منذ البداية أن كفة فيصل راجحة على كفة مشاري. ذلك أن تقدير سكان العاصمة لأبيه كان عظيماً. وكان اغتيال ذلك الأب قد ترك أثراً عميقاً في نفوسهم، وهيأهم للوقوف مع من سينتقم من مغتاليه. ولعلّ من أدلة ذلك أن من وُضِعوا في

(١) ابن بشر، ج ٢، ص ٦٥. ويدل كلام ابن بشر، هنا، على أن عبدالله بن علي بن رشيد، الذي كان صديقاً لفيصل وأحد كبار أعوانه، كان لرأيه أهمية في التوصل إلى ما توصل إليه من قرار. ويذكر هوبير وترجمة عنوان كتابه: (تقرير عن رحلة في جزيرة العرب، باريس، ١٨٨٨، ص ١٥١ - ١٥٢) أن عبدالله علم بمقتل تركي قبل فيصل بورود رسالة إليه مع أحد القادمين من الرياض، وأنه أخبر فيصلاً بالحادثة. لكن رواية ابن بشر القريب من مسرح الأحداث أقرب إلى الصحة من رواية هوبير.

بروج سور المدينة للدفاع عنها فرحوا برؤية أتباع فيصل بن تركي، وساعدوهم على الدخول إليها<sup>(١)</sup>.

وكانت نهاية مشاري بن عبدالرحمن معروفة. فلم تكن مسألة انهياره والقضاء عليه إلا مسألة وقت فقط<sup>(٢)</sup>. وبعد عشرين يوماً من بدء محاصرته فقد فريق ممن كان معه الثقة بموقفهم، فنزلوا من القصر، وأخبروا فيصلاً وأتباعه أن الذعر قد دبَّ في نفوس المحاصرين، كما أخبروهم بمواقعهم<sup>(٣)</sup>.

وكان مع مشاري بن عبدالرحمن داخل القصر سُوَيْدُ بن علي أمير بلدة جلاجل سابقاً. ولم يكن غريباً أن يقف سويد مع مشاري لأن الإمام تركي بن عبدالله سبق أن عزله عن إمارة بلدته أواخر سنة ١٢٤٧هـ<sup>(٤)</sup>. وكان يهمله أن يعود إلى تلك الإمارة بأي وسيلة.

(١) ابن بشر، ج ٢، ص ٦٦.

(٢) كان معه في القصر مئة وأربعون رجلاً. ومن الواضح مبالغة ابن بشر حين قال عنهم (ج ٢، ص ٦٦ - ٦٧): وهم في حصن حصين. وعندهم من السلاح وآلات الحرب كمين فوق كمين. وعندهم من الأزواد وفواكه الطعام ما لو حاربوا مئة سنة لكفاهم». ولعلَّ قصده من المبالغة أن الظالم مهما كان قوياً فإنه مهزوم لا محالة.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٦.

(٤) الفاخري، ص ١٧٠، وكان سويد قد استولى على إمارة جلاجل سنة ١٢٣٦هـ. المصدر نفسه، ص ١٥٤. وقد أصبح له نفوذ قوي في إقليم سدير. وكان ممن وقف مع تركي بن عبدالله في بداية عهده. وبعد عودته إلى إمارة جلاجل زمن الإمام فيصل بن تركي جعلت زكاتها له.

ولعلَّه رأى طريق العودة إليها في وقوفه مع المستولي الجديد على السلطة في عاصمة البلاد. ومن الصدق أن سويد بن علي كانت تربطه صداقة قديمة بعبدالله بن رشيد، أحد قادة جيش فيصل بن تركي المقرَّب إليه<sup>(١)</sup>. وبموافقة من فيصل تمَّ اتصال بين سويد وعبدالله نتج عنه اتفاق على أن يُسهَّل الأول مهمَّة تسلُّق الثاني مع عدد من أفراد الجيش المُحاصِر إلى داخل القصر، وأن يقف بجانبهم ضد مشاري بن عبدالرحمن على أن يولِّيه الإمام فيصل إمارة بلده، جلاجل، وأن تكون إمارتها لذريته من بعده. وحينما أصبح ابن رشيد ومَن معه في القصر انضم إليه سويد وأتباعه. ثم دارت بينهم وبين مشاري ومن بقي موالياً له معركة انتهت بالقضاء عليه. وذلك بعد أربعين يوماً فقط من اغتياله للإمام تركي وتولُّيه السلطة في الرياض<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن قُضي على مشاري بن عبدالرحمن، وتمَّت لفيصل بن تركي السيطرة على مقاليد الأمور في العاصمة، أخذت الوفود من مختلف البلدان، التي كانت تابعة لأبيه، تصل إليه معلنة ولاءها

(١) كانت الصداقة بين سويد وعبدالله قد بدأت حينما كانا في العراق قبل تولي سويد إمارة جلاجل. انظر عن ذلك نبذة تاريخية عن نجد، أملاها ضاري الرشيد وكتبها وديع البستاني، درسها وحقَّقها عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ٧٧.

(٢) انظر تفصيل ذلك في رسالة ابن سيف إلى ابن بشر، ج ٢، ص ٦٧ - ٦٩.

وتأييدها له<sup>(١)</sup>. وكان من أول الأعمال التي قام بها الإمام الجديد أن دعا كبار قضاة البلدان إلى عاصمته، وأكرمهم غاية الإكرام. ووجه خطاباً إلى أتباعه حثَّهم فيه على الوحدة والتمشي مع أوامر الشرع؛ وبخاصة فيما يتعلَّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الزكاة<sup>(٢)</sup>. ومعروف أن الزكاة كانت أهم مصدر من مصادر دخل الدولة حينذاك. ولذلك أمر الإمام فيصل عمَّالها أن يركبوا مع رؤساء القبائل الذين وفدوا إليه لجبايتها من قبائلهم<sup>(٣)</sup>.

على أن الأمور لم تسر وفق ما كان يتمناه الإمام فيصل؛ لا من حيث الاستقرار الداخلي ولا من حيث تأدية الزكاة إلى حكومته. ذلك أنه حدث خلاف بين سكان وادي الدواسر<sup>(٤)</sup>. وامتنعت بعض القبائل من أداء الزكاة إلى عمَّال الدولة. فأرسل الإمام فيصل جيشاً إلى الوادي المذكور لإنهاء الخلاف القائم فيه. وقام ذلك

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٤.

(٢) ومما قاله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «وأنا ملزم كل من يخاف الله تعالى، ويرغب في الفلاح، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يكون الأمر مراعيّاً للشروط في ذلك: بأن يكون عليماً فيما يأمر به، عليماً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه. ابن بشر، ج ٢، ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٢.

(٤) نص عبارة ابن بشر: «وقع بين أهل وادي الدواسر اختلاف بينهم». المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. ومن المحتمل أن المشكلة هناك كانت اعتداء فريق من أهل ذلك الوادي على فريق آخر. وفي ذلك ما فيه من اضطراب أمني.



الجيش بمهاجمة من وقع منهم الخلاف والشغب. ثم عاد إلى العاصمة<sup>(١)</sup>. ومع أن الجيش المشار إليه قد أظهر، فيما يبدو، قوة الحكومة الجديدة إلا أنه لم يحقق كل أهدافه. ثم سار الإمام فيصل بنفسه ومعه قوات أغلبها من الحاضرة، وهاجم فريقاً من قبيلة الدواسر في العرمة<sup>(٢)</sup>. وبذلك أدرك زعماءهم قوته أكثر من ذي قبل، وأصبحوا على استعداد للإذعان له. ثم اتجه بمن معه إلى عالية نجد حيث أقام أربعين يوماً حول بلدة الشعراء هاجم خلالها بعض القبائل التي لم تؤد الزكاة إليه حتى خضعت لحكمه، وأدّت الزكاة إليه<sup>(٣)</sup>. وهناك وفد إليه زعماء وادي الدواسر، وبايعوه على السمع والطاعة<sup>(٤)</sup>. ومما قام به وهو نازل حول الشعراء أن عين صديقه الحميم عبدالله بن علي بن رشيد أميراً على جبل شمر بدلاً من صالح بن عبدالمحسن بن علي<sup>(٥)</sup>. وبذلك وضع أساس

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) من عادة القبائل أن تنهي ارتباطها بالحكومة المركزية إذا توفي الحاكم الذي بايعته. فإن رأت في الحاكم الجديد ما يدفعها إلى مبايعته وإلا رفضت طاعته. وكان ممن امتنع عن دفع الزكاة إلى عمّال فيصل فريق من قبيلة قحطان. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٤ .

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥) عن الظروف التي أدت إلى ذلك وما حدث بعد التعيين المذكور. انظر عبدالله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١١هـ، ص ١١٣ .

إمارة آل رشيد التي أصبح لها تأثير كبير في تسيير دفة الأحداث في منطقة نجد .

وبعد النجاح الذي حققه الإمام فيصل في إظهار قوته أمام القبائل النجدية عاد إلى الرياض، وأخذ يعمل لحل المشكلة التي كانت قائمة في المنطقة الشرقية منذ أواخر عهد أبيه . وقد أتاحت له ظروفه الداخلية، وظروف خصومه من آل خليفة، التي كان منها تؤثر العلاقة بينهم وبين حاكم بلاد فارس، أن يصل معهم إلى اتفاق تخلّوا بموجبه عما سبق أن استولوا عليه من سواحل تلك المنطقة، وتمهّدوا بدفع الزكاة إليه مقابل مساعدته لهم ضد أي عدوان خارجي<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الغزو المصري ونهاية فترة حكمه الأولى:

وبينما كان الإمام فيصل بن تركي يوالي جهوده لتوطيد حكمه كان محمد علي، حاكم مصر، قد نجح في تحقيق كثير من أحلامه الرامية إلى تكوين دولة كبرى على حساب الدولة العثمانية ذاتها . فقد استولى على السودان والشام وعلى أجزاء من بلاد اليونان والأناضول . وبما أنه قد ضم أجزاء مهمّة من جزيرة العرب قبل ذلك فقد قرر أن يستولي على بقية مناطقها . على أنه أدرك من خلال تجاربه السابقة فيها أن أكثرية سكان نجد بالذات كانوا

(١) نخلة، ص ٦٦ - ٦٧؛ وايندر، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

يكنون مودة وولاء لآل سعود. ولذلك رأى أن أحسن وسيلة تسهل له الاستيلاء على هذه المنطقة هي أن يضع على رأس الحملات العسكرية الموجهة إليها رجالاً من الأسرة السعودية.

وما إن انتهى الإمام فيصل بن تركي من حلِّ مشكلاته الداخلية، ومشكلته مع آل خليفة، حتى أتاه نذير خطر التدخل المصري ضده. وكانت بادرة ذلك النذير أن قدم إليه مبعوث من محمد علي عن طريق حكومة الحجاز يطلب منه تزويد الجيش المصري في الجزيرة العربية ببعض ما يحتاج إليه. ومن المرجح أن فيصلاً قد أدرك بأنه من الصعب عليه إمداد ذلك الجيش الذي إن لم يستعمل ضده مستقبلاً فإنه سيستعمل في ضرب الثورة العسيرية، التي كان يربط زعماءها به الحماسة لمبادئ الدعوة الإصلاحية النجدية. ولكنه رأى من المصلحة عدم الوقوف من الحكومة المصرية، التي أصبحت مرهوبة الجانب، موقف المتشدد. فاستحسن أن يرسل هدايا إلى ممثلها في الحجاز مع أخيه جلوي<sup>(١)</sup>؛ مؤملاً، فيما يبدو، أن يكون موقفه هذا كافياً للتعبير عن حسن نواياه تجاهها، ومغنياً عما طلبته منه. بل إنه أبدى استعداداً مدّ تلك الحكومة ببعض ما طلبته من الإبل. لكن حاكم مصر لم يقتنع بذلك الموقف؛ إذ لم تكن

(١) سمي جلوي بهذا الاسم لأنه ولد في أثناء جلاء أبيه تركي بن عبدالله عن الدرعية بعد استسلامها لإبراهيم باشا. وكثيراً ما سُمي العرب أبناءهم بأسماء تشفُّ عن الظروف التي ولدوا فيها.

مطالبه في حقيقة الأمر إلا تمهيداً للقيام بحملة عسكرية يستولي بها على نجد وما يتبعها من المناطق.

وهكذا جهّز محمد علي جيشاً بقيادة إسماعيل بك، ولكنه من الناحية الاسمية تحت راية خالد بن سعود، أخي الإمام عبدالله آخر حكام الدولة السعودية الأولى<sup>(١)</sup>. وكان خالد قد أخذ مع مَنْ أُخذ من أفراد أسرته إلى مصر بعد القضاء على تلك الدولة.

ولقد حاول الإمام فيصل بن تركي أن يتفادى الصدام مع الجيش الموجه إليه بإرسال الهدايا إلى قائديه، وإظهار حسن نيته تجاههما. لكن محاولته لم تؤدِ الثمرة المرجوة. ذلك أن الجيش واصل زحفه من المدينة المنورة إلى الحناكية متجهاً إلى القصيم. وهنا استقر رأي الإمام فيصل على أن يتجه بقواته إلى ذلك الإقليم لئلا يقع في يد خصومه. وغادر الرياض آخر شهر شوال سنة ١٢٥٢هـ.

(١) في عام ١٢٤٨هـ قدم إلى بريدة رجل ادّعى أنه خالد بن سعود، وأنه قد هرب من مصر. فأمر الإمام تركي أتباعه بإكرامه وحين وصل إلى الرياض اكتشف بعض من عرفوا خالداً في مصر بأن الرجل المدّعي كاذب. فهرب من العاصمة إلى مصر. ابن بشر، ج٢، ص ٥٨. ويقول عبدالرحيم. (محمد علي، ص ٢٦٥ - ٢٦٧): إن ذلك الرجل كان عجيل بن حمود أحد مشائخ عنزة، وإنه هرب من الرياض إلى المدينة المنورة مؤملاً أن يجد لدى المسؤولين فيها مساعدة لحرب تركي. ثم بُعث به من هناك إلى مصر.

ولما وصل الإمام فيصل بأتباعه إلى إقليم القصيم أقام قرب التتومة فترة علم خلالها أن الجيش المصري قد وصل إلى بلدة الرس إحدى بلدانه المهمة. فتوجه الإمام إلى بلدة عنيزة ونزلها. فوقف معه أميرها وأهلها. ثم استنفر أمير بريدة فوقف معه. وبعد ذلك تحرك بقواته ومن انضم إليه من أهالي القصيم إلى رياض الخبراء. وأقام هناك حوالي عشرين يوماً مستعداً لمحاربة خصمه. وفي آخر الأمر قام ببعض الإجراءات التي جعلت بعض أتباعه يظنون أنه منهزم. فدبت الفوضى بينهم. ورجع الإمام إلى عنيزة. ثم غادرها عائداً إلى الرياض<sup>(١)</sup>.

ومن سوء حظ الإمام فيصل أنه حين عاد من القصيم إلى عاصمة بلاده وجد أن الفشل قد دبَّ في نفوس أهلها، وأنهم غير مستعدين لمواجهة الجيش المصري. بل إن قسماً منهم كان مهياً للانضمام إلى ذلك الجيش؛ إما لأنهم رأوا أحقية خالد بن سعود في الحكم، وإما لأنهم خافوا من بطش الغزاة<sup>(٢)</sup>. وعلى أي حال فإن الإمام فيصلأ حينما رأى ضعف موقفه في الرياض قرر أن يتركها. فأخذ ما استطاع أخذه من قصر الحكم، واتجه هو ومن اتبعه إلى الخرج. ثم توجه من هناك إلى الأحساء<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن بشر، ج٢، ص٨٦ و٨٨ - ٩٠.

(٢) من بين الذين وقفوا ضد الإمام فيصل أحد مماليك آل سعود، خيرالله، الذي كان يعتمد عليه ذلك الإمام. وقد أشارت إلى ذلك القصيدة المنسوبة للإمام.

انظر الحاتم، ج٢، ص١٢.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٩٠.

أما إسماعيل بك وخالد بن سعود فتقدما بالجيش المصري إلى عنيزة فور مغادرة الإمام فيصل لها. وقد تمكَّنَّا من الاستيلاء عليها صلحا. ثم دخلت بقية بلدان القصيم تحت طاعتها. وعندئذ بعثا أربع مئة فارس تركي ومئة رجل من أهل عنيزة بقيادة أميره، يحيى ابن سُلَيْم، مع عيسى بن علي، أحد أفراد الأسرة التي كانت لها إمارة حائل، إلى جبل شمر لانتزاع حكمه من عبدالله بن رشيد. وحين اقتربت تلك القوة من الجبل هرب منه الأمير عبدالله، وذهب إلى بلدة جُبَّة<sup>(١)</sup>. ودخلت القوة المذكورة بلدة حائل دون مقاومة. وبعد أن ظنَّ عيسى بن علي أن مركزه هناك قد أصبح آمناً عاد يحيى بن سليم ومن معه إلى عنيزة، ولم يبق لدى عيسى إلا مئة جندي<sup>(٢)</sup>.

وبينما كان إسماعيل وخالد في عنيزة قدمت إليهما وفود من بلدان نجدية مختلفة معلنة ولاءها. ومن بين هذه الوفود أناس من أهل الرياض ذاتها<sup>(٣)</sup>. وبدا أن كثيراً من سكان المنطقة يؤيدون الجيش المصري الغازي أو على الأقل لا يعارضونه. ثم توجه

(١) جُبَّة تبعد عن حائل تسعين كيلا شمالا. انظر عنها حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، دار اليمامة، ١٣٩٧هـ، ص ٣٠٨ - ٣١٠. وكان حاكمها حينذاك ابن رخيص، الذي آوى عبدالله وأكرمه. انظر عن ذلك العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ١٤٠ - ١٤٣.

(٢) ابن بشر، ج ٢، ص ٩١ - ٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٢.

القائدان المذكوران إلى الرياض فدخلاها دون قتال بعد أن هرب منها من لم يرضوا أن يخضعوا لحكومة مصر. ومن بين هؤلاء عدد من آل الشيخ ذهبوا إلى جهات الحلوة، والحريق، وحوطة بني تميم، في جنوبي نجد، فأصبحوا من أكبر مشجعي سكان تلك الجهات على الصمود ضد الغزاة. وكان وصول إسماعيل وخالد إلى الرياض في السابع من شهر صفر سنة ١٢٥٣هـ<sup>(١)</sup>.

وبعد أن أصبحت الرياض وجميع البلدان النجدية الواقعة غربها وشمالها تحت نفوذ الجيش المصري أراد خالد بن سعود أن يسيطر على بلدان جنوبي نجد. لكن سكان تلك البلدان رفضوا طاعته ما دام يستظل بظل جيش محمد علي، فتوجه إليهم بقواته لإخضاعهم بالقوة. ولكنهم تمكّنوا من إنزال هزيمة ساحقة به قرب بلدة الحلوة. فعاد بفلول جيشه المنهزم إلى الرياض<sup>(٢)</sup>.

وكان لهزيمة خالد بن سعود ومن معه في جنوبي نجد دويّ هائل بين النجديين بصفة عامة. وقد رأى فيها الإمام فيصل بن تركي بشائر نصر له ضد خصومه. فتوجه مسرعاً من الأحساء إلى الخرج حيث لحق به أنصاره؛ وبخاصة أولئك الذين سبق أن أحرزوا النصر على خالد ومن معه. ثم زحف بالجميع حتى وصل إلى قرب

(١) الفاخري، ص ١٧٣؛ ابن بشر، ج ٢، ص ١٩٣.

(٢) انظر تفصيل ذلك لدى الفاخري، ص ١٧٣ - ١٧٤، ابن بشر، ج ٢، ص ٩٣ - ٩٤.

الرياض. فاشتبك مع خصومه، وانتصر عليهم. ثم حاصر الرياض ذاتها، وكادت تسقط في يده لولا أن إمدادات من قبيلتي سبيع وقحطان وصلت إلى هناك لنجدة خالد بن سعود ومن معه. فاضطر فيصل إلى فك الحصار عن العاصمة، وتراجع إلى بلدة منفوحة. ثم جرت اتصالات بينه وبين خالد لعقد الصلح. لكنهما لم يتوصلا إلى ذلك، فاستؤنفت الاشتباكات<sup>(١)</sup>.

وفي أثناء ذلك جرت اتصالات بين فيصل بن تركي ووالي العراق العثماني<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أن كلاً منهما حاول أن يستفيد من الآخر في الوقوف أمام العدو المشترك لهما حينذاك، وهو محمد علي. وحينما أدرك هذا الأخير ضعف موقف خالد بن سعود ومن معه بعث حملة جديد إلى نجد بقيادة واحد من أمهر قادته العسكريين، وهو خورشيد باشا. وكان من أول ما قام به ذلك القائد أن أرسل إلى فيصل بن تركي هدية مع عبدالله الشريف، صاحب بلدة ينبع؛ أذنأ له أن يأخذ ما أراد أخذه من ممتلكاته الموجودة في الرياض، ووعداً إيَّاه «التقرير في ملكه، ولا عليه منازع»، كما يقول ابن بشر<sup>(٣)</sup>. ولعلَّ ما حدث هو أن ذلك القائد وعد فيصلاً بأن يظل حاكماً على أجزاء مما كان تحت يده؛ مثل الجهات الجنوبية من

(١) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ٩٥ - ٩٧.

(٢) عبدالرحيم، محمد علي، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٣) ابن بشر، ج ٢، ص ٩٨.



نجد والأحساء، وهما الجهتان اللتان كانتا ما تزالان موالييتين له. ومن الواضح أن هدف خورشيد من ذلك العرض كسب الوقت لكي يصل إلى العارض قبل أن ينال فيصل من خالد ما ينال. ولم يكن فيصل غير راغب في الصلح؛ لا سيما بعد أن علم بقوة الحملة الجديدة. فترجع إلى الدِّم، وبعث هدية إلى خورشيد مع أخيه جلوي بن تركي، الذي بقي مع ذلك القائد في مسيرته من الحجاز حتى وصل إلى القصيم. وسواء كان بقاء جلوي مع خورشيد شرطاً من شروط الأخير ليضمن عدم مهاجمة فيصل لخالد بن سعود، أو كان رغبة من ذلك الإمام في كسب ثقة القائد المذكور وزيادة في إظهار حُسن نواياه تجاهه، فإن جلوي بن تركي هرب من عنيزة بعد أن اتضحت له حقيقة موقف خورشيد من أخيه الإمام فيصل<sup>(١)</sup>.

وبينما كانت تلك الأحداث تجري حدث تغييرٌ في سير الأمور بمنطقة جبل شمر. فقد ترك عبدالله بن رشيد جُبَّة، واتخذ من بلدة قُفَّار المجاورة لحائل مركزاً لنشاطه ضد عيسى بن علي. وفي أثناء مواصلته لذلك النشاط أشار عليه رجل من حائل بأن يذهب إلى المدينة المنورة ليتفق مع خورشيد باشا ويتعاون معه مقابل مساعدة ذلك الباشا له على استعادة إمارة الجبل. وذهب عبدالله إلى هناك، واتفق مع خورشيد. لكنه لم يعد إلى جبل شمر إلا وقد

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٨ - ٩٩ و ١٠١ و ١٠٢.

نجح أخوه عبيد في الاستيلاء على حائل وإخراج عيسى بن علي منها. وبذلك عاد عبدالله بن رشيد إلى إمارة الجبل بقوة أخيه عبيد وأعوانه، وبمباركة قائد الحملة المصرية الجديدة، خورشيد باشا<sup>(١)</sup>.

ولقد استقام خورشيد في عنيزة حوالي خمسة شهور وفد إليه خلالها كثير من زعماء القبائل الكبيرة في نجد معلنين ولاءهم له، واستعدادهم للقيام بما يأمرهم به. كما وفد إليه الأمر عبدالله بن رشيد، ونال تقديره وهداياهم<sup>(٢)</sup>. ثم واصل قائد الحملة سيره إلى الرياض. فلما وصل إليها أفصح عن نواياه الحقيقية تجاه فيصل ابن تركي، وأنذره بأنه سيحاربه إن لم يستسلم له. ورفض الإمام أن يستسلم لخورشيد، فاتجه هذا القائد لمحاربهته. ودارت بينهما عدة

- (١) انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين في نشأة إمارة آل رشيد، ص ١٤٦ - ١٥٢ .  
ومن الواضح أن عبدالله بن رشيد رأى استعداد الإمام فيصل للاتفاق مع خورشيد، كما رأى قوة هذا القائد، فتعاون معه. وقد كان ذلك التعاون لمصلحته ولمصلحة صديقه الإمام فيصل مستقبلاً؛ إذ كان جبل شمر النقطة التي انطلق منها ذلك الإمام سنة ١٢٥٩هـ لاستعادة حكمه.
- (٢) وقد حدثت بين خورشيد وأهل عنيزة مشكلة قتل بسببها تسعون رجلاً من جنده وخمسون من أهل تلك البلدة. انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج٢، ص ١٠١ - ١٠٢ والفاخري، المصدر السابق: ١٧٤. ولمزيد من التفاصيل انظر دراسة الدكتور محمد الثنيان، «انقضاء عنيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها»، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٠٨هـ ص ٢٤٧ - ٢٧٩ وكتاب الدكتور محمد سلمان، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، عنيزة، ١٤٠٧هـ، ص ١٠٣ - ١٠٦ .

بغزو الصلح .

معارك في جهة الدلم. وكان النصر في النهاية لخورشيد ومن معه. واضطر الإمام فيصل إلى أن يقابله لإنهاء الحرب. واتفقا على أن يؤمن أتباع فيصل، وأن يتوجه هو إلى مصر، وكان ذلك في العشر الأواخر من رمضان سنة ١٢٥٤هـ<sup>(١)</sup>. وهكذا انتهت فترة حكم الإمام فيصل الأولى، وحمل إلى القاهرة في اليوم الثاني من شهر شوال من تلك السنة<sup>(٢)</sup>، التاسع عشر من ديسمبر عام ١٨٣٨م.

التأريخ :-

١) تصحيح العزيزة تحت قيادة محمد علي باشا  
٢) تجديد الضربات القليلة .



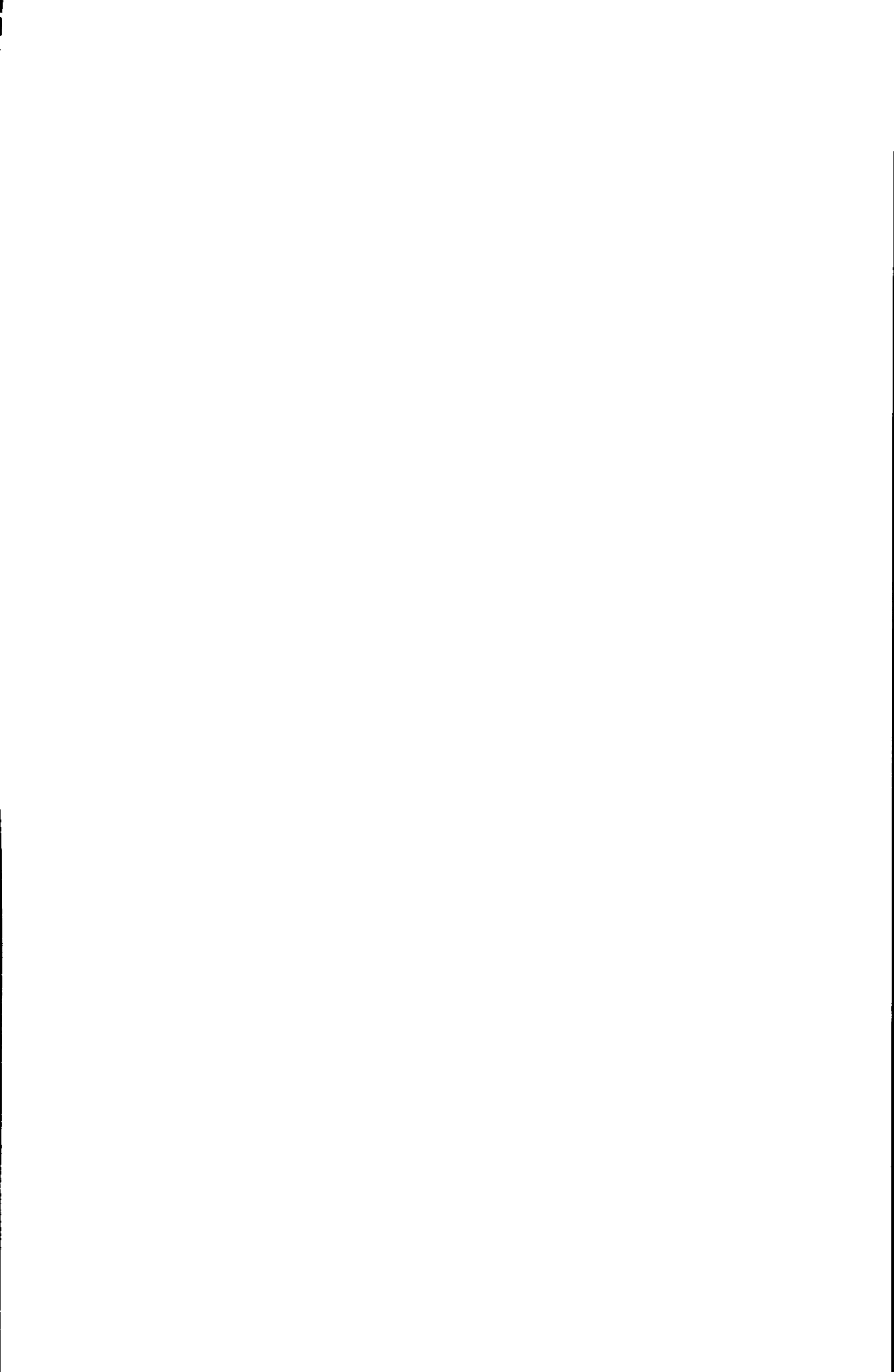
٣) تطهير مرفوع الحياة الاقتصادية .  
٤) ازدياد اسيد ٤٤ هـ الى .  
٥) التوسع القبلي

(١) ابن بشر، ج ٢، ص ١٠٢ - ١٠٧ .

(٢) عبدالرحيم، محمد علي، ص ٣٠٩ .



البلاد بين فترتي حكم الإمام  
فيصل بن تركي



بعد استسلام الإمام فيصل بن تركي لخورشيد باشا بدأ هذا القائد يخطط للاستيلاء على منطقة الأحساء المهمة، ثم التوغل منها في بقية جهات الخليج. فأرسل إلى عمر بن عفيصان، أمير تلك المنطقة من قبل الإمام فيصل؛ عارضاً عليه الأمان مقابل دخوله في طاعته<sup>(١)</sup>.

خطبة خورشيد للاستيلاء على الأحساء  
وإدراكاً من عمر لقوة خورشيد ترك الأحساء إما لعدم ثقته بذلك القائد وبما عرضه عليه من أمان، وإما لعدم رغبته في الدخول تحت نفوذه. وبتركة الأحساء دخلت تلك المنطقة تحت حكم خورشيد. فعين أحمد السديري أميراً لها. وعين عيسى بن علي، الذي سبق أن تولّى إمارة جبل شمر، أميناً لبيت المال فيها<sup>(٢)</sup>. وتمكّن بعد ذلك من إدخال القطيف تحت نفوذه<sup>(٣)</sup>. وبذلك خضعت المنطقة الشرقية كلها له.

وكان من نتائج استيلاء خورشيد على المنطقة الشرقية أن بدأ نشاطه في بقية جهات الخليج وعمان؛ متخذاً من تبعية تلك الجهات لآل سعود بطريقة من الطرق وسيلة لمحاولة إدخالها تحت

(١) ابن بشر، ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) على أن عيسى لم ينعم بذلك المنصب طويلاً؛ إذ توفي آخر سنة ١٢٥٥هـ. انظر

المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١ و ١١٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٠.

الحكم المصري. ويبدو أن الظروف التي كان يمرُّ بها حاكم البحرين حينذاك قد هيأتها لإبرام اتفاق مع خورشيد بحيث أصبح وضع ذلك الحاكم معه مشابهاً لوضع أسلافه من آل خليفة مع القادة السعوديين الأقوياء<sup>(١)</sup>. وقد نجح خورشيد، أيضاً، في مدِّ نفوذه على الجهات التي كانت خاضعة لآل سعود في نواحي عمان. وقام بجهود لإجبار سلطان مسقط بأن يكون وضعه تجاهه مثل وضعه مع أولئك القادة السعوديين<sup>(٢)</sup>. وأقام علاقات طيبة مع حاكم الكويت<sup>(٣)</sup>. ثم بدأ يخطط لغزو العراق<sup>(٤)</sup>.

ومن الواضح أن النجاح الذي حققه محمد علي عن طريق قائده في الجزيرة العربية؛ إضافة إلى ما حققه من نجاح في مناطق أخرى، قد أثار مخاوف بريطانيا بدرجة كبيرة. وإذا كانت هذه الدولة قد رأت في الدولة السعودية الأولى مصدر خطر على نفوذها في الخليج، وأبدت سرورها بقضاء حاكم مصر عليها، فإنها قد أدركت أن هذا الحاكم قد أصبح أشدَّ خطراً عليها من آل سعود بعد أن وصلت دولته إلى ما وصلت إليه من اتساع، وبلغ جيشه ما بلغه من تنظيم وتدريب وقوة. ولذلك بدأت تعمل على تحطيم قوته التي باتت تهدد مصالحها في المنطقة كلها. وقد لاحت الفرصة

(١) انظر تفصيل ذلك لدى وايندر، ص ١٢٥ - ١٢٨؛ عبدالرحيم، محمد علي، ص ٣٢٢ - ٣٤٣ نغلة، ص ٧٧ - ٩٣ .

(٢) عبدالرحيم، محمد علي، ص ٣٥٤ - ٣٥٦، وايندر، ص ١٢٩ - ١٣١، نغلة، ص ٩٤ - ٩٧ .

(٣) عبدالرحيم، محمد علي، ص ٣٧٤ - ٣٧٦ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧٦ - ٣٨٩ .



الذهبية أمامها حينما انتصرت قواته على قوات الدولة العثمانية، وزحفت نحو عاصمتها مما جعل ذلك الصراع يتحول إلى أزمة دولية. وتزعمت بريطانيا بعض القوى العالمية حينذاك، فأرغمت محمد علي، بموجب معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م)، على سحب قواته من بلاد الشام والجزيرة العربية. وبذلك لم تطل إقامة خورشيد في شرقي الجزيرة ونجد؛ بل انسحب إلى الحجاز، فمصر، تاركاً حاميات صغيرة مع خالد بن سعود<sup>(١)</sup>.

وكان لانسحاب خورشيد بقواته أثر كبير على موقف خالد بن سعود. ذلك أن الجهات النائية نوعاً ما عن الرياض بدأت تتصرف تصرف المستقل. ولم يستمر خالد في الحكم بعد ذلك الانسحاب أكثر من عام واحد حدث خلاله عدة مشكلات من أبرزها المشكلة التي قامت بين زعيم جبل شمر، عبدالله بن رشيد، وزعماء القصيم؛ وبخاصة أمير بريدة عبدالعزيز بن محمد آل عليان. وقد تطورت هذه المشكلة إلى حدوث معركة بين الطرفين في بقيعاء سنة ١٢٥٧هـ. وانتصر في تلك المعركة زعيم الجبل وقومه من شمر انتصاراً عظيماً على أهل القصيم وحلفائهم من عنزه. فثبت مركزه في منطقتة وما حولها أكثر من ذي قبل<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن بشر، ج٢، ص١١٣ - ١١٤، عبدالرحيم، محمد علي، ص٢٨٨.

(٢) من علامات خطورة هذه المعركة أن ابن بشر (ج٢، ص١١٧ - ١١٨) سمّاها «الوقعة العظمى والحادثة الكبرى». وانظر عن ظروفها وملابساتها ونتائجها عبدالله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص٢٣١ - ٢٤٣.

على أن المشكلة الحقيقية الكبرى بالنسبة لخالد بن سعود في تلك الفترة كانت ثورة <sup>أسباب ثورة</sup> عبدالله بن ثِيَّان آل سعود ضده<sup>(١)</sup>. كان عبدالله يختلف مع خالد في نظرته تجاه الحكم المصري. وقد اتضح موقفه المعادي لمحمد علي وأعوانه قبل انسحاب خورشيد من نجد. وربما كان ذلك هو السبب الأساسي لعدم اطمئنان خالد إليه، والحاحه على أن يصحبه إلى القصيم لوداع القائد المذكور حين مغادرته تلك المنطقة. لكن عبدالله استطاع فيما بعد أن يهرب من الرياض إلى قبيلة المنتفق. ثم عاد من تلك القبيلة إلى نجد بعد فترة قصيرة، واتجه إلى بلدة الحائر. وبدأ نشاطه من هناك، فاتصل بسكان المنطقة الجنوبية من نجد الذين اشتهروا بمقاومتهم للنفوذ الخارجي في البلاد. واتفق معهم على العمل للإطاحة بخالد ابن سعود الممثل لذلك النفوذ. وقد حاول خالد أن يستنهض همم النجديين للوقوف معه ضد ابن ثِيَّان ومن انضم إليه. لكن محاولته باءت بالفشل. فأدرك أن الموقف في صالح خصمه. وقرر أن يبتعد عن نجد ويذهب إلى الأحساء لعلَّه يجد فيها من يقف معه. أما ابن ثِيَّان فاستولى على ضرما، وزحف بأتباعه صوب الرياض. واستطاع أن يستولي على البلدان القريبة منها. ثم بدأ يهاجمها

(١) عبدالله بن ثِيَّان هو عبدالله بن ثِيَّان بن إبراهيم بن ثِيَّان بن سعود بن محمد ابن مقرن. انظر مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، لراشد بن علي الحنبلي، تحقيق عبدالواحد راغب، دار الملك عبدالعزيز، ١٣٩٩هـ، ص ٥٠.

حتى تمكن من دخولها وإجبار الحامية العسكرية الموجود فيها على مغادرتها. وما إن تمَّ له ذلك حتى قدمت إليه وفود من بلدان نجدية متعددة معلنة ولاءها. وعاد إلى العاصمة من سبق أن تركوها في ظل الحكم المصري<sup>(١)</sup>.

وحينما علم خالد بن سعود باستيلاء عبدالله بن ثنيان على الرياض حاول أن يجهِّز جيشاً من الأحساء ليزحف به على نجد. لكن الشعور بالضعف كان قد أخذ منه مأخذه، فأقلع عن محاولته، وغادر تلك المنطقة إلى الكويت. ومن هناك توجه إلى القصيم، ثم إلى مكة المكرمة<sup>(٢)</sup>.

ولما وصلت الأخبار إلى عبدالله بن ثنيان بهروب خالد بن سعود من الأحساء بعث طليعة من أتباعه لتستولي علي قصر الحكم فيها. ثم بعث إليها عمر بن عفيصان أميراً. وعيَّن بعد ذلك أحمد بن محمد السديري أميراً على القطيف. وهكذا أصبح نفوذه يشمل المنطقة الشرقية ونجداً باستثناء منطقتي القصيم وجبل شمر اللتين يبدو أنهما كانتا تتمتعان بالاستقلال<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن بشر، ج٢، صص ١١٩ - ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٢٤ .

(٣) ومن أدلة ذلك أن أمير بريدة عند قدوم فيصل من مصر إلى جبل شمر سنة ١٢٥٩هـ اتصل بابن ثنيان واعدأ إياه بأن يبايعه ويقف معه إن هو اتجه إليه.

ولقد حاول عبدالله بن ثنيان أن يبسط نفوذه على الجهات التي سبق أن خضعت لآل سعود في نواحي عمان<sup>(١)</sup>. لكن عهده لم يطل لكي يتضح أنه قادر أو غير قادر على تحقيق ما حققه أسلافه من نجاح؛ وبخاصة أن النفوذ البريطاني قد ازداد في تلك الجهات بعد انسحاب قوات محمد علي من الجزيرة العربية.

ومع أن عبدالله بن ثنيان كان صلباً في آرائه تجاه أي نفوذ خارجي على بلاده فإنه أبدى رغبة ملحّة في إقامة علاقات طيبة مع حكومة الحجاز وشريف مكة محمد بن عون. ومن أدلة ذلك أنه بعث إلى ممثّل تلك الحكومة وإلى الشريف مبدياً حسن نواياه تجاههما<sup>(٢)</sup>.  
سنة الاستمرار الدرلة السعودية التي انتهت يومنا

ولقد شهد شهر رمضان من سنة ١٢٥٨هـ نزول أمطار غزيرة جداً على نجد، وانتهت بذلك سنوات قحط مريرة توالى على البلاد منذ اغتيال الإمام تركي بن عبدالله<sup>(٣)</sup>. ولم يكن ذلك عائداً بالفائدة على عامة السكان فقط، وإنما كان مفيداً غاية الفائدة لعبدالله بن ثنيان. ذلك أن ازدهار الثروة الحيوانية والزراعية كان سيزيد دخله من الزكوات. لكن ذلك الحاكم لم ينعم بما كان مؤملاً؛ إذ حدث في مستهل السنة التالية ما كدر صفوه، ومهدّ السبيل لإنهاء حكمه.

(١) وايندر، ص ١٤١ .

(٢) ابن بشر، ج ٢، ص ١٢٦ .

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

فقد تمكَّن فيصل بن تركي - بتدبير من حفيد محمد علي، عباس باشا - من مغادرة مصر براً والوصول إلى جبل شمر<sup>(١)</sup>. ومن هناك بدأ خطواته التي أدت إلى القضاء على حكم ابن ثيَّان، وإستعادته للحكم، كما سيأتي مفصلاً.



(١) اختلفت الروايات في مسألة خروج فيصل من مصر. فابن بشر (ج٢، ص١٢٩) يذكر أنه نزل من حبسه بحبال عبر فرجة تبعد عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً حيث استقل ركائب سبق أن واعد أصحابها إلى جبل شمر. لكنه قال في موضع آخر من كتابه (ج٢، ص١٠٧): إن فيصلاً كان في بيت، وكان كثير من المصريين يأتون إليه ليقراً على مرضاهم. أما دحلان فيقول (ج٢، ص٣١٢ - ٣١٣) إن خروج فيصل كان بتدبير من عباس باشا بعد أن وعده بأن يكون مالياً لحكومة مصر. ولعل فيصلاً كان في بيت تحت الحراسة، وخرج من مصر بتدبير عباس باشا. وكان معه حين خرج من هناك أخوه جلوي وابنه عبدالله وابن عمه عبدالله بن إبراهيم، انظر ابن بشر، ج٢، ص١٢٩. ومن الواضح أن مصر لن تخسر شيئاً في عودة فيصل إلى نجد لأنها لن تدمر برجال أو سلاح. فإن نجح في مسعاه فإنه سوف يقضي على ابن ثيَّان الذي كان قاسياً في معاملته لمن بقي من الجنود المصريين. وإن خسر الجولة مع خصمه فلن يضيرها ذلك شيئاً.



الفترة الثانية من حكم الإمام  
فيصل بن تركي





## ١. استعادته الحكم:

حينما تمكّن فيصل بن تركي من مغادرة مصر اتجه إلى جبل شمّر. وكان ذلك الاتجاه أمراً متوقعاً. ذلك أن الجبل أقرب المناطق النجدية إلى شمالي الحجاز الذي توغل فيصل في جزيرة العرب عن طريقه. ثم إن ذلك الجبل، أيضاً، كان حينذاك تحت إمرة صديقه عبدالله بن رشيد، الذي كان قد ثبت حكمه هناك، وازداد رسوخاً إثر معركة بقعاء المشار إليه سابقاً. ولقد وجد فيصل من ذلك الأمير ما كان متوقعاً ومؤملاً أن يجده من ترحيب واستعداد للوقوف معه لاستعادة حكم البلاد<sup>(١)</sup>.

وما إن استقر فيصل بن تركي في حائل حتى كتب إلى إمرء نجد وزعمائها يخبرهم بوصوله إليها، ويطلب منهم أن ينضموا إليه<sup>(٢)</sup>. وكانت القصيم أول مرحلة من مراحل خطته في الاستيلاء على نجد، وذلك لقربها من جبل شمّر، ولأهميتها من حيث الموقع والثروة.

أما عبدالله بن ثنيان فإنه حين علم بأخبار فيصل بن تركي جمع ما أمكنه جمعه من قوات واتجه إلى القصيم ليحول دون

(١) ابن بشر، ج٢، ص ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٠ .

وقوعها في يد خصمه الجديد<sup>(١)</sup>. فماذا كان موقف زعماء القصيم ذاتها؟

لقد اختلف موقفا زعماء البلدين الكبيرتين هناك. ففضل أمير بريدة، عبدالعزيز بن محمد آل أبي عليان، أن ينضم إلى عبدالله ابن ثنيان. ولعل من أسباب ذلك ما كان يوجد من عداوة بينه وبين عبدالله بن رشيد عماد قوة فيصل بن تركي حينذاك. فدفعته تلك العداوة إلى أن يقف ضد من يعتمد على عدوه. أما أمير عنيزة، عبدالله ابن سليم، فقد ناقش القضية مع كبار أهل بلده، والقاضي عبدالله أبي بطين، ورأى الجميع الوقوف مع فيصل بن تركي. فبعثوا إليه وفداً يخبره باستعدادهم لاستقباله والترحيب به. واستطاع فيصل أن يصل إلى عنيزة قبل أن يدركه عبدالله بن ثنيان بما أعدّه من قوات. وعندئذ أدرك هذا الأخير ضعف موقفه؛ وبخاصة بعد أن انضم بعض أتباعه إلى صفوف خصمه. ولم يجد بداً من العودة إلى الرياض<sup>(٢)</sup>.

وما إن انسحب عبدالله بن ثنيان من القصيم حتى أصبحت جميع بلدانها تحت نفوذ فيصل بن تركي، الذي واصل زحفه صوب الرياض والنصر يواكبه مرحلةً مرحلةً حتى وصل إلى هذه المدينة.

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٠ - ١٣١.

وعند وصوله إليها تعاون معه بعض سكانها، فدخلها وحاصر  
عبدالله بن تُثَيَّان في قصر الحكم. وبعد حوالي ثلاثة أسابيع من  
بدء الحصار دارت مفاوضات بين الزعيمين السعوديين عن طريق  
عُبيد بن رشيد، لكنها لم تسفر عن نتيجة إيجابية، فتسلَّل عبدالله  
من القصر محاولاً الهروب من الرياض. لكن أتباع فيصل قبضوا  
عليه وسلَّموه إلى قائلدهم، الذي أودعه في السجن<sup>(١)</sup>. وبذلك انتهت  
فترة حكم ابن تُثَيَّان التي دامت عامين شهدت البلاد خلالها  
انسحاب بقية حاميات حاكم مصر منها. لكنها شهدت، أيضاً، شيئاً  
من القسوة والإجراءات الصارمة. وقد توفي عبدالله داخل السجن  
بعد شهر تقريباً من سجنه. وكانت وفاته في منتصف جمادى  
الآخرة عام ١٢٥٩هـ<sup>(٢)</sup>.

وهكذا عاد فيصل بن تركي إلى الحكم، وبدأت فترة حكمه  
الثانية التي استمرت ثلاثة وعشرين عاماً.

## ٢ - توحيد نجد والأحساء وبداية المشاكل:

كان فيصل بن تركي قد استولى على كثير من بلدان نجد قبل  
أن يستولي على الرياض. وبعد استيلائه على العاصمة قدمت إليه

(١) الفاخري، ص ١٧٧؛ ابن بشر، ج ١، ص ١٣١ - ١٣٤ .

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ١٣٤ . ويذكر ضاري الرشيد (ص ٩٧) أن حراسه  
هم الذين قتلوه لأنه قتل آباءهم، وأدَّعوا أنه مات موتاً طبيعياً.

وفود من بقية البلدان النجدية معلنة ولاءها له دون قتال<sup>(١)</sup>. وهذا يوحى بتطلع كثير من سكان المنطقة إلى حكمه، ونظرتهم المعجبة بزعامته. وكان مما قام به في مستهل فترة حكمه الثانية أن وجه إلى أتباعه نصيحة مشابهة لتلك التي وجهها إلى من انضم إليه بعد استيلائه على العاصمة ذاتها عند بداية فترة حكمه الأولى. وتتضمن حثُّهم على الوحدة وتطبيق أوامر الشرع؛ وبخاصة ما يتعلَّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء الزكاة<sup>(٢)</sup>.

وكما كان متوقِعاً اتجه نظر الإمام فيصل بن تركي بعد دخول نجد تحت طاعته إلى المنطقة الشرقية من البلاد. فبعث عبدالله بن بَّال المطيري إلى الأحساء ليتولَّى مقاليد الأمور فيها<sup>(٣)</sup>. ومن الواضح أن السكان هناك كانوا مستعدين للانضمام إلى الإمام الجديد؛ إذ لم يجد ابن بَّال أيَّ معارضة منهم.

وإذا كان سكان نجد والأحساء قد رحبوا، بصفة عامة، بالإمام فيصل وحكمه فإن بعض القبائل لم تحبِّذ الخضوع لسلطة تحدُّ من نشاطها غير المبرَّر أحياناً. ولذلك بدأت المشكلات في فترة مبكرة من عهد ذلك الإمام. فبعد وصول ابن بَّال إلى المنطقة الشرقية

(١) ابن بشر، ج٢، ص١٣٤.

(٢) انظر نصها في المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٤ - ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٤.

بشهور قليلة هاجمت قبيلة المناصير قافلة للحجاج ونهبتها. وعمل بهذا العمل المخلّ بالأمن والموجّه ضد أرواح الأبرياء وأموالهم لا بد أن يجلب غضب الإمام على مرتكبيه. ولهذا قاد فيصل بنفسه قوات كبيرة من الحاضرة والبادية، وتوجه إلى ناحية القطيف حيث أغار على القبيلة المعتدية ونكل بها<sup>(١)</sup>. ويبدو أن قبيلة المناصير لم تكن وحدها القبيلة التي لم تتجاوب التجاوب المأمول في تلك الناحية. ذلك أن الإمام قام، أيضاً، بمهاجمة قبيلة بني هاجر وأنزل بها بعض الخسائر<sup>(٢)</sup>. وكان وجود الإمام فيصل بقواته الكبيرة في شرقي البلاد فرصة لانتزاع الدمام من آل خليفة. ولهذا اتجه إلى قصرها حتى اضطر من كانوا فيه إلى الاستسلام له. وهكذا أصبحت المنطقة الشرقية كلها جزءاً من دولته. وقبل أن يعود منها إلى الرياض عين أحمد بن محمد السديري أميراً للأحساء، وعبدالله بن سعد الداوي أميراً للقطيف<sup>(٣)</sup>.

ومن الواضح أن الإمام فيصل بن تركي لم يتعرّض لغزوات خارجية مهمة خلال فترة حكمه الثانية. لكنه واجه مشاكل داخلية متعددة. وإذا كانت حادثة المناصير المشار إليها سابقاً يمكن أن تفسّر بأن تلك القبيلة لم تكن بعدُ قد خضعت لحكمه فإن مشاكل

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٠.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ آل عبدالقادر، ج١، ص١٥٧.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص١٤٢.

بعض القبائل التي كانت منضمة إليه رسمياً لم تلبث أن قامت بما يخلُّ بالأمن. وقد حدثت أولى تلك المشكلات وهو لا يزال في المنطقة الشرقية عام ١٢٦٠هـ. ذلك أن قسماً من قبيلة العجمان، مع فئات من قبائل أخرى، أغار على زعيم قبيلة مطير محمد الدويش، ونهب كثيراً مما كان معه. وكان الدويش قد اشترك مع الإمام فيصل في حربه ضد ابن تُثَيَّان. فما كان من الإمام إلا أن ساعده مالياً ليتغلب على ما حلَّ به<sup>(١)</sup>. ويبدو أنه رأى ذلك الحلَّ كافياً في الظروف التي حدث فيها الحادث، ولم يقيم بعمل عسكري ضد العجمان ومن معهم.

وكان عام ١٢٦١هـ أسوأ من العام الذي قبله من حيث المشاكل وخطورتها المستقبلية. فقد شهد ذلك العمل خلافاً بين أهالي الأفلاج اضطر الإمام إلى القيام بغزو تلك الجهة لحلِّه. وشهد اختلافاً من بعض أهل وادي الدواسر اضطره إلى إرسال جيش بقيادة أخيه جلوي للقضاء عليه. وشهد اعتداء فلاح بن حثلين، زعيم قبيلة العجمان، على قافلة للحجاج، وقتل كثير من رجالها ونهب أموالهم. وشهد، أيضاً، أخذ أمير عنيزة، عبدالله بن سليم، إبلاً لأمير جبل شمر، وإغارة عبيد بن رشيد على تلك البلدة، وقلته لأميرها عبدالله<sup>(٢)</sup>. وظلت المشكلات تقوم بين فترة وأخرى بدرجات

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٣ - ١٤٦.

متفاوتة من حيث الخطورة والتعقيد . على أن أهم مشكلة واجهها الإمام مع القبائل كانت مع العجمان . أما أهم مشكلة واجهها مع الحاضرة فكانت مع زعماء القصيم .

### ٣ . مشكلة العجمان :

كانت قبيلة العجمان رغم قَلَّتْها العديدة نسبياً من القبائل المشهورة بعنفوانها وقوة شكيمتها . وكان لزعمائها مكانة لدى الإمام تركي بن عبدالله ، الذي أنزلهم في بعض ديار بني خالد في المنطقة الشرقية من دولته<sup>(١)</sup> . وكان من أشهر زعمائها فلاح بن حثلين ، الذي ظل زعيماً لها من عهد ذلك الإمام حتى عام ١٢٦٢هـ . ومع أن الهجوم العجمي الذي حدث على الدويش قبل ذلك بعامين لم يكن بزعامة فلاح إلا أن هذا الأخير ارتكب ، سنة ١٢٦١هـ ، ما كان أسوأ من ذلك الهجوم<sup>(٢)</sup> . فقد اعتدى على قافلة من الحجاج ، وقتل كثيراً من رجالها ، ونهب أموالهم ركابهم مما أدى إلى أن يموت ظمأ بعض من سلم من قتله . وكما كان متوقعاً لم يقف الإمام فيصل تجاه ذلك الاعتداء موقف المتساهل . ذلك أنه تهديد واضح للأمن ، واعتداء على أبرياء قصدوا تأدية ركن من أركان الإسلام . ثم إن عدداً من هؤلاء الحجاج كانوا من رعايا دول أخرى . وفي ذلك ما فيه من

(١) ابن عيسى ، عقد الدرر ، ص ٢٦ .

(٢) كان ذلك الهجوم بقيادة محمد بن جابر الطويل .

تعقيدات سياسية. ولذلك فإن الأخبار ما إن وصلت إلى الإمام حتى جهّز جيشاً كبيراً من الحاضرة والبادية، وتوجه إلى المنطقة الشرقية. وحينما اقترب من فلاح وقومه أدرك العجمان الخطر المحقق بهم، وأتى كبارهم إليه معتذرين عما بدر من قبيلتهم، فأخذ منهم نكالاً، وأخرجهم عن ديرتهم، وأحلّ بها الدويش وأتباعه. أما فلاح بن حثلين فقد هرب، وظل ينتقل من مكان إلى آخر حتى قُبِض عليه وقُتِل في الأحساء سنة ٢٦٢هـ<sup>(١)</sup>.

وبعد مقتل فلاح بن حثلين أصبح ابنه راكان، الشاعر والفارس المشهور، رئيساً لقبيلة العجمان. وقد أمضى راكان سنوات من رئاسته دون أن يحدث مشكلات لحكومة الإمام فيصل. لكنه بدا، سنة ٢٧٦هـ، وكأنه قد وثق بقوة قبيلته بدرجة كبيرة، فأغار على إبل للإمام فيصل نفسه، وأخذها. ثم ارتحل إلى الصبيحية القريبة من الكويت، وقام بغارات على أطراف العراق. فجهّز الإمام جيشاً بقيادة ابنه عبدالله لمعاقبته هو ومن معه. وقبل أن يصل عبدالله إلى الصبيحية هاجم فريقاً من العجمان فهزّمهم. ثم اتجه إلى ذلك المكان، فوجد فيه فريقاً آخر من تلك القبيلة، فانتصر عليهم. وكان راكان قد تحرّك من هناك، ونزل الجَهْرَاء. فتوجه عبدالله بمن معه إلى المكان المذكور، ودارت بينه وبين راكان معركة انتهت بهزيمة

(١) الفاخري، ص ١٧٩؛ ابن بشر، ج ٢، ص ١٤٥ - ١٤٦ و ١٤٨.



العجمان، وقتل حوالي سبع مئة رجل منهم. وفرت فلولهم إلى داخل بلدة الكويت، واحتمت بها. وكان ممن سرَّ بنتيجة المعركة زعماء البصرة والزيبر الذين تعرَّضت أطراف بلديهما لغارات راكان وأتباعه<sup>(١)</sup>.

على أن قبيلة العجمان، رغم ما حلَّ بها من خسارة في معركة الجهراء، لم تياس من القدرة على النهوض. لكنها أدركت أنها غير قادرة على الانتقام إلا بانضمام حليف قوي إليها. وقد وجدت ذلك الحليف في فئات من قبيلة المنتفق. وبدأ المتحالفون من القبيلتين يغيرون على كثير من القوافل في شمالي شرق الجزيرة العربية وأطراف البصرة والزيبر. واتخذوا من الجهراء مركزاً لنشاطهم. وحين علم الإمام فيصل بأعمالهم وخططهم التي كانوا يعدونها ضده جهز جيشاً بقيادة ابنه عبدالله لمحاربتهم. وسار عبدالله بقواته من الحاضرة والبادية حتى هاجمهم في الجهراء بعد سنة من محاربتهم للعجمان في ذلك الموضع. وكان النصر لحليفه حيث أصبح المتحالفون بين قواته والبحر. وكان أولئك المتحالفون حوالي ألف وخمس مئة رجل، فمات كثير منهم قتلاً أو غرقاً. ولذلك عُرفت تلك السنة لدى بعض سكان المنطقة بسنة الطبعة؛ أي الغرق<sup>(٢)</sup>.

(١) إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠ - ٣٥ .

على أن راكان بن حثلين استطاع أن يخترق صفوف المهاجمين ويهرب مع من سلم من قومه<sup>(١)</sup>. وبذلك النجاح الذي حققه عبدالله ابن فيصل على المتحالفين خضدت شوكة قبيلة العجمان بقية فترة حكم الإمام فيصل.

#### ٤ . مشكلة القصيم:

ترجع أسباب مشكلة القصيم في فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية إلى جذور تاريخية من أهمها الخلاف الذي كان موجوداً بين زعماء تلك المنطقة وزعماء جبل شمر. ولعلّ بداية ذلك الخلاف لجوء بعض أنصار آل علي، أمراء الجبل سابقاً وخصوم عبدالله بن رشيد، إلى بريدة. وقد حاول ابن رشيد، سنة ١٢٥٤هـ، أن يعتدي على أحد أولئك الأنصار في هذه البلدة، ففضّل في مسعاه. وخرج إليه أميرها، عبدالعزيز بن محمد آل أبي عليان، فقتل ستة من رجاله، وأخذ كثيراً مما كان معه من لباس وسلاح وركائب. ثم أخذ ابن رشيد إبلاً تابعة لأهل بريدة<sup>(٢)</sup>. وهكذا بدأ الاحتكاك غير الودّي بين الطرفين. وتطوّر ذلك الاحتكاك إلى توتر

(١) وقد قال راكان وهو يخترق الصفوف على ظهر جواده:

جمعين والثالث بحر  
لعيون برأق النحر

يا قومنا ما من صديق  
والله لا بوج لها الطريق

انظر آل عبدالقادر، ج ١ ، ١٦٠ .

(٢) ابن بشر، ج ٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

في العلاقات أدّى إلى معركة بقعاء المشهورة سنة ٢٥٧هـ. وكان من نتائج تلك المعركة، التي هُزِمَ فيها أهل القصيم وحلفاؤهم من عنزة، أن قُتِلَ أحد أبناء أمير بريدة، كما قُتِلَ صبراً بعد انتهائها أمير عنيزة يحيى بن سليم<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٢٦١هـ أخذ أمير عنيزة، عبدالله بن سليم، إبلاً لعبدالله بن رشيد. وفشلت المفاوضات لردّها إليه، فأغار أخوه عبيد على غنم عنيزة. وخرج من خفّ من أهل هذه البلدة مع أميرها لاسترجاع الغنم. لكن عبيداً انتصر عليهم، وأسر الأمير عبدالله، ثم قتله صبراً. ويبدو أن أهل البلدة المذكورة كانوا يعتقدون أن الإمام فيصلاً سيقوم بمعاقبة عبدالله بن رشيد على ما فعله أخوه عبيد. لكن ذلك الإمام اقتنع بما ذكره أمير الجبل من أسباب لما حدث<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٢٦٣هـ جهّز شريف مكة، محمد بن عون، حملة عسكرية، وتوغّل بها في نجد حتى وصل إلى القصيم. وقد أشار ابن بشر إلى أن أناساً من رؤساء أهل تلك المنطقة الموجودين في الحجاز قد زيّنوا للشريف غزو البلاد النجدية<sup>(٣)</sup>. وربما كان ذلك

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٧ - ١١٨؛ العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ٢٣١ - ٢٤٠.

(٢) ابن بشر، ج ٢، ص ١٤٦؛ ضاري الرشيد، ص ١٦٧ - ١٧٩.

(٣) ابن بشر، ج ٢، ص ١٥٠.

صحيحاً، وسواء كان ذلك هو السبب الوحيد للغزو أو لم يكن فإن الشريف، على أي حال، وجد تعاوناً من بعض زعماء القصيم حينما وصل إليها<sup>(١)</sup>. لكنه أدرك أن قوة الإمام فيصل كانت أعظم مما اعتقده. فمال إلى الصلح، وأهدى إليه الإمام هدية جليلة، فعاد إلى مكة المكرمة<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أن الإمام فيصل بن تركي قد اعتقد أن أمير عنيزة، إبراهيم بن سليم، يداً في إغراء الشريف بغزو نجد، وأنه فتح أبواب بلدته أمامه. ولذلك عزله عن إمارة تلك البلدة سنة ١٢٦٤هـ، وعيّن محلّه ناصر بن عبدالرحمن السُّحَيْمي. لكن هذا الإجراء أصبح مصدر فتنة بين أسرة الأمير المعزول وأسرة الأمير الجديد. فقد حاول عدد من آل سليم، بزعامة عبدالله بن يحيى، اغتيال السحيمي. لكنهم لم ينجحوا في ذلك، وإنما نجحوا في إصابته بجروح. وحاولوا الاستيلاء على قصر الإمارة، الذي كان فيه أخوه مطلق، ففشلوا. ولم يبق أمامهم إلا الهروب من عنيزة. فهربوا منها إلى بريدة، واحتموا بأمرها عبدالعزيز آل أبي عليان. وقد ألزمهم الإمام فيصل أن يفتدوا إليه في الرياض لينظر في أمرهم.

(١) هناك من المصادر ما يشير إلى أن سبب الغزو عدم دفع الإمام فيصل إلى الدولة العثمانية - عن طريق الشريف - ما كان عليه أن يدفعه. انظر وايندر، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) ابن بشر، ج ٢، ص ١٥٠ .

أما السحيمي فقد قام بقتل الأمير السابق، إبراهيم بن سليم، وجرح أخيه علي، كما قام أخوه مطلق بقتل أحد أعوان آل سليم. فأمر الإمام السحيمي بالحضور إليه ليتحاكم مع عبدالله بن يحيى ومن معه عند قاضي الرياض<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الإمام فيصلاً رأى من المصلحة إبعاد الأسرتين المشار إليهما عن إمارة عنيزة، وتعيين أحد رجاله فيها. فبعث عبدالله الداوي إلى تلك البلدة. لكن أخا السحيمي رفض أن يسلمه قصر الإمارة. ولعلّ الداوي شعر بأن السكان هناك لن يتعاونوا معه، فذهب إلى بريدة ليدرّس الوضع بتؤدة وروية. ثم استدعاه أهل عنيزة، فعاد إليها لكنهم ما لبثوا أن أظهروا بوادر الثورة. وحينما علم الإمام بذلك سأله السحيمي أن يعيده إلى إمارة البلدة لكي يقضي على ثورتها. فسمح له الإمام بالعودة إلى عنيزة. لكنه ما إن وصل إليها حتى انضم إلى الثائرين فيها. وقد نجح أولئك الثائرون في كسب أمير بريدة ليصبح رئيساً لثورة عامة في القصيم<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن أصبحت ثورة القصيم عامة برئاسة عبدالعزيز آل أبي عليان قاد الإمام فيصل بنفسه قوات كبيرة، وتوجه إلى تلك المنطقة للقضاء على ثورتها سلمياً أو عسكرياً. وحينما وصل إلى

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٧ - ١٥٨؛ الذكير، ص٧٤.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٥٨ - ١٥٩.

بلدة المذنب بعث إلى زعماء القصيم يدعوهم إلى حل الأمر بطريقة سلمية، فاستجابوا لدعوته واتفقوا معه على أن يعودوا إلى طاعته ويلتزموا بما التزم به بقية سكان دولته. وبدا وكأن الأمور في تلك المنطقة قد عادت إلى مجاريها. لكن حادثة وقعت فبددت ما كان مؤملاً.

قبل أن يعود الإمام فيصل إلى الرياض علم أن فئات من قبيلة عنزة قد اجتمعت في القصيم. وكانت هذه القبيلة حينذاك حليفة لأهل تلك المنطقة. ويبدو أن الإمام قد رأى أن اتفاقه مع زعماء القصيم لا يشمل القبيلة المذكورة. فأمر ابنه عبدالله أن يهاجمها. ونفذ الابن ما أمره به والده، وغنم بعض ما كان معها من الإبل والغنم. فقدم زعيمها إلى عنيزة، التي كان عبدالعزيز آل أبي عليان لا يزال فيها. وهبَّ عبدالعزيز وبعض أتباعه لينتقموا من عبدالله بن فيصل. وحينما تجاوزوا بريدة قابلهم بدو من قومه معهم أغنام أرسلها إلى أبيه. فأخذوا الأغنام، وأمسكوا الرجال. وفضلَّ بعضهم الاكتفاء بذلك. لكن بعضهم الآخر أصرَّ على مهاجمة عبدالله بن فيصل ومن معه. وتقابل الطرفان في اليُتيمَة، فانتصر عبدالله على أهل القصيم انتصاراً عظيماً. وكان ذلك عام ١٢٦٥هـ<sup>(١)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٢ - ١٦٤ .

وبعد معركة اليُتَيْمَة عاد عبدالعزيز آل عليان إلى عنيزة. وقد رأى سكانها غير متحمسين لدعوته لقتال الإمام، فهرب منها عائداً إلى بريدة. وهرب من عنيزة، أيضاً، ناصر السحيمي، واتجه إلى طلال بن رشيد<sup>(١)</sup> الذي كان مع أتباعه في القوارة حينذاك بناء على توجيه من الإمام فيصل. واجتمع رؤساء هذه البلدة بعد هروب عبدالعزيز وناصر منها، وسألوا قاضيهم عبدالله أبا بطين أن يركب إلى الإمام فيصل، ويطلب منه العفو عنهم. وقد استجاب الشيخ عبدالله لسؤالهم بشرط أن يكفلهم محمد البسام، الذي كان مسموع الكلمة فيهم. وحين تمَّ ذلك ذهب إلى الإمام وحصل منه على عفو لهم. وتقدَّم ذلك الإمام بمن معه إلى تلك البلدة فدخلها، وجدَّ أهلها البيعة له<sup>(٢)</sup>.

ثم بعث الإمام فيصل إلى عبدالعزيز آل أبي عليان في بريدة، وطلب منه أن يستسلم له وإلا فإنه سيحاربه. لكن بعض أقارب عبدالعزيز وفدوا إلى الإمام، وتفاوضوا معه بشأنه، وبدلوا أموالاً وسلاحاً وخيلاً إليه، كما تعهدوا بعدم حدوث أيِّ مشكلة منه

(١) في عام ١٢٧٥هـ ذهب ناصر السحيمي إلى الهلالية لينظر خيله الموجودة هناك. فسطا عليه عبدالله بن يحيى، وزامل بن عبدالله، وحمد بن إبراهيم آل سليم، وقتلوه. وهرب أخوه من عنيزة إلى أشيقر حيث توفي سنة ١٢٨٢هـ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٢٤.

(٢) ابن بشر، ج ٢، ص ١٦٦ - ١٧٠.

مستقبلاً. فعفا عنه الإمام، وأبقاه أميراً في بلده. على أن ذلك الإمام اتخذ خطوة إدارية اعتقد أنها ستسهم في إقرار الأمن في القصيم، وتقلل من نفوذ عبدالعزيز ومكانته فيها؛ إذ عين أخاه جلوي بن تركي أميراً عاماً لتلك المنطقة، ومقره في عنيزة<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٢٦٦هـ خرج الإمام فيصل من الرياض غازياً بعض القبائل في أمكنة على حدود القصيم. ويبدو أن عبدالعزيز آل أبي عليان لم يعد واثقاً كل الثقة من وضعه الجديد. فما إن اقترب الإمام وأتباعه من المنطقة حتى هرب من بلدته متجهاً إلى الشريف محمد بن عون في الحجاز. وحينما علم الإمام بهروبهم ذهب إلى بريدة، وعين عبدالمحسن بن محمد - أخا الأمير الهارب - أميراً عليها. وحاول عبدالعزيز أن يفري الشريف بغزو نجد، لكن تجربة الشريف السابقة، وما قام به عبدالله بن فيصل من غزوات على القبائل المتاخمة للأراضي الحجازية، أقتنعوا ذلك الشريف بعدم الإقدام على أي خطوة عسكرية ضد الإمام فيصل. غير أنه شفع لعبدالعزیز لدى الإمام حتى أعاده إلى إمارة بريدة<sup>(٢)</sup>.

ولم تستمر الأمور في القصيم على ما كان يؤمل دعاة الاستقرار. ذلك أن آل سليم وأنصارهم في عنيزة ثاروا على

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧٢ - ١٧٨ .



جلوي بن تركي، وأجبروه على مغادرة بلدتهم سنة ١٢٧٠هـ. وتولّى الإمارة بعد مغادرة جلوي عبدالله بن يحيى بن سليم. فجّهز الإمام فيصل جيشاً بقيادة ابنه عبدالله لمحاربة تلك البلدة الثائرة. وحدثت بين عبدالله وأهلها عدة اشتباكات توصل الطرفان بعدها إلى صلح تمّ إبرامه في الرياض بين الإمام فيصل وعبدالله بن يحيى. وبموجب هذا الصلح تبقى البلدة تابعة للإمام، ويكون عبدالله بن يحيى أميراً لها<sup>(١)</sup>.

على أن مشكلة القصيم لم تنته عند الصلح بين الإمام فيصل وأمير عنيزة. ففي عام ١٢٧٥هـ طلب ذلك الإمام من عبدالعزيز آل أبي عليّ أن يحضر إليه في الرياض. وحينما مثل بين يديه أوضح له ما كان قد أخذه عليه من مأخذ، وعزله عن إمارة بريدة، وعيّن بدلاً منه عبدالله بن عدوان آل أبي عليّان. لكن أقارب الأمير المعزول قتلوا الأمير الجديد بعد عام من تولّيه الإمارة. ومن الغريب أن الإمام فيصل عيّن أحد المشتركين في قتل ابن عدوان، وهو محمد الغانم، أميراً للبلدة. على أن إمارة محمد لم تطل؛ إذ عزله الإمام عن الإمارة، وأعاد إليها عبدالعزيز آل أبي عليّان بعد أن تعهّد له بإصلاح الأمور في بريدة، وإرسال من قتلوا ابن عدوان إلى

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٦ - ١٧؛ دوتي، وترجمة عنوان كتابه: رحلات في جزيرة العرب، نيويورك. ١٩٢١م، ج ٢، ص ٤٥٩.

الرياض أو نفيهم عن البلاد. لكن عبدالعزيز لم يف بما تعهد به للإمام فيصل؛ إذ قُرب المقاتلين إليه. وبعد أن انتهت معركة عبدالله بن فيصل مع العجمان وحلفائهم، سنة ١٢٧٧هـ، اتجه بقواته إلى القصيم. فخاف عبدالعزيز على نفسه، وغادر بريدة إلى عنيزة. ثم خرج من هذه البلدة متجهاً مرة أخرى إلى الحجاز. لكن فرقة من جيش عبدالله ابن فيصل، بقيادة أخيه محمد، لحقت به في مكان غير بعيد من عنيزة، فقتلته. وعين الإمام عبدالرحمن بن إبراهيم أميراً في بريدة<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن مقتل عبدالعزيز آل أبي عليان في مكان يعدُّه أهل عنيزة حمى لهم كان سبباً من أسباب تجدد الخلاف بين زعماء هذه البلدة والإمام فيصل<sup>(٢)</sup>. وقد توترت العلاقات بينهما حتى تحولت إلى حرب بدأت في شوال سنة ١٢٧٨هـ. وكان قائد القوات التابعة للإمام في بداية الأمر عبدالرحمن بن إبراهيم، أمير بريدة. ثم تولّى القيادة محمد بن فيصل، فأخوه عبدالله في السنة التي تلتها. وقد استمرت الاشتباكات بين الطرفين حوالي سنة كاملة. لكن المعركتين الكبيرتين في تلك الاشتباكات كانتا معركة رُواق، والمعركة

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٢٤ - ٢٥ و ٣٥ - ٣٦. وابن إبراهيم من الفضول. وكانت أسرته مستقرة في بلد أبا الكباش قرب الدرعية. ثم استقرت في الرياض وحائل. وقد تولّى أفراد من أسرته مناصب الإمارة في بلدان مختلفة من المملكة.

(٢) دوتي، ج ٢، ص ٤٥٩.

المسمّاة كون المطر<sup>(١)</sup>. وقد انتصر أهل عنيزة في الأولى، وكادوا ينتصرون في الثانية لولا أن الله أنزل المطر، فأبطل أسلحتهم من البنادق التي تثور بالفتيل. وطالت محاصرة عبدالله بن فيصل لعنيزة إلا أنه توصل في نهاية الأمر إلى صلح مع زعمائها بذل في عقده طلال بن رشيد جهداً بارزاً. وقد صحب عبدالله بن يحيى بن سليم، أمير البلدة، عبدالله بن فيصل إلى الرياض حيث قابل الإمام فيصلاً، وجدّد له البيعة<sup>(٢)</sup>. وعادت العلاقة بين زعماء بلدة عنيزة والإمام فيصل إلى مجراها الطبيعي. وبذلك انتهت مشكلة القصيم التي أخذت من وقت الإمام فيصل وطاقاته المادية الشيء الكثير.

#### ٥ - علاقته بإمارات الخليج وعمان:

لم تكن العلاقة بين دولة الإمام فيصل بن تركي والكويت في تلك الفترة مما يجعل المصادر التاريخية تهتم بها وتعلّق عليها. ومع أن المهزّمين من قبيلة العجمان أمام عبدالله بن فيصل، سنة ١٢٧٦، هربوا إلى دخل الكويت، وأن عبدالله حاول أن يخرجهم حاكمها منها، فإن الأمر لم تحدث له مضاعفات سلبية. بل إن عبدالله لم يعد من هناك إلا وقد تبادل مع ذلك الحاكم رسائل الصداقة والمودة<sup>(٣)</sup>.

(١) الكون: المعركة.

(٢) انظر تفصيل تلك الحرب في ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٣٩ - ٤٢ .

دوتي، ج ٢، ص ٢٦٠ - ٢٦٣، الذكير، ص ٨١ - ٨٤ . ولمزيد من التفصيل يمكن

الرجوع إلى السلطان، ص ١٨٠ - ٢١٢ .

(٣) ابن بشر، ج ٢، ص ١٤٠ .

أما علاقة الإمام فيصل بحكام البحرين فكانت مختلفة تمام الاختلاف عن علاقته بحكام الكويت. فقد تمكّن في بداية فترة حكمه الثانية من استعادة قصر الدمام، الذي كان آل خليفة قد استوالو عليه منذ فترة. وتوصل مع حاكم البحرين حينذاك إلى اتفاق مشابه للاتفاق الذي كان موجوداً بين سلفيهما. وأهم ما فيه دفع ذلك الحاكم الزكاة إلى الإمام فيصل، ومساعدة الإمام له ضد أي عدوان خارجي. لكن العلاقة بين الطرفين لم تستمر وفق ما كان مؤملاً. بل خضعت لتقلّبات مختلفة نتيجة لظروف كل منهما. فقد كان الوفاق يسود، أحياناً، فيعملان بما سبق أن اتفقا عليه، ويدفع حاكم البحرين الزكاة إلى الإمام. وأحياناً أخرى كانت العلاقات تتوتّر فيرفض ذلك الحاكم ما كان يدفعه إلى الإمام. وربما تطوّر الأمر إلى المناوشات العسكرية أو التهديد بالغزو. وكان الخلاف الموجود حينذاك بين آل خليفة أنفسهم، والتدخل البريطاني، من الأمور التي زادت المشكلة تعقيداً. ولقد وقفت بريطانيا - كما كان متوقعاً - بجانب حاكم البحرين لما كان لها من نفوذ ومصالح خاصة في بلاده. ولم يكن وقوفها معه محصوراً في تهديدها للإمام فيصل بأن يتجنّب غزو البحرين، وإنما تجاوز ذلك إلى ضرب موائمه لعدم إبعاده لمعارضيه ذلك الحاكم من آل خليفة عنها بحجة عدم ضمان أمنه ما داموا فيها. على أنه في أواخر عهد الإمام فيصل نجح في

وساطته لحلّ الخلاف الأُسري بين آل خليفة. وعاد المعارضون لحاكم البحرين إلى بلادهم<sup>(١)</sup>.

وأما بالنسبة لجهات عمان فقد أرسل الإمام فيصل إليها قوات بقيادة سعد بن مطلق المطيري سنة ١٢٦١هـ<sup>(٢)</sup>، واستطاعت أن تتوغل في الأراضي العمانية، واضطر حاكمها إلى دفع الزكاة إليه<sup>(٣)</sup>. ومع أن نفوذ السعوديين في تلك الجهات - بل وفي البريمي ذاتها - تعرّض بعد ذلك لنكسات شديدة إلا أنهم تغلبوا في نهاية الأمر، بقيادة عبدالله بن فيصل، على الصعوبات التي واجهتهم، واستعادوا بعض ما فقدوه من نفوذ<sup>(٤)</sup>.

## ٦ . علاقته بالدولة العثمانية:

من الواضح أن الإمام فيصل بن تركي كان على استعداد للتحالف مع الدولة العثمانية. ربما كان سبب ذلك إدراكه لقوتها وما قد تؤدّي إليه معاداتها من مشكلات. ومن المرجح أنه وافق على

(١) انظر تفصيل ذلك في المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٧، ١٧٩ - ١٨٠؛ وايندر، ص١٨٥ - ١٨٦، ١٨٨ - ١٩١؛ نخلة، ص١٢٥ - ١٢٤ .

(٢) وسعد بن مطلق هو ابن القائد مطلق، الذي كانت له جهود في بسط النفوذ السعودي في جهات عمان زمن الدولة السعودية الأولى.

(٣) وايندر، ص١٩٤؛ اعتماداً على سالدانا حول نجد، ص١٤؛ كيلي، ج١، ص٦٧٦ - ٦٧٧ .

(٤) انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج٢، ص١٥٥ - ١٥٦ و١٧٩؛ وايندر، ص١٩١ - ٢٠٢؛ نخلة، ص١١٥ - ١٢٤ .

التبعية الاسمية لها، وعلى دفع مبلغ من المال كل سنة إليها رمزاً لتلك التبعية<sup>(١)</sup>. ولعلّ مما يؤيد ذلك أن الإمام ذكر في إحدى رسائله إلى المقيم البريطاني في الخليج أنه تابع للسلطان العثماني<sup>(٢)</sup>، وأن والي بغداد؛ ممثلاً للدولة العثمانية، قد احتج على بريطانيا لاعتدائها على أراضي الإمام فيصل مبرراً احتجاجه بتبعية الإمام لذلك السلطان<sup>(٣)</sup>. على أنه من الواضح أن هذه التبعية؛ سواء صرح بها الإمام أو صرح بها الوالي العثماني على العراق، إنما قصد بها، أساساً، تقوية موقف من أشار إليها ضد ذلك العدو المشترك؛ وهو بريطانيا.

وكان دفع الإمام فيصل بن تركي المال إلى العثمانيين خاضعاً للظروف المحيطة بكلا الطرفين. فمن المرجح أن الإمام لم يدفع ما كان عليه أن يدفعه خلال العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري لأن سلطة الدولة العثمانية في غربي الجزيرة العربية قد تعرّضت لكثير من الهزات العنيفة. لكن حينما تمكّنت تلك الدولة

(١) وايندر، ص ١٧٩ و ٢٠٦ .

(٢) المصدر نفسه، ٢٠٧ .

(٣) نخلة، ص ١٣٣ .

من استعادة هيبتها في المنطقة المذكورة، وتغلّبت على مشكلاتها هناك عاد الإمام فيصل إلى دفع ما كان يدفعه إليها في الماضي<sup>(١)</sup>.

## ٧. علاقته ببريطانيا:

كانت بريطانيا دائماً تقف ضد أيّ دولة قوية تحاول مدّ نفوذها في الخليج وجهات عمان التي لها مصالح فيها. فقد وقفت ضد الدولة السعودية الأولى، ثم وقفت ضد محمد علي. ولم يكن موقفها من الإمام فيصل مختلفاً عن موقفها السابقين؛ وبخاصة أن نفوذها في المنطقة قد ازداد بعد انسحاب القوات المصرية منها، وأصبحت مصالحها فيها أكثر من ذي قبل.

لقد امتنعت بريطانيا عن مساعدة المعارضين للإمام فيصل في البريمي وما حولها في بداية عهده، وأرسل إليها الإمام رسالة عبّر فيها عن أمله في إقامة علاقات طيبة معها مثل تلك العلاقات التي كانت بينها وبين أبيه الإمام تركي. وحينما توغلت القوات السعودية في عمان نصحت بريطانيا القادة العمانيين أن يدفعوا إلى قائد تلك القوات ما أرادته من أموال. لكنها وقفت ضد أيّ محاولة يقوم بها السعوديون للاستيلاء على مسقط وصحار.

(١) لمزيد من التفاصيل عن علاقة فيصل بالعثمانيين انظر الدولة السعودية الثانية، لعبد الفتاح أبي عليّة، الرياض، ١٣٩٤هـ، ص ١٥٠ - ١٥٤.

وكان موقف بريطانيا بالنسبة للنزاع بين الإمام فيصل وآل خليفة مشابهاً، بدرجة كبيرة، للموقف الذي اتخذته في عمان. ذلك أنها لم تشجّع حاكم البحرين على عدم دفع الزكاة إلى الإمام، لكنها وقفت إلى جانبه ضد أي محاولة غزو لبلاده. بل هاجمت أراضي فيصل لعدم تخليّهِ عن إيواء خصوم ذلك الحاكم<sup>(١)</sup>.



(١) لمزيد من التفاصيل عن علاقة الإمام فيصل ببريطانيا انظر وايندر، ص ١٩٢ و٢١٧ - ٢٢١؛ نخلة، ص ١٢٥ - ١٣٤؛ أبا عليّة، ص ١٣٣ و١٤٢ - ١٤٧ .



الدولة السعودية بعد الإمام  
فيصل بن تركي



## ١ - النزاع على الحكم وانحسار الدولة:

في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٢هـ توفي الإمام فيصل بن تركي<sup>(١)</sup>. وكان قد فقد بصره، أو كاد يفقده، في أواخر عمره، فأسند كثيراً من أعباء الدولة إلى ابنه الأكبر عبدالله<sup>(٢)</sup>. وبعد وفاته بويع عبدالله بن فيصل بالإمامة. وممن بايعه بها أخوه سعود<sup>(٣)</sup>. غير أنه لم يمض عام واحد على تولّيه الإمامة إلا وقد خرج عليه ذلك الأخ ينازعه الحكم. وتختلف الروايات في سبب ذلك<sup>(٤)</sup>. لكن من المرجح أن الطموح إلى تولّي السلطة كان من أكبر العوامل التي دفعت سعوداً إلى الخروج على عبدالله.

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٤٩ .

(٢) وايندر، ص ٢٢٨، الذكير، ص ٨٦ .

(٣) انظر رسالة الشيخ عبداللطيف، الدرر السننية، ج ٧، ص ٢٤٢، ورسالة ابنه الشيخ عبداللطيف، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٤٤ .

(٤) هنالك من يقول: إن عبدالله اضطهد سعوداً، ومنع الناس من الاتصال به مما دفعه إلى الثورة. انظر الذكير، ص ٨٦. وقد ذكر سعود في رسالة إلى الشيخ حمد بن عتيق أموراً متعددة جعلته يثور على أخيه عبدالله، ورد عليها الشيخ حمد بما يفنّدها. انظر الدرر السننية، ج ٧، ص ٢٥٨ - ٢٦٢ ولعلّ إمارة سعود للخرج، التي كانت ناجحة وطويلة نسبياً، قد جعلته يعتاد حياة معيئة تفرض عليه التزامات ربما صعب على أخيه عبدالله توفيرها له. على أن سعوداً عزل عن تلك الإمارة في أواخر عهد أبيه. وربما كان عزله بقرار من أخيه، الذي تولّى أعباء الحكم الثقيلة عن والده حينذاك، فأضمر سعود في نفسه على أخيه ما أضمر، وبايعه عن كره، كما ذكر في رسالته إلى ابن عتيق.

وكان كثير من الحاضرة؛ وبخاصة علماء الدين، يقفون إلى جانب عبدالله بن فيصل ويؤيدونه لأنه الوارث الشرعي للإمامة سناً وعهداً. وكانت له خبرة في إدارة شؤون الدولة، وفي قيادة الجيوش. وقد وقف معه أخوه محمد، الذي سبق أن قاد بعض الغزوات في عهد أبيه. وكل ما ذكر بدا مرجحاً لكفة عبدالله في منافسة أخيه سعود له. وكان هذا الأخير يدرك ذلك تمام الإدراك. لكنه كان، فيما يبدو، قد أخذ عدة عوامل بعين الاعتبار. ومن هذه العوامل أن ضربات عبدالله الموجهة لقبيلة العجمان كانت لا تزال حديثة العهد مما جعل تلك القبيلة تكنُّ له العداً وتتحينَّ الفرص للانتقام منه. وكان بينها وبين سعود صلة رحم<sup>(١)</sup>. وهذا عامل إضافي يمكن أن يزيد من حماستها للوقوف معه ضد أخيه عبدالله. ومن المرجح أن إمارة سعود الطويلة نسبياً في جنوبي نجد خلال عهد أبيه قد نمت النزعة في نفسه إلى السلطة، وجعلته يأمل في وقوف السكان هناك إلى جانبه<sup>(٢)</sup>.

بعض المصادر التي أوردتها

تشجع آل رشيد للانتقام من سعود صلة رحم  
محمد بن سعود بن فيصل

خرج سعود بن فيصل من الرياض ثائراً ضد أخيه الإمام عبدالله. ولعلمه بأن غالبية سكان نجد لن يقوموا معه اتجه إلى

(١) وايندر، ص ٢٣٠ .

(٢) كان سعود قد تولّى إمارة منطقة الخرج سنة ١٢٦٣هـ. انظر ابن بشر، ج ٢، ص ١٥٢ . ومع أن الشيخ ابن عتيق قد أشار إلى أنه قد عُزل عن الإمارة في حياة أبيه، كما سبق أن ذكر، فإنه لم يحدد تاريخ ذلك العزل.

محمد بن عائض في عسير آملاً منه المساعدة. وما إن علم أخوه بسفره إلى أبها حتى بعث وفداً إلى هناك ليستميله ويقنعه بالعودة إلى الرياض. وكان ابن عائض من المتعاطفين جداً مع الحكم السعودي القائم على أساس الدعوة الإصلاحية النجدية. وكان لذلك يكره أن يحدث انقسام داخلي يؤثّر على ذلك الحكم. فلم يكن غريباً أن يمتنع عن تقديم أيّ معونة عسكرية لسعود ضد أخيه عبدالله. بل حاول مع الوفد المرسل إليه أن يثنيه عن عزمه على محاربة الإمام الشرعي أخيه الأكبر. لكن المحاولات لم تتجح في إقناع سعود عن ترك ما صمّم عليه<sup>(١)</sup>.

وحينما فشل سعود بن فيصل في الحصول على معونة عسكرية من محمد بن عائض توجه إلى نجران حيث رحب به رئيسها وأيده<sup>(٢)</sup>. ولم يكن ذلك الموقف غير متوقع من الرئيس النجراني. فقد كان لا يتعاطف مع الحكم السعودي القائم على أساس العقيدة السنيّة التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ولعلّه رأى أن تشجيع الانقسامات داخل الأسرة السعودية مما يضعف ذلك الحكم. وكانت قبائل نجران يامية الأصل، وهي لهذا تمتّ بصلّة القرابة لقبيلة العجمان اليامية التي كانت علاقتها بعبدالله بن فيصل سيئة.

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

ثم وفدت إلى سعود بن فيصل وهو في نجران فئات من بعض القبائل؛ مثل العجمان وآل مرة وآل شامر، فتكونت لديه قوة شجعته على أن يسير بها لمحاربة أخيه عبدالله. وانطلق من نجران إلى وادي الدواسر حيث لقيت حركته الكثير من النجاح، وازداد عدد المنضمين إليه. وكان أخوه عبدالله على علم بتحركاته. فجهز جيشاً كبيراً بقيادة أخيه محمد للوقوف في وجه تقدم سعود. وتقابل الأخوان محمد وسعود بجيشيهما في المعتلى. فهزّم سعود وجرح في المعركة، وقتل كثير من أتباعه؛ وذلك سنة ١٢٨٣هـ<sup>(١)</sup>. ثم سار سعود بعد هزيمته في المعتلى إلى مواطن آل مرة، وظل عندهم حتى برئت جراحه، وبعد ذلك توجه إلى جهات عمان<sup>(٢)</sup>. ولم يكن مسيره إلى هناك، فيما يبدو، محض الصدفة؛ وإنما كان نتيجة دراسته لأوضاع تلك الجهات. ذلك أن القوى المحيطة بها؛ مثل سلطان مسقط وبريطانيا، لم تكن ذات مودة لأخيه عبدالله.

أما عبدالله بن فيصل فإن النصر الذي حققه له أخوه محمد في المعتلى أغراه باتخاذ إجراءات صارمة ضد من تعاون مع أخيه سعود. فأرسل، سنة ١٢٨٤هـ، عمه عبدالله بن تركي بقوات إلى الأحساء، وأمره أن يحبس من ظفر به من بادية العجمان، وأن

(١) الفاخري، ص ٨٨ - ١٨٩، المؤرخ البسام، ورقة ٤٩ ب؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) الذكر، ص ٨٦؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٣.

يحرق بيوتهم. واستدعى أمير تلك المنطقة محمد بن أحمد السديري إلى الرياض، فعزله عن الإمارة، وعيّن بدلاً منه ناصر بن جبر الخالدي<sup>(١)</sup>. وربما كان سبب ذلك العزل أن أخا محمد، تركي ابن أحمد، أمير جهات عمان قد آوى سعود بن فيصل<sup>(٢)</sup>، وأن الإمام عبدالله خشي من اتفاق الأخوين في المنطقة الشرقية وجهات عمان على العمل ضده. ومهما كان السبب فإن عزل السديري، الذي كان محبوباً لدى السكان، كان عامل ضعف في مركز الإمام عبدالله هناك. وفي عام ١٢٨٥هـ قاد هذا الإمام قوات إلى وادي الدواسر، واتخذ ضد أهله عقوبات اقتصادية<sup>(٣)</sup>.

مكث سعود بن فيصل في جهات عمان حتى اغتيل الأمير تركي ابن أحمد السديري سنة ١٢٨٥هـ. فلجأ إلى عزّان بن قيس عدوّ أخيه عبدالله في تلك الجهات<sup>(٤)</sup>. وكانت بريطانيا، بما لها من نفوذ في البحرين حينذاك، تكره الإمام عبدالله، وبالتالي تتعاطف مع أخيه سعود. فرأى هذا أن تلك البلاد أنسب له للاتصال بالقبائل المناصرة له في شرقي الجزيرة العربية؛ مثل آل مرة والعجمان،

(١) المصدر الأخير، الصفحة ذاتها.

(٢) نخلة، ص ١٤٠.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٤.

(٤) نخلة، ص ١٤٠.

فذهب إلى هناك حيث رحب به عيسى بن خليفة. وقد وفد إليه عدد من أنصاره. وبدأ يستعد لاستئناف نشاطه العسكري<sup>(١)</sup>.

وكانت أول خطوة قام بها سعود بن فيصل من البحرين مهاجمة المناطق التابعة لأخيه عبدالله في قطر. لكن عبدالله كان قد بعث سرية إلى هناك تحسباً لأي طارئ. فاستطاع أتباعه أن يصدوا هجوم سعود ومن معه. فعاد المهاجمون من حيث أتوا<sup>(٢)</sup>.

ومع أن هزيمة سعود بن فيصل في قطر كانت صدمة أخرى له إلا أنه لم ييأس. بل واصل نشاطه واتصالاته بأنصاره في المنطقة الشرقية. وحينما اقتنع بقدرته على معاودة الهجوم اتجه من البحرين إلى العُقَيْر، فاستولى عليها. وانضمت إليه فئات من قبائل المنطقة، فتوجه إلى الهفوف مقر أميرها من قبل أخيه عبدالله. وقد أغرى زعماء العجمان ذلك الأمير بالخروج لمقاتلة سعود، فخرج لمقاتلته. وحينما اقترب منه انقلب أولئك الزعماء ضده، وانضموا إلى سعود ومن معه. وعاد أمير عبدالله منهزماً إلى الهفوف. وطوّقه سعود بقواته حتى ضيق عليه الحصار<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٤. وذكر هذا المؤلف أن من بين الذين وفدوا إلى سعود في البحرين محمد بن عبدالله بن ثيَّان.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٤ - ٦٥. وقد قتل في الهجوم محمد بن ثيَّان.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٥ - ٦٦، آل عبدالقادر، ج ١، ص ١٦٨ - ١٦٩.



وما إن علم عبدالله بن فيصل بأخبار المنطقة الشرقية حتى جهّر جيشاً كبيراً بقيادة أخيه محمد، وأرسله لمقاومة سعود. وعلم سعود باتجاه ذلك الجيش إليه، فرأى أن يرفع الحصار عن الهفوف ويقابله قبل أن يصل إلى بلدان الأحساء. وتقابل الأخوان، محمد وسعود، بجيشيهما في جُودَة سنة ١٢٨٧هـ. وفي أثناء المعركة انضمت فئات من قبيلة سبيع، التي كانت مع محمد، إلى سعود<sup>(١)</sup>. فدبّت الفوضى في جيش محمد، وانتصر أخوه سعود عليه. وقد تمكّن المنتصر من أسر أخيه، وأخذه معه سجيناً. ثم عاد سعود بعد انتصاره في جودَة ليستولي على بلدان المنطقة الشرقية دون صعوبة. وبذلك خرجت تلك المنطقة المهمة عن حكم عبدالله بن فيصل<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أنه كان لهزيمة جيش عبدالله بن فيصل في جودَة، واستيلاء أخيه سعود على المنطقة الشرقية، أثر كبير في نفسه. ذلك أنه جمع ثروته وغادر الرياض متجهاً إلى جبل شمر.

(١) الفاخري، ص ١٩١؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٦. ويقال إن سبب انقلاب تلك الفئات من سبيع على محمد أن عبدالله بن فيصل لم يقبل شفاعته أحد زعمائها لواحد من رؤساء العجمان سنة ١٢٨٦هـ. انظر سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٢٨٠هـ، ص ٢٢، وقد كان لزعيم العجمان، راكان بن حثلين، جهد في إغراء زعيم سبيع في الانضمام إلى سعود، انظر آل عبدالقادر، ج ١، ص ١٦٩.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٦ - ٦٧.

وفي طريقه إلى هناك اتصل بأمير عنيزة، زامل بن سليم، محاولاً أن يكسبه إلى جانبه. لكن ذلك الأمير لم يشأ أن يتدخل في نزاع الأخوين حينذاك<sup>(١)</sup>. ويبدو، أيضاً، أن عبدالله لم يتلق من زعماء جبل شمر ما يشجعه على مواصلة سيره إلى هناك. فرأى أن يستتجد بوالي بغداد، مدحت باشا، ليساعده في تلك الآونة الحرجة<sup>(٢)</sup>. ولعل من أسباب توجهه إلى ذلك الوالي العثماني محاولة الاستفادة من التنافس بين الدولة العثمانية وبريطانيا، التي كانت قد أيدت أخاه سعوداً. وكان والي بغداد نشطاً ومتطلعاً إلى توسيع مناطق نفوذه. وما إن وصله مندوب عبدالله، عبدالعزيز أبو بطين، حتى أبدى استعداده لنجدته<sup>(٣)</sup>.

وفي أثناء ذلك وفد محمد بن هادي بن قرملة، رئيس قبيلة قحطان، على سعود بن فيصل في الأحساء، فلم يستقبله الاستقبال الذي كان يتوقعه<sup>(٤)</sup>. ومن الواضح أن السبب في ذلك ما كان يوجد من خلاف بين قبيلة قحطان وقبيلة العجمان عماد قوة سعود؛ إذ

(١) وايندر، ص ٢٥٠. وكان زامل قد أصبح أميراً لعنيزة بعد وفاة عبدالله بن يحيى

سنة ١٢٨٥ هـ. ابن عيسى، عقد الدرر، ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٧. وقد لقيت هذه الخطوة انتقاداً من علماء الدين: انظر

الدرر السنوية، ج ٧، ص ٢٤٥.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٧.

(٤) كان محمد بن هادي فارساً مفواراً، وشاعراً مجيداً. وقد بلغت قحطان برئاسته

شأواً بعيداً؛ إذ احتلت مكان الصدارة بين القبائل في نجد.

خشي هذا الأخير أن يكون إكرامه لابن هادي داعياً لغضب ابن حثلين. فقررّ زعيم قحطان أن ينضم إلى صف عبدالله بن فيصل، وشجعه على العودة إلى الرياض، فعاد إليها. وكان سعود قد بدأ سيره في اتجاه هذه المدينة إلا أنه لما علم بعودة أخيه عدالله إليها رجع إلى الأحساء ليزيد من استعداداته. ثم زحف من هناك مرة أخرى. وما إن اقترب من الرياض حتى غادرها عبدالله إلى مضارب قحطان حيث ينتظر ما تسفر عنه حوادث الأيام. فدخل سعود بن فيصل تلك المدينة، وأخذ البيعة من سكانها. وقام أتباعه من البادية بأعمال نهب وتخريب عانى منها أولئك السكان الشيء الكثير. وذلك سنة ٢٨٨هـ (١).  
*أسود سعود دخل الرياض*

ولما استقر سعود بن فيصل في الرياض جهّز قوات، واتجه بها لمحاربة أخيه عبدالله. ودارت بينهما معركة في البرّة (٢). فانهزم عبدالله ومن معه من قحطان. وعاد سعود بعد انتصاره إلى الرياض (٣).

وبينما كانت تلك الحوادث تجري جهّز والي بغداد جيشاً بقيادة نافذ باشا، وسيّره إلى شرقي الجزيرة العربية. وقد انضم إلى هذا

(١) الدرر السنية، ج٧، ص ٢٥٢ - ٢٤٣: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٩ .

(٢) البرّة: قرية قريبة من ضرماء. انظر عنها عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٠هـ، ج١، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٩ - ٧٠ .

الجيش جيش آخر من الكويت بقيادة عبدالله بن صباح وأخيه مبارك. وحين وصل الجميع إلى منطقة الأحساء هاجموا مراكز سعود بن فيصل، واستطاعوا أن يستولوا عليها. وأخرج نافذ باشا محمد بن فيصل من سجنه، وبعث إلى أخيه عبدالله يستقدمه إليه. ففعل عبدالله ما طلب منه القائد العثماني<sup>(١)</sup>.

وكان خروج المنطقة الشرقية من حكم سعود بن فيصل من الأمور التي شجعت الموالين لأخيه في الرياض على الثورة ضده. فقام عليه عمه عبدالله بن تركي، واضطره إلى مغادرتها<sup>(٢)</sup>. وسار سعود من الرياض إلى الدلم. ثم اتجه من هناك إلى الأحساء، وبدأ يقاوم الجيش العثماني فيها. لكنه فشل في مسعاه العسكري. فرأى أن يلجأ إلى الطرق السلمية، وأرسل أخاه عبدالرحمن إلى بغداد للتفاوض مع واليها. لكن ذلك الوالي، الذي لم يبعث جيشه إلا للاستيلاء على شرقي الجزيرة العربية، لم يبد أي استعداد للتفاوض حول سحب قواته من هناك؛ بل أبقى عبدالرحمن رهينة لديه<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٧٠ - ٧١؛ نغلة ص ١٦١ - ١٦٢. وهو من أحسن المصادر التي تناولت هذه الحملة.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٧١.

(٣) وايندر، ٢٥٩. وكان مع عبدالرحمن فهد بن صنيتان. وصنيتان لقب لعبدالله بن إبراهيم، أخي الإمام تركي.

على أن عبدالله بن فيصل لم يبق طويلاً في الأحساء. ذلك أنه أنذر بأن قائد القوات العثمانية فيها يخطط لتسفيره إلى بغداد<sup>(١)</sup>. ويبدو أن الإنذار جاء في الوقت المناسب، وهو انتزاع عمه عبدالله بن تركي حكم الرياض من أخيه سعود، كما سبق أن ذكر. فدبر عبدالله حيلة هرب بها من المنطقة الشرقية مع أخيه محمد وابنه تركي. وحينما وصل إلى الرياض سلّمه عمه عبدالله مقاليد الأمور فيها<sup>(٢)</sup>.

أما سعود بن فيصل فبعد أن يئس من نجاح المفاوضات مع والي بغداد خفّ بمن تبعه من العجمان وغيرهم، واتجه إلى الأفلاج حيث انضم إليه بعض سكان جنوبي نجد وما إن علم أخوه عبدالله، بتحركاته حتى بعث جيشاً بقيادة أخيه محمد، ومعه عمه عبدالله إلى الدلم، وحينما حاصر سعود أخاه محمداً ومن معه في تلك البلدة انقلب سكانها معه. فهرب محمد عائداً إلى الرياض، ووقع عمه عبدالله أسيراً في يد سعود. وسجنه هذا الأخير حتى مات في سجنه بعد أيام قليلة. ثم واصل سعود زحفه حتى وصل إلى أطراف الرياض حيث تقابل مع أخيه عبدالله في الجزعة، وهزمه<sup>(٣)</sup>. ودخل سعود العاصمة بينما ذهب عبدالله إلى المناطق القريبة من الكويت مع بادية قحطان. وذلك سنة ١٢٩٠هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ ابن هذلول، ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٢؛ ابن هذلول، ص ٢٨.

(٤) الجزعة: قرب المصانع الواقعة جنوب منفوحة.

وبعد أن استقر سعود بن فيصل في الرياض وأمضى حوالي شهرين فيها خرج بأتباعه ومن انضم إليه من حاضرة نجد وباديتها، وقصد مسلط بن ربيعان وقومه من عتبية<sup>(١)</sup>. ولكنه حينما التقى بالعتبان في طلال هزموه وقتلوا كثيراً ممن كانوا معه<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ١٢٩١هـ استطاع عبدالرحمن بن فيصل مغادرة العراق، ووصل إلى البحرين، وتشير بعض المصادر إلى أن ذلك قد تم نتيجة لمساع بريطانية لدى السلطات العثمانية. ثم اتجه عبدالرحمن من البحرين إلى العقير حيث انضم إليه كثير من المؤيدين. وزحف بهؤلاء على الهفوف، فتعاون معه أهلها، وقاموا على الحامية العثمانية فيها، فقتلوا عدداً من رجالها، وحاصروا الباقين منهم في الكُوت. لكن إمدادات جديدة قدمت من العراق بقيادة رئيس قبيلة المنتفق، وهزمت عبدالرحمن بن فيصل ومن

(١) مسلط بن ربيعان رئيس الروقة من قبيلة عتبية. أما رؤساء برق، القسم الآخر من هذه القبيلة، فال حميد. وقد برز منهم أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الذي تلاه محمد بن هندي الذي كان من أعظم رجال زمانه دهاء وشجاعة.

(٢) طلال: مورد ماء في عالية نجد. ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٨٥ هامش ٢. ولزيد من التفاصيل عن معركة طلال انظر عقد الدرر، ص ٧٥ - ٧٦؛ ابن هذلول، ص ٤٠ - ٤١. وقد خلدت هذه المعركة، وأوردت تفاصيلها، قصيدة شليويح العطاوي، أحد فرسان الروقة المشهورين، والتي مطلعها:

مبدا كلامي طلبتي ذكر الله

ولالي عن الرب الكريم غناوي

وهي موجودة في كتاب الحاتم، ج ٢، ص ٢٢٥ - ٢٥٦ .

معه . فترك الأحساء، وتوجه إلى الرياض . لكنه ما إن وصل إلى هذه المدينة حتى توفي أخوه سعود، فحلَّ محلَّه في الحكم<sup>(١)</sup>.

ورغم الهزائم التي حلَّت بعبدالله بن فيصل فإنه لم ييأس . وربما كان لانتصار ابن ربيعان على أخيه سعود في طلال، ثم لوفاة سعود، أثر في تشجعه على استئناف محاولاته لاستعادة الحكم . فبعث أخاه محمداً بمن انضم إليه من عتيبة ليستولي على الوشم . وأسرع أخوه عبدالرحمن بقواته ليصده عنها، وتمكَّن من هزيمته . لكن عبدالرحمن ذهب بعد ذلك إلى الدوادمي لقتال مسلط بن ربيعان وقومه . ومن سوء حظه أنه لم يجد ابن ربيعان وقومه وحدهم، وإنما وجد معهم فئات أخرى من عتيبة بقيادة ابن حميد، وهذَّال الشيباني . فانتصروا عليه، وعاد إلى الرياض، وذلك سنة ١٢٩٢هـ<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ١٢٩٣هـ قامت مشكلة بين عبدالرحمن بن فيصل وأبناء أخيه سعود سببها مقتل فهد بن صنيتان آل سعود، المقرب

---

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٧ - ٧٨ و ٨٠؛ المؤرخ البسام، ورقة ١٥٤ أ . وعن مساعي بريطانيا لدى العثمانيين للسماح لعبد الرحمن بن فيصل بمغادرة العراق انظر نخلة، ص ١٩٤ . وكانت وفاة سعود في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٢٩١هـ . وعن ظروف تولي عبدالرحمن الحكم انظر الدرر السنوية، ج ٧، ص ٢٥٣ .

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٨٠ - ٨١ .

من عبدالرحمن<sup>(١)</sup>. وكان موقف عبدالله بن فيصل قد تحسَّن كثيراً بعد انضمام قبيلة عتيبة إلى جانبه. فاتجه بأتباعه إلى الرياض لانتزاع الحكم من أخيه عبدالرحمن. وكان لضعف موقف هذا الأخير داخلياً، وللجهود التي بذلها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، أثر كبير في إقناعه بأن يخرج إلى أخيه عبدالله، ويتنازل له عن الإمامة. ومن الواضح أن أبناء سعود بن فيصل لم يرضوا بما تمَّ بين عميهما من صلح. ولذلك غدروا الرياض إلى الدلم<sup>(٢)</sup>.

وعلى أيِّ حال فإنه بالرغم من استعادة عبدالله بن فيصل للحكم إلا أن نفوذه لم يتجاوز من الناحية الواقعية بلدان العارض والبلدان القريبة منها. ومنذ تولَّيه الحكم، بتنازل من أخيه عبدالرحمن عنه، ونفوذه يزداد ضعفاً يوماً بعد آخر أمام ازدياد قوة منافس نجدي جديد هو محمد بن عبدالله بن رشيد. ولعلَّه من المستحسن إعطاء لمحة موجزة عن أسرة هذا الأمير قبل تولَّيه الإمارة.

(١) بينما يذكر ابن عيسى (المصدر نفسه: ٨٣) أن ابن صنيطان قتله محمد بن سعود ابن فيصل يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، المعاصر للحادثة: إن الذي قتله ابن جلوي؛ أي من ذرية جلوي بن تركي لا من ذرية فيصل. انظر الدرر السنية، ج ٧، ص ٢٥٤.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٨٣ - ٨٤.



## ٢ - آل رشيد قبل حكم محمد بن عبدالله:

ينتمي آل رشيد إلى آل جعفر أحد بطون عبدة من قبيلة شمر. والمعلومات التاريخية عن هذه الأسرة قبل نشاط مؤسس الإمارة فيها، عبدالله بن علي بن رشيد، قليلة جداً. ومما ذكرته المصادر عن أبي ذلك المؤسس أنه كان ورعاً متديناً، وأنه كان جابياً للزكاة من بادية شمر في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز. وكان أخو علي، جبر بن رشيد، أحد كتّاب ذلك الإمام وموضع ثقته<sup>(١)</sup>.

وكان ابنا علي بن رشيد، عبدالله وعبيد، نشطين منذ فترة شبابهما المبكر. ومن نشاطهما مرافقة القوافل المارة بجبل شمر المتجهة إلى العراق أو القادمة منها إلى الحجاز عبر ذلك الجبل. وقد تزوج عبدالله ابنة أمير جبل شمر، محمد بن عبدالمحسن بن علي، الذي يلتقي معه من حيث النسب بآل جعفر، والذي كان من أشهر قادة الدولة السعودية الأولى. لكن خلافاً وقع بين عبدالله بن رشيد وأخيه عبيد وبين الأمير صالح بن عبدالمحسن بن علي، الذي تولّى إمارة جبل شمر بعد مقتل أخيه محمد بأيدي رجال إبراهيم باشا سنة ١٢٢٤هـ. ولعلّ من أهم أسباب ذلك الخلاف ما كان يوجد لدى هذين الشابين من طموح دفعهما إلى التدخل في أمور يَعدّها الأمير صالح من صميم اختصاصاته.

(١) انظر عن تفصيلات ذلك العثميين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ٦٧ - ٧١ .

وقد أدَّى الخلاف بين الأمير صالح بن عبدالمحسن وعبدالله بن رشيد وأخيه عبيد إلى نفيهما من حائل. وبعد إخراجهما من هذه البلدة اختفيا مدة في أحد الأمكنة القريبة منها. وكانا يتسللان، أحياناً، إليها لزيارة أقاربهما وأصدقائهما. وقد أمر الأمير صالح واحداً من عبيده بالقبض على عبدالله. لكن هذا الأخير احتال به، وقتله. فازداد غضب الأمير عليه وعلى أخيه عبيد، وأخرج أمهما من حائل أيضاً<sup>(١)</sup>.

وقد ذهب عبدالله بن رشيد بعد ذلك إلى العراق بينما بقي أخوه عبيد مع أسرتهما مختفياً قرب قاعدة جبل شمر. وبعد إقامة عبدالله في العراق مدة تختلف المصادر في تحديدها وفي طبيعة نشاطه خلالها عاد إلى نجد، ووفد إلى الإمام تركي بن عبدالله آل سعود<sup>(٢)</sup>. وقد أصبح أحد أصدقاء ابنه فيصل المقربين، وأحد قادته العسكريين. وكان مع فيصل في غزوته إلى جهة القطيف حينما بلغه خبر اغتيال أبيه الإمام تركي بمؤامرة دبرها مشاري بن عبدالرحمن آل سعود. وقد قام عبدالله بجهد بارز في القضاء على مشاري تخطيطاً وتنفيذاً<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر، ص ٩٠ - ٩٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٥ - ٩٩ .

(٣) ابن بشر، ج ٢، ص ٦٥ - ٦٧ .

وبعد شهور من تولّي الإمام فيصل بن تركي الحكم عزل صالح بن عبدالمحسن بن علي عن إمارة جبل شمر، وعين بدلاً منه عبدالله بن رشيد. وقد نتج عن ذلك خلاف شديد بين الأمير المعزول والأمير الجديد. وكانت نهاية ذلك الخلاف إخراج آل علي من حائل، ثم القضاء على صالح بن عبدالمحسن وأكثر أفراد أسرته<sup>(١)</sup>.

ومع أن عبدالله بن رشيد فقد الإمارة عن طريق القوة التي بعثها إسماعيل بك وخالد بن سعود مع عيسى بن علي إلا أنه عاد إليها بعد فترة قصيرة بقوته الذاتية، ومباركة القائد خورشيد وتأيبده. ولقد تمكّن من توطيد نفوذه في منطقة جبل شمر والمناطق القريبة منها شمالاً خلال السنوات الواقعة بين فترتي حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى والثانية. وكان من أبرز ما حققه من نجاح في تلك المدة انتصاره العظيم على أهل القصيم وحلفائهم من عنزة في معركة بقعاء سنة ١٢٥٧هـ<sup>(٢)</sup>.

وحينما غادر الإمام فيصل بن تركي مصر، سنة ١٢٥٩هـ، قدم إلى عبدالله بن رشيد في حائل. فأكرمه، وسار تحت رايته حتى استولى على الرياض، وقبض على عبدالله بن ثنيان. وظل صديقاً حميماً للإمام فيصل، وزعيماً تربطه به علاقة خاصة من ملامحها أنه كان

(١) العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ١١٥ - ١٣٤.

(٢) ابن بشر، ج ٢، ص ١١٧ - ١١٩؛ العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ٢٣١ - ٢٤٢.

مستقلاً في غزواته شمالي الجزيرة العربية، وأنه كان يحتفظ بزكاة البلدان التابعة له إدارياً أو بأكثر تلك الزكاة على الأقل<sup>(١)</sup>.

وبعدما توفي الأمير عبدالله بن رشيد، سنة ١٢٦٣ هـ، خلفه في الإمارة ابنه الأكبر طلال، الذي وسَّع حدود الإمارة بدرجة كبيرة. وكانت علاقته بالإمام فيصل بن تركي علاقة طيبة جداً. وظل محافظاً على تلك العلاقة الطيبة حتى وفاة ذلك الإمام سنة ١٢٨٢ هـ. وبعد حوالي عام من هذا التاريخ أصيب بمرض دفعه إلى الانتحار<sup>(٢)</sup>.

ولقد تولَّى إمارة جبل شمر بعد طلال بن عبدالله أخوه متعب. لكن عهده لم يدم إلا سنتين تقريباً. ذلك أنه حدث خلاف بينه وبين ابني أخيه طلال، بندر وبدر. وحاول عمه عبيد بن علي أن يصلح بينهما في بداية الأمر<sup>(٣)</sup>. لكن متعباً، فيما يبدو، لم يتجاوب معه. ولعل فشل عبيد في الإصلاح بين الطرفين كان من بين الأسباب التي جعلته يغري الشابين أخيراً بالقضاء على عمهما متعب. وهكذا قاما بقتله، وتولَّى الإمارة بندر<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ٢١٩ - ٢٣١. ومن مظاهر العلاقة الوطيدة بينهما أن عبدالله بن فيصل كان زوجاً لابنة عبدالله بن رشيد.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٢.

(٣) ضاري الرشيد، ص ١٨٣.

(٤) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٢. وهناك رواية شفوية متداولة بين أهل نجد تفيد أنه قد حدث من وزير متعب ما أغضب عمه عبيداً. فكان ذلك من أسباب غضبه على ابن أخيه؛ وبخاصة أنه لم يعزل ذلك الوزير.

وكان محمد بن عبدالله بن رشيد حين مقتل أخيه متعب وافداً على الإمام عبدالله بن فيصل في الرياض. فغضب غضباً شديداً على ما ارتكبه ابنا أخيه طلال. ولعلَّ وجود عمه عبيد في حائل هو الذي جعله لا يتوجه إلى هناك للثأر من الشابين القاتلين وانتزاع الإمارة. لكن عبيداً توفي سنة ٢٨٦هـ<sup>(١)</sup>. وأحسَّ الأمير بندر أن سلطته - وربما حياته - في خطر ما لم يصطَلح مع عمِّه محمد بن عبدالله. فوفد إلى الإمام عبدالله بن فيصل. وأصلح الإمام بينه وبين عمه على أن يظل بندر أميراً لجبل شمر، وأن يعود عمه محمد إلى إمارة القوافل المارة بالجبل. وعاد هو وعمُّه من الرياض إلى حائل مصطححين<sup>(٢)</sup>. لكن محمداً كان، على الأرجح، يضمّر في نفسه ما يضمّر من نوايا للتخلُّص من ابن أخيه وانتزاع الحكم منه.

وفي عام ٢٨٩هـ كانت علاقة الأمير بندر بن طلال بقبيلة الظفير سيئة. فمنع التعامل معها اقتصادياً. وقد جرت العادة أن يستأجر عمُّه محمد إبلاً من القبائل لإحضار أطعمة من العراق حين عودته من هناك بعد مرافقته لقافلة الحج. وقد عمد إلى استئجار إبل من قبيلة الظفير ذات العلاقة السيئة مع ابن أخيه الأمير بندر. وحين اقترب من حائل خرج الأمير - كعادته - لاستقباله. فعلم منه أنه قد استأجر إبلاً من القبيلة المذكورة،

(١) هويبير: ص ١٥٩، موزل، ص ٢٤١.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٣.

وغضب غضباً شديداً. ودار بينه وبين عمه جدل حاد حول هذا الموضوع. وكانت نهاية ذلك الجدل أن احتال محمد بابن أخيه بندر وقتله. ثم قتل بقية إخوانه إلا واحداً<sup>(١)</sup>.

وكان مجيء محمد بن عبدالله بن رشيد إلى الإمارة، سنة ١٢٨٩هـ، في وقت بلغ فيه الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي ذروته. وهكذا تهيأت الأسباب لذلك الأمير ليبدأ في تنفيذ ما كان يدور في ذهنه من طموح لحكم نجد على حساب أولئك المتنافسين عليه من آل سعود.

### ٣ - نهاية الدولة السعودية:

كان أول احتكاك غير ودي بين الإمام عبدالله بن فيصل والأمير محمد بن رشيد سنة ١٢٩٣هـ؛ وذلك حينما أغرى أمير عنيزة، زامل بن سليم، الإمام بالوقوف مع آل عليان - حكام بريدة سابقاً - ضد خصومهم آل مهنأ أبي الخيل أمراء هذه البلدة حينذاك. فلقد توجه الإمام عبدالله إلى عنيزة محاولاً القيام بهجوم على بريدة مع آل عليان وزامل بن سليم وقبيلة عتيبة. لكن الفريق الأكبر من هذه القبيلة تأخر مجيئه إليه. وكان حسن بن مهنأ، أمير بريدة، قد اتصل بالأمير محمد بن رشيد لينجده في

(١) المصدر نفسه، ص٧٤. وكان عدد من قتلهم محمد من أولاد طلال خمسة. أما أصغرهم، وهو نايف، فلم يقتله.

ساعته الحرجة. وانتهز هذا الأمير الطموح الفرصة المواتية، فلبى طلب ابن مهنأ أملاً في مدّ نفوذه الخاص. وأمام تأخر تركي بن حميد وقومه من عتيبة في الوصول إلى عنيزة، ومعرفة الإمام عبدالله بتحرك ابن رشيد للوقوف مع أمير بريدة، أقنع ذلك الإمام عن فكرة مهاجمة هذه البلدة. وبذلت جهود كان من نتائجها أن انسحب كل من عبدالله بن فيصل ومحمد بن رشيد إلى قاعدة حكمه<sup>(١)</sup>. ومنذ تلك الحادثة أصبح محمد بن رشيد وحسن بن مهنأ حليفين، وأخذوا يهاجمان المناطق النجدية التابعة للإمام عبدالله رسمياً والقبائل الموالية له.

ويبدو أن ما حققه محمد بن رشيد من نجاح قد دفع أهل المجعة للتحالف معه. وفي عام ١٢٩٩هـ جهّز الإمام عبدالله جيشاً لمحاربة هذه البلدة، ووضع حصاراً عليها. لكنها استنجدت بالأمير محمد بن رشيد، فهبّ لنجدها، وانضم إليه حسن بن مهنأ وأتباعه. وحينما اقترب منها ابن رشيد ومن معه اضطر الإمام عبدالله إلى فك الحصار عنها. والعودة إلى الرياض<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٨٤ - ٨٥. والذي روى تأخر فريق من عتيبة عن القدوم إلى الإمام في عنيزة محمد العلي العبيد، الذي أشار، أيضاً، إلى أن ابن ربيعان كان يحدو على ظهر جواده قائلاً:

عقلت سبلا كم لي من يوم ما سائل عن بيرق في الشام  
يا شيخنا مالك علينا نوم لومك على برقا وابن بسام

وكان ابن بسام، أحد كبار رجالات عنيزة، معارضاً لغزو بريدة. وسبلا اسم يطلق على إبل ابن ربيعان. وقصده بالبيرق الذي في الشام علم ابن رشيد.  
(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٩١ - ٩٢. تاريخ بعض الحوادث، ص ١٩١. وقد دخلها محمد بن رشيد، وعين سليمان بن سامي أميراً فيها.

وبعد عامين من الحادثة السابقة حاول الإمام عبدالله إعادة  
المجمعة إلى طاعته. فهبَّ لنجدتها ابن رشيد وحسن بن مُهنَّا  
بأتباعهما، ودارت بين الفريقين معركة في أم العصافير القريبة من  
تلك البلدة. وقد انتصر ابن رشيد ومن معه انتصاراً عظيماً ثبت  
مركزه أكثر من ذي قبل في إقليمي الوشم وسدير<sup>(١)</sup>.

وفي أعقاب معركة أم العصافير بعث الإمام عبدالله بن فيصل  
أخاه محمداً إلى الأمير محمد بن رشيد ليفاوضه. فأكرمه ابن رشيد،  
وتخلَّى لعبدالله عن البلدان التي دخلت تحت نفوذه من سدير والوشم  
باستثناء المجمعة<sup>(٢)</sup>. وكامنت تلك البادرة عملاً ذكياً من ابن رشيد لأنه  
كان يدرك أن أمراء بلدان الإقليمين لن يتعاونوا مع الإمام عبدالله على  
أيِّ حال. وهو إن أرضى الإمام نظرياً فإنه لن يخسر شيئاً عملياً لأن  
الأمراء المذكورين سينضمون إليه عاجلاً أو آجلاً.

على أن أبناء سعود بن فيصل لم يخلدوا إلى الراحة. بل كانوا  
يقومون بغزوات لعدد من القبائل. وكانت بعض غزواتهم موفِّقة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر تفصيلها في عقد الدرر، ص ٩٣ - ٩٤. ومن كبار قتلى جيش الإمام  
عبدالله ابن عمه تركي بن عبدالله بن تركي، وعبدالعزیز أبو بطین، وعقاب بن  
حمید من عتیبة.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٣) من ذلك غزو محمد بن سعود، الذي كان فارساً وشاعراً، لبريّه من قبيلة مطير  
سنة ١٣٠٠ هـ. المصدر نفسه، ص ٩٣.



ولعلّ ما أحرزوه من نجاح جزئي، وما رأوه من ضعف عسكري في جانب عمهم عبدالله. كانا من الأمور التي أغرتهم بدخول الرياض، والقبض عليه، والاستيلاء على مقاليد الأمور في هذه المدينة سنة (١٣٠٥هـ).

وكان عمل أبناء سعود بن فيصل ضد عمهم عبدالله فرصة أخرى لمحمد بن رشيد لتوسيع نفوذه. فقد توجه إلى الرياض مظهراً أنه أتى إليها ليدافع عن الإمام الشرعي؛ وبخاصة أنه خال لتركي ابن الإمام عبدالله. وسواء كان مجيئه إلى هذه المدينة بناء على طلب من الإمام عبدالله كما تقول بعض المصادر<sup>(٢)</sup> أو لم يكن فإنه حينما اقترب منها خرج إليه نفر من زعمائها، واتفقوا معه على أن يخرج أبناء سعود ويعودوا إلى الخرج، وأن يدخل هو الرياض بدون قتال. وبعد دخوله إليها أخرج الإمام عبدالله من السجن، وعيّن سالم بن سبهان أميراً فيها. ثم عاد إلى حائل ومعه عبدالله بن فيصل وأخوه عبدالرحمن<sup>(٣)</sup>. وبذلك أصبحت العاصمة السعودية تحت نفوذ الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد، وأصبح الحكم السعودي منتهياً تقريباً.

(١) المؤرخ البسام، ورقة ١٦٠أ؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٩٨.

(٢) المؤرخ البسام، ورقة ١٦٠أ؛ ضاري الرشيد، ص ١٠٥.

(٣) المؤرخ البسام ورقة ١٦٠أ؛ ابن هذلول، ص ٤٧. وقد ذكر هذا الأخير خطأ، أن الحادثة كانت سنة ١٣٠٢هـ.

على أن سالم بن سبهان - ومن ورائه محمد بن رشيد - كان يدرك أن وضعه في الرياض غير آمن ما دام أبناء سعود بن فيصل يقومون بنشاط عسكري في إقليم الخرج. فبدأ يخطط للتخلص منهم. ولم تمر بضعة شهور على توليه إمارة الرياض إلا وقد نجح في تنفيذ ما خططه؛ إذ توجه إلى الدلم، وفاجأهم، فقتل ثلاثة منهم. أما الرابع، وهو عبدالعزيز، فقد كان ذاهباً إلى حائل. وقد أبقاه الأمير محمد بن رشيد لديه هناك<sup>(١)</sup>. وكما كان متوقفاً ضج أفراد الأسرة السعودية ومؤيديهم من عمل ابن سبهان، وأظهر محمد بن رشيد غضبه عليه واستيائه مما ارتكبه. فعزله عن إمارة الرياض، وعين بدلاً منه فهّاد بن رخيص<sup>(٢)</sup>.

وبعد مقتل أبناء سعود بن فيصل اطمأن الأمير محمد بن رشيد إلى أنه قضي على مصدر من أهم مصادر الخطر بالنسبة لنفوذه في نجد، ولم يعد في حاجة إلى مراعاة أي زعيم من زعمائها. ومن هنا فإن علاقته بحسن بن مهنّا، أمير بريدة، بدأت تتغير نوعاً ما. ولعلّ قوة حسن وموقع إمارته بين جبل شمرّ وبقية الأقاليم النجدية

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٩٩. وقد أشار المؤرخ البسام (ورقة ١٦٠ ب ١٦٦) إلى تعاون أناس من أهل الخرج مع سالم في التخطيط للقضاء على أبناء سعود. والذين قضي عليهم هم محمد وسعد وعبدالله، والقصة مفصلة لدى البسام أكثر من غيره.

(٢) ضاري الرشيد، ص ١٠٩؛ ابن هذلول، ص ٤٩.

كانا من أهم الأسباب التي دفعت حاكم نجد الجديد إلى البحث عن وسيلة للقضاء عليه أو إضعاف قوته. وكانت الشرارة التي أوقدت الخلاف بين الطرفين محاولة الأمير محمد أخذ الزكاة من بادية يעדُّها الأمير حسن تابعة له؛ وذلك سنة ١٣٠٦هـ<sup>(١)</sup> وكانت بداية الخلاف بين هذين الأميرين إيذاناً ببداية التحالف بين الأمير حسن وأمير عنيزة، زامل بن سليم<sup>(٢)</sup>. وهذا ما مهّد الطريق لتعود منطقة القصيم متحدة مرة أخرى أمام آل رشيد.

وفي عام ١٣٠٧هـ أذن الأمير محمد بن رشيد لعبدالله بن فيصل وأخيه عبدالرحمن بالعودة إلى الرياض. وكان عبدالله مريضاً، فتوفي بعد يومين من وصوله إلى هذه المدينة<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن الأمير محمد بن رشيد قد خشي أن يستعيد عبدالرحمن بن فيصل نشاطه بعد وفاة أخيه عبدالله واستقراره في الرياض. ولذلك أعاد سالم بن سبهان ليكون رئيساً للحامية التي فيها. وبدا لعبدالرحمن أن إعادة سالم إلى هذه المدينة قُصد بها التخلُّص منه عاجلاً أو آجلاً. وقد دفع حسن بن مهناً خروجه عن تحالفه مع الأمير محمد بن رشيد إلى أن يكتب إلى عبدالرحمن بن

(١) المؤرخ البسام، ورقة ١٦١ أو ب.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٦١ ب؛ الذكر، ص ٩٤.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٩٩ - ١٠٠. وكانت وفاته في الثامن من ربيع الأول.

فيصل يحرضه على التخلص من ابن سبهان ويعدّه بمناصرته<sup>(١)</sup>.  
وقد دبر عبد الرحمن حيلة استطاع بها القبض على سالم<sup>(٢)</sup>.

وكما كان متوقعاً لم يقف الأمير محمد بن رشيد موقف المتفرج إزاء القبض على سالم بن سبهان. فجهّز جيشاً، وتوجه به من حائل إلى الرياض في مستهل عام ١٣٠٨هـ. واستطاع أن يتفادى أهل القصيم في مسيرته. وحينما وصل إلى أسوار الرياض قام بقطع كثير من نخيلها، وحدثت مناوشات بينه وبين أهلها. ثم خرج وفد منها للتفاوض معه. وكان رئيس الوفد محمد بن فيصل ومعه ابن أخيه عبدالعزيز بن عبد الرحمن - الملك عبدالعزيز - والشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ حمد بن فارس. واتفق الطرفان على أن يكون عبد الرحمن بن فيصل إماماً للعارض والخرج. وأن يطلق سراح بن سبهان مقابل إطلاق الأمير محمد بن رشيد لمن كانوا قد وفدوا إليه من آل سعود سنة ١٣٠٧هـ<sup>(٣)</sup>.

ومن الواضح أن الاتفاق كان كسباً للإمام عبدالرحمن بن فيصل نسبياً. ولعلّ مما دفع الأمير محمد بن رشيد إلى الموافقة

(١) المؤرخ البسام، ورقة ١١٦٢ أ.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٦٢ أ و ب؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠٠؛ الذكير، ص ٩٥.

(٣) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠٠؛ المؤرخ البسام، ورقة ١١٦٣ أ؛ ابن هذلول، ص ٥٠.

عليه أنه لم يقض بعد على القوة الجديدة التي بدأت تنافسه، وهي قوة القصيم.

ولم يمكث الأمير محمد بن رشيد في قاعدة حكمه بعد عودته إليها من الرياض إلا شهراً تقريباً. ثم خرج منها بقواته لقتال أهل القصيم. وكان هؤلاء ومن انضم إليهم من البادية قد استعدوا للقاءه. وحدثت بين الطرفين مناوشات في القرعاء رجحت فيها كفة أهل القصيم ومن معهم. ثم استخرجهم الأمير محمد بن رشيد من مواقعهم إلى أرض المليداء الصالحة لكرّ الخيل وفرّها. فدارت بينه وبينهم معركة حامية الوطيس انتصر فيها عليهم انتصاراً عظيماً. وقتل منهم حوالي ألف رجل بينهم أمير عنيزة، زامل بن سليم. ثم قبض على الأمير حسن ابن مهنأ فيما بعد، وأخذه معه سجيناً إلى حائل<sup>(١)</sup>.

وتعدُّ معركة المليداء من المعارك الفاصلة؛ إذ جعلت منطقة القصيم، المهمة قوة واقتصاداً وموقعاً جغرافياً، خاضعة للأمير محمد بن رشيد مثلها في ذلك مثل الأقاليم النجدية الأخرى.

(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠٠؛ المؤرخ البسام، ورقة ١٦٣ أ و ب، الذكير، ص ٩٦ - ٩٧. والذكير من أكثر الذين أعطوا تفصيلات عن تلك المعركة.

وكان الإمام عبدالرحمن بن فيصل قد جهَّز حملة من أتباعه لنجدة أهل القصيم ومن معهم، وبدأ مسيره إلى هناك. لكنه تأخر في سيره<sup>(١)</sup>. وما إن علم بأخبار هزيمتهم الساحقة حتى عاد إلى الرياض، وتفرَّق أتباعه. ويبدو أن معركة المليداء قد تركت في نفس عبدالرحمن بن فيصل ما تركته معركة جُودة من يأس في نفس أخيه عبدالله من قبل ذلك بحوالي عشرين عاماً. فلقد أدرك أن موقفه بات حرجاً، وأن محمد بن رشيد سوف يتوجه إليه للقضاء عليه. فغادر الرياض، وذهب إلى قبيلة العجمان<sup>(٢)</sup>. وهذا شبيه بما فعله أخوه عبدالله حينما ترك هذه المدينة وذهب إلى قبيلة قحطان. وبعد مغادرة عبدالرحمن للرياض تولَّى إمارتها محمد بن فيصل نائباً عن الأمير محمد بن رشيد<sup>(٣)</sup>.

على أن ترك الإمام عبدالرحمن بن فيصل للرياض سنة ١٣٠٨هـ لم يكن نهاية المطاف بالنسبة لنشاطه. ذلك أن إبراهيم بن مُهنَّا - أخا أمير بريدة السابق - وصل إليه مع عدد من أهل تلك البلدة سنة ١٣٠٩هـ. فشجع ذلك الإمام وهاجم بأتباعه بلدة الدلم،

(١) يقول الذكير، ص٩٦: إنه أخذ في مسيره من الرياض إلى أن أتاه خبر هزيمة أهل القصيم نحو شهر.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠١؛ المؤرخ البسام ورقة ١٦٣ ب؛ ابن هذلول، ص ٥٢.

(٣) المؤرخ البسام، ورقة ١٦٤ أ، ابن هذلول، ص ٥٢.

وانتزعها من رجال محمد بن رشيد . ثم سار بمن انضم إليه إلى الرياض ودخلها . لكنه لم يمكث طويلاً؛ بل غادرها إلى إقليم المحمل . وما إن علم الأمير محمد بن رشيد بتحركاته حتى جهّز جيشاً، وتوجه به لمقاتلة عبدالرحمن بن فيصل ومن معه . والتقى الطرفان عند بلدة حريملاء، فانهزم عبدالرحمن وأتباعه، وعاد للإقامة مع قبيلة العجمان<sup>(١)</sup> . وكانت هذه المعركة آخر معركة قادها أئمة الدولة السعودية الثانية، كما كانت بمثابة الإعلان بنهاية تلك الدولة .



(١) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠١؛ المؤرخ البسام، ورقة ١٦٤ أ . وبينما يتفق ابن عيسى والبسام على أن عبدالرحمن دخل الرياض بدون قتال - كما ذكر أعلاه - يقول ابن هذلول ص ٥٢: إن أخاه محمداً صده عن دخولها . وقد قبض ابن رشيد على إبراهيم بن مهنأ بعد معركة حريملاء، فقتله .





من ملامح  
الدولة السعودية الثانية



## أ - الإدارة والحكم:

لم يمض عامان على نهاية الدولة السعودية الأولى إلا وقد بدأ آل سعود نشاطهم لتكوين دولة جديدة لهم. وكانت أولى محاولاتهم في هذا المجال تلك التي قام بها مشاري بن سعود سنة ١٢٣٥هـ. لكن محاولته لم تستمر إلا بضعة شهور؛ إذ قضى عليها محمد بن مشاري ابن معمر، الذي سبق أن اضطر إلى أن يتنازل لمشاري عن إمارة الدرعية. ثم تسلّم القيادة تركي بن عبد الله الذي واجه في بداية نشاطه صعوبات كبيرة من حملات محمد علي، حاكم مصر، ومن تعاون معه من سكان نجد؛ وبخاصة البادية. لكن ذلك النشاط تكلل بالنصر سنة ١٢٤٠هـ. ومن هذا التاريخ إلى العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري والبلاد يحكمها أفراد من آل سعود. لكن هؤلاء الحكام كانوا يختلفون من حيث نسبة القوة والضعف، ومن حيث درجة الاستقلال والتبعية. فبيما كان الإمام تركي بن عبد الله أقوى حكام الدولة السعودية الثانية، وأكثرهم استقلالاً، كان خالد بن سعود ممثلاً للحكم المصري في البلاد، ولم يتمكن من البقاء في السلطة بعد انسحاب جيش محمد علي من نجد إلا مدة قصيرة جداً.

وإذا كان الإمام فيصل بن تركي قد استولى على المناطق التي سبق أن استولى عليها أبوه الإمام تركي بن عبد الله فإن الخلاف

الذي حدث بين أبنائه بعد وفائه كان السبب الجوهرى فى نهاية الدولة السعودية الثانية.

ولقد ظلت الدعوة الإصلاحية التى قامت على أساسها الدولة السعودية الأولى هى الركيزة التى اعتمد عليها الحكم فى الدولة السعودية الثانية؛ وبخاصة فى عهدى الإمامين تركى بن عبد الله وابنه فيصل. وظل الانسجام الذى كان بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وبين قادة الدولة السعودية الأولى قوياً بين الإمامين المذكورين وبين أحفاد ذلك الشيخ<sup>(١)</sup>. وقد توخى هذان الإمامان سيرة أسلافهما من آل سعود فى استشارة ذوى الرأى والمشورة فيما يتعلّق بأمر الدولة العامة<sup>(٢)</sup>.

على أن الإمام فيصل بن تركى بالذات لم يتّبع ما اتّبعه قادة الدولة السعودية الأولى من عدم تعيين أناس من الأسرة الحاكمة فى إمارات المناطق. فقد عين ابنه سعوداً أميراً لإقليم الخرج، وعين أخاه جلوى بن تركى حاكماً عاماً للقصيم. ولعلّ هدفه الأساسى من ذلك تثبيت الأمن والاستقرار فى هذين الإقليمين. لكن وجود أخيه جلوى فى القصيم، وإن نجح فى تهدئة المشكلات فترة لا بأس بها، لم يمنع تجدد تلك المشكلات وهو لا يزال هناك.

(١) ابن بشر، ج٢، ص ٢٨ و ١٤٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣ و ٨٨ .

ومع أن سعود بن فيصل نجح في إدارة الأمور في الخرج إلا أن بقاءه في ذلك الإقليم فترة طويلة نسبياً ربما كان له أثر سلبي على مستقبل الدولة السعودية بعد وفاة أبيه. ولعلّ اعتياده على الأمر والنهي هناك قد نمى لديه الرغبة في الحكم والتطلع إليه، فكان سبباً من أسباب خروجه على أخيه عبدالله.

وفي أواخر عهد الإمام فيصل بن تركي اعتلّت صحته، وفقد بصره. فأصبح ابنه الأكبر وولي عهده، عبدالله، يقوم بأعباء الحكم والإدارة نيابة عنه.

وكان الإمام فيصل متسامحاً، بصفة عامة، مع أمراء الحاضرة بينما كان أكثر صرامة في تعامله مع رؤساء البادية. ولعلّ سبب ذلك اقتناعه بأن الحاضرة، بطبيعتهم والظروف المعيشية لهم، أكثر حرصاً على مراعاة الأمن وعدم الإخلال به من البدو الرحّل.

ومن الواضح أن المشكلات التي أثارها أمراء الحاضرة في عهد الإمام تركي بن عبدالله كانت أقلّ من تلك التي أثارها أولئك الأمراء في عهد ابنه الإمام فيصل. ومن الواضح، أيضاً، أن علاقات أمراء المناطق بالإمام تركي كانت متشابهة من حيث الارتباط بالحكومة المركزية. لكن علاقات هؤلاء بالإمام فيصل كانت متفاوتة. فقد كانت إمارة جبل شمر - مثلاً - في عهد هذا

الإمام تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي الذي كان من أبرز معالمه حريتها في القيام بغزوات لصالحها في شمالي الجزيرة العربية، واحتفاظها بكثير من زكاة البلدان التابعة لها إدارياً إن لم يكن بها كلها. ولعلَّ سبب ذلك ما كان يوجد من علاقة خاصة بين الإمام فيصل بن تركي ومؤسس هذه الإمارة، عبدالله بن رشيد، الذي لم يتولَّ الإمارة المذكورة إلا بتعيين من ذلك الإمام، والذي كان من أبرز أعوانه في الوصول إلى الحكم في الفترتين الأولى والثانية من عهده.

#### ب. الشؤون العسكرية:

أما بالنسبة للنظام العسكري في تلك الفترة فكان مشابهاً للنظام العسكري في الدولة السعودية الأولى من حيث قيادة الجيش، وطريقة تكوينه، ووسيلة الإنفاق عليه، لكن الغزوات في الدولة السعودية الثانية كانت أقلَّ من الغزوات في الدولة السعودية الأولى. وكانت - إلا ما ندر منها - موجهة ضد أناس في جهات تابعة للدولة من الناحية الرسمية بينما كانت الغزوات في الدولة السعودية الأولى - إلا ما ندر منها - موجهة إلى قوى خارج مناطقها لبسط نفوذها عليها.

#### ج. النظام المالي:

وكان النظام المالي في الدولة السعودية الثانية مشابهاً للنظام المالي في الدولة السعودية الأولى من حيث مصادر الدخل ووجوه

الإنفاق. لكن الدولة السعودية الأولى كانت أكثر دخلاً لاتساع رقعتها، ووفرة غنائمها من غزواتها الكثيرة الناجحة.

#### د - العلم والتعليم:

أما الناحية العلمية والثقافية فقد ظلت جيدة. ذلك أن اهتمام قادة الدولة السعودية الثانية؛ لا سيما الإمامان تركي وفيصل، بالعلم والعلماء كان مشابهاً، إلى حدٍ ما، لاهتمام أسلافهم في الدولة السعودية الأولى. وكان من أبرز علماء البلاد في تلك الفترة عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وابنه عبداللطيف، وعبدالله أبو بطين. على أن التركيز العلمي ظل - كما كان سابقاً - على التوحيد والعقيدة. ولكن علوم اللغة العربية حظيت باهتمام أوفر من الاهتمام الذي حظيت به في الدولة السعودية الأولى.

وظهرت كتابات نثرية وشعرية فيها لمحات لا بأس به من حيث الجودة. أما الشعر العامي الجميل القريب من الفصحى فقد ازدهر ازدهاراً عظيماً، وأثر منه الشيء الكثير. وممن أثر عنهم ذلك اللون من الشعر عدد من أفراد الأسرة السعودية وغيرهم من أمراء المناطق وزعماء القبائل. وقد أسهم بعض الشعراء - إضافة إلى التمتع به - في توضيح كثير من الأحداث السياسية والاجتماعية.

## هـ - العلماء والقضاة:

شهدت الدولة السعودية الثانية وجود علماء أفاضل وقضاة أكفاء. وكان بعض هؤلاء العلماء والقضاة قد ولدوا في عهد الدولة السعودية الأولى. ومنهم من تعلموا في ذلك العهد. بل إن منهم من تولّى القضاء في أواخره، لكن أكثر أعمالهم وإنتاجهم كان في عهد الدولة السعودية الثانية. وكان من أبرز أولئك العلماء والقضاة:

١ - عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. وقد ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ، وتلمذ على علمائها، وتولّى القضاء في الدرعية، كما تولاه فترة قصيرة في مكة. وكان مع عبدالله بن سعود في معركة وادي الصفراء سنة ١٢٢٦هـ. وقد دافع عن الدرعية مع المدافعين عنها. ثم أخذ إلى مصر، وجالس علماءها، وناقشهم. ثم عاد إلى نجد عام ١٢٤١هـ، وأصبح يتولّى الشؤون الدينية في دولة الإمام تركي بن عبدالله. وظل في منصبه حتى وفاته في عهد الإمام عبدالله بن فيصل سنة ١٢٨٥هـ<sup>(١)</sup>.

٢ - عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن. ولد في الدرعية سنة ١٢٢٥هـ، وأخذ مع أبيه إلى مصر بعد استسلام هذه البلدة

(١) الشيخ البسام، ص ٥٦ - ٦٢ .



لإبراهيم باشا. وتعلّم في الأزهر مختلف العلوم الشرعية والعربية. ثم عاد إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ، فأصبح الساعد الأيمن لأبيه عبدالرحمن في إدارة الشؤون الدينية. ولما حدث النزاع بين أبناء الإمام فيصل بعد وفاته بذل جهداً كبيراً لتخفيف وطأة ذلك النزاع. وقد توفي عام ١٢٩٣هـ<sup>(١)</sup>.

٣ - عبدالله بن عبدالرحمن أبو بطين. ولد في روضة سدير سنة ١١٩٤هـ. وتعلّم فيها، ثم في شقراء، ثم في الدرعية. ولما دخلت الطائف تحت الحكم السعودي عُيّن قاضياً لها. ثم ولي قضاء جهات عمان. وفي عهد الإمام تركي بن عبدالله تولّى قضاء الوشم، ثم تولّى قضاء القصيم متخذاً من عنيزة مقراً له؛ وذلك من سنة ١٢٥١هـ إلى سنة ١٢٧٠هـ. وبعد هذا استقر في شقراء حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ. وهو من أكثر علماء زمنه النجديين تأليفاً لكتب جيدة<sup>(٢)</sup>.

٤ - عبدالله بن عبداللطيف. ولد خلال إقامة والده الموقته في الأحساء علم ١٢٦٥هـ، فنشأ في بيت جده لأمه، قاضي تلك البلاد، عبدالله الوهبي، وتلمذ على علمائها الأفاضل. ثم انتقل إلى الأفلاج، واستقر فيها، حتى أقنعه قاضيها حمد بن

(١) المصدر نفسه، ج ١ - ص ٦٣ / ١ - ٧١ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦٧ - ٥٧٥ .

عتيق بالانتقال إلى الرياض، ففعل. وأصبحت له مساهمة كبيرة في إصلاح الأمور العامة. وقد استقدمه الأمير محمد بن رشيد إلى حائل، فمكث فيها فترة، ثم عاد إلى الرياض. ولما بدأ الملك عبدالعزيز آل سعود حكمه أصبح عوناً له في تسيير الشؤون الدينية. وقد توفي عام ١٣٣٩هـ<sup>(١)</sup>.

٥ - حمد بن عتيق. ولد في الزلفي سنة ١٢٢٧هـ. ثم انتقل إلى الرياض، وتلمذ على علمائها. وقد تولّى قضاء الخرج، ثم الحلوة، ثم الأفلاج، واستمر قاضياً للبلدة الأخيرة حتى وفاته سنة ١٣٠١هـ<sup>(٢)</sup>.

### و. الأمراء وقادة الجيوش:

كان الإمام تركي بن عبدالله آل سعود هو القائد لأتباعه قبل بداية دولته، وظل يقود بعض الغزوات بعد ذلك، ولما قدم إليه ابنه فيصل من مصر تولّى قيادة أكثر الغزوات. وكان وضع عبدالله بن فيصل في فترة حكم أبيه الثانية مشابهاً لوضع ذلك الأب في عهد الإمام تركي. ولما حدث النزاع بينه وبين أخيه سعود كان كل منهما يقود أتباعه أحياناً، وأحياناً كان أخوهما محمد وعبدالرحمن يقودان أولئك الأتباع.

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٢ - ٨١.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨ - ٢٣٢.

على أنه برز في عهد الدولة السعودية الثانية عدد من الشخصيات التي تولّت مناطق، أو قيادة جيوش، ونجحت نجاحاً كبيراً. ومع أن هناك عدداً من أمراء المناطق وزعماء القبائل الذين كانت لهم جهود مهمّة في تاريخ تلك الفترة فإن بعض هؤلاء وأولئك قد ورد في الحديث عن الدولة السعودية الثانية ما وضّح تلك الجهود مما لا يحتاج إلى تلخيص أو إعادة؛ وبخاصة أن قسماً منهم لم يكونوا دائماً على وفاق مع قادة تلك الدولة. ولذلك فإن الكلام الموجز، هنا، سيكون خاصاً ببعض الأمراء والقادة الذين اعتمدت عليهم الدولة كثيراً. ومن أشهر هؤلاء:

١ - أحمد بن محمد السديري. وفد إلى الإمام تركي بن عبد الله سنة ١٢٣٩هـ على رأس جماعته أهل الغاط مبيعاً. ثم عينه إسماعيل بك أميراً لسدير عام ١٢٥٣هـ، فأحسن السيرة بأهلها. ثم أمره خورشيد باشا على الأحساء فترة من عام ١٢٥٥هـ، ثم عينه عبد الله بن تنيان أميراً للقطف سنة ١٢٥٨هـ. ثم عينه الإمام فيصل بن تركي أميراً للأحساء سنة ١٢٦٠هـ. وكان له جهد كبير في تثبيت الحكم السعودي هناك، وفي جهات عمان عندما نقل إليها أميراً سنة ١٢٧٠هـ. وقد توفي بالأحساء عام ١٢٧٨هـ<sup>(١)</sup>.

(١) ابن بشر، ج ٢، ص ٢١، ٩٢، ٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨، ١١٢، ١١٥، ١٢٦، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠؛ ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٦٤ و ١٧٥.

٢ - تركي بن أحمد السديري. عيَّنه الإمام فيصل بن تركي أميراً في الأحساء عام ١٢٧٠هـ، ثم حلَّ محلَّ أبيه في جهات عمان بعد سنة ١٢٧٨هـ. وكان له جهد مشابه لجهد أبيه في الأحساء، ثم في الجهات العمانية. وظل هناك حتى اغتيل عام ١٢٨٥هـ<sup>(١)</sup>.

٣ - محمد بن أحمد السديري. عيَّنه خورشيد باشا أميراً للأحساء عام ١٢٥٤هـ. وكان أميراً لسدير، ثم عيَّنه الإمام فيصل أميراً في بريدة سنة ١٢٧٩هـ. ثم أمَّره في الأحساء عام ١٢٨٠هـ. وكان مع سعود بن فيصل في معركة طلال ضد الروقة من عتبية عام ١٢٩٠هـ، فقُتِل في تلك المعركة<sup>(٢)</sup>.

٤ - عمر بن عُفَيْصَان. كان مع الإمام تركي بن عبدالله في عِرقة سنة ١٢٣٩هـ، ثم عيَّنه ذلك الإمام أميراً للخرج سنة ١٢٤١هـ، ثم أرسله قائداً سريةً إلى عمان سنة ١٢٤٤هـ. وفي عام ١٢٤٥هـ غزا جهة الأحساء. ولما دخلت تحت الحكم السعودي تلك السنة عيَّنه أميراً لها. وفي سنة ١٢٤٨هـ قاد الجيوش المتجهة إلى عمان، فنجح هناك. وظل أميراً للأحساء حتى عام ١٢٥٤هـ عندما هرب منها خوفاً من خورشيد باشا، وعدم ثقة به، ثم أعاده عبدالله بن تُتَيَّان إلى إمارة الأحساء سنة ١٢٥٨هـ<sup>(٣)</sup>.



(١) وايندر، ص ٢٠٢، ٢٣١ - ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٦.  
 (٢) ابن بشر، ج ٢، ص ٢٦، ١١٣، ١١٥، ١٤٩، ١٦١، ١٦٩، ١٨٠؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٤٢، ٤٤ و ٧٦.  
 (٣) ابن بشر، ج ٢، ص ١٨، ٢٧، ٤٢، ٤٥، ٤٩ - ٥٠، ٥٥، ٦٥ - ٦٦، ٧٧، ٩٠، ٩٨ - ٩٩، ١٠٥ - ١٠٦، ١٠٨ - ١٠٩، ١١٥، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤ - ١٢٦.

## المصادر

١ - مصادر باللغة العربية:

أ - أعمال غير منشورة:

البسام، عبدالله بن محمد .

تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نسخة نقلها عن

الأصل نور الدين شريفة سنة ١٣٧٥هـ .

الذكير، مقبل بن عبدالعزيز

مسودة تاريخ لم يقرر مؤلفه عنواناً له . وهي موجودة في كلية

الآداب، جامعة بغداد، رقم ٥٦٩ .

الزامل، ناصر

قراطة البحرين، رسالة ماجستير لم تنشر، جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ .

ابن سند، عثمان

مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، مكتبة الأوقاف العامة

ببغداد، رقم ٥٨٤٠ .

ابن علوان، مرتضى

رحلة، لم يضع لها كاتبها عنواناً، مخطوطة في مكتبة برلين،

رقم ٦١٣٧ .

العنقاوي، عبدالله.

تاريخ الجزيرة العربية من القرن الثالث الهجري، مطبوعة بألة كاتبة.

العيسى، ميّ

المخلاف السليمان في عهد الدولة السعودية الأولى، رسالة

قدمت إلى قسم التاريخ بجامعة الملك سعود جزءاً من متطلبات

الماجستير، وذلك سنة ١٤٠٣هـ.

ابن لعبون، حمد.

عدة أوراق خطية من تاريخه.

ب. أعمال منشورة:

البسام، عبدالله بن عبدالرحمن

علماء نجد خلال ستة قرون، مكتبة النهضة الحديثة بمكة، ١٣٩٨هـ.

ابن بشر، عثمان بن عبدالله.

عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ،

الطبعة الثانية من قبل وزارة المعارف السعودية، ١٣٩١هـ.

البهكلي، عبدالرحمن بن أحمد.

نفخ العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق محمد

العقيلي، دار الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٢هـ.

بوركهارت، ل.

مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤٠٥هـ.

الثبيآن، محمد

«انقضاض عنيزة على جند خورشيد باشا وحصاره لها»، مجلة  
جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٠٧هـ،  
ص ٢٤٧ - ٢٧٩ .

الجاسر، حمد .

- في شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، ١٣٩٠هـ .

- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، دار اليمامة، ١٣٨٦هـ .

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، دار  
اليمامة، ١٣٩٧هـ .

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية،  
دار اليمامة، ١٣٩٩هـ و ١٤٠٠هـ .

الجبرتي، عبدالرحمن

عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الطبعة الثانية، دار الجيل  
بيروت، ١٩٧٨م .

الحاتم، عبدالله

خيار ما يلتقط من الشعر النبط، الطبعة الثانية، دمشق،  
١٣٨٧هـ .

ابن حجر، شهاب الدين .

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد  
الحق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٥هـ .

ابن الحسين، يحيى

غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور،

القاهرة ١٣٨٨هـ.

الحميدان، عبداللطيف

- «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة

العربية»، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٥،

١٩٧٩م، ص ٦٩ - ١٤٠ .

- «التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة

العربية»، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٦، ١٩٨٠،

ص ٣١ - ١٠٩ .

الحنبلي، راشد بن علي

مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تحقيق عبدالواحد راغب،

دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٣٩٩هـ.

الخضيرى، علي بن عبدالرحمن

علي بن المقرَّب العيوني: حياته وشعره، بيروت، ١٤٠١هـ.

ابن خميس، عبدالله بن محمد

معجم اليمامة، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٠هـ.

الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله

عثمان بن بشر: منهجه ومصادره، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٩٥هـ.



دحلان، أحمد بن زيني

خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ.

الرفاعي، عبدالرحمن

عصر محمد علي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٧٠هـ.

الريكي، حسن

مع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق

عبدالرحمن آل الشيخ، داره الملك عبدالعزيز، دون ذكر لسنة

الطباعة.

الرشيد، ضاري بن فهيد

نبذة تاريخية عن نجد، أملاها ضاري الرشيد، وكتبها وديع

البستاني، وحققها عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤١٩هـ.

ابن زريق، حميد

الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وزارة التراث

القومي والثقافة بعمان، ١٣٩٧هـ.

الزيلعي، أحمد

مكة وعلاقتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ)، عمادة شؤون المكتبات،

جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً)، ١٤٠١هـ.

السباعي، أحمد

تاريخ مكة، الطبعة الثانية، دار قريش للطباعة، مكة ١٣٨٧هـ.

السخاوي، شمس الدين

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

السمان، محمد

الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية

الثانية ١٢٣٨ - ١٣٠٩هـ، عنيزة، ١٤٠٧هـ.

السليمانى، علي بن حسين

العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، القاهرة،

١٣٩٣هـ.

السمهودى، علي

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

الشبل، عبدالله بن يوسف

«الدولة الأخيضرية»، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم

الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد

٦، ١٣٩٦هـ، ص ٤٥٩ - ٤٦٦ .

آل الشيخ، سليمان بن عبدالله

التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، القاهرة، ١٣١٩هـ.

آل الشيخ، عبدالرحمن بن حسن

«رسالة في الرد على ابن منصور»، الدرر السنية في الأجوبة

النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، الرياض،

١٣٨٨، ج ٩، ص ٢١٤ - ٢٣٠ .

آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف  
علماء الدعوة، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

آل الشيخ، عبداللطيف بن عبدالرحمن

«رسالة إلى محمد بن علي»، الدرر السنية، ج٧، ص٤٤٣ - ٢٤٤ .

آل الشيخ، عبدالله بن محمد

«رسالة حول دخول سعود بن عبدالعزيز ومن معه إلى مكة»،

الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، جمع سليمان بن

سحمان، الطبعة الثانية، المنار، ١٣٤٤هـ، ص٣٥ - ٥٠ .

عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن

. الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ - ١٨١٨م)، (١١٥٨ - ١٢٣٣هـ)، الطبعة

الثالثة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

. محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ - ١٢٥٦هـ / ١٨١٩ -

١٨٤٠م، دار الكتاب الجامعي بالقاهرة، ١٩٨١م.

آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله.

تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، مطابع

الرياض، ١٣٧٩هـ.

ابن عتيق، حمد

«رسالة إلى سعود بن فيصل»، الدرر السنية: ج٧، ص٢٥٨ -

. ٢٦٢

العثيمين، عبدالله.

- الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره، دار العلوم بالرياض، ١٩٧٩م.

- العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١١هـ.

- نشأة إمارة آل رشيد، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١١هـ.

العجلاني، منير

- تاريخ البلاد العربية السعودية. ويتضمن المجلد الأول الكلام عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعهد محمد بن سعود، دار الكاتب العربي بيروت، دون ذكر لسنة الطباعة.

- تاريخ البلاد العربية السعودية: عهد عبدالعزيز بن محمد، دون ذلك لمكان الطباعة وسنتها.

- تاريخ البلاد العربية السعودية: عهد سعود الكبير، دون ذكر لمكان الطباعة وسنتها.

- تاريخ البلاد العربية السعودية: عهد عبدالله بن سعود، دون ذكر لمكان الطباعة وسنتها.

العزّاوي، عباس

تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٣٧٣هـ.

عزّي، سليمان

تاريخ عزّي، القسطنطينية، ١١٩٩هـ.

العصامي، عبد الملك

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، ١٢٨٠هـ.

العقيلي، محمد بن أحمد

- التصوف في تهامة، مطابع الأصفهاني بجدة، ١٢٨٤هـ.

- من تاريخ المخلاف السليماني، مطابع الرياض، ١٢٧٨هـ.

أبو عليّة، عبد الفتاح

الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦ - ١٣٠٩هـ / ١٨٤٠ - ١٨٩١، الرياض،

١٢٩٤هـ.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح

- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان

وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠هـ، دار اليمامة،

١٢٨٦هـ.

- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن

الثالث عشر وأول الرابع عشر، طبع ذيلاً لعنوان المجد في

طبعته المذكورة سابقاً.

العيسى، محمد الفهد

«مدينة الدرعية»، العرب، العدد الرابع، ١٢٨٦هـ: ٣٢٤ - ٣٣٠.

ابن غنّام، حسين

روضة الأفكار والأفهام لمرتاب حال الإمام وتعداد غزوات ذوي  
الإسلام، القاهرة، ١٣٦٨هـ.

الفاخري، محمد بن عمر

الأخبار النجدية، تحقيق عبدالله الشبل، جامعة الإمام محمد  
ابن سعود الإسلامية، دون ذكر لسنة الطباعة.

فؤاد حمزة

قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

ابن فهد، النجم عمر

إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، جامعة أم  
القرى، ١٤٠٤هـ.

الكركوكلي، رسول

دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة موسى نورس،  
بيروت، ١٣٨٥هـ.

كيلي، جون

بريطانيا والخليج، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث  
القومي والثقافة بعمان، القاهرة، ١٩٧٩م.

ابن لعبون، حمد

تاريخ حمد بن محمد بن لعبون، مكة، ١٣٥٧هـ.

المبارك، عبدالعزيز.

«الوثائق الشخصية»، العرب، العدد الأول، ١٢٨٧هـ، ص ٥١ - ٥٩ .

محمد بن عبدالوهاب

مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، ١٣٩٨هـ.

ابن المقرَّب، علي

ديوان ابن المقرَّب، تحقيق عبدالفتاح الحلو، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

المنقور، أحمد بن محمد

- تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، تحقيق عبدالعزيز

الخويطر، الرياض، ١٣٩٠هـ.

- الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، دمشق، ١٢٨٢هـ.

المنيف، عبدالكريم

بنو خالد وعلاقتهم بنجد ١٠٨٠-١٢٠٨هـ، الرياض ١٤١٠هـ.

مؤلف مجهول

كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، تحقيق

عبدالله العثيمين، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ.

نخلة، محمد عرابي

تاريخ الأحساء السياسي (١٨١٨-١٩١٣)، ذات السلاسل،

الكويت، ١٤٠٠هـ.

النهرواني، قطب الدين

البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة، ١٣٨٧هـ

ابن هذلول، سعود

تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٣٨٠هـ.

١٣٨٠

٦٧١٩٠٠



٦٧٢٥٤٥٢



## ٢ - مصادر بغير العربية

### أ - أعمال غير منشورة:

El Batrik, A.H.

**Turkish and Egyptian Rule in Arabia (1810 - 1840)**, ph. D. thesis, University of London, 1953 .

Sha'afy, Muhammad,

**The First Sa'udi State in Arabia (with special reference to its administrative, miliary and econmic features) in the light of Unpublished Material from Arabic and European Sources**, ph. D. thesis, Univeraity of Leeds, 1967 .

### ب - أعمال منشورة:

Bari, M. A.,

**"The Early Wahhabis and Sharifs of Makka, Journal of Pakistan Historical Society, Vol III, 1955, pp. 19 - 104**

**Burckhardt, J.I.,**

- **Notes on the Bedouins and Wahabys**, London, 1831 .

- **Travels in arabia**, New Yerk, 1829.

Doughty, C. M.,

**Travels in Arabia Deserta**, New York, 1921 .

De Gaury, G.,

**Rulers of Mecca**, London. 1951 .

Huber, C.,

**Journal d'un Voyage en Arabia (1933 - 1884)**. Paris, 1888.

Longrigg, S. H.,

**Four Centuries of Modern Iraq**, Oxford, 1952 .

Mandaville, j.,

“The Ottoman Province of al Hasa in the Sixteenth and Seventeenth Centuries”. **Journal of the American Oriental Society**, 90 1970, pp. 486 - 513.

Mortel, R.,

“Zaydi Shi,ism and the Hasanid Sharifs of Mecca,” **Int J. Middle Eastern Studies**, 19 , 1981, pp. 455 - 472 .

Musil, A.,

**Northern Negd**, New York, 1926 .

Niebuhr, C.,

**Travels Through Arbia and Other Counties In The East**, tr. into English by R. Heron, Edinburgh, 1792.

Palgrave, W. G.,

**Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia (1862 - 63)**, London, 1865 .


Voll, W. M.,

“Muhammad Haya Al-Sindi and Muhammad Iben Abdal Wahhab, an Analysis of an Intellectual Group in Eighteenth Century Medina” **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**, 1975, 38 pp. 32 - 39 .

Winder, B.,

**Saudi Arabia in the Nineteenth century**, New York, 1965

*Saudi Arabia in the Nineteenth century*



## المحتويات

الصفحة

الموضوع

٥	مقدّمة الطبعة الحادية عشرة
٧	المقدّمة
١٧	أوضاع البلاد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٩	١ - الحجاز
٢٦	٢ - جنوبي غرب البلاد
٢٩	٣ - شرقي البلاد
٣٦	٤ - نجد
٣٦	أ - لمحة تاريخية
٤١	ب - الحالة الاجتماعية والاقتصادية
٤٨	ج - الحالة السياسية
٥٣	د - الحالة العلمية والدينية
٦٣	الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته
٦٥	١ - أسرته ومولده
٦٧	٢ - نشأته ودراسته الأولى
٧٠	٣ - سفره لطلب العلم

- ٧٥ ..... ٤ - بداية دعوته وأهدافها
- ٧٧ ..... ٥ - انتقاله إلى العيينة وبداية تطبيق الدعوة
- ٧٩ ..... ٦ - ردود الفعل لتطبيق الدعوة
- ٨٣ ..... قيام الدولة السعودية الأولى وتوحيد نجد
- ٨٥ ..... ١ - آل سعود قبل قيام دولتهم
- ٨٨ ..... ٢ - قيام الدولة السعودية
- ٩٢ ..... ٣ - الدولة قبل الصراع المسلح مع خصومها
- ٩٩ ..... ٤ - توحيد نجد
- ٩٩ ..... أ - المرحلة الأولى
- ١١٢ ..... ب - المرحلة الثانية
- ١١٦ ..... ج - المرحلة الثالثة
- ١٢٠ ..... ٥ - الدولة السعودية والقبائل في نجد
- ١٢٣ ..... اتساع الدولة السعودية خارج نجد
- ١٢٥ ..... ١ - شرقي البلاد
- ١٣٢ ..... ٢ - الحجاز
- ١٤٨ ..... ٣ - جنوبي غرب البلاد
- ١٥٧ ..... ٤ - جهات الخليج وعمان
- ١٦١ ..... ٥ - أوج اتساع الدولة

١٦٣	علاقات الدولة السعودية الأولى مع الدول الأخرى
١٦٥	١ - علاقتها بالدولة العثمانية
١٦٥	أ - الدولة السعودية والعراق
١٧٥	ب - الدولة السعودية والشام
١٧٨	٢ - علاقتها بفارس
١٨٠	٣ - علاقتها ببريطانيا
١٨٣	بعض ملامح الدولة السعودية الأولى
١٨٥	أ - الإدارة والحكم
١٨٨	ب - الأمن والشؤون العسكرية
١٩١	ج - النظام المالي
١٩٣	د - العلم والتعليم
١٩٥	هـ - العلماء والقضاة
١٩٩	و - الأمراء وقادة الجيوش
٢٠٥	نهاية الدولة السعودية الأولى
٢٢٢	الدولة السعودية الثانية
٢٢٥	١ - أوضاع البلاد إثر نهاية الدولة السعودية الأولى
٢٢٨	٢ - المحاولات لتكوين دولة نجدية جديدة
٢٣٢	٣ - تركي بن عبدالله وقيام الدولة السعودية الثانية
٢٣٨	٤ - توحيد نجد

- ٢٤٠ ..... ٥ - توحيد المنطقة الشرقية مع نجد
- ٢٤٢ ..... ٦ - الإمام تركي والبادية
- ٢٤٣ ..... ٧ - الإمام تركي وجهات عمان <sup>معتزلي</sup>
- ٢٤٥ ..... ٨ - الإمام تركي وآل خليفة
- ٢٤٦ ..... ٩ - الإمام تركي والعثمانيون
- ٢٤٧ ..... ١٠ - نهاية عهد الإمام تركي
- ٢٥١ ..... الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي
- ٢٥٣ ..... تولي الحكم وتثبيتته <sup>وغيره</sup>
- ٢٥٨ ..... ٢ - الغزو المصري ونهاية فترة حكمه الأولى
- ٢٦٩ ..... البلاد بين فترتي حكم الإمام فيصل بن تركي
- ٢٧٩ ..... الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي
- ٢٨١ ..... ١ - استعادته الحكم
- ٢٨٣ ..... ٢ - توحيد نجد والأحساء وبداية المشاكل
- ٢٨٧ ..... ٣ - مشكلة العجمان
- ٢٩٠ ..... ٤ - مشكلة القصيم <sup>مسألة</sup>
- ٢٩٩ ..... ٥ - علاقاته بإمارات الخليج وعمان <sup>العجمان</sup>
- ٣٠١ ..... ٦ - علاقته بالدولة العثمانية
- ٣٠٢ ..... ٧ - علاقته ببريطانيا

٣٠٥	الدولة السعودية بعد الإمام فيصل بن تركي
٣٠٧	١ - النزاع على الحكم وانحسار الدولة
٣٢١	٢ - آل رشيد قبل حكم محمد بن عبدالله
٣٢٦	٣ - نهاية الدولة السعودية الثانية
٣٣٧	من ملامح الدولة السعودية الثانية
٣٣٩	أ - الإدارة والحكم
٣٤٢	ب - الشؤون العسكرية
٣٤٢	ج - النظام المالي
٣٤٣	د - العلم والتعليم
٣٤٤	هـ - العلماء والقضاة
٣٤٦	و - الأمراء وقادة الجيوش
٣٤٩	المصادر
٣٤٩	١ - مصادر باللغة العربية
٣٦١	٢ - مصادر بغير العربية
٣٦٣	المحتويات







M n g o o L . c o m

# تاريخ المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني

عهد الملك عبد العزيز

تأليف

الدكتور عبد الله الصالح العثيمين

قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

الطبعة السادسة

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

٢ عبدالله الصالح العثيمين، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، عبدالله الصالح

تاريخ المملكة العربية السعودية. / عبدالله صالح العثيمين - ط ٦ . -  
الرياض، ١٤٢٤هـ.

٤١٤ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٦-٣٧٣ - ٤٤ - ٩٩٦٠

١- السعودية - تاريخ - الملك عبدالعزيز أ - العنوان

١٤٢٥ / ٩

ديوي ١٠٥، ٩٥٣

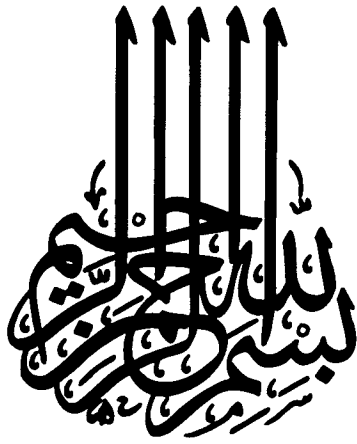
رقم الإيداع: ٩ / ١٤٢٥

ردمك: ٦-٣٧٣ - ٤٤ - ٩٩٦٠

الطبعة السادسة

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف





## بين يدي الجزء الثاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين . . نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن الجزء الأول من تاريخ المملكة العربية السعودية قد تناول -بصورة موجزة نوعاً ما- أوضاع البلاد، التي تكوَّنت منها هذه المملكة، قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المباركة، كما تناول مسيرة تلك الدعوة وتاريخ الدولة السعودية الأولى التي ناصرتها فتمكَّنت من توحيد أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية؛ مطبَّقة الشريعة السمحة فيها، ومحقِّقة للأمن بين ربوعها. وتناول أيضاً، الظروف التي أدَّت إلى نهاية تلك الدولة، ثم نجاح الإمام تركي بن عبد الله في إعادة الحكم السعودي؛ مؤسساً بذلك الدولة السعودية الثانية، وما تحقَّق على يد ابنه، الإمام فيصل، من إنجازات في فترتي حكمه الأولى والثانية. وبعد هذا أوضح ما آلت إليه الدولة التي خلَّفها ذلك الإمام.

وهذا الجزء الذي هو بين يدي القارئ الكريم، هو الجزء الثاني

العربية السعودية- الحاضرة، وباني وحدتها الوطنية، وواضع أسس نهضتها الحضارية الحديثة. ولذلك أتى الحديث فيه أكثر تفصيلاً، في كثير من الموضوعات، من الحديث عن شبهها في الجزء الأول الذي تناول تاريخ الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، كما تحدّث عن موضوعات لم يكن الحديث عنها وارداً في تاريخ هاتين الدولتين؛ وذلك لما فرضته الظروف العربية والإسلامية والدولية من إقامة علاقات مع دول لم تقم معها علاقات مماثلة فيما سبق، ولما تطلبه الظروف من إقدام على الأخذ بأسباب التقدم التقني والحضارة الحديثة.

وبما أن آخر لقب رسمي تلقب به من يتناول هذا الجزء تاريخه هو لقب ملك فإنني رأيت من المستحسن الحديث عنه بهذا اللقب قبل تلقُّبه به وبعده.

والله أسأل التوفيق والسداد.

عبد الله الصالح العثيمين

# أوضاع البلاد سياسياً

قبيل بداية حكم الملك عبد العزيز





## ١ - الحجاز :

كانت الحجاز دائماً مركز اهتمام الحكام العثمانيين في جزيرة العرب . وكانت بداية انتصارات قادة الدولة السعودية الأولى على الشريف غالب ، التابع لأولئك الحكام رسمياً ، سنة ١٢١٠هـ من أهم الأسباب التي دفعتهم إلى تجهيز حملتين عسكريتين من العراق ضد تلك الدولة سنتي ١٢١١هـ و١٢١٣هـ . لكن هاتين الحملتين فشلنا في تحقيق أغراضهما<sup>(١)</sup> . ولما دخلت الحجاز تحت حكم الدولة السعودية ازداد تصميم الحكام العثمانيين على حرب هذه الدولة . وقد كلّفوا والي مصر ، محمد علي باشا ، بانتزاع الحجاز من السعوديين وتحطيم دولتهم . وبعد أن نجح ذلك الوالي في مهمته أصبحت الحجاز مركز قوته في الجزيرة العربية ، ومنطلق تحركه إلى مناطقها المختلفة .

وكان محمد علي قد رأى في نكث الشريف غالب بعهوده للقادة السعوديين دليلاً على أنه يشبهه في بعض الصفات الكيدية ، وأدرك أن ما كان لدى ذلك الشريف من أتباع وعتاد وأموال يمكن أن يشجّعه على تغيير موقفه المؤيّد لهذا الوالي متى رأى ذلك مناسباً له . ولهذا كان من الإجراءات الأولى التي قام بها محمد علي ، بعد وصوله إلى مكة سنة

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الجزء الأول من تاريخ المملكة العربية السعودية ، لكاتب هذه السطور ، ط ٥ ، الرياض ، ١٤١٤هـ ، ص ص ١٥٦ - ١٦٠ .

١٢٢٨هـ، أن أخذ جميع الاحتياطات لحماية نفسه، ثم احتال بالشريف غالب، واعتقله، ثم أرسله إلى مصر. وبعد ذلك بعث به إلى سالونيك حيث توفي عام ٢٣١هـ<sup>(١)</sup>.

ولما أبعد محمد علي الشريف غالباً عن حكم الحجاز عيّن بدلاً منه ابن أخيه يحيى بن سرور، لكنه سلبه كثيراً مما كان يتمتع به الشريف، عادة، من سلطات. ومن ذلك أنه وكل أمور القبائل في المنطقة إلى الشريف شنبر بن مبارك<sup>(٢)</sup>. وبعد عودة إبراهيم بن محمد علي من جزيرة العرب إلى القاهرة، عام ١٢٣٤هـ، عيّن أبوه ابن أخته، أحمد باشا يكن، محافظاً لمكة وحاكماً عاماً للحجاز، وقائداً للجيش في الجزيرة العربية<sup>(٣)</sup>. فأصبح الحاكم الحقيقي للبلاد. وبذلك ازدادت سلطة شريف مكة ضعفاً.

وكان من نتائج إسناد بعض سلطات الشريف يحيى بن سرور إلى الشريف شنبر بن مبارك أن توترت العلاقات بينهما. وقد أدى ذلك إلى انقسام القبائل الحجازية بين مؤيّد لهذا ومؤيّد لذاك. ويبدو أن

---

(١) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص ص ١٣٣ - ١٣٧؛ أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء

البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ج ٢، ص ص ٢٩٧ - ٢٩٩.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية...، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٣٦.

الشريف يحيى قد أدرك أن الحاكم العام للحجاز يميل إلى منافسه الشريف شنبر. ومن ثمَّ هجم على هذا الشريف، وقتله، سنة ١٢٤٢هـ<sup>(١)</sup>. لكنه لم يستمر في منصبه بعد ذلك؛ إذ أجبره أحمد باشا يكن على التوجه إلى مصر. على أن يحيى استطاع الهرب إلى البادية وهو في طريقه إلى هناك، وتمكَّن من التحالف مع قبيلة حرب<sup>(٢)</sup>. وأمام هذا الوضع رأى أحمد باشا يكن أن من الضروري الإسراع في تعيين أحد الأشراف شريفاً لمكة ليساعده في السيطرة على الموقف. فعين عبدالمطلب بن غالب لذلك المنصب<sup>(٣)</sup>. لكن محمد علي لم يوافق على هذا التعيين. بل اختار محمد بن عون، الذي ينتمي إلى فرع آخر من أسرة الأشراف هو فرع ذوي عون<sup>(٤)</sup>. فرمى عبدالمطلب بثقله مع يحيى ابن سرور، وحاصر الشريفان مكة، لكنهما صُدَّا عنها، وقُبض على يحيى، فنُفي إلى مصر. أما عبدالمطلب فاتجه إلى علي بن مجتل قائد مقاومة عسير حينذاك؛ محاولاً أن يضع يده بيده<sup>(٥)</sup>.

واستمر الشريف محمد بن عون في الحكم وفي نفسه ما فيها من

(١) أحمد السباعي، تاريخ مكة . . . ط ٣، مكة، ١٣٨٧هـ، ج ٢، ص ١٤٧.

(٢) دحلان، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٥) عبد الرحيم، ص ١١٩.

طموح لا يتفق مع رغبات حاكم الحجاز العام وأهوائه . وفي عام ١٢٤٩هـ قاد حملة كبيرة لمحاربة ثورة عسير تاركاً أمور مكة لمحافظها أحمد باشا يكن . وظلَّ هناك نحو سنتين . لكنه فشل في مهمَّته ، فعاد إلى مكة . وبدأ كلُّ من الشريف والمحافظ يحمِّل الآخر مسؤولية فشل الحملة . فاستدعاها محمد علي إلى القاهرة سنة ١٢٥٢هـ ، وأبقى محمد بن عون لديه نحو أربع سنوات كانت مكة خلالها تُحكَّم بدون شريف . ثم أعيد محمد بن عون إلى الشرافة في الظروف التي صاحبت حلول النفوذ العثماني محلَّ نفوذ محمد علي في الحجاز<sup>(١)</sup> .

ولقد قام محمد بن عون بجهود كبيرة في محاولة العثمانيين القضاء على الثورة العسيرية ، ومحاولتهم الاستيلاء على اليمن . ويبدو أن ازدياد نفوذه ؛ خاصة بين القبائل الحجازية ، كان من أهم الأسباب التي أدَّت إلى قبض العثمانيين عليه وإرساله إلى القسطنطينية سنة ١٢٦٧هـ<sup>(٢)</sup> . وقد عيَّنوا بدلاً منه عبد المطلب بن غالب ، الذي ما لبث أن اختلف مع ولاة العثمانيين على الحجاز حتى تبلور خلافه معهم في انضمامه إلى زعماء البلاد الذين ثاروا ضد قانون منع الرق .

---

(١) انظر تفصيل ما سبق في كتابات دحلان ، ج ٢ ، ص ص ٣٠٤ - ٣١٠ ؛ السباعي ، ج ٢ ، ص ص ١٤٧ - ١٥٣ ؛ صالح العمرو ، رسالة دكتوراه ترجمة عنوانها : الحجاز تحت الحكم العثماني ١٨٦٩ - ١٩١٤ م ، نشرتها جامعة الملك سعود ، ١٩٧٨ م ، ص ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) دحلان ، ج ٢ ، ص ٣١٥ ؛ السباعي ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

ونتيجة لذلك أعيد محمد بن عون إلى شرافة مكة سنة ١٢٧١هـ. وظلَّ في منصبه حتى وفاته بعد ذلك بثلاث سنين<sup>(١)</sup>.

وبعد وفاة محمد بن عون تولَّى شرافة مكة ابنه عبد الله حتى وفاته عام ١٢٩٤هـ. ثم حلَّ محلَّه فيها أخوه الحسين، الذي اغتيل في جدة سنة ١٢٩٧هـ. فأعيد عبد المطلب بن غالب إلى الشرافة، وبقي فيها حتى وفاته عام ١٢٩٩هـ. وخلفه في منصبه الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون، الذي ظلَّ في منصبه حتى وفاته عام ١٣٢٣هـ. وقد تَمَّت في عهده إصلاحات كثيرة في مكة<sup>(٢)</sup>. ولما توفي خلفه ابن أخيه، علي بن عبد الله، حتى عُزِلَ سنة ١٣٢٦هـ. وفي تلك السنة عُيِّن الحسين بن علي بن محمد بن عون شريفاً لمكة<sup>(٣)</sup>. وكان ذلك الشريف هو الذي قاد - بالتعاون مع بريطانيا - ما عُرف في تاريخ العرب

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ١٦١ - ١٦٣؛ إسماعيل حقي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، تعريب خليل مراد، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٥م، ص ١٧٧.

(٢) انظر تفصيل ذلك لدى دحلان، ج ٢، ص ٣٢١ - ٣٢٩؛ السباعي، ج ٢، ص ١٦٥ - ١٧٦.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ١٧٧ - ١٨٥؛ العمرو، ص ١٢٥ - ١٣٤؛ طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥م: دراسة في الأوضاع السياسية، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٢م، ص ٣٤ - ٣٧؛ حقي، ص ١٨٢ - ١٨٦.

الحديث بالثورة العربية ضد العثمانيين، وهو الذي أدى خلافه مع  
الملك عبد العزيز آل سعود إلى نهاية حكم الأشراف للحجاز، كما  
سيأتي بيانه إن شاء الله .

## ٢ - عسير :

كان زعماء منطقة عسير وأهاليها من المتحمسين لدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الإصلاحية التي قام بمناصرتها قادة آل سعود. وكانت مقاومتهم لقوات محمد علي، حاكم مصر العثماني - قبل قضائه على الدولة السعودية الأولى - مقاومة باسلة. ومع أن تلك القوات تمكّنت من بسط نفوذها على المنطقة في تلك الفترة إلا أن العسيريين لم يتوقفوا عن المقاومة. بل إن كفاحهم ظلّ مستمراً تقريباً طوال وجود تلك القوات في بلادهم<sup>(١)</sup>.

وكان ممن تزعم مقاومة العسيريين بعد نهاية الدولة السعودية الأولى سعيد بن مسلط المتوفى سنة ١٢٤٢هـ<sup>(٢)</sup>. ثم تزعمها ابن عمّه - أخوه لأمه - علي بن مجثل، الذي انتصر على قوات كل من محمد علي

---

(١) من الدراسات التي تناولت مقاومة أهل عسير لقوات محمد علي رسالة عبد الحميد البطريق التي نال بها الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٤٧م؛ وترجمة عنوانها: الحكم التركي المصري لجزيرة العرب ١٨١٠ - ١٨٤٠م، ورسالة محمد آل زلفه التي نال بها الماجستير من جامعة كانساس الأمريكية عام ١٩٧٩م؛ وترجمة عنوانها: دعوة ابن عبد الوهاب وأثرها على مقاومة عسير للحكم التركي المصري ١٨١١ - ١٨٤٠م.

(٢) قاد المقاومة بنجاح من سنة ١٢٣٨هـ حتى وفاته. انظر عنه ما كتبه هاشم النعمي في تاريخ عسير في الماضي والحاضر، دون ذكر لمكان الطباعة وسنتها، ص ص ١٧١ - ١٧٥؛ عبد الله بن مسفر، أخبار عسير، ط ٢، بيروت، ١٣٩٩هـ، ص ص ٨٦ - ٨٨؛ آل زلفه، ص ص ١١٨ - ١٢٢.

وأشرف المخلاف السليمانى ، ومدَّ نفوذه حتى استولى على المخا<sup>(١)</sup> ،  
واتخذ من الحديدية مركزاً لقواته هناك<sup>(٢)</sup> .

وبعد وفاة علي بن مجثل ، سنة ١٢٤٩هـ<sup>(٣)</sup> ، تولى زعامة عسير  
عائض بن مرعي ، الذي حقَّق انتصارات على قوات محمد علي ، ثم  
قوات الدولة العثمانية ، فوسَّع نفوذ إمارة منطقتة ، وثبَّت الأمن في  
ربوعها . وقد توفي عام ١٢٧٣هـ<sup>(٤)</sup> .

ثم تسلَّم مقاليد الأمور في عسير، بعد وفاة عائض بن مرعي ، ابنه  
محمد الذي قرَّر إخراج قوات العثمانيين من البلاد الساحلية . فجهَّز  
جيشاً ، واتجه به لمحاربتهم حتى أخرجهم من صيبا . ثم واصل زحفه  
حتى حاصر الحديدية . لكنه فشل في المعركة الموجهة ضدها . فانسحب  
من الساحل اليمني<sup>(٥)</sup> . وكانت الدولة العثمانية حينذاك قد استعادت  
شيئاً من قوَّتها ، فصمَّمت على إدخال منطقة عسير تحت سيطرتها .  
وبعثت إليها قوات كبيرة بقيادة الفريق رديف باشا وأحمد مختار باشا .

---

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، الطبعة الثانية من قِبَل وزارة  
المعارف السعودية، ١٣٩١هـ، ج ٢، ص ٥٩ .

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليمانى، ط ٢، دار اليمامة في الرياض،  
١٤٠٢هـ، ج ١، ص ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(٣) النعمي، ص ١٨٥ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٢ .

(٥) العقيلي، ج ١، ص ٥٤٧ .



وتقدّمت تلك القوات إلى عسير من جهات متعدّدة، فتوغّلت في المنطقة حتى أحكمت الحصار على الأمير محمد بن عائض في أبها. فتوسط شريف مكة، عبدالله بن عون، بين ذلك الأمير والدولة العثمانية، وتوصّل إلى اتفاق يستسلم بموجبه الأمير محمد مقابل احتفاظه بممتلكاته الخاصة من أموال وحصون، وأن تصرف له ولعائلته مرتّبات شهرية<sup>(١)</sup>. على أن النهاية لم تكن كما أُمل أن تكون. فقد قام رديف باشا بقتل الأمير محمد وأخويه سعد وعبد الله وعدد من كبار أنصارهم؛ وذلك سنة ١٢٨٩هـ<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لما سبق استطاع العثمانيون إدخال منطقة عسير تحت سيطرتهم، وأصبحت متصرفية مركزها أبها، ويتبعها ستة مراكز<sup>(٣)</sup>. على أن تلك السيطرة لم تكن مستمرة بدون ظهور حركات محلية من وقت إلى آخر. وكان ممن اشتهر بقيادة بعض تلك الحركات علي بن محمد بن عائض، الذي حقّق انتصارات على قوات القائد العثماني في المنطقة، وحاصره في أبها ذاتها. لكنه فشل في مسعاه آخر الأمر<sup>(٤)</sup>. وما تجدر

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ص ٣٥٥.

(٢) أشار المصدر نفسه، الصفحة ذاتها، إلى قتل رديف باشا للأمير ابن عائض. وذكر قتله

لأخويه وأنصارهم في تلك السنة النعمي، ص ٢١٦.

(٣) حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٥٥.

(٤) النعمي، ص ٢٢١.

الإشارة إليه قيام علاقة جيّدة بين ابنه حسن والعثمانيين، فكان أن عيّنوه معاوناً للمتصرّف في عسير<sup>(١)</sup>. ولما اضطروا إلى سحب قواتهم من جزيرة العرب نتيجة الحرب العالمية الأولى استقلّ الأمير حسن بن عائض بعسير<sup>(٢)</sup>. ثم وقع خلاف بينه وبين بعض زعماء القبائل. وتطوّر الخلاف، فحاول الملك عبد العزيز أن يصلح بين الطرفين. لكن ذلك الأمير لم يقبل وساطته، فتوترت العلاقات بينهما. وكانت النتيجة أن هاجمت قوات الملك عبد العزيز الأمير ابن عائض، وتمكّنت من إدخال منطقة عسير تحت الحكم السعودي، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

---

(١) حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

### ٣ - المخلاف السليمانى (جازان):

لم يكن موقف الشريف حمود بن محمد - ولقبه أبو مسمار - من الدولة السعودية الأولى موقفاً وُدِّيًّا؛ خاصة في بداية الأمر. وكانت علاقته بزعيمة منطقة عسير، عبد الوهاب أبى نقطة وطامى بن شُعَيْب، علاقة سيئة<sup>(١)</sup>. ولما توغلت قوات محمد على باشا في عسير اضطر طامى بن شُعَيْب إلى التوجه إلى المخلاف السليمانى أملاً في النجاة من قبضة القوات الغازية. لكن الحسن بن خالد، وزير الشريف حمود، قبض عليه، وسلّمه إلى قائد تلك القوات<sup>(٢)</sup>. ومن المحتمل أن تصرف الوزير حسن كان مبعثه إظهار المودة لمحمد على علّه يتفادى غزوه لبلاده، أو كان سببه كرهه للزعيم العسيري، أو للأمرين معاً. وقد حاول محمد بن أحمد المتحمى أن يثار لما حدث لقريبه طامى بمهاجمة المخلاف، لكن زعيم هذا الإقليم صدّه بنجاح<sup>(٣)</sup>.

وعندما اشتدت هجمات قوات محمد على باشا ضد العسيريين رأى زعماءهم أن يغروا الشريف حمود بن محمد بالتحالف معهم<sup>(٤)</sup>. ويبدو

(١) انظر تفصيل ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب، ط ٥، ص ص ١٣٩ - ١٤٤.

(٢) أخذ إلى مصر وقُتل هناك. ابن بشر، ج ١، ص ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣) العقيلي، ج ١، ص ٤٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧٥.

أن هدفهم من ذلك كان التقويّ به من ناحية، وضمان عدم وقوفه مع خصومهم من ناحية أخرى. ومن الواضح أن هذا صادف هوى في نفسه لأنه هو، أيضاً، سيتقوى بهم ضد خصومه، ولأن التحالف قد يؤدّي إلى مدّ نفوذه إلى بعض الجهات التابعة لهم.

ولقد أرسل محمد علي باشا حملة جديدة إلى جنوبي عسير، ومعها الشريفان علي بن حيدر ومنصور بن ناصر، فهزمتها قوات الشريف حمود، وتولّى الزعماء العسيريون القضاء عليها. على أن هذا الشريف توفي بعد المعركة بأيام قليلة؛ وذلك سنة ١٢٣٣هـ<sup>(١)</sup>.

وبعد وفاة الشريف حمود تولّى الحكم بعده ابنه أحمد. فاتجهت إلى بلاده حملة أخرى مرسلّة من حاكم مصر، محمد علي باشا، ومعها الشريف علي بن حيدر. وقد تمكّن قائد الحملة من القبض على أحمد ابن حمود في أبي عريش. وتولّى الحكم هناك علي بن حيدر تابعاً لمحمد علي<sup>(٢)</sup>.

ولما حقّق الزعيم علي بن مجنّلاً كثيراً من النجاح في منطقة عسير توجه، سنة ١٢٤٨هـ، إلى المخلاف السليمانى، واستطاع إجلاء قوات محمد علي عن البلاد. ثم حاصر بلدة أبي عريش، لكنه توصل مع ابن

---

(١) الحسن بن عاكش، تكملة نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود، طبع مع نفع العود...، تحقيق محمد العقيلي، دار الملك عبد العزيز بالرياض، ١٤٠٢هـ، ص ٣٠٧.

(٢) العقيلي، ج ١، ص ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

حيدر إلى صلح اعترف بموجبه هذا الأخير بسيادة ابن مجتل على صيباً<sup>(١)</sup>. ولما توفي ذلك الزعيم العسيري، سنة ١٢٤٩هـ، جمع علي ابن حيدر أنصاره، واستعاد صيباً. فتوجه عائض بن مرعي، الذي تولّى مقاليد زعامة عسير بعد ابن مجتل، بقوات إلى أبي عريش. لكنه علم، عند اقترابه منها، أن حملة كبيرة وصلت من الحجاز إلى شمالي عسير، فترك المخلاف، وعاد إلى بلاده ليدرأ عنها الخطر الجديد<sup>(٢)</sup>. وتمكّن زعماء المخلاف من الاستقلال عن عسير مؤقتاً. على أن عائض ابن مرعي استطاع، فيما بعد، أن يبسط نفوذه على المخلاف مع بقاء إدارة أموره الداخلية في أيدي زعمائه من الأشراف. وبقي هذا الوضع سائداً في عهد ابنه محمد. لكن انتصار العثمانيين عليه أدّى إلى استيلائهم على المناطق التابعة له، ومن بينها المخلاف السليبي. وظلّت السلطة الحقيقية هناك للعثمانيين حتى استقلال السيد الإدريسي عنهم<sup>(٣)</sup>.

وكان السيد أحمد بن إدريس صاحب طريقة صوفية. وقد انتقل من المغرب إلى مكة حيث أقام حوالي ثلاثين سنة. ثم توجه إلى تهامة لزيارة بعض تلاميذه ومريديه. فاستقر به المقام في صيباً سنة ١٢٤٦هـ،

(١) النعمي، ص ص ١٧٨؛ آل زلفه، ص ١٢٨.

(٢) ابن مسفر، ص ٩٥؛ آل زلفه، ص ١٤٢.

(٣) النعمي، ص ص ٢٠٨ و ٢٣٨.

وأخذ ينشر طريقته في تلك البلاد حتى وفاته سنة ١٢٥٣هـ. وقد ولد حفيده، محمد بن علي، هناك سنة ١٢٩٣هـ. وتعلّم في مسقط رأسه. ثم سافر إلى القاهرة عن طريق مكة، والتحق بالأزهر حوالى ست سنوات. ثم انتقل إلى مركز السنوسية في ليبيا. وتوجه من هناك إلى السودان التي كان يوجد فيها بعض أقاربه. وبعد ذلك عاد إلى صيبا، وبدأ نشاطه الديني السياسي<sup>(١)</sup>.

ولقد ساعدت ظروف المخلاف السليمانى محمد بن علي الإدريسي على النجاح فيما كان يهدف إليه. وكان والى عسير، سليمان شفيق كمال، يدرك خطورة حركته. فحذّر منها؛ خاصة بعد أن اتضحت صلته بإيطاليا. وأرسلت الدولة العثمانية إليه وفداً مع جيش بقيادة سعيد باشا. فاستطاع خداع الوفد مظهراً أنه يعمل لمصلحة العثمانيين. فما كان من سعيد وسليمان إلا أن عيناه برتبة قائمقام. فازداد نفوذه، وقويت شوكته، وبسط حكمه على تهامة من شمال الحديدة حتى جنوب القنفذة، كما بسطه على بعض جبال السراة. ثم قلب ظهر المجن للعثمانيين، وأدخل تحت طاعته ما بين صيبا وأبها سنة ١٣٢٨هـ. وحاصر سليمان شفيق كمال في البلدة الأخيرة عشرة

---

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، بيروت، ١٣٩٠هـ، ج ٢، ص ص ٥٢٩ - ٥٣١؛ حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

أشهر حتى أتت نجدة عثمانية بقيادة شريف مكة الحسين بن علي،  
فاضطر إلى التراجع والاعتصام بجبل فيفاء. ثم عاد إلى صيباً<sup>(١)</sup>.  
وكانت الحرب قد بدأت بين الدولة العثمانية وإيطاليا سنة  
١٣٢٩ هـ. فاتصل الإدريسي بالإيطاليين، وأمدّوه بالذخيرة، ثم عقد  
معاهدة مع بريطانيا سنة ١٣٣٣ هـ. جُددت بعد سنتين من ذلك  
التاريخ. وقد اعترفت تلك الدولة بسيادته على تهامة من اللُّحَيَّة جنوباً  
إلى القنفذة شمالاً، وتعهدت بحمايته، كما تعهد هو بالأمن على علاقات  
مع أية حكومة أخرى إلا بموافقتها<sup>(٢)</sup>.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تنازلت بريطانيا للإدريسي عن  
الحديدة، التي سبق أن احتلتها في أثناء تلك الحرب، فضمَّها إلى  
دولته. على أن الأوضاع في كلِّ من اليمن والحجاز تغيَّرت بعد ذلك.  
فأصبح بين نارين، واضطر إلى التحالف مع الملك عبد العزيز آل  
سعود - سلطان نجد حينذاك - لتأمين مركزه؛ وذلك عام ١٣٣٩ هـ.  
واستمر في حكم بلاده حتى وفاته سنة ١٣٤١ هـ<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الزركلي، ج ٢، ص ٥٣٤.

(٢) حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٥٨؛ الزركلي، ج ٢، ص ٥٣٤.

(٣) حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٥٩؛ الزركلي، ج ٢، ص ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

#### ٤ - الأحساء والقطيف :

كانت السلطات العثمانية في العراق قد استغلت فرصة استنجد الإمام عبدالله بن فيصل بها ضد أخيه سعود، فأرسلت حملة عسكرية تمكّنت من الاستيلاء على منطقة الأحساء والقطيف؛ وذلك عام ١٢٨٨هـ. وظلّت تلك المنطقة تحت حكم العثمانيين حتى انتزعتها منهم الملك عبد العزيز سنة ١٣٣١هـ. وقد تعاقب على حكمها خلال تلك الفترة كثير من المتصرفين؛ بعضهم من أصل عربي، وبعضهم من أصول غير عربية<sup>(١)</sup>. ولعلّ من أهم أسباب عزل عدد منهم واستبدال آخرين بهم عجزهم عن حلّ المشاكل الأمنية التي كانت تقوم في تلك المنطقة بكثرة. وكانت فئات من القبائل في طليعة من يثرون تلك المشاكل لأسباب مختلفة. ومن هذه الأسباب قلّة ما تدفعه السلطات العثمانية في المنطقة من مخصصات<sup>(٢)</sup>. ومنها ما كان بتحريض من بعض رجال تلك السلطات أنفسهم لدوافع شخصية<sup>(٣)</sup>. وكانت مهاجمة القوافل البرّية التجارية أكثر الأعمال

---

(١) ممن تولّوا حكمها من العرب بزيع بن عريعر، وأحمد العمري الموصلّي، والسيد طالب النقيب، انظر محمد آل عبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الرياض، ١٣٧٩هـ، ج ١، ص ص ١٨٠ و ١٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٦؛ محمد عرابي نخلة، تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣م، الكويت، ١٤٠٠هـ، ص ٢٠٣.

(٣) آل عبد القادر، ج ١، ص ١٩٠.



المخلّة بالأمن التي تقوم بها تلك الفئات القبلية<sup>(١)</sup>. لكنها لم تقتصر على ذلك؛ بل امتدت إلى مهاجمة السفن التجارية في سواحل الخليج<sup>(٢)</sup>. وكان هذا مما أوقع السلطات العثمانية في حرج مع جهات ذات مصالح خاصة في المنطقة؛ مثل الدولة البريطانية. ومن أعمال الفئات القبلية المخلّة بالأمن مهاجمة المزارع ونهب التمور من نخيلها<sup>(٣)</sup>.

وكان كثير ممن تولّوا حكم منطقة الأحساء والقطيف في الفترة المشار إليها غير موفقين في إدارتهم لشؤونها. ولما انتهج قادة حزب الاتحاد والترقي سياسة التريك في الولايات التابعة للدولة العثمانية ازداد نفور حاضرة تلك المنطقة حدّة من الحكم التركي. واجتمع هذا مع اختلال الأمن فأصبح أولئك السكان يتطلّعون إلى التخلص مما هم فيه.

---

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٦؛ نخلة، ص ٢٠٢.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٠١.

(٣) آل عبد القادر، ج ١، ص ١٨٩.

## ٥ - نجد :

كانت العلاقة بين الإمام فيصل بن تركي وأميره على جبل شمر، عبد الله بن علي بن رشيد، علاقة خاصة تختلف عن العلاقة بين ذلك الإمام وأمراءه الآخرين<sup>(١)</sup>. وقد استمرت العلاقة الطيبة بين القادة السعوديين وإمارة الجبل حتى بدأ الخلاف بين الطرفين في عهدي الإمام عبد الله بن فيصل والأمير محمد بن عبد الله بن رشيد. وتطور ذلك الخلاف إلى صراع كانت نتيجته أن تغلب الأمير محمد على آخر أئمة الدولة السعودية الثانية، عبد الرحمن بن فيصل، وانتهت تلك الدولة على يديه سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.

وبعد أن بسط الأمير محمد بن رشيد حكمه على نجد أخذ يعامل السكان؛ خاصة الحاضرة، معاملة حسنة بصفة عامة. وساد البلدان النجدية أمن لا بأس به. على أن النزاع بين القبائل الرُّحَل ظل قائماً. وربما كان ذلك غير مهمٍ للأمير ما دامت تلك القبائل تعترف بسلطته، وتدفع إليه الزكاة، ولا تعتدي على قوافل الحج والتجارة المشمولة برعايته.

---

(١) عن تلك العلاقة يمكن الرجوع إلى كتاب نشأة إمارة آل رشيد، لكتاب هذه السطور، ط٢، الرياض، ١٤١١هـ، ص ص ٢١٩ - ٢٣١.

ولم يكن غريباً أن يعترف الأمير محمد بن رشيد بتبعيته للدولة العثمانية، وأن يحاول دائماً توطيد العلاقات الودية التي كانت سائدة بين تلك الدولة وسلفه من أسرته. ذلك أنه كانت له علاقات خاصة بالعراق العثمانية قبل توليه إمارة جبل شمر؛ إذ كان أميراً لقوافل الحج القادمة من تلك البلاد والعائدة إليها<sup>(١)</sup>. وكانت العراق موئلاً لكثير ممن غادر نجداً من قبيلة شمر لأسباب متعدّدة، كما كانت أهم مصدر من مصادر الأطعمة لسكان الجبل عامة ولأمرائه خاصة<sup>(٢)</sup>. وبالإضافة إلى ذلك كله فإن الدولة العثمانية كانت تسيطر على منطقة الحجاز ومنطقة الأحساء والقطيف. ومعلوم ما لسكان نجد، بصفة عامة، من مصالح مهمّة في هاتين المنطقتين. ثم إن الأمير محمد بن رشيد قد أصبح حاكم نجد بعد أن كانت تحكمها الأسرة السعودية التي يمكن أن يقال عن علاقتها بالدولة العثمانية عبر التاريخ: إنها علاقة غير وديّة؛ بل عدائية في كثير من الأوقات.

وظلّ حكم محمد بن رشيد يزداد رسوخاً حتى وفاته سنة

---

(١) العثيمين، تاريخ المملكة...، ج ١، ص ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. ولزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ٤٨، ٥٢.

١٣١٥هـ<sup>(١)</sup> . وقد خلفه في الحكم ابن أخيه ، عبد العزيز بن متعب .  
وكان هذا الأمير من أعظم رجال زمنه في ميدان الفروسية والشجاعة .  
لكنه لم يكن يتحلّى بما كان يتحلّى به عمّه محمد من دهاء وبعُد نظر  
سياسي . وكان لأسلوبه في الحكم المتّصف بالشدّة الأثر الكبير في تنفير  
أكثر النجديين منه ، وتبيّنتهم للانضمام إلى من سيقف ضده .

---

(١) إبراهيم بن عيسى ، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر  
وأول الرابع عشر ، طبع ملحقاً بتاريخ ابن بشر ، الطبعة المستعملة في هذا الكتاب ،  
ص ١٠٢ .

عبد الرحمن بن فيصل وأسرته

بعد نهاية حكمه



كان الإمام عبد الرحمن بن فيصل قد أدرك ضعف موقفه العسكري أمام الأمير محمد بن رشيد بعد معركة المليداء التي وقعت سنة ١٣٠٨ هـ، والتي انتصر فيها ذلك الأمير انتصاراً عظيماً على أهل القصيم ومن وقف معهم<sup>(١)</sup>. ولذلك أخذ الإمام عبد الرحمن ما أمكنه أخذه من ممتلكاته في الرياض، وخرج بأسرته من هذه البلدة بحثاً عن مأوى أكثر أمناً. واتجه إلى المناطق الواقعة بين يبرين والأحساء لبعدها عن متناول ابن رشيد، ولوجود فئات من القبائل المتعاطفة معه والمناوئة لخصمه، مثل العجمان وآل مرة<sup>(٢)</sup>.

على أن الإمام عبد الرحمن أدرك صعوبة حياة الصحراء على نساء أسرته وأطفالها، فبعث ابنه عبد العزيز إلى الشيخ عيسى بن خليفة، حاكم البحرين، يطلب منه أن يقبل سكن هؤلاء لديه. فرحب ذلك الشيخ بالطلب، وذهب الأطفال والنساء من أسرة الإمام السعودي إلى البحرين ليلقوا كرم الضيافة هناك<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكر تفصيل تلك المعركة في كتاب عبد الله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، صورة من نسخة نقلها عن الأصل نور الدين شريعة عام ١٣٧٥ هـ، الورقتان ١٦٣ ب و١٦٤ أ، ومقبل بن عبد العزيز الذكير في مسودة تاريخ لم يحدد مؤلفه له عنواناً. والمستعمل في هذا الكتاب ثلاث نسخ بينها اختلاف نوعاً ما. الأولى من مكتبة كلية الآداب في جامعة بغداد، رقم ٥٦٩. والثانية من مكتبة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام. والثالثة من نسخة لدى أقارب مؤلفه. انظر في هذا الأمر النسخة الأولى ص ص ٩٥ - ٩٧.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٣.

وكان التحاق إبراهيم بن مهنا، أخي حسن بن مهنا أمير بريدة المشهور، بالإمام عبد الرحمن بن فيصل بعد معركة المليداء من الأمور التي شجعت هذا الإمام على إعادة نشاطه ضد ابن رشيد، لكن النصر الذي حققه هذا الأخير عليهما في معركة حُرَيْملاء، سنة ١٣٠٩هـ، بدّد الكثير من آمال الإمام في جدوى مواصلة نشاطه العسكري. ويقال: إن المتصرف العثماني في الأحساء بعث مندوباً اجتمع بالإمام قرب بلدة المبرّز، وأنه عرض عليه ولاية الرياض بشرط أن يعترف بسيادة الدولة العثمانية عليه، وأن يدفع مبلغاً من المال إليها كل سنة رمزاً لتبعية لها. لكنه لم يقبل ذلك العرض<sup>(١)</sup>. وقد علّل عدم قبوله بخشيته من أن ينقلب عليه أنصاره<sup>(٢)</sup>.

ومن المرجح أن ما قيل صحيح. فقد كان من صالح الدولة العثمانية أن تكون نجد مقسّمة لأن ذلك مما يضعف قوّة هذه المنطقة. وهي بهذا التقسيم تضمن تنافس الحاكمين النجديين على إظهار الموّدّة لها. وبالإضافة إلى ذلك فإن في كون الإمام عبد الرحمن تابعاً لها ضمناً بعدم حدوث هجمات منه أو من أنصاره على منطقة الأحساء والقطيف

---

(١) آل عبد القادر، ج ١، ص ١٨٠؛ الزركلي، ج ١، ص ٦٢؛ أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ط ٥، الرياض، ١٩٨١م، ص ١٠٦؛ سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٣٨٠هـ، ص ٥٣.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ٦٢.



المهمّة بالنسبة لها ، وضماناً بعدم استغلال عدوّتها بريطانيا للموقف وتبنيّ قضية الإمام منافسة لها في المنطقة . وما أبداه الإمام عبد الرحمن من تعليل لعدم قبوله العرض العثماني أمر أملاه ، فيما يبدو ، جو المقابلة أو الاجتماع . لكن من المرجح أن سبب الرفض ما قاله الباحث نخلة ؛ وهو عدم ثقة الإمام في الدولة العثمانية ، وعدم ثقته بإخلاص العشائر النجدية له بعد انتصارات ابن رشيد المتكرّرة<sup>(١)</sup> . أما تعليل ابن هذلول عدم قبول الإمام عبد الرحمن بالعرض بأنه «رأى من الهون أن يخضع للأتراك أو يقبل مساعدتهم ويجعل لهم نفوذاً في بلاده»<sup>(٢)</sup> فتعليل ضعيف . ذلك أن الأئمة السعوديين ؛ بدءاً بعبد الله بن سعود ، لم يرفضوا مبدأ قبول السيادة العثمانية على بلادهم وإن كان اعترافهم بتبعيَّتهم للعثمانيين قد اختلف من حيث التطبيق العملي من إمام إلى آخر . ثم إن إقامة الإمام عبد الرحمن نفسه في الكويت التابعة للعثمانيين رسمياً حينذاك ، وتسلمه مرتباً منهم دليل إضافي على ضعف ذلك التعليل .

وعلى أية حال فإن الإمام عبد الرحمن حاول أن يتّخذ من الكويت مستقراً له بعد حدوث ما حدث له في نجد . ولعلّ من أهم أسباب اختياره لتلك البلاد أنها بعيدة نسبياً عن خطر الأمير محمد بن رشيد ،

ابن هذلول

(١) نخلة ، ص ١٩٨ .

(٢) ابن هذلول ، ص ٥٣ .

وأنها أصبحت ملجأً لمن فرَّ من أهل نجد عن بلدانهم؛ خاصة أهل القصيم، خوفاً من ذلك الأمير، وأن علاقات النجديين التجارية بها كانت قوية حينذاك. ومن هنا فإن وجود الإمام عبد الرحمن فيها يتيح له فرصة الاطلاع على أحوال نجد من خلال حركة تجارها، كما يتيح له فرصة الاتّصال بمن فيها من المناوئين لابن رشيد. لكن حاكم الكويت لم يقبل مجيء الإمام عبد الرحمن إلى بلاده<sup>(١)</sup>. ومن المرجح أن عدم قبول ذلك الحاكم بمجيئه كان بإيعاز من العثمانيين.

ولما أخفق الإمام عبد الرحمن في الذهاب إلى الكويت مكث في الجهات، التي سبق أن مكث فيها قبل معركة حُرَيْملاء، عدة شهور. ثم أقام شهرين في قطر<sup>(٢)</sup>. على أن الدولة العثمانية أدركت آخر الأمر أن وجوده في الكويت يضمن لها مراقبة حركاته، ويحول بينه وبين العمل مع بعض القبائل التي يصعب على متصرفها في الأحساء والقطيف أن يطاردها أو يحدّ من نشاطها. فاستقدمه ذلك المتصرّف، واتفق معه على أن يقيم في الكويت، وأن تدفع له الدولة العثمانية مرتباً

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ الزركلي، ج ١، ص ٦٥؛ آل عبد القادر، ج ١، ص ١٨٠؛ الذكير، نسخة بغداد، ص ٩٨؛ الريحاني، ص ١٠٦؛ جون فيليبي، وترجمة عنوان كتابه: العربية السعودية، بيروت، ١٩٥٥م، ص ٢٣٥.

(٢) الريحاني، ص ١٠٦؛ ابن هذلول، ص ٥٣؛ آل عبد القادر، ج ١، ص ١٨٠؛ الزركلي، مصدر سبق ذكره؛ ج ١، ص ٦٧.

شهرياً<sup>(١)</sup>. وما دام قد توصل مع ممثل تلك الدولة على إقامة في الكويت فإنه لم يبق لدى حاكم هذه البلاد مانع من قبول إقامته فيها. فانتقل الإمام إليها مع أسرته<sup>(٢)</sup>.

وكان حاكم الكويت، حينما انتقل إليها الإمام عبد الرحمن بن فيصل، محمد بن صباح، الذي كان لأخيه جرّاح تأثير كبير عليه في تسيير دفة الحكم. أما أخوهما الثالث، مبارك، فكانت له قيادة القوات المحاربة في البلاد<sup>(٣)</sup>. ونتيجة لخلاف بين محمد وجرّاح من جهة ومبارك من جهة ثانية وثب هذا الأخير على أخويه، وقتلها، وتولّى الحكم في البلاد؛ وذلك عام ١٣١٣هـ<sup>(٤)</sup>.

ولقد بذل يوسف بن إبراهيم، خال أولاد محمد بن صباح، جهوداً مكثّفة للثأر من مبارك. فاستعدى السلطات العثمانية في العراق عليه،

---

(١) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها؛ آل عبد القادر، ج ١، ص ١٨٠؛ الريحاني، ص ١٠٦. وقد ذكر كل من الزركلي والريحاني أن ذلك المرتّب كان ستين جنيهاً.

(٢) الريحاني، ص ١٠٦ و ١١٤؛ آل عبد القادر، ج ١، ص ١٨٠؛ الزركلي، ج ١، ص ٦٧؛ فيلبي، ص ٢٣٥.

(٣) الذكير، نسخة بغداد، ص ٩٩. كان مبارك قائداً للجيش الذي انطلق برّاً من الكويت صوب القطيف، سنة ١٢٨٨هـ، ضمن الحملة العثمانية التي استولت على الأحساء والقطيف في تلك السنة. انظر آل عبد القادر، ج ١، ص ١٧١.

(٤) من أحسن من فصل ذلك الخلاف ونتائجه حسين خزعل، تاريخ الكويت السياسي، بيروت، ١٩٦٢م، ج ١، ص ١٥٣ - ١٦٢، والذكير، نسخة بغداد، ص ٩٨. وبما يجعل لكلام هذا الأخير أهميّة أنه كان ضيفاً عند يوسف بن إبراهيم عند وقوع تلك الحوادث. ويلقي هذان المؤرخان مسؤولية كبيرة على محمد وجرّاح في وقوع الخلاف وعدم التوصل إلى حلّه.

لكن العثمانيين رأوا أن تدخُلهم العسكري في الكويت لا مبرر له، وأنه قد يضرُّ بمصالحهم في المنطقة . فامتنعوا عن مساعدة ابن إبراهيم . فذهب إلى الأراضي الإيرانية، وجمع جيشاً هناك، وأقبل به بحراً إلى الكويت . لكن أخبار تحركه وصلت إلى هذه البلاد قبل اقترابه منها، ففشلت خطته، وعاد أدراجه<sup>(١)</sup> . ثم حاول أن يغري كلاً من الأمير محمد بن رشيد والشيخ قاسم بن ثاني بالوقوف معه . لكن ابن رشيد لم يستجب لإغرائه<sup>(٢)</sup> . ولعلَّ هذا الأمير قد أدرك مغزى عدم إقدام الدولة العثمانية ذاتها على التدخل العسكري في الكويت، فلم يرد أن يقدم على ما أحجم عنه من هو أقوى منه وأدرى بالظروف السياسية المحيطة بتلك البلاد . ولعلَّه، أيضاً، رأى أن قيامه بأي عمل عسكري ضد مبارك سيدفعه إلى تشجيع أهل نجد الموجودين في الكويت - وفي طليعتهم آل سعود - على بدء نشاط ضده . وهذا سيؤدِّي إلى فتح باب كان غنياً عن فتحه .

أما قاسم بن ثاني فقد همَّ بمساعدة ابن إبراهيم . لكنه أدرك آخر الأمر ضعف إمكاناته، ففضَّل قبول المساعي التي بذلت للحيلولة دون تورُّطه بنشاط عسكري ضد مبارك بن صباح<sup>(٣)</sup> .

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١٠٤ - ١٠٦ .

وكان مجيء عبد العزيز بن رشيد إلى الحكم في نجد، عام ١٣١٥هـ، فرصة ليوسف بن إبراهيم كي يحاول إثارة ذلك الحاكم الجديد ضد أمير الكويت. ويبدو أن نوعاً من الخشية قد دبّ في نفس هذا الأمير. فكان هذا من بين عوامل إقدامه على عقد معاهدة حماية مع بريطانيا، التي كانت حريصة حينذاك على إبعاد الكويت عن نفوذ أية دولة أخرى؛ خاصة ألمانيا<sup>(١)</sup>. وحاول مبارك أن يتبع الأسلوب السياسي الذي اشتهر به في كثير من الأحيان. فأوعز إلى من كانوا في بلاده من زعماء نجد المناوئين لحاكمها أن يغادروا الكويت، ويقوموا بنشاط ضد المناطق التابعة لابن رشيد. وخرج أولئك الزعماء بقيادة عبد الرحمن بن فيصل، وهاجموا إحدى الفئات القبلية في إقليم سُدير<sup>(٢)</sup>. على أن مباركاً أرسل، في الوقت ذاته، إلى ابن رشيد يخبره أنه أخرج الزعماء النجديين من بلاده رغبة في تحسين العلاقات معه. وكان من سوء حظه أن رسوله لم يصل إلى ابن رشيد إلا وقد سبقه إليه من أنبأه بأن مباركاً سلّح أولئك الزعماء لمهاجمة نجد. فاستشاط ابن رشيد غضباً لاقتناعه بأن مباركاً كان يخادعه. وعاد رسول هذا الأخير

(١) يمكن معرفة الظروف الخارجية المحيطة بعقد هذه المعاهدة مما كتبه فاسيليف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيرى الضامن وجمال الماشطة، موسكو، ١٩٨٦م، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٨.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ٧٣.

إلى الكويت يحمل معه تهديد حاكم نجد ووعيده . فما كان من مبارك إلا أن أرسل مندوباً إلى من أوعز إليهم من قبل بمغادرة بلاده يطلب منهم أن يعودوا إليها<sup>(١)</sup> . واشتدت حدّة التوتّر بين ابن رشيد وابن صباح مما أدّى إلى معركة الصّريف المشهورة .

في الشهور الأولى من عام ١٣١٨هـ أخذ مبارك بن صباح يحشد الحشود في الجّهراء استعداداً لمواجهة ابن رشيد . وراح هذا الأخير يجمع قواته لتحقيق مآربه ، ثم توجه إلى الجهات الشمالية الشرقية من جزيرة العرب . على أن من الملفت للنظر أن مباركاً أذن لحشوده أن تتفرق بعد جمعها<sup>(٢)</sup> . ومن المحتمل أنه قد غلب على ظنّه حينذاك أن ابن رشيد لن يهاجمه . وبلغ ذلك الأمر ابن رشيد ، فانتهاز الفرصة ، وهجم على زعيم قبيلة المنتفق ، فغنم منها الشيء الكثير . ثم انصرف إلى نجد<sup>(٣)</sup> . وظن مبارك أن انصرافه ناتج عن شعور بالضعف . فجمع قواته من جديد ، وانضم إليه فئات من قبائل متعدّدة بينها المنتفق والعُجمان ومُطَيّر وآل مُرّة والعوازم . وأصبح عدد جيشه ومن تحالف معه آلافاً . ثم انطلق من بلاده صوب نجد ومعه عبد الرحمن بن فيصل ، وابناه

---

(١) إبراهيم بن محمد القاضي ، تاريخ ، بخط مؤلفه الذي كتبه بالعامية النجدية ، ص ٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦ ؛ ابن هذلول ، ص ٥٤ .

(٣) القاضي ، ص ٦ .

عبد العزيز ومحمد، وزعماء من أسرتي الإمارة في بريدة وعنيزة. ومضت تلك القوات في انطلاقها حتى وصلت إلى مكان يُسمّى الشوكي<sup>(١)</sup>.

ومما تتفق المصادر عليه أن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل (الملك عبد العزيز) سار على رأس قوة من الشوكي إلى الرياض أملاً في انتزاعها من أمير ابن رشيد عليها<sup>(٢)</sup>. ومن تلك المصادر ما يشير إلى أن مسيره كان باقتراح من عنده ومبادرة منه<sup>(٣)</sup>. ومنها ما يوحي بأن ذلك المسير كان جزءاً من خطة عامة لقادة الجيش<sup>(٤)</sup>. وسواء أكان هذا أم ذاك فإن أولئك القادة قد رأوا صواب فتح جبهات متعددة ضد خصمهم. ولقد تمكّن عبد العزيز من الوصول إلى الرياض بعد يومين فقط من انطلاقته من الشوكي<sup>(٥)</sup>. ونجح في دخول هذه البلدة دون صعوبة. ولعلّ مما يَسّر ذلك أن الأمير محمد بن رشيد سبق أن هدم أسوارها، أو أكثر أسوارها<sup>(٦)</sup>. ثم راح عبد العزيز يحاصر أمير ابن

---

(١) الشوكي: موضع يبعد عن الرياض بحوالي مئة وستين كيلاً شمالاً بميل قليل نحو الشرق.

(٢) ابن هذلول، ص ٥٥؛ الزركلي، ج ١، ص ٧٥؛ الريحاني، ص ١١٨؛ الذكير، نسخة البسام، ص ٢٤١؛ البسام، ورقة ١٦٧ أ؛ إبراهيم بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد...، نشر دار اليمامة في الرياض، ١٣٨٦هـ، ص ٢٠٠.

(٣) الريحاني، ص ١١٨؛ الزركلي، ج ١، ص ٧٥.

(٤) ابن هذلول، ص ٥٥. على أنه ذكر أن قادة الجيش اتفقوا على ذلك قبل بداية زحفهم من الكويت. ويبدو أنه لم يتمّ شيء من ذلك قبل الزحف.

(٥) الزركلي، ج ١، ص ٧٥.

(٦) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ١٩٧.

رشيد عليها، عبد الرحمن بن ضبعان، الذي اعتصم بقصر المصمك<sup>(١)</sup>.

أما أكثرية الجيش الزاحف من الكويت مع مبارك بن صباح فواصلت سيرها نحو القصيم. ولما اقتربت من مدن تلك المنطقة سار آل مهنا إلى بريدة، كما سار آل سُلَيْم إلى عنيزة. ودخل كلٌّ من الفريقين بلده دون مقاومة من أهلها<sup>(٢)</sup>. ذلك أن أكثر سكانها كانوا يَكُونُونَ مودَّةً لأسرتي إمارتيهما السابقتين.

وما إن علم ابن رشيد بوصول ابن صباح ومن معه إلى القصيم حتى توجه إلى هناك. ولما اقترب من بريدة هبَّ مبارك ومن معه للقائه. وكان جيش هؤلاء يفوق جيشه من حيث العدد بدرجة كبيرة. لكن حينما التقى الجيشان في الصَّريف انتصر ابن رشيد على خصومه انتصاراً عظيماً<sup>(٣)</sup>. ثم تتبع فلولهم بعد المعركة حتى كاد يبيدهم جميعاً<sup>(٤)</sup>. وعاد مبارك إلى الكويت يجرُّ أذيال الخيبة. أما عبد الرحمن بن فيصل فأنجَّه

---

(١) ابن هذلول، ص ٥٥.

(٢) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ٢٠٠؛ البسام، ورقة ١٦٧ أ؛ ابن هذلول، ص ٥٥.

(٣) البسام، ورقة ١٦٧ ب؛ القاضي، ص ٧؛ الريحاني، ص ١١٩؛ الزركلي، ج ١، ص ٧٦؛ ابن هذلول، ص ٥٦.

(٤) القاضي، ص ٧؛ ابن هذلول، ص ٥٦.

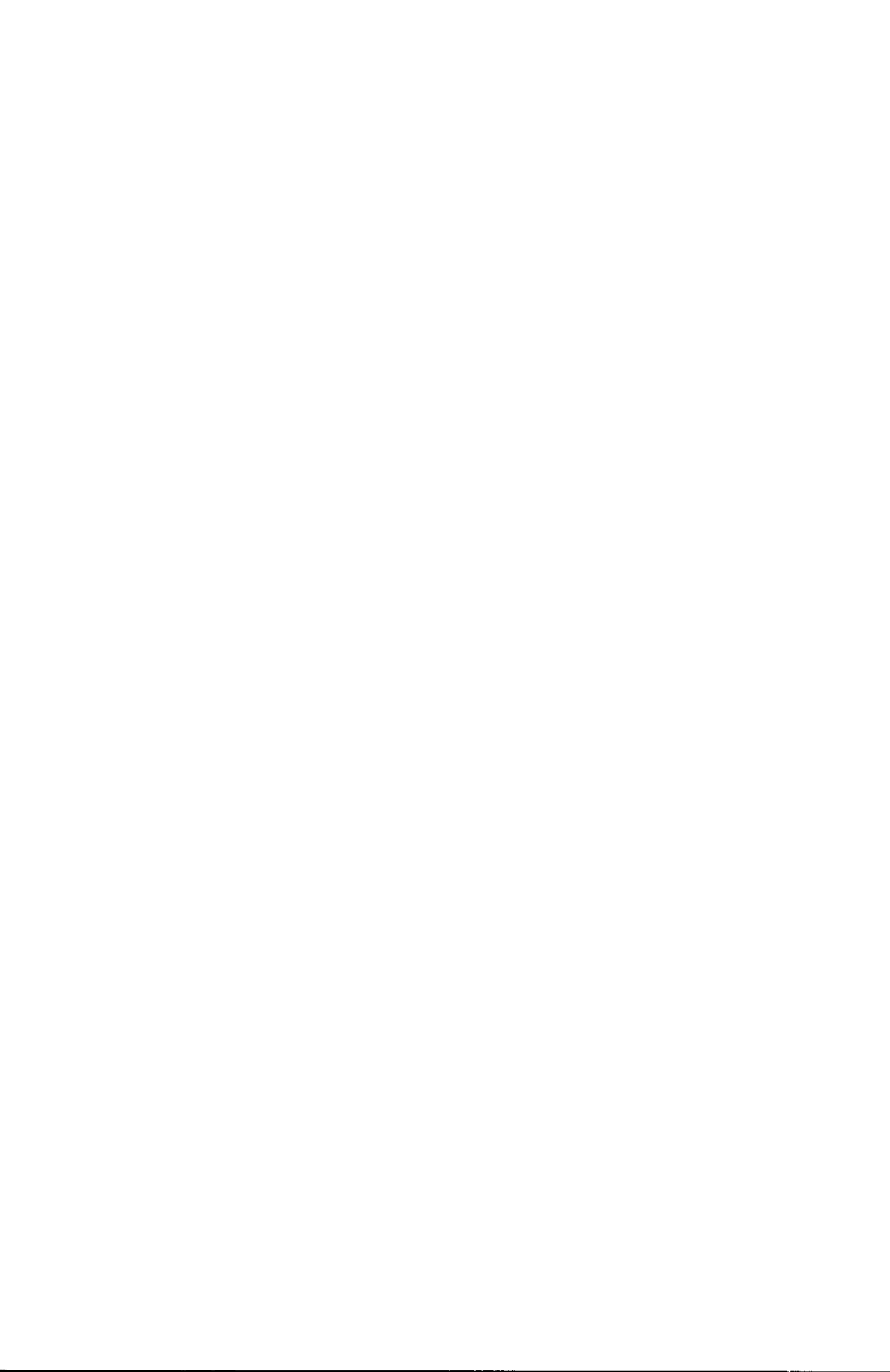


إلى الرياض . وحين اقترب منها بعث إلى ابنه عبد العزيز من أخبره  
بنتيجة معركة الصَّريف . فخرج الابن من البلدة ليمضي مع والده إلى  
الكويت . وكما كان متوقفاً انسحب آل مهنا من بريدة، وآل سُليم من  
عنيزة، عائدين إلى الكويت أيضاً<sup>(١)</sup> . وكانت معركة الصَّريف في  
شهر ذي القعدة من عام ١٣١٨هـ / ١٩٠١م<sup>(٢)</sup> .

---

(١) القاضي، ص٧؛ ابن هذلول، ص ٥٧ .

(٢) القاضي، ص٧؛ البسام، ورقة ١٦٧ ب .



الملك عبد العزيز  
حتا بداية حكمه



## ١ - مولد الملك عبد العزيز ونشأته :

الملك عبد العزيز هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود. وُلِدَ في الرياض وشمس أصيل الدولة السعودية الثانية تدنو شيئاً فشيئاً إلى الغروب. وتختلف الروايات في تحديد السنة التي وُلِدَ فيها. فواحدة تقول: إنه وُلِدَ سنة ١٢٨٥هـ<sup>(١)</sup>. وثانية تذكر أن مولده كان عام ١٢٩٣هـ<sup>(٢)</sup>. وثالثة تشير إلى أنه كان سنة ١٢٩٥هـ<sup>(٣)</sup>. ورابعة تحدّده بعام ١٢٩٦هـ<sup>(٤)</sup>. وخامسة تجعله عام ١٢٩٧هـ<sup>(٥)</sup>. على أن الزركلي رجّح أنه ولد سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م؛ استناداً على ما ذكره له الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، أخو الملك عبد العزيز، الذي كان ملماً بتاريخ أسرته، وقرائن أخرى<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) نقل هذه الرواية الزركلي (ج١، ص ٥٨) عن العالم محمد نصيف. لكنه قارن هذا التاريخ الهجري بعام ١٨٧٦م. ووضح أن المقارنة خطأ. فسنة ١٢٨٥هـ يقابلها عام ١٨٦٨م. على أن الزركلي استبعد صحة هذه الرواية على أية حال.
- وذكر موزل أن مولد الملك عبد العزيز كان سنة ١٨٦٧م؛ أي ١٢٨٤هـ. انظر كتابه الذي ترجمة عنوانه شمالي نجد، نيويورك، ١٩٢٨م، ص ٣٠١.
- (٢) الزركلي، ج١، ص ٥٦.
- (٣) محمد العلي العبيد، النجم اللامع للنوادر جامع، مخطوطة لدى أقارب مؤلفه، ص ١١٨.
- (٤) آل عبد القادر، ج١، ص ١٩٢.
- (٥) الريحاني، ص ١٠٧؛ حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٦١.
- (٦) الزركلي، ج١، ص ٥٨.

وقد نشأ الملك عبد العزيز نشأة كثير من أفراد الأسرة السعودية الذين عاصروه، أو سبقوه، وتأدّب بالأداب المتوارثة لديها. وكانت هذه الأسرة تجمع بين كونها أسرة حكم عربية الأصل والتقاليد، وكونها أسرة أقامت حكمها على أساس ديني هدفه الواضح مناصرة العقيدة التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتطبيق الشريعة الغراء. ولذلك كان عليه أن يكتسب المهارات التي لا بد أن يتقنها ناشئة الأسر العربية الحاكمة حينذاك؛ مثل الرماية، وركوب الخيل، وأساليب الكرّ والفرّ. وقد اكتسب من تلك المهارات ما كان جديراً بمثله أن يكتسبه وهو ما زال صغير السن. وكان عليه أن يعرف تقاليد تلك الأسر المتوارثة ويبارسها. فعرّفها ومارسها بشكل جيّد. وكان عليه، أيضاً، أن يعلم أصول العقيدة التي يجب على كل مسلم أن يعلمها، والتي قام حكم أسرته بالذات على أساسها، فتحقّق له ذلك. وبالإضافة إلى هذا تعلّم مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم<sup>(١)</sup>. وقد وهبه الله من الذكاء ما ساعده على النجاح في كل ما سبق نجاحاً كبيراً. وتهيّأ له من الظروف المحيطة بطفولته ما صقل مواهبه، وأثرى تجاربه. وإذا كانت جلساته مع القادة من أفراد أسرته والمقرّبين منها من علماء وزعماء قد مكّنته من معرفة الشيء الكثير من

(١) من أحسن ما كُتِبَ عن نشأته وطفولته كتابة الزركلي، المذكور سابقاً، ج ١، ص ص ٥٧

أمور الدين والتاريخ والأدب وقصص الأبطال قديماً وحديثاً فإن ما رآه من مشاكل الفرقة بين أفراد أسرته وآثارها السلبية على واقع البلاد عامة قد علّمه الكثير من الدروس والعبر. واجتمعت صفاته الذاتية مع مكتسباته الحيوية الغنية لتبلور منه شخصية قيادية رائدة في مستقبل أيامه .

وكانت أول مشاركة له في الحياة السياسية العامة خروجه مع عمّه محمد والشيخين عبد الله بن عبد اللطيف وحمد بن فارس للتفاوض مع الأمير محمد بن رشيد عندما حاصر الرياض<sup>(١)</sup>. وكان ذلك الحصار في مستهل عام ١٣٠٨ هـ<sup>(٢)</sup>. وقد بقي مع والده خلال أوقاته الصعبة قبل مغادرته الرياض، ثم إبّان تنقله بين فئات بادية العجمان وآل مُرّة. ولا شك أن ذلك التنقل، مهما كانت مدته، قد أتاح لعبدالعزیز فرصة ممارسة حياة الصحراء الصارمة، ومزاولة بعض من فنونها الشاقة، مما زاد رصيد تجاربه القيادية غنى وثراء.

وكانت الكويت آخر محطة استقرار للشاب عبد العزیز بن عبد الرحمن بعيداً عن مسقط رأسه ومركز حكم أسرته. وكان عمره حين وصل إليها - حسب الرواية المرجّحة لتاريخ مولده<sup>(٣)</sup>. حوالى سبعة

(١) ابن هذلول، ص ٥١.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ٥٥.

(٣) وهي سنة ١٢٩٣ هـ.

عشر عاماً. وكان تاريخ أسرته؛ إضافة إلى ما في نفسه من طموح وما تحلّى به من قدرات عقلية، من أكبر الدوافع التي جعلته يلازم مجالسة الزعماء والقادة في تلك البلاد، ويتأمل ما يحيط بالمنطقة من تيارات سياسية ليأخذ من هذا وذاك العبر والدروس<sup>(١)</sup>.

ومن المرجح أن قيادة عبد العزيز بن عبد الرحمن لفرقة من الجيش الزاحف من الكويت؛ وهي الفرقة التي دخل بها الرياض كما سبق أن ذكر، كانت أول قيادة عسكرية يتولّاها. ومع أنه لم يستطع اقتحام قصر المصمك الذي تحصّنت فيه حامية ابن رشيد فإن دخوله تلك البلدة، وبقائه فيها مدة، بعد غيابه عنها عشر سنوات تقريباً، مكّنه من معرفة كثير من أوضاعها المستجدة واتجاهات أهلها. وكان مجرد نجاحه في دخولها بارقة أمل في نفوس مؤيّدَي آل سعود بعد أن خبا ذلك الأمل فترة من الزمن. ولعلّ ما قام به الأمير عبد العزيز بن رشيد - بعد انسحاب الشاب السعودي من الرياض - من إجراءات قاسية ضد بعض سكانها دليل على ما أظهره هؤلاء لذلك الشاب من مشاعر وُدّية وتعاون وثيق.

---

(١) الزركلي، ج ١، ص ص ٧٠ - ٧٢.



## ٢ - استعادته الرياض وبداية حكمه:

أدرك الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن، بعد النجاح النسبي لتجربته الأولى في دخول الرياض، وتأمّله ما يحيط بالمنطقة من ظروف، أن الوقت قد حان كي يتولّى مسؤولية إعادة حكم أسرته للبلاد. ومن هنا جاء إلحاحه الشديد على أبيه ومبارك بن صباح - فور عودته إلى الكويت - للسماح له بأن يبدأ بالخروج من هذه البلدة قائداً لغزوات. وقد وقف أبوه ضد إلحاحه في بداية الأمر<sup>(١)</sup>. ولعلّ ذلك الموقف عائد إلى أن هذا الكهل، الذي خبر من مُرّ التجارب أكثر مما خبر من حلوها، كان يرى أن الظروف لم تكن حينذاك مناسبة للحركة، وأن أي عمل عسكري يقوم به ابنه قد يؤدي إلى نتائج مؤلمة لذلك الابن وأسرته. ومن المحتمل أن ما دار على أرض الصّريف كان من العوامل التي كوّنت لديه ذلك الرأي. على أنّ عبد العزيز كان يترأى لذهنه ما دار في الرياض على يديه لا ما دار على أرض الصّريف ولم يحضره. أما مبارك بن صباح فكان أهم ما يشغله وجود ابن رشيد على مقربة من بلاده يتحينّ الفرص للانقضاض عليها. ولهذا لم يكن غريباً أن يقف موقف المؤيّد والمشجّع لقيام عبد العزيز بنشاط عسكري<sup>(٢)</sup>؛ أملاً في أن يدفع ذلك النشاط ابن رشيد إلى

(١) الزركلي، ج ١، ص ٧٩.

(٢) الريحاني، ص ١٢١؛ ابن هذلول، ص ٥٨.

صرف شيء من جهده واهتمامه لملاحقته . وهذا مما يخفف الضغط على الكويت إن لم يزله كلفة .

وفي النصف الأول من عام ١٣١٩ هـ نجح تصميم الملك عبدالعزيز وتأييد الشيخ مبارك بن صباح لذلك التصميم في إقناع الإمام عبد الرحمن للموافقة على خروج ابنه من الكويت غازياً . وبعد أن تهيأ لهذا الابن ما تهيأ من ركائب وأسلحة ومؤن كان للشيخ مبارك اليد الطولى في تأمينها خرج من هناك ومعه عدد من أقربائه ومؤيديه يرجح أنهم لا يزيدون على الأربعين إقليلاً<sup>(١)</sup> .

ولم يرد الملك عبد العزيز أن يتوجه فور خروجه من الكويت إلى الرياض مباشرة . بل توجه إلى مضارب البادية؛ خاصة قبيلة العجمان ، في جهات الأحساء . ولعل ذلك عائد إلى اعتقاده أن أبناء خروجه من الكويت ستصل بسرعة إلى الأمير عبد العزيز بن رشيد ، وأن هذا الأخير سيأخذ جميع الاحتياطات لئلا تقع الرياض في يد خصمه الجديد . ففضّل أن يكون تحرّكه في البداية بعيداً عن هذه البلدة تمويهاً وحذراً . وقد انضمت إليه فئات من قبيلة العجمان ، كما

---

(١) هناك من يقول : إن عددهم كان يقرب من ستين رجلاً . ولعلّ الذين خرجوا من الكويت كانوا كما ذكر في المتن أعلاه ، فانضم إليهم قبل دخول الرياض عدد قرّهم من الستين . وأسماء الجميع سترد ملحقة بهذا الجزء من الكتاب إن شاء الله .

انضم إليه عدد لا بأس به من قبائل أخرى، مثل سُبَيْع والشُّهول وآل مُرَّة، حتى تجاوز من التفوا حول رايته ألف مقاتل<sup>(١)</sup>. وبدأ يغير على جماعات من قبائل معيَّنة، فحالفه النصر، ولفت إلى حركته الأنظار. وهنا أدرك الأمير عبد العزيز بن رشيد خطورة نشاطه، فبذل جهوداً لدى العثمانيين، الذين لم يكونوا يودُّون آل سعود أساساً، والذين باتوا لا يودُّون مبارك بن صباح؛ خاصة بعد أن ارتقى في أحضان بريطانيا. ولذلك أسفرت تلك الجهود عن منع كل من يقف مع عبد العزيز آل سعود من دخول بلدان الأحساء والقطيف والتزوُّد بالأطعمة والمؤن منها. ورأى المنضمون إليه من رجال القبائل ما سوف يتعرَّضون له من عقبات اقتصادية من جرَّاء وقوفهم معه، فأثروا التخلي عنه، ومراعاة مصالحهم الخاصة<sup>(٢)</sup>. وهكذا لم يبق معه في نهاية الأمر إلا أولئك الذين رافقوه من الكويت وعدد قليل من غيرهم<sup>(٣)</sup>. فتوجه بالجميع إلى منطقة بَبرين الواقعة بين قطر والربع الخالي ليرسم خططه المستقبلية بتؤدة وروية.

ولقد حاول الإمام عبد الرحمن بن فيصل، بعد أن رأى انفضاض

(١) الزركلي، ج ١، ص ٨٠.

(٢) الريحاني، ص ١٢٢؛ ابن هذلول، ص ٥٩.

(٣) أغلب المصادر تذكر أنه لم يبق معه إلا الذين خرجوا بصحبته من الكويت. على أن الذكر (نسخة البسام، ص ٢٤٦) يقول: إنه بقي معه غير أولئك حوالي عشرين رجلاً.

القبائل من حول ابنه عبد العزيز، أن يقنعه بالعودة إلى الكويت وعدم الاستمرار في محاولاتة العسكرية. لكن ما حلَّ بعبد العزيز لم يزد إلا طموحاً وتصميماً على مواصلة جهوده<sup>(١)</sup>. على أنه رأى أن الأسلوب الذي اتَّبعه لم يُجِدْه نفعاً، وأنه لا بد من عمل جريء مفاجئ يحدث صدئ بعيداً في المنطقة كلَّها.

وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان، سنة ١٣١٩هـ، انطلق عبد العزيز بن عبد الرحمن بمن معه من يبرين صوب الرياض. ولما تجاوز منتصف الطريق بين المكانين أخبر رفاقه بهدفه. وواصلوا السير الحثيث؛ يَكُونُ نهاراً، ويدلجون ليلاً. ولم ترخ ليلة الخامس من شوال سدوها إلا وهم في ضواحي الرياض. ووضع عبدالعزيز خطة محكمة لدخولها، والاستيلاء عليها<sup>(٢)</sup>. فقسم رجاله إلى ثلاث مجموعات: واحدة ترابط عند الإبل حتى الصباح. فإن حلَّ الصباح ولم يأتها منه خبر فعلى أفرادها أن ينجوا بأنفسهم. والثانية - بقيادة أخيه محمد - تكمن في إحدى مزارع البلدة حتى تأتيها أوامره. أما الثالثة فتدخل البلدة بقيادته<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الزركلي، ج ١، ص ٨٣.

(٢) من المرجح أن عبد العزيز؛ وهو الذي عُرف عنه حُبُّه للمشورة، قد استشار من كان يراه أهلاً للاستشارة من رفاقه. على أن الرأي المتَّبَع هو رأيه.

(٣) ابن هذلول، ص ٦٠؛ الزركلي، ج ١، ص ٨٩ - ٩٠.

ولم يجد عبد العزيز ومن معه صعوبة في الدخول إلى الرياض . ذلك أن أسوارها كانت مهدّمة ، وأن عدد الداخلين إليها كان قليلاً لا يحدث ضجة ولا يثير انتباهاً ؛ إذ لم يتجاوز السبعة<sup>(١)</sup> . واستطاع هؤلاء الطليعة أن يدخلوا بيتاً مجاوراً لبيت عامل ابن رشيد ، عجلان بن محمد . فاستدعى الملك عبد العزيز أخاه محمداً ومن معه . فلما وصلوا إليه تسلّق هو ورفاقه الستة إلى بيت عجلان ، لكنهم لم يجدوه فيه . فقد أخبرتهم زوجته أنه نائم في قصر المصمك عند رجال الحامية الرشيدية ؛ وذلك لعدم اطمئنانه إلى الأوضاع المحيطة به ، وأنه يأتي من ذلك القصر إلى بيته بعد طلوع الشمس . ثم التحق بالملك عبد العزيز أخوه محمد بن عبد الرحمن ورفاقه ، وانتظر الجميع خروج عجلان من المصمك في الصباح . ولما خرج انقضّ عليه عبد العزيز ورفاقه ، فحاول العودة إلى داخل القصر ، لكنهم تمكّنوا من مداهمة بوابة ذلك القصر والدخول إليه . وقُتِلَ عجلان بيد عبد الله بن جلوي ، كما قُتِلَ عدد من أتباعه . واضطر باقي رجال الحامية إلى الاستسلام . وما إن تمّ ذلك حتى نودي في البلدة أن الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود<sup>(٢)</sup> . وهكذا خطا هذا القائد خطوته الأولى لاستعادة الحكم

(١) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٩٠ .

(٢) المصدر نفسه من أحسن الكتب التي فصلت الكلام عن تلك الحادثة، ج ١،

ص ص ٨٧ - ١٠٠ .

السعودي في البلاد، وتوحيد أجزائها المختلفة. وبدأت الدولة السعودية الثالثة يوم الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ، الخامس عشر من يناير عام ١٩٠٢م. واندفع سكان الرياض يبائعون حاكمهم الجديد، الذي كانت بلدتهم عاصمة لدولة قاده أسرتة من قبل. وكانوا - وهم يضعون أيديهم في يده مبايعين - يأملون أن تعود به إلى هذه البلدة مكاتتها السياسية، وتنتعش حياتهم الاقتصادية.

وكانت العملية التي قام بها عبد العزيز ورفاقه، والتي أدت إلى استيلائه على مقاليد الأمور في الرياض، عملية جريئة ومحكمة. وكان الموقف يتطلب تلك الجرأة وذلك الإحكام؛ إذ بدونها كان من غير الممكن تحقيق ما تحقق من نجاح. ولقد عبّر المؤرخون المحليون المعاصرون لحدوثها، ابن عيسى والبسام والقاضي، عنها بكلمة «سطا»<sup>(١)</sup>. وهي كلمة تعني العمل الجريء المفاجئ. ولعلهم عبّروا عنها بهذه الكلمة، التي اعتاد المؤرخون النجديون في تلك الفترة وما قبلها أن يعبّروا بها عن عمليات حدثت في البلدان النجدية كثيراً<sup>(٢)</sup>، لأنها تشبهها من حيث وقوع الحدث بحد ذاته بغض النظر عن

---

(١) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ٢٠١؛ البسام، ورقة ١٦٩ أ؛ القاضي، ص ٨.

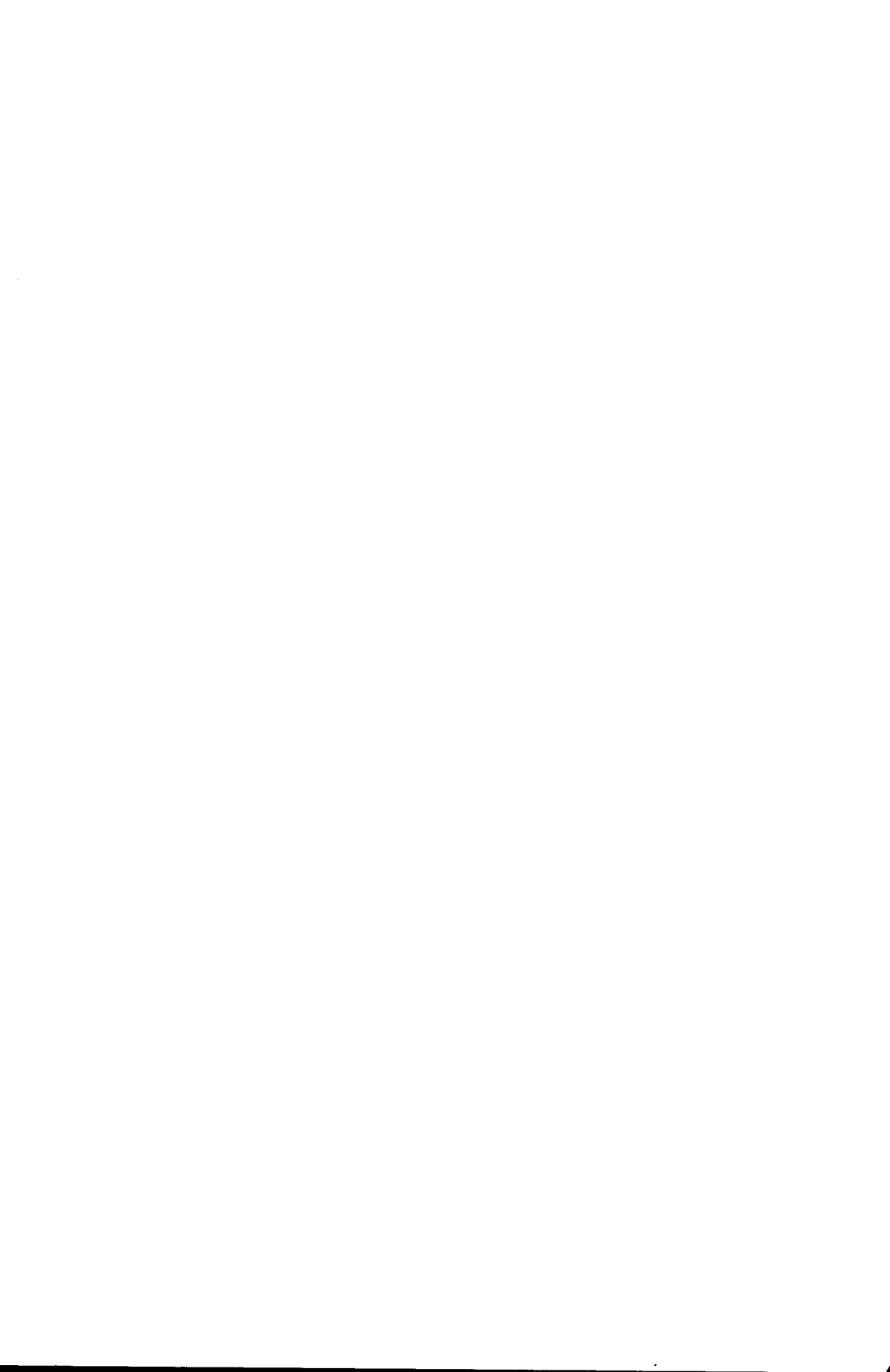
(٢) لم تذكر المصادر النجدية تفصيلات تلك العمليات لأنه لم يترتب عليها ما ترتب على ما حدث في الرياض من نتائج.

ملابساته ونتائجه . على أن أهميّة تلك العملية تنبع من كونها بداية تحدّ من شاب في العشرينات من عمره لحاكم قوي لمنطقة واسعة ، وكونها اللبنة الأولى لما قام بعدها من بناء شامخ تمثّل في توحّد ، أو توحيد ، المناطق التي تكوّنت منها المملكة العربية السعودية المترامية الأطراف .

وكان الملك عبد العزيز يدرك غاية الإدراك قوة الأمير عبد العزيز بن رشيد . ولم تغرّه مشاعر فتوّته ، أو تلهه نشوة انتصاره ، عن أن يُعدّ لكل خطر محتمل عدّته . فما إن استتب له الأمر في الرياض حتى شرع في إعادة بناء أسوارها المهذّمة . ولم تمرّ خمسة أسابيع إلا وهذه البلدة محصّنة كل التحصين<sup>(١)</sup> . وفي الوقت نفسه لم يجعل إخبار أبيه والشيخ مبارك بن صباح بما تمّ له من نصر مجرد بشارة لهما ؛ بل قرن ذلك بطلبه نجدة بقيادة أخيه سعد . وقد وصلت إليه هذه النجدة بالسرعة التي أمّل أن تصل بها .

---

(١) الزركلي ، ج ١ ، ص ١٢٣ ؛ ابن هذلول ، ص ٦٢ .





توحيد نجد عدا جبل شمّر



لم يتبع الأمير عبد العزيز بن رشيد، بعد انتصاره في معركة الصّريف، سياسة حكيمة يمكن أن يكسب بها بعض القلوب المكلومة، بل اتّبع سياسة الشدّة والقوّة. فبالإضافة إلى تتبّع فلول المنهزمين، وقتل كثير من عشر عليه منهم، نكّل بعدد من زعماء البلدان وصامر أموالهم لتضامنهم مع مبارك بن صباح وحلفائه، أو اتّهامهم بذلك التضامن<sup>(١)</sup>. وباتّباع تلك السياسة زاد كره أكثر النجديين له، وتطلّعهم إلى الخلاص من حكمه. على أن هناك من النجديين من ابتهج بانتصاره، وهزيمة مبارك الذي كان في نظرهم معتدياً من غير أبناء البلاد. ولقد مكث ابن رشيد فترة قصيرة في حائل، ثم توجه إلى الشمال الشرقي من جزيرة العرب مؤملاً، فيما يبدو، أن تتاح له الفرصة للاستيلاء على الكويت<sup>(٢)</sup>. ولعلّه ظن أن دخول هذه البلاد في معاهدة حماية مع بريطانيا قد أثار الدولة العثمانية إلى درجة تجعلها ترمي بثقلها معه، وتساعدته لتحقيق مآربه.

ولقد علم ابن رشيد باستيلاء خصمه الجديد، عبد العزيز آل سعود، على الرياض وهو في حفر الباطن. وإذا كان لم يغب عن ذهنه خطر هذا الشاب السعودي قبل استيلائه على تلك البلدة، بدليل طلبه من العثمانيين مضايقة أنصاره، فإن هذا الاستيلاء أكّد له ذلك

(١) الذكر، نسخة البسام، ص ٢٤٢؛ الزركلي، ج ١، ص ١٢٠؛ العبيد، ص ٤٢؛ ابن هذلول، ص ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ص ٥٧؛ الزركلي، ج ١، ص ١٢٠.

الخطر. على أن المصادر تختلف في إشارتها إلى ردِّ فعله. فمنها ما ذكر أنه جمع كبار قومه، واستشارهم في الإجراءات التي ينبغي اتخاذها، وأن بعض هؤلاء قد ملُّوا غيابهم الطويل نسبياً عن أولادهم وأوطانهم وشؤونهم الخاصة، وخافوا أن يتوجه بهم صوب الرياض، فيزيد غيابهم طولاً. ولذلك أشاروا عليه أن يعود إلى حائل ليبدأ بتجهيز جيش قادر على الحصار والمطالبة إن اقتضى الأمر. فاستحسن هذا الرأي، وعاد إلى قاعدة حكمه: ومكث هناك عدة شهور قبل أن يخرج منازلة عبد العزيز بن عبد الرحمن<sup>(١)</sup>. ومن تلك المصادر ما أشار إلى أنه أظهر عدم مبالاة في الأمر، وظلَّ في الحفر أربعة شهور يتصرَّف تصرُّف من يرى أن قضية الكويت أصل، وقضية الرياض فرع، وأنه لا بد من التعامل مع الأصل أولاً لا مع الفرع. ثم مضى بعد ذلك إلى حائل<sup>(٢)</sup>. وسواء كان هذا أو ذاك فإن ابن رشيد لم يتَّخذ الإجراءات المناسبة في الوقت المناسب. وهذا ما أتاح الفرصة للملك عبد العزيز أن يقوِّي دفاعاته عن الرياض، ويستعد للبدء في بسط حكمه على بلدان نجد الأخرى، وتوحيدها تحت رايته.

(١) القاضي، ص ٩؛ الذكير، نسخة البسام، ص ٢٤٨.

(٢) الريحاني، ص ١٢٧؛ ابن هذلول، ص ٦٢.

يبدو أن ابن رشيد أظهر للناس عدم اكتراثه بما حدث في الرياض تظاهراً بالقوَّة. لكن من المرجَّح أنه عاد إلى حائل ليفكِّر بتوِّدة فيما يجب عمله، وليستعد استعداداً قوياً.

## ١ - توحيد جنوبي نجد :

بعد أن اطمأن الملك عبد العزيز إلى سلامة وضعه في الرياض عزم على التحرك خارجها . وكان أمامه ميدانان للحركة : الجهات الواقعة جنوب هذه البلدة ، والجهات الواقعة شمالها أو غربها . وكان يعلم أن له ولأسرته أنصاراً كثيرين هنا وهناك . لكنه فضل أن يبدأ حركته بالجهات الجنوبية لأسباب متعددة ؛ منها أنها أبعد جغرافياً عن قاعدة حكم ابن رشيد . ولذلك فإن اتجاهه إليها أقل إثارة لخصمه القوي حينذاك من اتجاهه إلى جهات أقرب إلى قاعدة ذلك الحكم . ومنها أن قوة الحكم الرشيدي في الجهات البعيدة نسبياً عن حائل أقل من القريبة منها . وهذا مما يشجع سكان تلك الجهات على الانضمام تحت راية الحاكم الجديد . وبالإضافة إلى ذلك فإن معظم قادة جنوبي نجد وأهاليه كانت لهم مواقف مشهودة ضد القوات العثمانية ، أو المتحركين باسمها<sup>(١)</sup> ، وكانت بلدانهم مأوى لكثير من الذين لم يريدوا الخضوع لها ؛ خاصة من آل سعود وآل الشيخ<sup>(٢)</sup> . واعتقد الملك عبد العزيز - وهو مصيب في هذا الاعتقاد - أنه إذا تمكّن من كسب ولاء سكان

(١) من أمثلة تلك المواقف صمودهم أمام قوات محمد علي التي كانت بقيادة إسماعيل بك وخالد بن سعود .

(٢) من ذلك اتجاه الإمام تركي إليها مع سقوط الدرعية ، وذهاب أفراد من أسرته وآل الشيخ إليها في تلك الفترة العصيبة .

الجهات الجنوبية من نجد استطاع أن يتحرك إلى الجهات الشمالية والغربية وظهره أكثر أماناً. ولقد وجد من سكان جنوبي نجد، بصفة عامة، ما توقعه من استجابة له وتعاون معه. ودخلت تحت حكمه الخرج والأفلاج والحريق وحوطة بني تميم، وأصبح نفوذه يمتد من الرياض إلى وادي الدواسر<sup>(١)</sup>.

---

(١) الزركلي، ج ١، ص ص ١٢٥ - ١٢٦؛ ابن هذلول، ص ٦٢.

## ٢ - المجابهة مع ابن رشيد في الدّلم :

بعد النجاح الذي حققه الملك عبد العزيز في جنوبي نجد، مع نهاية عام ١٣١٩هـ وبداية العام الذي تلاه، بدأ التحرك باتجاه غرب الرياض؛ خاصة صوب عالية نجد. لكن ذلك التحرك كان موجّهاً ضد فئات من البادية لا ضد البلدان والقرى. وكان النصر حليفه وحليف من بعثه نائباً عنه<sup>(١)</sup>.

وربما كان من أسباب التوجه صوب عالية نجد بُعد تلك المنطقة النسبي عن مركز حكم ابن رشيد، حائل. ولعلّ توجيه الحركة نحو البادية أن مهاجمتها لا تثير ابن رشيد كما تثيره مهاجمة البلدان التابعة له. ذلك أن ارتباط القبائل الرّحل به؛ خاصة التي لم تكن في منطقة جبل شمر أو قريبة منه، لم يكن قوياً كارتباط الحاضرة. وبالإضافة إلى ذلك فإن نجاح غزو الملك عبد العزيز للبادية ينتج عنه حصوله على غنائم كان هو في أمس الحاجة إليها. وكان مما قام به في تلك الشهور أن بعث أخاه محمداً إلى الكويت ليصحب والدهما عبد الرحمن من هناك إلى الرياض<sup>(٢)</sup>. وبعودة ذلك الوالد إلى هذه البلدة اجتمع شمل الأسرة في مقر الحكم السعودي.

(١) الذكر، نسخة البسام، ص ٢٥١؛ ابن هذلول، ص ٦٢.

(٢) المصدر الأول نفسه، الصفحة ذاتها.

أما الأمير عبد العزيز بن رشيد فقد خرج من حائل في شهر ربيع الأول، سنة ١٣٢٠ هـ، ومعه قواته من حاضرة جبل شمر وباديته.

واستنفر أتباعه في القصيم والوشم وسدير والمحمل والشعيب. فوصل بالجميع إلى رغبة، إحدى بلدان المحمل. وبقي هناك شهرين، ثم انتقل إلى الحسي<sup>(١)</sup>. وقد نزل بجيشه خلال ذلك وباء توفيت بسببه أعداد غير قليلة<sup>(٢)</sup>. وكان قد حلَّ ببعض البلدان النجدية وباء في ذلك العام<sup>(٣)</sup>. وفي أثناء إقامة ابن رشيد تلك وجَّه بادية قحطان للنزول قرب بلدة ضرما<sup>(٤)</sup>، وأرسل إلى هناك، أيضاً، سالم بن سيهان ومعه غزو أهل القصيم<sup>(٥)</sup>. وأمر سعداً الحازمي أن يستنهض القبائل المجاورة للأحساء. لكن الحازمي فشل في مسعاه لأن الملك عبد العزيز كان قد بعث أخاه محمداً وعبد الله بن جلوي إلى تلك القبائل، فتمكَّنا من استقطابها<sup>(٦)</sup>. ومن الواضح أن من بين أهداف هذه الإجراءات

(١) القاضي، ص ٩؛ الذكر، نسخة البسام، ص ٢٥١؛ عبد الرحمن بن ناصر، عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد، صورة من مخطوطة لدى المؤلف، ج ١، ص ٤٤.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٤٥؛ الذكر، نسخة البسام، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٣) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث، ص ٢٠٢؛ البسام، ورقة ١٦٨ أ.

(٤) الريحاني، ص ١٢٩؛ ابن ناصر، ص ٤٤. الذكر، نسخة البسام، ص ٢٥٢.

(٥) القاضي، ص ٩؛ البسام، ورقة ١٦٩ أ.

(٦) الريحاني، ص ١٢٩ - ١٣٠؛ الذكر، نسخة البسام، ص ٢٥٢.



الرشيديّة محاولة تطويق الرياض من شمالها الغربي وجنوبها الشرقي .  
على أن ابن رشيد لم يتحرّك من الحبي لمهاجمة هذه البلدة ؛ بل انتقل  
إلى الحفر . ولعلّه أراد بهذا الانتقال التمويه ليقوم بعد ذلك بهجوم أشد  
مهاجمة .

ولقد خطط الملك عبد العزيز لاستدراج خصمه ابن رشيد إلى  
مواجهة عسكرية مباشرة على ساحة تناسبه ، فخرج من الرياض بعد  
أن ترك فيها جيشاً قادراً على الدفاع عنها بقيادة أبيه . وتوجه إلى حوطة  
بني تميم يستنهض أهلها ، وبعث أخاه سعداً إلى الحريق يستنجد  
بسكانها . وجعل عبد الله بن جلوي يربط بقوات بين هاتين البلديتين .  
وكانت له سرية في اللطم بقيادة السديري<sup>(١)</sup> . ولما علم ابن رشيد  
بمخروج الملك عبد العزيز من الرياض سار بقواته مسرعاً حتى وصل  
إلى ضواحيها ظاناً - كما تقول بعض الروايات<sup>(٢)</sup> - أن خلافاً وقع بين  
الملك وأبيه مما سيسهل عليه الاستيلاء على هذه البلدة . لكنه أدرك  
عند اقترابه منها أن ظنّه لم يكن صحيحاً . فتوجّه إلى إقليم الخرج بقواته  
التي تقرب من أربعة آلاف مقاتل لمنازلة الملك عبد العزيز والقضاء

(١) يذكر أنه أحمد السديري كلّ من الريحاني ، ص ١٣٠ والذكير ، نسخة البسام ، ص ٢٥٢ .  
ويقول : إنه محمد السديري كلّ من البسام ، ورقة ١٦٩ أ وابن هذلول ، ص ٦٣ وابن  
ناصر ، ج ١ ، ص ٤٥ .  
(٢) الزركلي ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

على قوّته . ووصل إلى بلدة نَعْجان ، ثم أخذ يغير على الدّم محاولاً  
الاستيلاء عليها . وفي أثناء ذلك وصل الملك عبد العزيز بقواته القريبة  
من الألفين إلى هذه البلدة ، ودخلها دون أن يعلم به خصمه . ولما  
أغارت قوات هذا الخصم - كعادتها - عليها فوجئت بمقاومة أدركت  
أنها تؤكد وصول عبد العزيز إليها . وتمكّن المدافعون من الصمود ،  
وإنزال بعض الخسائر بالمهاجمين ، فاضطر ابن رشيد إلى الانسحاب من  
الدّم إلى مركزه في نَعْجان . ثم سار الملك عبد العزيز بقواته في أثره ،  
ووقعت بينهما اشتباكات غير حاسمة ، لكنها أظهرت لابن رشيد أن  
خصمه قادر على مجابهته وإنزال الضرر به . فانسحب من الإقليم ليلاً  
بعد أن ترك نيران معسكره موقدة للتمويه في تغطية الانسحاب (١) .  
وهكذا كانت المواجهة الأولى ، في الدّم وما حولها ، بين ابن سعود وابن  
رشيد نصراً للأول ؛ قلّت خسائر الثاني أو كثرت . وقد حدثت في ربيع  
الأول عام ١٣٢٠هـ - يونيو ١٩٠٢ م .

(١) انظر تفصيلات تلك الحوادث مع بعض الاختلاف في الروايات كلاً من الريحاني ،  
ص ص ١٣١ - ١٣٢ ؛ القاضي ، ص ٩ ؛ الزركلي ، ج ١ ، ص ص ١٣٥ - ١٣٧ ؛ ابن  
هذلول ، ص ص ٦٣ - ٦٤ .

### ٣ - توحيد الوشم وسدير والمحمل والشعيب :

بعد انسحاب ابن رشيد من إقليم الخرج وصل إلى أطراف بريدة .  
ثم توجه إلى شمال شرقي الجزيرة العربية ، حيث هاجم فئات من قبائل  
مختلفة قبل أن يتخذ من حفر الباطن مركزاً له مرة أخرى (١) . وأحسن  
مبارك بن صباح بالحاجة إلى من يساعده في الدفاع عن إمارته ،  
فاستنجد بالملك عبد العزيز ، الذي هبَّ لنجده ومعه آلاف من  
المحاربين . ولما وصل إلى الكويت وجد حاكمها قد أعدَّ جيشاً كبيراً  
بقيادة ابنه جابر . وانطلق الجميع صوب حفر الباطن لمهاجمة خصمهم  
الأكبر . لكن الأخبار وافتهم بأنه ارتحل من هناك إلى حائل . فغيروا  
خطتهم ، وهاجموا فئات من قبيلة مطير في جَوْلَبَن ، وغنموا منها إبلاً  
وغنماً كثيرة ثم عادوا إلى الكويت (٢) . على أنه أتضح أن ابن رشيد لم  
يذهب إلى عاصمة حكمه ؛ بل توجه إلى الرياض . ومن الواضح أنه  
فعل ذلك متتهزاً فرصة ذهاب الملك عبد العزيز مع أتباعه الكثيرين  
إلى الكويت ، ومؤملاً أنه سيفاجئ الرياض ويستولي عليها . لكن قادة  
هذه البلدة علموا باقترابه منها ، فاستعدوا للدفاع عنها . وانتهت غارته  
عليها بتقطيعه بعض النخيل الواقعة خارج أسوارها (٣) .

(١) الذكر، نسخة البسام، ص ٢٥٣؛ ابن هذلول، ص ٦٤ .

(٢) الريحاني، ص ١٣٣ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٤؛ ابن هذلول، ص ٦٥ .

وكانت انتصارات الملك عبد العزيز في الرياض وما يليها جنوباً من الأمور التي شجعت المؤيدين للحكم السعودي في البلدان الواقعة شمالها على التحرك ضد الحكم الرشيدي، كما كانت مما هيأ الملك لبدء العمل في توحيد هذه البلدان الشمالية. وكان في طليعة المؤيدين المشار إليهم سابقاً أهل شقراء الذين زاد تصرف أمير ابن رشيد، عبد الله الصويغ، لديهم تصميمهم على التخلص منه. فثاروا عليه وأخرجوه من بلدتهم حيث وصل، فيما بعد، إلى ثرمداء<sup>(١)</sup>. وبعثوا إلى الرياض يعلنون ولاءهم، ويطلبون سرية تقف معهم ضد أي هجوم محتمل<sup>(٢)</sup>. فتوجهت إليهم سرية بقيادة مساعد بن سويلم. ولما وصل إلى هناك قام بمهاجمة ثرمداء. وتمكّن من دخولها، وقتل الصويغ، والقبض على أميرها مشاري العنقري، الذي أرسل إلى الرياض حيث بقي سجيناً حتى وفاته<sup>(٣)</sup>. ويقال: إن دخول ابن سويلم إلى ثرمداء كان بممالة من بعض أهلها<sup>(٤)</sup>. على أنه انسحب منها إلى شقراء حذراً من هجوم ابن رشيد عليه فيها.

(١) القاضي، ص ١٠؛ الذكير، نسخة البسام، ص ٢٥٦.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٥٧؛ القاضي، ص ١٠.

(٣) ابن هذلول، ص ص ٦٥ - ٦٦. على أنه يذكر أن الصويغ هرب. لكن كلاً من القاضي

(ص ١٠) والذكير (نسخة البسام ص ٢٥٧) والريحاني (ص ١٣٥) والبسام (ورقة ١٧٠ أ)

يذكرون مقتل الصويغ. وكانت وفاة العنقري في سجنه عام ١٣٢٢ هـ. المصدر الأخير

نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) الذكير، نسخة البسام، ص ٢٥٧؛ العبيد، ص ١٢٤.

ونتيجة لما حدث في الوشم قام الأمير عبد العزيز بن رشيد بالإغارة على بعض الفئات القبليّة هنا وهناك إظهاراً لقوّته. ثم توجه إلى شقراء، وحاول استمالة أهلها، لكنهم لم يستجيبوا له، فحاول إخضاعهم بالقوّة، فلم يتمكّن من دخول بلدتهم. فما كان منه إلا أن عزّز دفاعات ثرمداء، وجعل فيها حامية بقيادة حمد بن عسكر. ثم تقهقر إلى بريدة<sup>(١)</sup>. وما كان من الملك عبد العزيز إلا أن خرج من الرياض، وتوجه إلى شقراء حيث بعث من هناك سريةً إلى ثرمداء بقيادة عبد الله بن جلوي. وتمكّن عبد الله من دخول هذه البلدة، وبدأ يحاصر القصر الذي كانت فيه حامية ابن رشيد. لكن أفراد تلك الحامية فتحوا ثغرة في أحد جدران القصر، وهربوا<sup>(٢)</sup>.

وكان مما قام به الملك عبد العزيز وهو في شقراء أن بعث سريةً، بقيادة أحمد السديري، إلى روضة سدير لمهاجمة حامية ابن رشيد فيها، فنجحت في إخراج تلك الحامية منها<sup>(٣)</sup>. ودخلت بقية بلدان سدير

تحت الحكم السعودي سوى المجمع، التي بقيت خارج هذا الحكم إلى ما بعد مقتل الأمير عبد العزيز بن رشيد بقليل.

(١) القاضي، ص ١٠؛ الذكير، نسخة البسام، ص ٢٥٧؛ البسام، ورقة ١٧٠ أ و ب؛ ابن ناصر، ج ١، ص ٤٧.

(٢) القاضي، ص ١٠؛ الذكير، نسخة البسام، ص ٢٥٩؛ البسام، ورقة ١٧٠ ب.

(٣) الريحاني، ص ١٣٥؛ ابن هذلول، ص ٦٦.

ولما اطمأن الملك عبد العزيز إلى استتباب الأمور له في الوشم  
وسدير، بصفة عامة، رجع إلى الرياض في ربيع الأول عام  
١٣٢١هـ<sup>(١)</sup>. وكان إقليما الشعيب والمحمل قد دخلا، أيضاً، في  
طاعته دون مقاومة تذكر. وبذلك يتضح أن ميول سكان تلك الأقاليم  
النجدية الأربعة كانت معه، وأن أعماله العسكرية فيها كانت موجهة،  
أساساً، ضد الحاميات الرشيدية الموجودة فيها.

---

(١) القاضي، ص ١٠.

#### ٤ - توحيد القصيم :

لكل إقليم من أقاليم نجد أهميته الخاصة وتاريخه الحافل بالأحداث . من ذلك أن إقليم العارض - مثلاً - اشتهر بجودة زراعته ، وكونه مهد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية ، ومركز حكم آل سعود الذين ناصروا تلك الدعوة وأقاموا دولة وحّدت كثيراً من مناطق جزيرة العرب ؛ خاصة إبان عهد الدولة السعودية الأولى . وظلّ مركز الحكم السعودي ومنطلقه لتوحيد الأقاليم والمناطق الأخرى من البلاد .

ولإقليم القصيم أهميته من عدة جوانب . فمساحته واسعة ، ومياهه غزيرة ، وأراضيه زراعية ، وسكانه كثيرون نسبياً ونشطون زراعياً وتجارياً . وقد امتد نشاطهم التجاري إلى الحجاز ومناطق الخليج العربي . بل امتد ، أيضاً ، إلى أقطار خارج الجزيرة العربية كالعراق والشام وفلسطين ومصر والهند . وكان لموقعه أهمية كبيرة في تاريخ الدولتين السعوديتين الأولى والثانية . فقد كان منطلق القوات السعودية لتوحيد ما يقع شماله من أقاليم جزيرة العرب . واستمرت تلك الأهمية في الدولة السعودية الثالثة كما سيّضح فيما بعد .

وكان إقليم القصيم البوابة الرئيسية التي حاولت قوات حاكم مصر العثماني ، محمد علي باشا ، أن تدخل منها للقضاء على الدولة السعودية

الأولى . وقد أدرك الإمام عبد الله بن سعود خطورة تلك المحاولة ، فبادر بالذهاب إلى ذلك الإقليم آملاً أن يحول دون وقوعه في أيدي قوات الحاكم المذكور . ونجح في التوصل إلى صلح مع طوسون بن محمد علي انسحب بموجبه هذا الأخير من القصيم . لكن الإمام عبدالله لم ينجح ، فيما بعد ، في ردّ إبراهيم باشا ، الذي واصل زحفه حتى قضى على حكم ذلك الإمام .

وظلّ إقليم القصيم البوابة الرئيسية إلى قاعدة الحكم في نجد بعد زوال الدولة السعودية الأولى . فكان ممراً لقوات محمد علي باشا ، التي حاولت القضاء على نشاط آل سعود المتخذين من الدرعية ، ثم من الرياض ، مركزاً لهم . وقد أدرك الإمام فيصل بن تركي ، كما أدرك أسلافه ، أهمية ذلك الإقليم ، فسارع للحيلولة دون أن تسيطر عليه القوات التي قدمت إلى نجد بقيادة خالد بن سعود وإسماعيل بك . وكانت سيطرة تلك القوات عليه من أكبر العوامل التي أفقدت ذلك الإمام الأمل في المقاومة مرحلياً على الأقل . ولما عاد من مصر ، عام ١٢٥٩هـ ، ووصل إلى حائل كان إقليم القصيم أول الأقاليم النجدية التي حرص على وقوفها معه لاستعادة حكم البلاد عامة . ثم جاءت هزيمة أهل هذا الإقليم أمام الأمير محمد بن رشيد في المليداء ، سنة ١٣٠٨هـ ، لتكون أكبر عامل في توطيد حكم ذلك الأمير في نجد ،



وأعظم سبب في خروج الإمام عبد الرحمن بن فيصل من الرياض فاقدًا  
كثيراً من الأمل في نجاح الوقوف أمام المدّ الرشيدي . وهكذا كان إقليم  
القصيم دائماً أرض المعارك الدائرة بين حكام نجد من آل سعود  
وخصومهم الزاحفين/ضدهم من الحجاز أو جبل شمر.

وعندما بدأ الملك عبد العزيز مسيرته التوحيدية للبلاد كانت مئات  
من أهل القصيم في العراق والشام وفلسطين ومصر . وقد تغرّب هؤلاء  
عن بلدانهم عملاً في التجارة<sup>(١)</sup> ، أو خوفاً مما آلت إليه أوضاعها  
السياسية ، أو كرهاً للعيش تحت حكم آل رشيد . وبالإضافة إلى أولئك  
المواطنين العاديين كان يوجد في الكويت أكابر أسرتي الإمارة في بريدة  
وعنيزة : آل مهنا وآل سُليم<sup>(٢)</sup> ، الذين فرّوا من نجد خوفاً من بطش آل  
رشيد بهم . وإذا كان هؤلاء الأكابر وعشرات من مؤيديهم يتوقون إلى  
انتهاز أية فرصة للعودة إلى بلادهم وتسلم مقاليد الأمور فيها فإن  
قصيدة محمد العوّني المسماة الخُلُوج<sup>(٣)</sup> ، والتي استنهض بها أهل

---

(١) يقال عن هؤلاء : العُقيلات ، أو عُقيل . ويقال عن الذي ذهب إلى تلك الأقطار : غرّب ،  
أو ذهب إلى الغريبة .

(٢) ذهب أكابر آل سُليم إلى الكويت بعد معركة المليداء . أما أكابر آل مهنا فكانوا مسجونين  
في حائل بعد تلك المعركة ، لكنهم تمكّنوا من الهروب من سجنهم إلى الكويت سنة  
١٣١٧هـ .

(٣) الخُلُوج : الناقة التي تحنُّ إلى ولدها المفقود .



الجيش الذي مع الملك عبد العزيز وخيله قليلة جداً بحيث كان هذا سبباً من أسباب عدم مواصلة سيره نحو القصيم، وعودته إلى الرياض<sup>(١)</sup>. على أن ذلك الأمر - مع أهميته الكبيرة - لم يكن أهم مما ذكره أحد المؤرخين المحليين المعاصرين لتلك الأحداث؛ وهو أن الملك عبد العزيز كتب إلى كبار أهل عنيزة من الزلفي يخبرهم أنه على وشك التوجه من هناك إليهم، فما مدى تعاونهم معه؟ فردّ عليه أولئك - ربما خضوعاً للظروف المحيطة بهم ومن بينها وجود ابن رشيد على مقربة منهم - بأن في رقابنا بيعة لابن رشيد. وها هو موجود في القصيم. فإن قضيت عليه فنحن معك<sup>(٢)</sup>. وعلى أية حال فإن الملك عبد العزيز اقتنع بأن مواصلة السير نحو القصيم غير مناسبة حينذاك، فعاد إلى الرياض. وتوجّه آل مهنا وآل سليم إلى شقراء<sup>(٣)</sup>.

أما الأمير عبد العزيز بن رشيد فإنه، بعد فقدته أقاليم نجد الواقعة جنوب القصيم، قد أقام في بريدة يرتّب أمور هذا الإقليم ويعزّز دفاعاته ضدّ خطر أي هجوم محتمل. ومما يلفت النظر أنه حاول كسب رضا السكان المحليين بإظهار المؤدّة لهم، ومشاورتهم في

(١) الريحاني، ص ١٣٧؛ ابن هذلول، ص ٦٧.

(٢) القاضي، ص ١١.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

الإجراءات التي ينبغي اتخاذها . ولقد استقر رأيه في نهاية الأمر على أن يعزّز السريّة التي في بريدة بقيادة عبد الرحمن بن ضَبْعان، وأن يبعث بسريّة إلى عنيزة قوامها خمسون رجلاً بقيادة فهيد بن سبهان، ويرسل سريّة مكوّنة من أربع مئة مقاتل بقيادة حسين بن جراد لترابط في إقليم السّر الواقع على حدود القصيم الجنوبية، ويبعث سريّة عددها يقرب من عدد التي قبلها بقيادة ماجد الحمود بن رشيد لترابط قرب عنيزة<sup>(١)</sup>. ولما اطمأن نوعاً ما إلى ترتيباته في القصيم؛ إضافة إلى عودة خصمه، الملك عبد العزيز، إلى الرياض، توجه إلى حدود العراق في العاشر من شوال. وكان هدفه من الشوجه إلى هناك أن يتزوّد هو وأتباعه بما يحتاجون إليه من طعام، ويستنهض من في ذلك القطر من قبيلة شمر، ويستنجد العثمانيين لإمداده بالقوات والمؤن والأموال<sup>(٢)</sup>.

وكان من نتائج مغادرة ابن رشيد للقصيم أن ازداد حماس الملك عبدالعزيز وأتباعه من آل مهنا وآل سُليّم كي يتوجهوا إلى ذلك الإقليم<sup>(٣)</sup>. فتوجه على رأس قواته إلى هناك. فلما تجاوز الوشم وافته

(١) القاضي، ص ١١؛ الريحاني، ص ١٣٧؛ البسام، ورقة ١٧١ أ. وتختلف المصادر في عدد أفراد السرايا. لكن اختلافها ليس مهماً لأن زيادة العدد، أو نقصه، قليلاً لن يؤثر في سير الأحداث.

(٢) القاضي، ص ١١؛ الريحاني، ص ١٣٧.

(٣) يذكر القاضي أن آل مهنا وآل سُليّم كان لهم تأثير بالغ في تشجيع الملك عبد العزيز على الحركة.

الأخبار بنزول حسين بن جراد ومن معه فيضة السر. فشن هجوماً مباغتاً عليهم، وقُتل ابن جراد نفسه، كما قُتل عدد ليس قليلاً من أفراد سرّيته<sup>(١)</sup>، وغنم ما كان معهم من إبل وأموال. وذلك في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٢١هـ<sup>(٢)</sup>. ومع أن هذا كان كسباً كبيراً للملك عبد العزيز فإنه أدرك أن ذلك الحادث قد أصبح نذيراً لقوات ابن رشيد والمتعاونين معها في القصيم مما سيفقده عنصر المفاجأة، ويجعلهم على أهبة الاستعداد لصدّه. ولذلك عاد إلى الرياض، وعاد آل مهنا وآل سُلَيْم إلى شقراء<sup>(٣)</sup>.

وكان ماجد الحمود بن رشيد قد راوده الخوف بعد أن علم بما حصل لحسين بن جراد ومن معه. فانتقل إلى مكان قريب من سور عنيزة<sup>(٤)</sup>؛ محاولة منه لتقليل خطر هجوم مباغت ضده من ناحية، ورغبة منه في دعم السرية الموجودة في تلك البلدة من ناحية أخرى.

---

(١) يقدر القاضي (ص ١٢) عدد القتولين بمئة وعشرين رجلاً. وهذا أقرب إلى الصحة. أما قول ابن هذلول (ص ٦٨): «فقتله - يعني ابن جراد - وجميع من معه عن بكرة أبيهم» فإن فيه مبالغة واضحة.

(٢) القاضي، ص ١٢؛ الذكير، نسخة البسام، ص ٢٦٢.

(٣) القاضي، ص ١٢.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

وفي العشر الأواخر من ذي الحجة، عام ١٣٢١هـ. خرج الملك

عبد العزيز من الرياض مستنهضاً أتباعه للغزو. وانضم إليه - وهو في

الوشم - آل مهنا وآل سليم ومؤيدوهم. وقد أظهر أنه يريد التوجه إلى

أطراف الكويت؛ وذلك للتمويه على خصومه. ثم غير اتجاهه مسرعاً

نحو القصيم. وما إن حلت ليلة الخامس من شهر المحرم، سنة

١٣٢٢هـ، حتى كان قد وصل بقواته إلى الحميدية التي تبعد عن عنيزة

ثلاث ساعات بسير الإبل. ثم اقترب من هذه البلدة، فنزل خارج

أسوارها الجنوبية وأمر آل سليم وآل مهنا وبعض أتباعهم أن يدخلوا

عنيزة ليستولوا عليها فدخلوها دون صعوبة، وكنوا الرئيس السرية

الرشيديّة فيها، فهيد بن سبهان، فتمكّنوا من قتله، وأخذوا يحاصرون

قصر الإمارة الذي تحصّنت فيه تلك السرية<sup>(١)</sup>. وفي صباح اليوم التالي

أرسل إليهم الملك عبد العزيز الأمير عبد الله بن جلوي مع مئة من

الرجال<sup>(٢)</sup>. وكانت نتيجة ذلك الحصار أن هرب عدد من كانوا داخل

(١) المصدر نفسه، ص ١٣؛ البسام، ورقة ١٧٢ ب؛ الذكير، نسخة البسام، ص ٢٦٥.

(٢) وردت الإشارة إلى ذلك في رسالة بعثها الملك عبد العزيز إلى مبارك بن صباح. وتؤكد

تلك الرسالة أن ابن جلوي لم يكن مع من دخلوا البلدة ليلاً وقتلوا ابن سبهان. انظر

عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، أمراء وغزاة...، لندن، ١٩٩١م، ص ١٨٣. وقد يكون

من أهداف إرسال ابن جلوي إلى داخل البلدة، أيضاً، مساعدة من دخلوها ليلاً ضد ما

يمكن أن يحاوله ماجد الحمود من دخول إليها قبل أن يهاجمه الملك خارجها. على أنه لا

صحة لما ذكره الريحاني (ص ١٣٨) من أن أهل عنيزة (هكذا) استسلموا لما سمعوا بابن

جلوي. ذلك أن أهل هذه البلدة كانوا، بصفة عامة، متضامنين مع أمراءهم القدامى

من آل سليم، ولم يقاوموهم؛ بل انضموا إليهم. ويمكن أن يقال: إن من أشار إلى

القصر، واستسلم الباقون بأمان<sup>(١)</sup>.

وبذلك تمت السيطرة على مقاليد الأمور في عنيزة مع إطلالة اليوم الخامس من المحرم. وكان أمير هذه البلدة من قبل ابن رشيد، صالح اليحيى، قد خرج إلى ماجد الحمود بن رشيد بحثه على التحرك إلى داخل البلدة. لكن ماجداً اقتنع بأن عدم مقاومة أهلها، بصفة عامة، لمن دخلها من أتباع الملك عبد العزيز دليل واضح على تضامنهم مع هذا الملك، وأله لا فائدة من محاولة تغيير ما حدث. فأمر أتباعه بالرحيل. لكنهم ما إن بدأوا بالتحرك حتى فاجأهم الملك عبد العزيز وأتباعه بالهجوم. وقُتل ممن كانوا مع ماجد حوالي خمسين رجلاً بينهم أخوه عبيد. وهرب الباقون؛ بعضهم إلى بريدة، وبعضهم إلى حائل<sup>(٢)</sup>. وهكذا عادت إمارة عنيزة إلى آل سليم تحت حكم الملك عبد العزيز، وأصبح أميرها عبد العزيز بن عبد الله، وإلى جانبه صالح الزامل قائداً لغزوها<sup>(٣)</sup>.

ولقد شجع ما حدث في عنيزة كبار أهل بريدة على إيضاح موقفهم المؤيد للملك عبد العزيز. فبعد يومين من دخوله عنيزة قدم إليه وفد منهم يبدون وقوفهم معه. فسير آل مهنا إليها، واستقبلهم أهلها

(١) القاضي، ص ١٣؛ الذكر، نسخة البسام، ص ٢٦٥؛ البسام، ورقة ١٧٢ ب.

(٢) القاضي، ص ١٣؛ البسام، ورقة ١٧٢ ب.

(٣) عبد العزيز هو عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى بن سليم. وصالح هو صالح بن زامل - الأمير المشهور - بن عبد الله بن سليم.

بحماس<sup>(١)</sup>. ثم توجه إليها هو بقواته، فبايعه سكانها، وبدأ يحاصر عبد الرحمن بن ضبعان، الذي تحصَّن مع رجال حاميته بقصرها المنيع. وقد دام ذلك الحصار حوالي شهرين ونصف الشهر. ولما نفذ ما كان لدى المحاصرين من أطعمة، وأصبح شبح الموت جوعاً يهدِّدهم، اضطر قائدهم إلى التفاوض مع الملك عبد العزيز بشأن إنهاء الحصار. وتوصَّل معه إلى اتفاق يسلم بموجبه القصر إلى الملك، ويخرج المحاصرون منه بأسلحتهم الشخصية آمنين على أرواحهم، وتؤمن لهم ركائب تنقلهم إلى بلادهم<sup>(٢)</sup>. وقد وفى الملك بما اتفق عليه مع ابن ضبعان على أحسن وجه. ومع أن ذلك الاتفاق يبدو، في بعض جوانبه، كسباً لقائد الحامية الرشيدية، التي كانت مهددة بالموت جوعاً، فإنه كان نجاحاً واضحاً للملك عبد العزيز. ذلك أنه كان حريصاً على سرعة خروج تلك الحامية من بريدة لئلا يصل ابن رشيد إلى أطرافها وهي لا تزال داخلها حينئذٍ بملاقاته عنها. وهكذا عادت إمارة بريدة إلى آل مهنا تحت حكم الملك عبد العزيز، وأصبح صالح الحسن المهنا أميراً لها. ويدخول عنيزة وبريدة تحت الحكم السعودي يمكن القول: بأن إقليم القصيم كله أصبح واقعياً تحت هذا الحكم.

(١) القاضي، ص ١٣.

(٢) ابن هذلول، ص ٦٩.



القصير بين توحيدِه وتثبیت الحکم فیہ



## أ - معركة البكرية :

وصل إلى الأمير عبد العزيز بن رشيد خبر دخول عنيزة وبريدة تحت حكم الملك عبد العزيز بتأييد من أهاليهما وهو لا يزال قرب السماوة في العراق للترؤد بالأطعمة، واستنهاض شمر الموجودين في ذلك القطر، والاستنجاد بالدولة العثمانية، وقد أثار موقف أهل القصيم غضبه الشديد، فقام بحجز ما وجده من إبل العقيلات القصيمين في شمال الجزيرة العربية، ثم حمل عليها قسماً كبيراً مما حصل عليه من أطعمة ومؤن وأسلحة من العراق إلى نجد<sup>(١)</sup>. وكان مما اتبَّعه من أساليب للحصول على مساعدة العثمانيين أن دفع هدايا مغرية إلى موظفيهم الكبار؛ خاصة أولئك الذين كانوا في العراق والحجاز، وأدَّعى أن الملك عبد العزيز ومبارك بن صباح قد أبرما اتفاقاً مع بريطانيا يخوِّلها السيطرة على جزيرة العرب<sup>(٢)</sup>. ولا شك أن الدولة العثمانية لم تكن في حاجة إلى من يخبرها بما كان بين بريطانيا ومبارك بن صباح من اتفاق على حماية بلده. فقد كان ذلك معلناً للملأ حينذاك. ولا شك، أيضاً، أنها كانت تعلم، بوسائلها الخاصة، أنه لم يتم أي اتفاق بين الملك

(١) القاضي، ص ص ١٣ - ١٤. وقد أشار إلى أن تلك الإبل كانت حوالي ثمانين رعيَّة. والمعروف أن الرعيَّة يتراوح عددها بين الثمانين والمئة.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣.

عبدالعزیز والبریطانیین فی تلك الفترة . وإذا كان من المرجح أن ما دفعه ابن رشید من هدايا قد جعل المهدى إليهم يكتفون جهودهم لإقناع السلطات العثمانية العليا بمساعدته فإن ما حققه الملك عبدالعزیز من نجاح كبير في نجد؛ خاصة في القصيم، قد جعل تلك السلطات تخشى عواقب ذلك النجاح . وكان لتلك الخشية، فيما يبدو، أكبر الأثر في موافقتها على إمداد ابن رشيد بما كان ينشده من عون . لقد رأت أن الملك عبدالعزیز وحّد نجداً كلها، باستثناء إقليم جبل شمر، خلال عامين ونصف العام فقط . وهي تعلم من تاريخ أسلافه أنه متى توحدت نجد فإن الطريق إلى توحيد منطقة الأحساء والقطيف معها غير شاقة ولا طويلة . وكانت تلك المنطقة حينذاك تحت الحكم العثماني .

وتختلف المصادر في تحديد كميات الأسلحة وأعداد القوات النظامية التي أهدى العثمانيون بها الأمير عبدالعزیز بن رشيد<sup>(١)</sup> . لكنها تتفق على ضخامة تلك الأسلحة وتطورها مقارنة بالأسلحة المتداولة في نجد في ذلك الزمن ، كما تتفق على أهمية وجود قوات نظامية تستعملها .

(١) تقدّرهما المصادر كما يلي :

القاضي ، ص ١٤ : ستة طوابير وستة مدافع .

الريحاني ، ص ١٤٠ : أحد عشر طابوراً وأربعة عشر مدفعاً .

ابن هذلول ، ص ٦٩ : أحد عشر طابوراً وأحد عشر مدفعاً .

=

سار الأمير عبد العزيز بن رشيد من الحدود العراقية باتجاه القصيم  
ومعه القوة النظامية العثمانية، ومئات من حاضرة قومه، وفئات كبيرة  
من البادية أغلبها من قبيلة شمّر<sup>(١)</sup>. ولما دخل إلى ذلك الإقليم انضم  
إليه ماجد الحمود بن رشيد ومن خرج معه من حاضرة شمّر. ووصل  
الجميع إلى بلدة قُصَيَاء<sup>(٢)</sup>.

وهناك قدم عليهم عبد الرحمن بن ضبعان ورجاله<sup>(٣)</sup>. وقد أسف  
ابن رشيد أسفاً شديداً لعدم وصوله إلى بريدة قبل خروج قائد حاميته

- = البسام، ورقة ١٣٣ أ: ألفان وخمسة مئتي وثمانية مدافع.  
إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر  
حوادث الزمان، الرياض، دون ذكر لسنة الطباعة، ج ٢، ص ٢٢: حوالي تسعة آلاف  
وأربعة عشر مدفعا  
لوريمر، دليل الخليج: القسم التاريخي، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، الدوحة،  
١٣٩٥هـ، ج ٣، ص ١٧٠٤: ألفاً جندي وستة مدافع.  
أرمسترونج، وترجمة عنوان كتابه سيد جزيرة العرب، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٥٠: ثمانية  
طوابير وستة مدافع.  
فاسيليف، ص ٢٥٦: ألفاً جندي وستة مدافع.  
(١) القاضي، ص ١٤؛ ابن هذلول، ص ٧٠.  
(٢) قُصَيَاء: بلدة شمال غربي بريدة تبعد عنها حوالي ٧٤ كيلاً. وكانت تكثر فيها  
المستنقعات التي يعيش فيها البعوض المسبب لانتشار الملاريا. انظر عنها محمد بن ناصر  
العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم، دار اليمامة في الرياض،  
١٣٩٩هـ، ج ٥، ص ٢٠١٨ - ٢٠٥٧.  
(٣) القاضي، ص ١٤. وقد ذكر أن ابن ضبعان توفي بعد وصوله إلى تلك البلدة بقليل.  
وكان قد انتشر مرض بين الجنود النظاميين بصفة خاصة.

منها . واستمر في زحفه نحو هذه البلدة حتى وصل في نهاية الأمر إلى

الشَّيْحَةَ المجاورة للبُكَيْرِيَّة (١) .

وكان الملك عبد العزيز قد علم بحجم القوات التي أقبل بها

الأمير عبد العزيز بن رشيد إلى القصيم ، وتابع تحركاته . فبعث إلى

جميع أتباعه من الحاضرة والبادية يطلب منهم أن يوافوه لزيادة محاربيهم

حتى اجتمع لديه عدة آلاف (٢) . ثم خرج من بريدة ، ونزل البُصْر (٣) .

ثم ارتحل إلى البُكَيْرِيَّة حيث أصبح في مواجهة قوات خصمه ؛ وذلك

في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٢ هـ / يوليو ١٩٠٤ م (٤) .

وما كاد الملك عبد العزيز يصل إلى قرب البكيرية حتى بدأ القتال

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ . وقد قَدَّرهم بعشرة آلاف .

(٣) البُصْر: أقصى خبوب بريدة من جهة الغرب . انظر عنها العبودي ، ج ٢ ، ص ص ٥٨٦ - ٥٨٩ .

(٤) يذكر القاضي (ص ١٥) والبسام ( ورقة ١٣٣ ب) أن هذا كان في آخر الشهر . لكن الريحاني (ص ١٤١) يقول : إنه حدث في أوله .

ويبدو أن ابن هذلول (ص ٧٠) قد اعتمد على الريحاني . وقد أشار العبودي (ج ٢ ، ص ٥٨٨) إلى أن معركة البكيرية كانت في أول ربيع الثاني . وعزا ذلك إلى لوريمر ، ج ٥ ، ص ٥٦٦ . والواقع أن لوريمر ذكر المعركة في الجزء الثالث من القسم التاريخي ، ص ١٧٠٤ ، وقال : إنها حدثت في ١٥ يوليو ١٩٠٤ م ؛ أي في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٢ هـ .

ومن المرجح أن القاضي والبسام - وهما مؤرخان محليان معاصران لوقوع الحادثة - أقرب إلى الصحة .

بين الطرفين عند منتصف النهار. وقد ركز ابن رشيد وأتباعه هجومهم على الجهة التي كان فيها الملك عبد العزيز ومن معه من أهل العارض وأقاليم نجد الواقعة جنوب القصيم. ولم يحل وقت صلاة العصر إلا وقد أنك هؤلاء؛ خاصة من نيران المدافع التي أصابت شظية منها يد الملك اليسرى، فبدأوا ينهزمون. واقتفى أثرهم قوم ابن رشيد. وكان أهل القصيم قد أحرزوا تقدماً ضد من كانوا أمامهم من جيش هذا الأخير، وهزمهم. ولم يعلموا أن الملك ومن كانوا في جهته قد انهزموا. وفي تعقبهم لمن انهزموا أمامهم وصلوا إلى أولئك الذين كانوا في ساقه المنهزمين من جيش الملك عبد العزيز. ويبدو أن هؤلاء قد ظنوا أن الملك لم ينهزم حقيقة، وإنما عمل التفافاً حولهم، فانهزموا أيضاً أمام أهل القصيم. وظل هؤلاء في أثرهم حتى حلول الليل<sup>(١)</sup>.

(١) القاضي، ص ١٥.

ذكر الزركلي (ج ١، ص ١٥٠) أن الملك عبد العزيز قسم جيشه قسمين: أحدهما بقيادته، والثاني - الذي يتكوّن من أهل القصيم - بقيادة عبد الله بن جلوي. والمصادر المعاصرة لتلك الحادثة لا تذكر أن هذا الأخير كان قائداً لأهل القصيم. ومما يرجح عدم صحة ما ذكره الزركلي؛ إضافة إلى عدم ذكر تلك المصادر المعاصرة ما ذكره، أن قائدي غزوي بريدة وعنيزة اختلفا بعد انتهاء المعركة حول المكان الذي ينبغي أن تؤخذ إليه المدافع. ولو كان عبد الله بن جلوي قائداً لأهل القصيم في المعركة لكانت له الكلمة الفصل بصفته قائداً. على أن ابن هذلول (ص ٧٠) ذكر أنه عندما مشت جنود الملك عبد العزيز إلى المعركة اتفق أن عبد العزيز بن جلوي كان يرافق أهل القصيم. ويبدو أن هذا الأخير قد انضم إلى أهل القصيم عندما اختلط حابل المعركة بنايلها.

وكانت خسائر الطرفين المتحاربين كبيرة. لكن المصادر تختلف في تقدير أعداد القتلى (١). وقد قُتل في المعركة ماجد الحمود بن رشيد (٢). وكان أكثر القتلى من جيش الملك عبد العزيز من سكان إقليم العارض خاصة وأقاليم نجد الواقعة جنوب القصيم عاملة لتركيز هجوم ابن رشيد بفرسانه ومدافعه عليهم. أما القتلى من جيش ابن رشيد فكان أكثرهم من القوات النظامية (٣). ذلك أن فرسان الحاضرة والبادية الذين كانوا معهم تمكنوا من الهروب أملاً ليران بنادق أهل القصيم أسرع من تلك القوات. ويبدو أن النظاميين قد أحسوا بأنهم تُركوا وحدهم في الميدان مما أثر في نفوسهم، فأثّر في مواقفهم القتالية مستقبلاً.

(١) يذكر الريحاني (ص ١٤١) أن عدد القتلى من جيش الملك عبد العزيز ٩٠٠ بينهم ٦٥٠ من أهل الرياض، وعدد القتلى من أتباع ابن رشيد ١٣٠٠ بينهم ١٠٠٠ من النظاميين. ويبدو أن الزركلي اعتمد عليه، فأشار (ج ١، ص ص ١٥١ - ١٥٢) إلى ما يقرب من تلك الأعداد إلا أنه جعل المقتولين من جيش الملك عبد العزيز من أهل الرياض وما جاورها فقط. وهذا خطأ واضح. أما ابن هذلول (ص ٧٠) فيذكر أن قتلى النظاميين ١٥٠٠ وقتلى أهل حائل ٣٠٠، وقتلى أتباع الملك عبد العزيز ٤٠٠ فقط. وأما ضاري الرشيد (نبذة تاريخية عن نجد، أملاها ضاري الرشيد وكتبها وديع البستاني، دار اليمامة بالرياض، ١٣٨٦هـ، ص ١٢٠) فيقول: «قتل من العسكر فوق المتين، ومن قوم ابن رشيد مقدار مئة، وأما ابن سعود فجنده ما عدا أهل القصيم تلفوا». ويجعل آل عبد المحسن (ج ٢، ص ص ٢٣ - ٢٤) قتلى الملك عبد العزيز ٩٠٠ بينهم ٦٥٠ من أهل العارض، وقتلى ابن رشيد ٩٠٠، أيضاً، بينهم ٤٠٠ من النظاميين.

(٢) البسام، ورقة ١٣٣ ب؛ الريحاني، ص ١٤١.

(٣) هذا واضح مما ذكرته المصادر المشار إليها في الهامش الأول.



وعاد أهل القصيم من تتبّعهم فلول المنهزمين من جيش ابن رشيد إلى البكيرية ومعهم بعض الأسرى من الجنود النظاميين، وفي أيديهم الكثير مما غنموه من أموال وأسلحة؛ إضافة إلى المدافع<sup>(١)</sup>. لكنهم في الوقت ذاته أدركوا أنهم قد يتعرّضون للخطر فيما لو اكتشف ابن رشيد أنهم كانوا وحدهم هناك. ولذا غادروا البكيرية عائدين إلى بلدانهم بما استطاعوا حمله من غنائم وأسلحة تاركين الأسرى والمدافع في أماكنها<sup>(٢)</sup>.

وكان الملك عبد العزيز - بعد انهزامه - قد اتجه جنوباً ومعه عدد قليل جداً من أتباعه حتى تجاوز بلدة المذنب. أما بقية المنهزمين من جيشه فقد اتجهوا، أيضاً، جنوباً. ومع أذان العشاء، بعد يوم المعركة، وصل إلى عنيزة أعداد منهم يحملون أخبار الهزيمة. لكن لم ينتصف الليل إلا وقد وصل إلى هذه البلدة رسول من أمير غزوها، صالح الزامل، يحمل خطاباً إلى أميرها، عبد العزيز بن سليم، يفيد بأن أهل القصيم انتصروا على جيش ابن رشيد. فبعث ذلك الأمير رسالة إلى الملك عبد العزيز مع مجاهد الحبردي يخبره بما تمّ من نصر، ويسأله أن يقدم إلى عنيزة كي يقوم الجميع بالتجهيز من جديد لمقاومة

(١) القاضي، ص ١٥.

(٢) العبيد، ص ١٤١.

خصمهم<sup>(١)</sup>. لكن الملك لم يطمئن، فيما يبدو، إلى صدق ما تضمّنته الرسالة، فتلكأ في المجيء. وحينئذ أرسل الأمير وكبار أهل بلدته رسالة أخرى إليه، وبعثوها مع عبد العزيز بن جلوي وشلهوب اللذين كانا قد وصلا إلى عنيزة مع العزو المنتصر في فجر اليوم التالي لحدوث المعركة، وشاهدا ما حدث. فاقتنع الملك بصحة ما قيل له، وقدم إلى عنيزة<sup>(٢)</sup>.

وكان ابن رشيد، بعد انهزامة في البكيرية، قد وصل إلى الشّيحية حيث أخذت فلول المنهزمين من أتباعه تتابع في الوصول إليه ليلاً. وفي صباح اليوم التالي علم بأن أهل القصيم قد تركوا الأسرى والمدافع في ميدان المعركة، وغادروا المكان. فعاد مسرعاً إلى البكيرية. ثم توجه بعد ذلك إلى بلدة الخبراء، وطلب من أهلها أن يدخلوا في طاعته، فأبوا. فأخذ يقطع النخيل التابعة لها ويقذفها بنيران المدافع، لكن أهلها صمدوا أمامه أياماً. وكان لهذا الصمود، أيضاً، أثره في نفوس قادة القوات النظامية، الذين اكتشفوا عدم صحة ما قاله لهم ابن رشيد عن سهولة الاستيلاء على بلدان القصيم<sup>(٣)</sup>.

(١) علم أمير عنيزة باتجاه الملك عبد العزيز من رجل يقال له: عبد الله بن قعدان، وصل إلى هذه البلدة ليلاً، وأفاد أميرها بأنه قد صلى المغرب مع الملك في مكان اسمه كريع، وهو متجه صوب المذنب. القاضي، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ١٥ - ١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦؛ العبيد، ص ص ١٤٢ - ١٤٣.

بعد وصول الملك عبد العزيز إلى عنيزة بعث سرية إلى البكيرية. أملاً في الحيلولة دون وقوعها في يد ابن رشيد. لكن تلك السرية اكتشفت أن ابن رشيد قد استولى عليها، فرجعت إلى عنيزة. وبعد ذلك استنفر الملك أتباعه من الحاضرة والبادية، فلبوا نداءه. وانطلق إلى البكيرية ولما اقترب منها علم به ابن رشيد، فبعث قسماً من خيالاته إليها للحيلولة دون وقوعها في يد خصمه. فاشتبكوا مع جيش الملك عبد العزيز، واهزموا. ثم اقتفى الملك وأتباعه أثر ابن رشيد، الذي كان قد ارتحل من جوار الخبراء إلى الشنانة، حتى وصلوا إلى الرس (١).

### ب - معركة الشنانة :

بعد أن وصل ابن رشيد إلى الشنانة اتخذها معسكراً له. أما الملك عبد العزيز فاتخذ من الرس له مركزاً. وبقي الطرفان في موقعيهما حوالي شهرين. وكان يحدث بينهما تبادل إطلاق نار بالبنادق قليل، وطراد خيل محدود (٢). ومع مرور الوقت بدأ الملل يدب في صفوف الفريقين؛ خاصة فئات القبائل البدوية التي تحبذ، عادة، حسم المواقف لتتنصرف إلى رعاية شؤونها الخاصة. وإدراكاً من الملك عبد العزيز لتلك الظروف

(١) القاضي، ص ١٧؛ البسام، ورقة ١٧٤ أ؛ ابن هنلول، ص ٧٢.

(٢) يُسمى هذا الوضع من المواجهة محلياً: المناخ. ولذلك تُردّد القصص المحليّة أنباءه بمناخ الشنانة.

بعث فهداً الرشودي، أحد وجهاء بريدة، إلى ابن رشيد يعرض عليه أن تقوم الهدنة بينهما. لكن هذا الأخير سخر بهذا العرض، وهدد بإنزال البطش بخصوصه؛ خاصة أهل القصيم الذين ينتمي إليهم الرشودي. وكانت تلك السخرية وذلك التهديد مما زاد من حماس أتباع الملك عبد العزيز ضد ابن رشيد. بل إن موقفه المتشدد لم يكن في صالحه لدى كبار قومه أنفسهم. فبعد أيام من رفضه الهدنة مع الملك عبد العزيز أتى إليه زعماء القبائل الذين معه، وقالوا له: إن غنمنا كادت تنتهي، وإبلنا وخيلنا تنقص يومياً<sup>(١)</sup>، وأقواتنا شحيحة؛ بل إن الجنود النظامية اضطروا إلى أكل جمار النخيل. وجلب المؤن من العراق معروض دائماً لخطر غارات خصومنا. أما ابن سعود فيعتمد على نتاج بلدانه التي هو فيها. فلا بد من مناجزته أو الرحيل من المكان، فاختر الرحيل<sup>(٢)</sup>. وشدت باديته رحالها من الشنانة قبله. ولما بدأ هو وحاصره جيشه والقوات النظامية بالتحرك فاجأهم الملك عبد العزيز وأتباعه بالهجوم، وتقاتل الطرفان وجه النهار. ثم عاد الملك ومن معه

(١) حدث ما ذكر لأن الأغنام والإبل بالذات تحتاج إلى الرعي. والعشب غير متوافر في فصل الصيف. ثم إن ذهابها بعيداً عن المخيم كان يعرضها لهجمات الخصوم والاستيلاء عليها.  
(٢) القاضي، ص ١٧. وقد ذكر اضطراب الجنود إلى أكل جمار النخيل، أيضاً، ابن ناصر، ج ١، ص ٥٣. على أن ابن رشيد قد قام بقطع كثير من نخيل الشنانة تشقياً، كما هدم منازلها، وقتل عدداً من رجالها.

إلى مركزهم في الرس . وفي اليوم التالي توجه ابن رشيد إلى قصر ابن عُقَيْل ، وأخذ يضربه بنيران المدافع . ولما علم الملك عبد العزيز بذلك انطلق بأتباعه إلى هناك ، ودخلوا القصر ليلاً . ولقد تبين لابن رشيد أنه غير قادر على احتلاله ، فبدأ يشدُّ رحاله عنه . وتركه الملك عبد العزيز حتى أكمل تحميل معدّاته ومؤنه وبدأ يتحرّك من مكانه ، ثم هجم عليه . ولما اشتد القتال بين الطرفين انهزمت القوات النظامية التي مع ابن رشيد ، ثم لحق بها في الهزيمة باقي جيشه مخلفين وراءهم المدافع والشيء الكثير من الأسلحة وصناديق الذهب<sup>(١)</sup> . وهكذا انتهت

(١) يعبر القاضي بلهجته المحليّة التي كتب بها تاريخه عن سير تلك المعركة فيقول (ص ١٧) : «الكل منهم (ابن سعود وابن رشيد) مشى على الثاني . العسكر معهم غيضة (غيظ) على ابن رشيد عقب كون (معركة) البكيرية يزعمون أن أهل حایل هربوا عنهم ، وخلّوا الذبح عليهم . ثم جاهم من ابن رشيد ما يغيظهم بعدها سبب كل الأمور الذي (التي) هو قال لهم ولغيرهم ما لقوا منها (شيئاً) فقال حسني للعسكر إذا نشب الكون نريد نهرب مثلما هربوا عنا . فيوم سار بعضهم على بعض ، وتقاربوا ، وثار أول هيق (انطلقت الرصاصات الأولى) انسحبوا العسكر هاربين . ثم اتبعوهم الباقي (الباقون)» .  
ومن المحتمل ، أيضاً ، أن ما لقيه أولئك الجنود من أهوال في معركة البكيرية بالذات قد أخافهم ، وأنهم قد أصبحوا مقتنعين بأنهم يحاربون معارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل . فما الفائدة من تلقّي خطر الموت لصالح من يحاربون إلى جانبه؟ .  
ولمزيد من المعلومات عن معركة الشنّانة يمكن الرجوع إلى الريحاني ، ص ص ١٤٦ - ١٤٧ ؛ ابن هذلول ، ص ص ٧٢ - ٧٣ ؛ الزركلي ج ١ ، ص ص ١٦٣ - ١٦٥ . وقد ذكر هؤلاء أن صناديق الذهب حملت إلى الملك في عنيزة . وأشار الأول منهم إلى أنها وُزعت على أتباع عبد العزيز فقال الواحد منهم ما بين مئة ومئة وخمسين جنيهاً . وهذه مبالغة واضحة .

انتهى يوم ٢٧ رجباً العزيز

المعركة التي اشتهرت لدى بعض الكتاب باسم معركة الشنانة وإن لم تدر رحاها على أرض تلك البلدة؛ وذلك في الثامن عشر من رجب سنة ١٣٢٢ هـ / ٢٧ / ٩ / ١٩٠٤ م (١).

وقد وصفت أكثر المصادر معركة الشنانة بأنها كانت ضارية. لكن يفهم من كلام القاضي عنها أنها كانت أقرب ما يكون إلى الانسحاب (٢). على أن أهميتها تكمن في نتائجها التي من أبرزها حصول الملك عبد العزيز وأتباعه على غنائم كثيرة، وتفكك جبهة خصمه؛ إذ حدث لحلاف بعد تلك المعركة بين ذلك الخصم وحلفائه العثمانيين، ولم يخوضوا معه معركة ضد الملك عبد العزيز.

(١) ذكر حدوث المعركة في هذا التاريخ القاضي، ص ١٧؛ البسام، ورقة ١٧٤ أ؛ الزركلي، ج ١، ص ١٦٤؛ ابن ناصر، ص ٥٣. وقد أخطأ في تاريخها كل من ابن هذلول وآل عبدالمحسن. فجعله الأول في ٢٨ رجب، ص ٧٣. وجعله الثاني في ١٨ شعبان، ج ٢، ص ٣٠.

(٢) مما يؤيد ما ذكره القاضي قول لوريمر (ج ٣، ص ١٧٠٥): «انهزمت القوات التركية، وفرَّ ابن رشيد مختفياً». ولقد ذكر البسام (ورقة ١٧٤ أ) أنه قد قتل من جيش ابن رشيد حوالي اثني عشر رجلاً. ومن أتباع ابن سعود نحو خمسة رجال، منهم عبد الله البواردي المعروف بحجر. ولعلَّ كلام البسام، هنا، لا يمثل الحقيقة؛ إذ من المستبعد أن يكون عدد القتلى من الطرفين ما ذكره فقط. لكن كلامه، على أية حال، يرجِّح أن عدد القتلى لم يكن كبيراً.

## ج - القصيم بين معركتي الشنّانة وروضة مهنا:

وصل ابن رشيد، بعد انهزامه في الشنّانة، مع عدد قليل من خيَّالته إلى النّبھانية<sup>(١)</sup>. أما باقي جيشه فقد تتابع وصول كثير منهم إلى هذه البلدة خلال الليل منهكين<sup>(٢)</sup>. ومنهم من هام على وجهه ووصل إلى أمكنة أخرى أو لقي حتفه<sup>(٣)</sup>. وفي صباح اليوم التالي شدّ ابن رشيد ومن التحق به الرحال متجهين شمالاً حتى وصلوا أخيراً إلى الكهفة. وكانت حالة الجنود النظاميين سيئة جداً؛ إذ كانوا يسرون على أقدامهم وقد أخذ الجوع والتعب منهم مأخذهما<sup>(٤)</sup>. وكان عدد من وصلوا منهم مع ابن رشيد إلى ذلك المكان حوالي سبع مئة رجل فقط<sup>(٥)</sup>. واستقام ذلك الأمير ومن معه هناك ثلاثة أشهر دون القيام بأي عمل عسكري. وكان يواصل جهوده للحصول على معونة عثمانية جديدة. ثم بدأ يشنُّ غارات على فئات من القبائل المعادية والمسالمة له على حدٍ سواء<sup>(٦)</sup>؛ وذلك للحصول على الإبل، والظهور بمظهر القوي.

(١) النّبھانية: بلدة في غربي القصيم تبعد عن الرس حوالي ٤٥ كيلا باتجاه المدينة المنورة. انظر عنها العبودي، ج ٦، ص ٢٣٩٢.

(٢) القاضي، ص ١٧.

(٣) ابن هذلول. ص ٧٣؛ ابن ناصر، ص ٥٦.

(٤) القاضي، ص ١٨.

(٥) لوريمر، ج ٣، ص ١٧٠٥.

(٦) القاضي، ص ١٨.

أما الملك عبد العزيز فقد عاد، بعد انتصاره في الشَّنانة، إلى عنيزة، واستقام فيها أياماً، ثم عاد إلى الرياض. وفي العاشر من رمضان خرج غازياً بأهل العارض. وهجم على بَرَعَش بن طوالة في لَيْئنة<sup>(١)</sup>. فغنم منه إبلاً وغنماً، ثم عاد إلى الرياض<sup>(٢)</sup>.

وكان من نتائج معركة الشَّنانة أن بدأت اتصالات بين العثمانيين والملك عبد العزيز أدت إلى مفاوضات بينهما. وتختلف المصادر في تحديد الطرف الذي بدأ تلك الاتصالات. والمتأمل في سيرة الملك عبد العزيز يرى أنه لم يستهن أبداً بخصم. وكان انتصاره في الشَّنانة، جزئياً، انتصاراً على العثمانيين. ولذلك فإن من المحتمل جداً أن ذلك الانتصار لم يدفعه إلى إغفال خطر قوتهم، وأنه اتصل بوالي البصرة العثماني معرباً عن حسن نواياه تجاه الدولة العثمانية كما تذكر بعض المصادر<sup>(٣)</sup>. فإن كان ما ذكرته صحيحاً فإن اتصاله كان، على الأرجح، محاولة منه لتفادي إرسال قوات جديدة ضده، وأملاً في تحييد تلك الدولة في نزاعه مع ابن رشيد. وكان اتصاله إثر انتصاره هو الوقت المناسب؛ لأنه يقوم به من مركز قوَّة نسبيّاً. ولقد كانت الدولة

(١) لَيْئنة: أحد مراكز إمارة الحدود الشمالية للمملكة. ولمعرفة المزيد عنها يمكن الرجوع إلى ما كتبه الشيخ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، ج ٣، ص ص ١١٦٧ - ١١٧٣.

(٢) القاضي، ص ١٨.

(٣) لوريمر، ج ٣، ص ١٧٠٦؛ فاسيلييف؛ اعتماداً على الأرشيف الروسي، ص ٢٦٠.



العثمانية مهياً للاتصال به، والاطلاع على وجهة نظره. ذلك أنها أدركت عدم تجاوب النجديين، بصفة عامة، مع حليفها ابن رشيد، ووقوفهم مع الملك عبد العزيز مما كان سبباً كبيراً لانتصاره. ومن هنا فإنها انتهزت فرصة اتصال الملك بواليتها، وبذلت جهوداً مكثفة كي يتم اجتماع بينه وبين ذلك الوالي. على أنها لم تشأ أن تتفاوض معه ومركزها يبدو ضعيفاً. ولهذا بعثت إلى نجد قوة من العراق بقيادة المشير أحمد فيضي، وقوة أخرى من المدينة بقيادة الفريق صدقي باشا<sup>(١)</sup>. ولقد انطلق ابن رشيد من معسكره في الكهفة لمقابلة المشير، فتفاوض معه، وفشل في إقناعه برأيه. ثم ذهب إلى الفريق، فأخبره هذا بأنه تابع للمشير<sup>(٢)</sup>، فعاد إلى معسكره متوتراً. وواصل القائدان العثمانيان طريقهما إلى القصيم بعد أن انضم إليهما من كان معه من الجنود النظاميين السابقين<sup>(٣)</sup>. ووصل الجميع إلى هذا الإقليم بقيادة المشير أحمد فيضي.

(١) اختلفت المصادر في تحديد أعداد القوتين. فالقاضي (ص ص ١٨ - ١٩) يذكر أن القوة الأولى عشرة طوابير، والثانية ثلاثة. والريحاني (ص ١٤٨) يقول: إن القوة الأولى ثلاثة طوابير، والثانية طابوران. والبسام (ورقة ١٧٤ ب - ١٧٥ أ) يشير إلى أن الأولى ستة طوابير، والثانية ثلاثة. ولوريمر (ج ٣، ص ١٧٠٧) يحدّد عدد أفراد القوة الأولى بثلاثة آلاف، والثانية بربع هذا العدد.

(٢) القاضي، ص ص ١٨ - ١٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩.

ونتيجة للاتصال الذي تمّ بين العثمانيين والملك عبد العزيز - بغض النظر عمّن بدأه - توجه الإمام عبد الرحمن بن فيصل إلى العراق عبر الكويت حيث انضم إليه مبارك بن صباح . وبحسب ، قرب الزبير ، مع والي البصرة الأوضاح في نجد . وعرض عليه الوالي أن تكون الأقاليم الواقعة جنوب القصيم تابعة للملك عبد العزيز ، والأقاليم الواقعة شماله تابعة لابن رشيد ، وأن يكون القصيم إقليمياً فاصلاً بين الطرفين تحت سيادة الدولة العثمانية التي ستجعل فيه حاميتين عسكريتين إحداهما في بريدة والأخرى في عنيزة . ولم يقبل الإمام ذلك العرض ، لكنه لم يرفضه أيضاً ؛ بل وعد بطرحه أمام ابنه وأهل نجد لدراسته (١) . وعندئذ أخبره الوالي بأن المفاوضات اللاحقة ستكون بين ذلك الإمام والمشير أحمد فيضي الذي كان في طريقه حينذاك إلى القصيم (٢) .

وبعد أن وصل فيضي إلى القصيم ، أرسل مندوباً إلى الملك عبد العزيز ، الذي كان قد توجه صوب ذلك الإقليم واتخذ من العمار مركزاً له ، وأخبره أنه لم يقدم إلى نجد للحرب ، وإنما قدم إليها للصلح وتحقيق الأمن (٣) . وبعث مندوباً إلى أمير بريدة ، وآخر إلى أمير عنيزة ،

(١) الريحاني ، ص ١٤٩ ؛ ابن هذلول ، ص ٧٤ .

(٢) البسام ، ورقة ١٧٤ ب .

(٣) الريحاني ، ص ١٤٩ ؛ ابن هذلول ، ص ٧٥ .

يطلب منهما إرسال مندوبين إليه للتفاوض . فأرسل إليه الأول عبد الله ابن عمرو ومحمداً أبا الخليل ، وأرسل الثاني عبد الله المحمد القاضي<sup>(١)</sup> . لكن اجتماع المشير بالمندوبين كان اجتماعاً تمهيدياً . وفي اليوم الأول من صفر، سنة ١٣٢٣هـ، نزل المشير قرب بريدة، وخرج إليه أميرها، صالح الحسن المهنا، وتفاوض معه . ويبدو أن ذلك الأمير قد أعرب عن استعداده لأن يكون تابعاً للدولة العثمانية مستقلاً عن كل من ابن سعود وابن رشيد<sup>(٢)</sup> . ولعلّه كان يأمل بأن يصبح حاكماً للإقليم . وبعد ثلاثة أيام وصل المشير إلى مشارف عنيزة حيث ظهر إليه أميرها، عبد العزيز بن عبد الله بن سليم . وقد أوضح هذا الأمير أن أمر الدولة مطاع ، لكن لا بد من الرجوع إلى الملك عبد العزيز لتقرير شؤون البلاد<sup>(٣)</sup> . وكان المشير قد طلب من الملك أن يبعث والده إلى عنيزة للتفاوض ، فقدم الإمام إليها ، وتباحث معه . وقد أعاد المشير ما سبق أن عرضه والي البصرة ، فرفض الإمام ذلك . فاقترح

(١) القاضي ، ص ١٩ . لكنه لم يشر إلى أبي الخليل . وقد ذكر الريحاني (ص ١٤٩) أن أمير بريدة أرسل إلى المشير ابن عمرو وأبا الخليل . وكأن مبادرة الاتصال من ذلك الأمير . ولم يشر إلى عنيزة . ويبدو أن ابن هذلول قد اعتمد على الريحاني في هذا الأمر فقال ما قاله . انظر ص ٧٤ من تاريخه .

(٢) هذا ما نص عليه الريحاني وابن هذلول في الموضوعين المشار إليهما في الهامش السابق .

(٣) القاضي ، ص ١٩ ، وقد قال هذا المؤرخ قصيدة في تلك المناسبة منها :

طارش السلطان يا ليلي لقانا      ما دري عن مطلبه وش يريد  
كان يبي الزين منا لقانا      لامر مولانا على ما يريد

المشير أن يكون في كل من بريدة وعينزة مركز عثماني مؤقت فيه عدد من الجنود يرفعون العلم العثماني . ويبدو أنه أراد بهذا الاقتراح أن يظهر أمام الدولة العثمانية بأنه حقق شيئاً من النجاح . وقد قبل الإمام اقتراحه<sup>(١)</sup>؛ مرونة منه ، واقتناعاً بأنه وضع لن يستمر . وما كاد ذلك يتم حتى أتى أمر إلى المشير بأن يغادر نجداً إلى اليمن للعمل على مواجهة الثورة القائمة هناك<sup>(٢)</sup> . فترك القصيم في اليوم الثامن من صفر ، وخلفه في القيادة الفريق هديقي ، الذي انتقل إلى الشَّيحية واتخذها مركزاً له دون أن يقوم بأي نشاط عسكري . ونتيجة لما اتفق عليه دخلت إلى كل من بريدة وعينزة مفرزة صغيرة من الجنود العثمانيين ، ورفع العلم العثماني فيهما<sup>(٣)</sup> .

#### د - معركة روضة مهنا :

بعد أن وصلت المحادثات بين العثمانيين والإمام عبد الرحمن بن فيصل - نائباً عن ابنه - إلى ما وصلت إليه إنقسم زعماء القصيم وأهله إلى ثلاثة أقسام : قسم يرى التمسك بالقيادة السعودية ؛ وهم أمراء عينزة وأهلها وكثير من أهل بريدة والبلدان التابعة لها . وقسم يرى الاستقلال عن تلك القيادة والتبعية المباشرة للدولة العثمانية ؛ وهم

(١) الريحاني ، ص ١٥٠ .

(٢) القاضي ، ص ٢١ ؛ البسام ، ورقة ١٧٥ ب ؛ الريحاني ، ص ١٥٠ .

(٣) القاضي ، ص ٢٠ ؛ لوريمر ، ج ٣ ، ص ١٧٠٧ .

أمراء بريدة وقليل من أهلها. وقسم يرى الانضمام إلى ابن رشيد والتعاون معه<sup>(١)</sup>، وهم بعض زعماء الرس؛ خاصة الذين لم يكونوا فيها حينذاك. ودافعهم الأكبر، فيما يبدو، العودة إلى إمارة بلدتهم التي فقدوها<sup>(٢)</sup>.

ولقد حدثت مشكلة في قطر، فبعث حاكمها، قاسم بن ثاني، إلى الملك عبد العزيز يستنجده لحلها. فانطلق الملك من القصيم لنجدته<sup>(٣)</sup>. وكان ذلك هو السبب الأكبر لمغادرته هذا الإقليم. على أن من المصادر ما يشير إلى أن تلك المغادرة أريد بها أن يتضح عملياً لأمراء بريدة ومن يرون رأيهم أنهم لا يستطيعون الوقوف بدونه أمام خطر ابن رشيد عليهم<sup>(٤)</sup>.

وكان الأمير عبد العزيز بن رشيد قد ساء ما توصل إليه العثمانيون مع الملك عبد العزيز حول القصيم. فعزم على أن يستعيد نشاطه العسكري في هذا الإقليم منفرداً. وبعث سرية إلى الرس بقيادة حسين ابن عساف، أمير البلدة سابقاً، فدخلتها واستولت على مقاليد

(١) الريحاني، ص ١٥١؛ ابن هذلول، ص ٧٦.

(٢) كان الأمير حسين بن عساف قد فقد إمارة الرس عام ١٣٢٢هـ، فترك البلدة، واستقام لدى ابن رشيد.

(٣) الريحاني، ص ١٥٤.

(٤) ابن هذلول، ص ٧٦.

الأمور فيها<sup>(١)</sup> . وجهَّز أمير بريدة سريةً من متي رجل ، وانضم إليها مئة من أهل عنيزة ، ووصل الجميع إلى الشقة حيث هاجمهم ابن رشيد ، لكنهم نجوا منه بالانسحاب تحت جناح الظلام<sup>(٢)</sup> .

على أن ما حدث أظهر لأمير بريدة خطأ موقفه . فأرسل أخاه مهناً وعدداً من كبار جماعته إلى أمير عنيزة يلتمس منه أن يتوسط له عند الملك عبد العزيز ، فوافق على ذلك ، وبعث معهم وفداً إلى الرياض . فاستقبلهم الملك بصدور رجب ، وعفا عما بدر من أمير بريدة<sup>(٣)</sup> . ثم أرسل أخاه محمداً إلى القصيم . فوصل إلى عنيزة ، ثم انتقل منها إلى بريدة . وفي العاشر من شعبان وصل الملك نفسه إلى عنيزة . وبعد وصوله إليها بثلاثة أيام أغار ابن رشيد على أطراف بريدة ، فهبَّ أخو الملك وأهلها لملاقاته ، لكنه انسحب شمالاً . وكان الملك عند سماعه بما قام به ابن رشيد قد انتقل إلى بريدة وبفرقتة غزو أهل عنيزة<sup>(٤)</sup> . واستقام هناك حيث بعث إلى أتباعه في وسط نجد وجنوبها يطلب

---

(١) القاضي، ص ٢٠ . وقد ذكر أن إرسال السرية تمَّ في منتصف جمادى الأولى عام ١٣٢٣هـ .

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ٧٢ . وما قاله الذكر عن تلك الحادثة نقل عمَّن حضرها . وهو يبيِّن ضعف ما قاله الريحاني (ص ١٥٥) من أن ابن رشيد ذبح أكثر من هجم عليهم .

(٣) ابن هذلول، ص ٧٦؛ آل عبد المحسن، ج ٢، ص ٥٢ .

(٤) القاضي، ص ٢١ .

منهم التوجه إليه بغزاتهم . ثم خرج من بريدة لملاقاتهم مظهراً أنه عائد إلى بلده . لكنه عندما وصل إلى الغزاة المتجهين إليه هجم بهم على فريق من القبائل الموالية لابن رشيد . وعلم هذا الأخير بأنه لم يكن معه عدد كبير من أتباعه ، فعزم على توجيه هجوم مباغت إليه . لكن أخا الملك ، محمد بن عبد الرحمن ، بعث إليه من بريدة رسولاً ينذره بتوجه ابن رشيد نحوه . وعلم ابن رشيد بوصول أخبار تحركه إلى الملك ، فاعتقد أن زمام المفاجأة قد أفلت من يده ، فانصرف . وعاد الملك إلى بريدة ، ثم غادرها إلى الرياض<sup>(١)</sup> .

وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة خرج الملك عبد العزيز بأتباعه غازياً ، ونزل الأسياح حيث أقام حوالي عشرين يوماً انضم إليه خلالها غزاة القصيم . وقد علم أن ابن رشيد توجه بأتباعه إلى إقليم سدير ، فخشي أن ينال أهله منه سوء . ولحق بأثره<sup>(٢)</sup> . وفي أثناء سيره استأذنه أمير بريدة ، صالح الحسن المهنا ، بالرجوع إلى بلدته ، فأذن له<sup>(٣)</sup> . ولما وصل إلى الزلفي بلغه أن خصمه امتار من الجمعة ، وعاد متجهاً شمالاً . ومضى الملك في سيره حتى وصل إلى مجمع البطنان

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها ؛ الذكر ، نسخة خاصة ، ص ص ٧٢ - ٧٣ . وقد بعث الأمير محمد الرسول على ناقة مشهورة بسرعتها اسمها مصيحة .

(٢) القاضي ، ص ٢١ .

(٣) الريحاني ، ص ١٥٦ .

غرب الدهناء. ثم قام بمهاجمة بعض القبائل المؤيدة لخصمه، كما قام ذلك الخصم بمهاجمة المؤيدين للملك (١).

وفي السادس عشر من صفر، عام ١٣٢٤هـ / ١٠/٤/١٩٠٦هـ، نقل كشافه الملك عبد العزيز، أو سُوره، إليه خبر نزول الأمير عبدالعزيز بن رشيد على بعد ساعتين منهم في روضة مهنا الواقعة غربي رمال الثويرات. فأمر أتباعه المكوّنين من ست مئة وألف مقاتل؛ بينهم أربع مئة خيال، بالتوجه لمهاجمة خصمه، الذي كان جيشه يزيد على هؤلاء بمئتي مقاتل تقريباً (٢). وفي الثلث الأخير من ليلة السابع عشر من ذلك الشهر بدأوا هجومهم. وهب ابن رشيد ومن معه لقتالهم.

وحميت المعركة تحت جنح الظلام، فتقهقر المهاجمون، الذين أخذتهم المفاجأة نوعاً ما. وبينما كان ابن رشيد يصول ويجول محرّضاً أتباعه على الاستبسال أصبح بين أتباع الملك عبد العزيز دون علمه، وصاح مخاطباً حامل الراية السعودية: «من هان يا الفريخ»؛ ظاناً أنه حامل رايته. فعرفه عدد من هؤلاء الأتباع، وصوّبوا إليه نيران بنادقهم، فخرّ صريعاً، وانهمز أتباعه. فتعقب خصومهم فلوهم حتى ضحى ذلك اليوم. ثم عادوا إلى ميدان المعركة، وأخذوا خاتم ابن رشيد وسيفه إلى

(١) القاضي، ص ٢١؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٧٣.

(٢) القاضي، ص ص ٢١ - ٢٢؛ الريحاني، ص ص ١٥٧ - ١٥٨؛ ابن هذلول، ص ص

٧٨ - ٧٩؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٧٤؛ ضاري الرشيد، ص ص ١٢١ - ١٢٣.



الملك عبد العزيز<sup>(١)</sup>. وهكذا كان مصير ذلك الأمير الذي بذل قصارى جهده لمقاومة هذا الملك ليحول دون استعادته حكم نجد منه. وبمقتله أصبح مركز الملك عبد العزيز أكثر قوة وثباتاً.

### هـ - القصيم بين سنتي ١٣٢٤ و ١٣٢٦ هـ:

بعد انتصار الملك عبد العزيز في روضة مهناً قام بغزو خاطف لفئات من قبيلة حرب التي كانت حينذاك موالية لآل رشيد، وكسب منها بعض الغنائم<sup>(٢)</sup>. وتلا هذا عودة بلدة الرس إلى طاعته. وذلك لمقتل الأمير عبد العزيز بن رشيد الذي كانت زعامتها مبايعة له<sup>(٣)</sup>.

ولقد كانت بعض مواقف أمير بريدة وتوابعها، صالح الحسن المهناً، تتعارض مع ما كان يراه الملك عبد العزيز رغم تبعيته الرسمية له. ويبدو أن الملك كان قد اقتنع بأنه لا بد من إبعاده عن الإمارة لتفادي أي خطر محتمل منه. لكنه كان ينتظر الوقت المناسب لذلك

---

(١) تقول بعض الروايات: إن قتل أتباع ابن رشيد كانوا يتراوحون بين ٤٠٠ و ٢٥٠، وقتل أتباع الملك عبد العزيز ١٩ فقط. إبراهيم، ص ص ٢١٠-٢١١. لكن الذكر يقول: إن قتل الفريق الأول ٢٠٠، وقتل الفريق الثاني نصفهم تقريباً. وقد جُمِل رأس ابن رشيد إلى بريدة، ثم إلى عنيزة حيث دفن فيها.

(٢) القاضي، ص ٢٢؛ الريحاني، ص ١٥٩؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٠.

(٣) كان حسين بن عساف قد استعاد إمارة الرس، بتأييد من ابن رشيد، عندما دخلها في منتصف جمادى الأولى عام ١٣٢٣ هـ. انظر القاضي، ص ص ٢٠ و ٢٢.

الإبعاد. وكان مقتل الأمير عبدالعزیز بن رشید من أكبر العوامل التي هيأت للملك هذا الوقت المناسب. ذلك أنه قوَّى مركزه وأضعف موقف القوات العثمانية ومن يأملون في دعمها. ومن المحتمل صدق ما ذكرته بعض المصادر عن اتصال الأمير صالح بقائد تلك القوات<sup>(١)</sup>؛ محاولاً، فيما يبدو، التنسيق معه خوفاً من أن يتخذ الملك عبد العزيز أيَّ إجراء ضده. لكن ذلك الاتصال لم يؤد إلى أية خطوة عملية على أية حال.

وما دام الوقت قد أصبح مناسباً للتخلُّص من الأمير صالح المهناً فإن الملك عبد العزيز المتَّسم بحصافة الرأي لم يعدم الوسيلة التي تحقق له ذلك بطريقة مأمونة العواقب. وفي اليوم الثاني من ربيع الثاني، سنة ١٣٢٤هـ، دخل قصر إمارة بريدة حيث كان يوجد الأمير صالح وبعض إخوانه، ودعا فِرَقاً من أتباعه أن تدخل القصر دفعات؛ مظهراً أنه سيجهِّزهم ليذهبوا لجمع الزكاة من القبائل. وكان قد رتَّب معهم أن يغلِّقوا أبواب القصر إذا اكتمل دخولهم، ويسارعوا في القبض على صالح وإخوانه. وتمَّ ذلك دون إراقة دماء. فبعث المعتقلين إلى

---

(١) الريحاني، ص ١٥٩؛ ابن هذلول، ص ٨٠؛ آل عبد المحسن، ج ٢، ص ٥٩.

الرياض لسجنهم هناك<sup>(١)</sup>. وعيّن محمد بن عبد الله أبا الخليل أميراً في بريدة<sup>(٢)</sup>.

وكان الأمير متعب بن عبد العزيز آل رشيد قد خلف أباه في الإمارة. وقد حاول أن يحسّن علاقته بالملك عبد العزيز. فبادر إلى إطلاق سراح من كانوا مسجونين في حائل من آل سعود<sup>(٣)</sup>. ثم اتفق معه على أن تكون المناطق الواقعة شمال القصيم تحت إمارته وما عداها من أقاليم نجد تحت حكم الملك عبد العزيز<sup>(٤)</sup>.

### و- رحيل القوات العثمانية عن القصيم:

من الواضح أن زعماء الدولة العثمانية قد أدركوا أن القائد صدقي لم يقدر على تحقيق ما هدفوا إليه في القصيم. ولذلك بعثوا من المدينة

(١) القاضي، ص ٢٢؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٧٤.

بعد بقاء صالح وإخوته فترة في سجن الرياض تمكّنوا من الهروب. ثم أُلقي القبض عليهم، فقتل صالح وأخوه مهناً. أما أخواه عبد العزيز وعبد الرحمن فعُفي عنهما. البسام، ورقة ١٧٩ ب. ويقال: إن هربهم كان نتيجة قتل الحارس، وإن قتل صالح وأخيه مهناً كان، لذلك، قصاصاً. ابن هذلول، ص ٨٠؛ آل عبد المحسن، ج ٢، ص ٦٠. لكن من الروايات الشفهية ما يذكر أنهم كانوا يرشّون جدار المكان الذي هم فيه من السجن كل يوم بالماء، ويحفرونه شيئاً فشيئاً دون علم الحراس حتى وضعوا نقباً، وتسلّلوا من خلاله.

(٢) القاضي، ص ٢٢؛ الريحاني، ص ١٥٩. ومحمد أبا الخليل من أسرة الأمير السابق.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص ١٦٠. وأطلق، أيضاً، سراح من كانوا في حائل من آل سُلَيْم. الذكر، نسخة خاصة، ص ٧٤.

(٤) الريحاني، ص ص ١٥٩ - ١٦٠؛ ابن هذلول، ص ٨٠.



المنورة قائداً آخر اسمه سامي الفاروقي؟ فمرَّ هذا القائد بالأمير متعب  
ابن رشيد، واتفق معه على أن يكون القصيم إقليماً تابعاً للدولة  
العثمانية<sup>(١)</sup>. ولما وصل إلى الشَّيحية، وتسلم قيادة الجيش فيها، أرسل  
إلى الملك عبد العزيز يطلب مقابلته. فتوجَّه الملك إليه، وقابله في  
البُكرية. لكن الملك رفض ما وافق عليه ابن رشيد. واحتدم النقاش  
بينهما، فترك الملك مكان الاجتماع غضباً، وعاد الفاروقي إلى معسكر  
جيشه في الشَّيحية<sup>(٢)</sup>. وبدا وكأن الملك قد عزم على مهاجمة ذلك  
الجيش<sup>(٣)</sup>. وهذا ما دفع الفاروقي إلى إرسال مندوبين إلى الملك مظهراً  
حسن نيته. فاطمأن الملك نسبياً، وعاد إلى الرياض<sup>(٤)</sup>. على أن  
مخاوف أمراء القصيم من الجيش العثماني ظلت قائمة؛ خاصة أنه قد  
لجأ إلى قائد ذلك الجيش سليمان الحسن المهنا، الذي كان محمد أبا  
الخيال يخشى أنه يدبر مؤامرة للاستيلاء على بريدة. وكانت خشيته في

(١) المصدر الأول نفسه، ص ١٦٠؛ ابن هذلول، ص ٨١.

(٢) القاضي، ص ٢٢؛ الريحاني، ص ص ١٦٠ - ١٦١؛ الذكير، نسخة خاصة،  
ص ص ٧٤ - ٧٥.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص ٧٥. وكان الذكير حينذاك مع الملك عبد العزيز، فرآه خارجاً  
من خيمة الاجتماع غضباً. وقد ذكر أن الملك ركب حصانه، كما ركب من كانوا معه من  
آل سعود وحاشيتهم خيلهم، وراحوا يعرضون عليها ويحمسون بقية المحاربين الذين كانوا  
معهم من أهل القصيم. ثم أرسل إلى بريدة وعنيزة طالباً المزيد من القوات. وشاع أنه  
سيهجم على الجيش العثماني فور وصول هذه القوات إليه.

(٤) القاضي، ص ٢٢؛ الريحاني، ص ص ١٦١ - ١٦٢؛ ابن هذلول، ص ٨٢.

محلها. ذلك أن سليمان اتفق مع عدد من أهل هذه البلدة، ودخلها ليلة الخامس والعشرين من رجب محاولاً القضاء على أميرها. لكن الأمير علم به، ففشلت محاولته، وهرب<sup>(١)</sup>.

ولقد ازداد موقف القوات العثمانية سوءاً بعد أن منع أمراء القصيم أتباعهم من بيعها ما كانت في حاجة إليه من أطعمة<sup>(٢)</sup>، وأصبحت

تتوق إلى مغادرة ذلك الإقليم. وفي العاشر من شعبان وصل الملك

عبد العزيز إلى عنيزة، وتفاوض مع أمراء القصيم، فاستقر الرأي على

وجوب انسحاب القوات العثمانية من هناك سلباً أو حرباً<sup>(٣)</sup>. وأحسَّ

الفاروقي بحرج موقفه، فاتفق مع ابن رشيد على أن يرسل إليه هذا

الأمير إبلاً لتحمل قواته إلى جبل شمر حتى تأتيه أوامر من السلطات

العثمانية العليا. لكن تلك الإبل لم تقترب من الشَّيحية إلا وقد كان

الملك عبد العزيز قد نزل بأتباعه البُكَّيرية، فعاد من أحضروها بها إلى

جبل شمر<sup>(٤)</sup>. وعندئذ خيَّر الملك الفاروقي بين أن يرحل بقواته إلى

السَّر ليكون بعيداً نوعاً ما عن التنسيق مع ابن رشيد، أو يرحل الملك

(١) القاضي، ص ٢٤؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٧٦.

(٢) يذكر القاضي (ص ٢٣) ما بذله قادة الجيش العثماني من إجراءات مالية لأمير عنيزة وأهلها لشراء أطعمة لدرجة أنهم عرضوا أن يشتروا صاع البر بجنيه، لكنهم لم ينجحوا في مسعاهم.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥.

تلك القوات إلى العراق والمدينة المنورة. فإن رفض هذا وذاك فإنه سيهاجمه. وبناء على ضغط من ضباط القوات وجنودها قبيل الفاروقي أن ترحل قواته من نجد<sup>(١)</sup>. وقد أمر الملك قبيلة حرب أن تحمل القوات الشامية إلى المدينة، فغادرت القصيم في الخامس عشر من رمضان سنة ١٣٢٤ هـ. أما القوات القادمة من العراق فأبقاها الملك حتى الثالث عشر من شوال، ثم رحلها بإيجار مع أهل القصيم<sup>(٢)</sup>. ووصل هؤلاء وأولئك إلى وجهتيهما بسلامة وأمان. وقد كتب الملك رسائل إلى من لهم علاقة برحيل تلك القوات. ومما جاء في إحدى تلك الرسائل قوله:

«لما رأينا ما حلَّ بالعسكر من الجوع والمرض والكسافة اجتهدنا فيما يصلح أحوالهم. والمقصود بذلك رضا الله ثم رضا أمير المؤمنين. وصار القرار أنهم يرحلون، وأجبناهم لذلك، ورحلناهم»<sup>(٣)</sup>.

وقد شكرت السلطات العثمانية العليا الملك على ما عمله مع العسكر من التأمينات، وطلبت منه إرسال من يعتمد عليه إلى دار الخلافة ليمثل بين يدي السلطان، فأرسل فهداً برئاسة صالح بن عدل،

(١) الريحاني، ص ١٦٢.

(٢) القاضي، ص ٢٥.

(٣) الذكير، نسخة خاصة، ص ٧٧.

ونال الوفد كل تكريم، ومُنح أعضاءه نيكاشين، كما مُنح رئيسه لقب  
الباشوية<sup>(١)</sup>.

### ز - ما بعد رحيل القوات العثمانية :

على أن رحيل القوات العثمانية من القصيم لم يكن نهاية المشكلات  
في هذا الإقليم. فبعد رحيلها بشهر قام سلطان وسعود وفيصل، أبناء  
حمود العُبيد بن رشيد، باغتيال الأمير متعب بن عبد العزيز وأخويه  
مشعل ومحمد. وتولى سلطان مقاليد الأمور في جبل شمر<sup>(٢)</sup>. وقد  
أظهر الموَدَّة للملك عبد العزيز في بداية الأمر، لكنه كان في الوقت ذاته  
يتَّصل بزعماء بلدان القصيم؛ خاصة بريدة وعينزة، ليقفوا معه ضد  
الملك<sup>(٣)</sup>. وفي شهر ذي الحجة خرج بأتباعه من حائل منتظراً الفرصة  
لمهاجمة القبائل التابعة للملك. وما إن علم الملك عبد العزيز بخروجه  
حتى توجه إلى القصيم. وقام كل من الطرفين بتحركات أشبه ما تكون  
بالمناورات. وعاد في نهايتها سلطان إلى قاعدة إمارته<sup>(٤)</sup>. وبينما كان  
الملك قرب بريدة أمسك أتباعه برسول من أميرها يحمل مكاتيب إلى  
سلطان بن رشيد متضمّنة استعداداه للوقوف معه<sup>(٥)</sup>. فدخل الملك

(١) الريحاني، ص ١٦٣؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٧٨.

(٢) القاضي، ص ٢٥؛ البسام، ورقة ١٧٧ ب.

(٣) القاضي، ص ٢٦؛ الريحاني، ص ١٦٨.

(٤) القاضي، ص ص ٢٦ - ٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٧؛ الريحاني، ص ١٦٩؛ آل عبد المحسن، ج ٢، ص ٧٣.

هذه البلدة، واجتمع بأمرها وكبار أهلها. ومع عدم ثقته، فيما يبدو، بذلك الأمير فإنه لم ير الوقت مناسباً بعد للتخلص منه. فاكتفى بأخذ البيعة منه مجدداً<sup>(١)</sup>. ولعل من أسباب تريث الملك أنه كان يريد التفرغ لتأديب زعيم قبيلة مُطير، فيصل الدويش، الذي خرج عن طاعته. وانطلق الملك من بريدة حيث انضمت إليه فئات من قبيلة عُتَيْبَة بقيادة محمد بن هندي. وعلم الدويش بتحركهم نحوه، فمضى إلى بلدة الجمعة، وعسكر خارجها. وعندما وصلت إليه قوات خصومه هبَّ أهل تلك البلدة لنجدته. ودارت بين الطرفين معركة ضارية جرح خلالها الدويش<sup>(٢)</sup>، واضطر أتباعه ومن أنجدوهم إلى دخول البلدة والاحتباء بأسوارها. وكسب الملك ومن معه ما كان خارجها من إبل مطير وأمتعتها. ثم طلب زعيم مُطير العفو من الملك، فعفا عنه<sup>(٣)</sup>. وكانت تلك المعركة في الثالث والعشرين من ربيع الأول عام ١٣٢٥هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) القاضي، ص ٢٠٧؛ الريحاني، ص ١٦٩.

(٢) يقول الذكر (نسخة خاصة، ص ٨٠): إن الذي جرحه وألقاه من ظهر جواده فاجر بن شليويح. ويورد تفصيلاً عن مبارزتهما. ويذكر ذلك، أيضاً، القاضي، ص ٢٧.

(٣) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها؛ الريحاني، ص ١٦٩.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر، ج ١، ص ص ٦٨ - ٦٩.

وظلَّت بلدة الجمعة خارج حكم الملك عبد العزيز حتى عام ١٣٢٦هـ عندما ذهب وفد من أهلها إليه في بريدة، وبايعوه على السمع والطاعة. المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٣.



بعد المعركة السابقة عاد الملك عبد العزيز إلى الرياض . أما أمير بريدة فنكث عهده للملك ، واتفق مع الأمير سلطان الحمود بن رشيد على أن يكونا يداً واحدة<sup>(١)</sup> . وأرسل وفداً إلى أمير عنيزة محاولاً إقناعه بالوقوف معها . وكان مما شكاه منه أعضاء الوفد كثرة من يطلبهم الملك من أهل القصيم للقتال معه ، وإرهاقهم بطلب الأموال لتمويل ذلك القتال . فلما أوضح أمير عنيزة لهم بأن ما عاناه أهل القصيم من آل رشيد كان عظيماً جداً قالوا : إنهم قد أصبحوا غير واثقين من الملك ؛ خاصة بعد قضية صالح المهنا . فأجابهم بأن موقف صالح هو الذي أدّى إلى ما أدّى إليه ، وأنه مستعد أن يتصل بالملك لإزالة مخاوفهم والحصول على ما يريدون بشرط ألا يرتبطوا مع سلطان بن رشيد بأي شكل<sup>(٢)</sup> . لكن أمير بريدة وجماعته كانوا ، فيما يبدو ، مصممين على الاتفاق مع هذا الأخير . ولعلّ من أسباب ذلك رغبتهم في أن تعود حركتهم التجارية مع الأقطار الواقعة شمال الجزيرة العربية إلى سابق عهدها . ولذلك استقدموا ابن رشيد ، وأوهموه بأن أهل عنيزة سينضمون إليه حال وصوله إلى القصيم . وتحرّك من بلاده حتى وصل إلى هذا الإقليم . وأمضى أكثر من شهر وهو يتنقل من مكان إلى آخر

(١) القاضي ، ص ٢٨ ؛ الريحاني ، ص ١٧٠ ؛ ابن هذلول ، ص ٨٦ .

(٢) القاضي ، ص ص ٢٧ - ٢٨ ؛ الذكير ، نسخة خاصة ، ص ٨١ .

لفرض سيطرته على بلكانه . وقدم إليه فيصل الدويش ، زعيم قبيلة  
مُطَير، وعاهده . لكن اتضح له أن أهل عنيزة ليسوا معه ؛ بل مع  
الملك عبد العزيز<sup>(١)</sup> .

وقد وصل الملك عبد العزيز - بعد اطلاعه على ما حدث في  
القصيم - إلى عنيزة بأتباعه من الحاضرة والبادية في منتصف شعبان ،  
عام ١٣٢٥ هـ ، وانضم إليه من أهلها أربع مئة مقاتل بقيادة صالح  
الزامل ، وخرج الجميع ليلاً لمهاجمة سلطان بن رشيد حول بريدة ،  
فعلم هذا بخروجهم ، ودخل البلدة . وفي صباح اليوم التالي حدثت  
مناوشات قليلة بين الطرفين خارج أسوارها . وكان من هم داخلها لا  
يودون أن يخرجوا منها لئلا يعرضوا أنفسهم لخسائر ، ومن هم خارجها  
لا يرغبون في أن يقتحموها فيعرضوا أنفسهم لخسائر أيضاً<sup>(٢)</sup> . وبينما  
تلك المناوشات تجري أقبل الدويش مناصراً لابن رشيد وأبا الخيل ،  
فتصدى له الملك عبد العزيز بأتباعه وهزموه ، وتبعوا فلولة حتى  
وصلوا إلى مخيمه في الطرفية ، واستولوا عليه . أما تلك الفلول فالتجأت  
إلى بريدة . واتفق كل من ابن رشيد وأبا الخيل والدويش على مهاجمة  
الملك عبد العزيز ليلاً في الطرفية فهاجموا هناك ، وهب هو وأتباعه

الحال

(١) القاضي ، ص ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

لمقاتلة خصومهم، فهزموهم (١).

وبعد أن انهزم المتحالفون ضد الملك عبد العزيز في الطرفية عادت أكثر فلولهم إلى بريدة وبينهم فئة من أهل جبل شمر بقيادة فيصل الحمود بن رشيد. أما أخوه الأمير سلطان فتوجه مع عدد قليل من خيَّالته شمالاً. ولما اقترب من عيون الجواء وجد برغش بن طوالة، الذي أشار عليه ألا يدع بريدة عرضة لهجوم محتمل من الملك عبد العزيز؛ خاصة أن فيها أخاه فيصلاً ومن معه من أهل الجبل، فعاد ودخل هذه البلدة (٢).

وأما الملك عبد العزيز فغادر الطرفية، ونزل قريباً من بريدة، وسمح لأتباعه بالإغارة على القرى التابعة لها وأخذ ما يقدرون عليه من ثمار نخيلها وممتلكاتها. وظل هؤلاء يقومون بذلك حتى طلب سكان تلك القرى العفو منه، فعفا عنهم، ومنع أتباعه من التعرُّض لقراهم.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠ - ٣١؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٢ - ٨٣؛ الريحاني، ص ١٧١ - ١٧٢؛ ابن هذلول، ص ٨٦ - ٨٧. وقد اختلفت المصادر السابقة حول تاريخ تلك المعركة وعدد القتلى فيها. فالقاضي والذكير يذكران أنها حدثت ليلة الثامن عشر من شعبان/٢٥/٩/١٩٠٧م، وأن قتلى المتحالفين مئة رجل وقتل أتباع الملك عبد العزيز ثلاثون. والريحاني وابن هذلول يذكران أنها وقعت في الخامس من شعبان، وأن قتلى المتحالفين ثلاث مئة وقتل أتباع الملك ثلاثون. ومن المرجح أن المصدرين الأولين أصح؛ خاصة في تاريخ المعركة.

(٢) القاضي، ص ٣١؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٣.

وفي آخر شعبان وصل إلى عنيزة، ثم رحل منها إلى البُكرية، فالرس .  
وكان يهدف من ذلك إلى استخراج سلطان بن رشيد ومن معه لمنازلته  
بعيداً عن بريدة . لكن ابن رشيد لم يخرج لمنازلته . بل غادر هذه البلدة  
تاركاً أخاه فيصلاً مع عدد من الخيالة عوناً لأمرها . ومع أنه عاد إلى  
بريدة فإنه غادرها إلى حائل في آخر الأمر . ولما علم بذلك الملك  
عبدالعزیز قام بإغارات وصل بها إلى أطراف جبل شمر، ثم رجع إلى  
الرياض (١) .

#### ح - نهاية إمارة أبا الخيل :



من الأمور التي أقدم عليها الأمير سلطان بن رشيد أخذه قافلة إبل  
لأناس من أهل بريدة وهي في طريقها إلى الشام (٢) . وكان هذا مما أثار  
غضبهم عليه وعلى أميرهم المتحالف معه . وبذلك ازداد عدد الذين  
يؤيدون الملك عبد العزيز من أهل هذه البلدة . فكتبوا إليه يخبرونه بأن  
الاستياء من أميرها أصبح عاماً، ويحثونه على التوجه إليهم . فخرج من  
الرياض، وتوجه باتباعه نحو القصيم . ولما وصل إلى عنيزة قدم إليه

(١) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها . ويرى هذا المؤرخ أن الهدف الأكبر من إبقاء  
سلطان لأخيه في بريدة إبعاده عن حائل . ولعل مما يؤيد هذا الرأي أن فيصلاً لما اختلف  
مع أمير بريدة، وعاد إلى حائل، عاتبه أخوه وأرسله إلى الجوف . انظر الريحاني،  
ص ١٧٤ .

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٥ .

مندوب من بريدة يخبره بأن أنصاره لم يمهدوا الطريق بعد لدخوله إليها. وبعد سبعة أيام من ذلك أُخبر بأن الطريق أصبحت ممهّدة، فانطلق إليها، لكنه لم يجد ما أُخبر به، فراح أتباعه يتلفون الزروع القريبة منها. ثم بلغه أن ابن رشيد قد خرج من حائل لنجدة بريدة، فاتجه شمالاً لصدّه عن التقدم إلى القصيم. ولما وصل إلى الكهفة اتضح له عدم صدق ما بلغه. وكان ابن طوالة حينذاك قد التجأ إلى قرية فيد<sup>(١)</sup>، فتوجه الملك لمهاجمته فيها. ولما اقترب منها طلب منه ذلك الزعيم الأمان على أن يكون موالياً له، فوافق الملك على ذلك. واستأذن الزعيم الملك أن يذهب إلى ابن رشيد ليصلح بينهما، فوافق، أيضاً، على ذلك بشرط أن تكون حائل وتوليعها تحت إمارة ابن رشيد وباقي نجد تحت حكم الملك عبد العزيز<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك النجاح ازداد أنصار الملك عبد العزيز في بريدة، وفترت عزيمة أتباع أميرها. فأصبح الجو مهيباً أكثر من ذي قبل للتخلص من هذا الأمير. وأرسل أولئك الأنصار إلى الملك يخبرونه بأنهم سيكونون في انتظاره مع أذان العشاء ليلة العشرين من ربيع الثاني عام ١٣٢٦هـ

(١) فيد: من أقدم القرى وأشهرها في التاريخ. وتبعد عن حائل مئة كيل تقريباً. انظر عنها الجاسر، ج ٣، ص ص ١٠٤٧ - ١٠٥٢.

(٢) القاضي، ص ٣٢؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٨٥؛ الريجاني، ص ١٧٥.

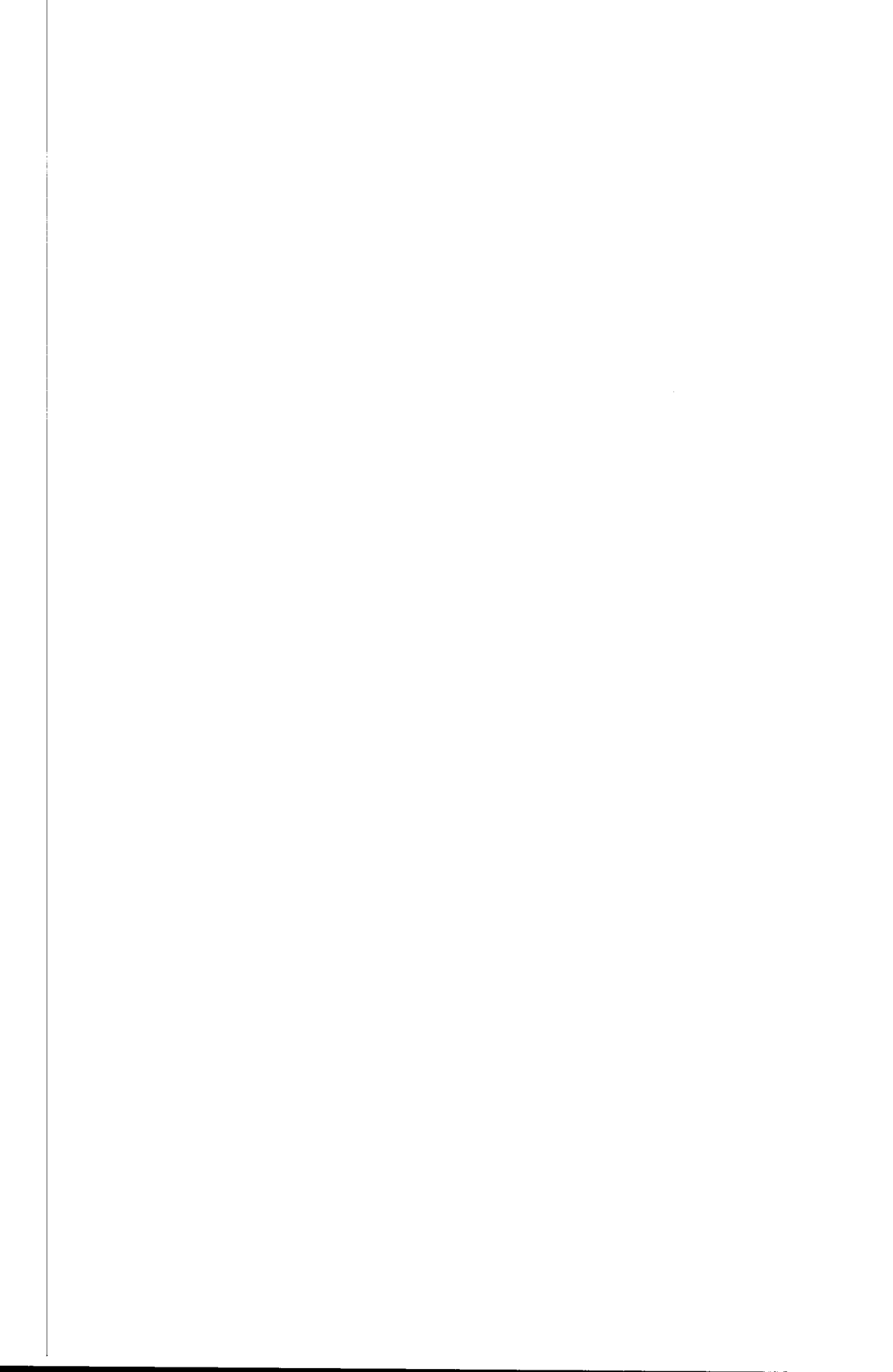
(٢١ / ٥ / ١٩٠٨ م) عند البوابة الشمالية من البلدة. ولما وصل إليها في الموعد المحدد فتحوها له، ودخل أتباعه بريدته، فحدثت مناوشات بينهم وبين أنصار أميرها. ثم محاصروا الأمير ومن معه في قصرها حتى طلب الأمان في اليوم التالي، فمنح إياه، واستسلم للملك عبدالعزيز. وقد استأذنه في الذهاب إلى العراق فأذن له، ورحله إلى هناك (١). وعين مكانه في الإمارة أحمد السديري (٢). ومنذ ذلك التاريخ استقرت أوضاع بريدة وتوابعها تحت راية الملك عبدالعزيز.

---

(١) القاضي، ص ص ٣٢ — ٣٣؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٥؛ الريحاني، ص ص ١٧٥ - ١٧٧.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٦. على أن السديري نُقل عن تلك الإمارة بعد عام من توليته، وعين محله عبد الله بن جلوي. المصدر نفسه، ص ٨٨؛ الريحاني، ص ١٨٠. وقد غلط فيلبي عندما ذكر (ص ٢٥٣) ما يفيد بأن تعيين ابن جلوي كان بعد انتزاع بريدة من محمد أبا الخليل مباشرة. وغلط ابن هذلول في قوله (ص ٩١): إن تعيين السديري كان عام ١٣٢٧هـ. فقد حدث في هذا العام نقل السديري وتعيين ابن جلوي، كما ذكر سابقاً.

الأوضاع في جبل شمّر  
وحملة الشريف ملك نجد  
وما واكبها من أحداث





## ١ - الأوضاع في جبل شمر :

بعد دخول الملك عبد العزيز بريدة بأيام وصل إليه مندوب الأمير سلطان الحمود بن رشيد يخبره بقبوله ما اشترطه عليه عن طريق ابن طوالة<sup>(١)</sup>. غير أن ذلك الأمير لم يستمر في الحكم إلا أياماً معدودات. فقد تمكن آل سبهان من مغادرة حائل بالأمير سعود بن عبد العزيز بن متعب، ووصلوا إلى المدينة المنورة<sup>(٢)</sup>. وساءت العلاقة بين الأمير سلطان وأخيه سعود، فخرج الأول من حائل متجهاً إلى الجوف، لكن الثاني أدركه وأعادته مقيداً، ثم قتله في جمادى الأولى<sup>(٣)</sup>. على أن كثيراً من أهالي جبل شمر وقبائله قد نعموا على آل عبيد بن رشيد لقتلهم ابني عبد العزيز بن متعب، فارتحل أعداد منهم إلى الحجاز. ثم رتب المرتحلون وآل سبهان مع أنصارهم في حائل للإطاحة بسعود الحمود.

(١) القاضي، ص ٣٣؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٨٥.

(٢) استغل آل سبهان فرصة خروج سلطان من حائل غازياً، واستأذنوه بأنهم سيتأخرون عن السير معه لتجهيز جنازة لديهم، فأذن لهم. ولما ابتعد عن البلدة قليلاً خرجوا منها. القاضي، ص ٣٣.

(٣) يذكر القاضي (المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها) أن مقتله كان آخر ذلك الشهر. ويقول الذكير (نسخة خاصة، ص ٨٦): إنه كان في العاشر منه. أما موزل (ص ٢٤٧) فقد جعل مقتله في ٢٥/١٢/١٣٢٥هـ. ص ٢٤٧. وقد تبعه، فيما يبدو، فيليبي، ص ٢٥٢. ومن الواضح خطأ هذين الأخيرين لأن مقتل سلطان كان بعد إزالة أبي الخليل عن إمارة بريدة في شهر ربيع الثاني عام ١٣٢٦هـ.

وتَمَّ لهم ذلك في شعبان سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م (١). وتولَّى حمود ابن سبهان مقاليد الأمور في البلاد نائباً عن الأمير سعود بن عبدالعزيز، الذي كان عمره حينذاك عشر سنين (٢).

ولم يمض شهر على تولي حمود بن سبهان مقاليد الأمور في جبل شمّر حتى خرج من حائل غازياً، وهجم على فريق من قبيلة مطير شمال بريدة، فغنم ما غنم، ثم عاد إلى قاعدة إمارته. على أن المنية وافته آخر عام ١٣٢٦هـ (٢). فتولَّى الأمر بعده زامل بن سبهان، الذي بدأ عهده بغزو أتباع الملك عبد العزيز من البادية في الوقت الذي كان الملك خلاله متجهاً لغزو فئات من شمّر. ولقد حاول زامل أن يباغت الملك ومن معه بهجوم ليلي في مكان يقال له: الأشعلي، لكن الملك خطط للمعركة ببراعة، فترك مخيمه وكثيراً من إبله حوله ليشغل خصومه المهاجمين بالاستيلاء عليهما، ثم هجم عليهم وهرمهم، فعادت فلولهم إلى جبل شمّر. وكانت تلك المعركة في الخامس من ربيع الأول عام ١٣٢٧هـ / ٢٦ / ٣ / ١٩٠٩م (٣). لكان ذلك انم

(١) القاضي، ص ٣٣؛ سليمان الدخيل، القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد، طبع ملحقاً بنبذة ضاري الرشيد، السالفة الذكر، ص ١٥٩، موزل، ص ٢٤٧. وقد ذكر فيلبي خطأ (ص ٢٥٤) أن ذلك حدث في المحرم سنة ١٣٢٧هـ. وأخطأ مثله ابن ناصر، ص ٧٤.

(٢) القاضي، ص ٣٣؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٦.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص ٨٧؛ الريحاني، ص ١٧٨ - ١٧٩.

ومن الواضح أن المشاكل بدأت تتراكم على إمارة جبل شمر. فقد ازداد عدد الذين يغادرون الإقليم جنوباً أو شمالاً، وازدادت غارات أتباع الملك عبد العزيز على أطراف الجبل ذاته، كما تمكن ابن شعلان من فرض نفوذه على جهات من الجوف<sup>(١)</sup>. ولعلّ هذا من بين الأمور التي دفعت تلك الإمارة إلى مصالحة الملك عبدالعزيز مؤقتاً<sup>(٢)</sup>.

---

(١) موزل، ص ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ويذكر أن أمير الجبل لم يكتف بالمصالحة؛ بل اعترف بالسيادة العليا للملك عليه. ويبدو أن ذلك لم يحدث.

## ٢ - حملة شريف مكة على نجد وما واكبها من أحداث :

شهدت سنة ١٣٢٧هـ مجاعة شديدة عانى منها كثير من النجديين ما عانوا من أهوال ومات قسم غير قليل من إبل البادية وغنمها<sup>(١)</sup>. فانخفضت بذلك الزكوات التي كانت مصدراً مهماً من مصادر دخل الملك عبد العزيز حينذاك. وحدث في تلك السنة نزاع بين رؤساء بلدة الحريق أدّى إلى ذهابه إليها وحصار أمرائها حتى نزلوا عند رغبته، وأخذ من رأى أخذه منهم معه إلى الرياض<sup>(٢)</sup>.

وكانت سنة ١٣٢٨هـ حافلة بالأحداث المهمة. فقد شهدت بدايتها خروج عدد من أحفاد الإمام سعود بن فيصل من الرياض معاضين للملك عبد العزيز<sup>(٣)</sup>. وشهدت ذهابه بقوات كبيرة نجدة للأمير الكويت ضد زعيم المتفق، سعدون المنصور. وقد دارت بين الفريقين معركة سُميت معركة هديّة في الأسبوع الأول من ربيع الأول، فانتصر سعدون على خصميه، وغنم كثيراً مما كان معها<sup>(٤)</sup>. ومن

(١) القاضي، ص ٣٤؛ الريجاني، ص ص ١٧٩ - ١٨١؛ آل عبد المحسن، ج ٢، ص ٩١.

وتُسمّى تلك السنة عند كثير من النجديين سنة الجوع.

(٢) القاضي، ص ص ٣٤ - ٣٥؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٨؛ الريجاني، ص ص ١٨٠ - ١٨١.

(٣) القاضي، ص ٣٥؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٨٩؛ الريجاني، ص ١٨١.

(٤) انظر تفصيلها لدى القاضي، ص ٣٥؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ص ٨٩ - ٩٠؛

الريجاني، ص ص ١٨٤ - ١٨٨؛ خزعل، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ص ٢٢٧ - =

المحتمل أن نتيجتها كانت من بين عوامل دفعت بعض الجهات إلى الحركة. فقد قام ابن سبهان، المشرف على الإمارة في جبل شمر، بغزو قبيلة عُتَيْبَة قرب الشَّعْرَاء<sup>(١)</sup>، ووصل إلى عالية القصيم حيث كتب إلى أمير عنيزة يغريه بالوقوف معه؛ مشيراً إلى ما حدث في معركة هديّة. لكن ذلك الأمير رفض أي تعاون معه<sup>(٢)</sup>. واستولى أحفاد الإمام سعود ابن فيصل على الخرج وإن لم يستولوا على قصرها<sup>(٣)</sup>. فجمع الملك عبدالعزيز قواته، وتوجه لاسترداده منهم. فلما أقبل عليهم غادروا الإقليم إلى الحريق حيث استولوا عليه بالتعاون مع الهزاني. وبينما كان الملك مشغولاً بهذه المشكلة بلغه وصول شريف مكة الحسين بن علي، بقواته إلى جهة القَوَيْعِيَّة وكان قد أرسل أخاه سعداً إلى تلك الجهة لحث قبيلة عتيبة على الانضمام إليه في غزوه. فظفر به أعوان الشريف، وأخذ سجيناً لديه<sup>(٤)</sup>. وهكذا أصبح الملك عبد العزيز أمام ثلاث جهات: زعيم جبل شمر، وأحفاد عمّه سعود بن فيصل ومن تحالف معهم، وشريف مكة. فقرر أن يتعامل مع كل جبهة على

= ٢٣٢. وهذه المصادر أشارت إلى حدوثها في أول جمادى الآخرة. لكن الوكالة البريطانية في الكويت أشارت إليها في يومياتها التي كتبها في الأسبوع الأول من ربيع الأول. وبالإضافة إلى هذا ذكرها في ربيع المؤرخ الكويتي المعاصر لها عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بغداد، ١٣٤٤هـ، ص ص ٩٨ - ٩٩.

(١) الشَّعْرَاء: بلدة في عالية نجد.

(٢) القاضي، ص ٣٦؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٠.

(٣) المصدر الأول نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ الريحاني، ص ١٩١.

انفراداً. وكان أن تفاوض مع زعيم الجبل وتوصل معه إلى صلح<sup>(١)</sup>.  
فجمّد بهذا تلك الجبهة مؤقتاً. وأجّل حسم الموقف مع أحفاد عمّه  
والمتحالفين معهم. وتفرّغ للتعامل مع الشريف حسين؛ خاصة أن  
أخاه سعداً لديه<sup>(٢)</sup>.

ويذكر أحد المصادر أن توجه الحسين إلى نجد كان بمبادرة منه<sup>(٣)</sup>.  
وتفيد مصادر أخرى أنه كان بأمر من الدولة العثمانية<sup>(٤)</sup>. ويقال،  
أيضاً، إن بعض النجديين أوهموه أن أهل نجد قد ملّوا من حكم  
الملك عبد العزيز، وأنهم سينضمّون إلى الشريف بمجرد دخوله  
منطقتهم للإطاحة بذلك الحكم<sup>(٥)</sup>. وكون الحملة بمبادرة منه لا  
يتعارض مع كون بعض النجديين قد أغروه بها. ولعلّ مما يؤيّد ذلك  
أن الحملة كانت، فيما يبدو، قليلة العدد<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ١٩٠؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٩١؛ العبيد، ص ١٦٣.  
ويذكر هذا الأخير أن الملك عبد العزيز رضي بأن تكون زكوات حرب وبنو عبد الله من  
مطير وهتيم لإمارة الجبل أينما وجدت تلك القبائل.

(٢) الريحاني، ص ١٩١.

(٣) العمرو، ص ١٤٠.

(٤) الريحاني، ص ١٩١؛ فيليبي، ص ٢٥٧.

(٥) القاضي، ص ٣٧؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٠.

(٦) قال خالد السعدون: إنها تتكوّن من مئتي خيال وحوالي ألف رجل. انظر ما كتبه  
بعنوان: «أضواء على حملة شريف مكة على القصيم سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م»،  
الدارة، شوال ١٤٠٤هـ، ص ٦٩ و٧٣. وذكر العمرو (ص ١١٠) أن الشريف  
تمكّن من جمع أربعة آلاف بدوي في حملته. ولعلّ هذا العدد - إن كان صحيحاً - يشمل  
من انضم إلى الشريف من قبيلة عتيبة في نجد.

انتقل الشريف من جهة القُويعية إلى الشَّعراء، ثم إلى نِفي . وقد أرسل إلى كلِّ من أهل شقراء والرس لبيعه طعاماً، فلم يستجيبوا له . وكتب إلى أهل عنيزة رسالة أشار فيها إلى استياء أهل نجد من حكم الملك عبد العزيز، وذكَّرهم بصلاتهم الخاصة مع أسلافه، وحثَّهم على إظهار السمع والطاعة له ليقمدي بهم الآخرون . فأجابوه بأن معلوماته عن النجديين خاطئة، وأن في أعناقهم بيعة للملك عبد العزيز، وأشاروا عليه بالعودة إلى مكة (١) .

أما الملك عبد العزيز فترك أربع مئة رجل في الخرج عوناً لأمرها وأهلها ضد أي هجوم محتمل (٢) . ثم جهَّز أتباعه من الحاضرة والبادية، وسار بهم حتى وصل إلى السَّر، وأخذ ما كان قد اشتراه الشريف هناك من أطعمة (٣) . ثم واصل سيره حتى اقترب من نِفي . ومن هناك بعث رسالة إلى الشريف ينصحه فيها أن يعود إلى بلاده وإلا فإنه سيهاجمه (٤) ، كما كتب إلى زعيم برق من عتبية، محمد بن هندي، يحمِّله مسؤولية مجيء الشريف إلى نجد وربط أخيه سعد، ويحذِّره معبِّة

(١) القاضي، ص ٣٧ .

(٢) الريحاني، ص ١٩١ .

(٣) القاضي، ص ٣٧ .

(٤) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها .

عدم إطلاق سراحه<sup>(١)</sup>. ولقد أخذ هذا الزعيم الأمر مأخذ الجد، ففاتح الشريف بشأن سعد. وهكذا يبدو أن الحسين قد اتضح له أن الموقف لم يعد في صالحه. فابن رشيد، الذي كان يأمل في تعاونه معه، قد تخلى عنه بعد صلحه مع الملك عبد العزيز، وأوضح له أن لديه من المشاكل في شمال إمارته ما يحول دون قيامه بأي عمل معه<sup>(٢)</sup>. وأهل نجد، بصفة عامة، لم يتجاوبوا معه. وابن هندي قد بدا منه ما يوحي برغبته في التوصل إلى تسوية بين الطرفين المتنازعين. والملك قد أقبل نحوه بقوات لا يستهان بها. على أن وجود سعد بن عبد الرحمن لديه كان الورقة الراححة الوحيدة في يده، فلعبها ببراعه. وقد أرسل خالد ابن لؤي إلى الملك عبد العزيز ليعرض عليه شروطه. وكان منها أن يعترف الملك بسيادة الدولة العثمانية، وأن يدفع مبلغاً من المال كل سنة عن إقليم القصيم بالذات<sup>(٣)</sup>. وتمكّن خالد من إقناع الملك

---

(١) العبيد، ص ص ١٦٦ - ١٦٧. وقد أورد نص خطاب الملك إلى ذلك الزعيم. وذكر أنه بذل مساعي طيبة ساهمت في إطلاق سراح سعد. ويؤيد ما ذكر عن جهود ابن هندي في هذا الموضوع رسالة من الحسين إلى الملك عبد العزيز في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٨ هـ. وصورتها موجودة لدى كاتب هذه السطور.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ٩١. وكان ابن رشيد، أو ابن سبهان النائب عنه في إدارة الإمارة، مشغولاً حينذاك بمشكلة تيهاء. انظر موزل، ص ٢٤٨.

(٣) الذكر؛ نسخة خاصة، ص ٩٢. وقد كتب زعماء بلدان القصيم رسالة إلى السلطان العثماني في ٢٥ صفر سنة ١٣٢٩ هـ يستعطفونه بأن يعفيهم من دفع ما تقرر عليهم عن طريق الشريف؛ وهو ثلاثة آلاف مجيدي كل سنة.



عبد العزيز بأن نوايا الشريف حسنة، وأنه لا يريد أكثر من اعتراف اسمي بتبعيته للدولة العثمانية وتعهده بدفع مبلغ من المال سنويًا، وأن هذا التعهد وذلك الاعتراف مما ينفع الحسين لدى تلك الدولة ولا يضر بالملك لأنهما لن يدخلتا حيز التنفيذ<sup>(١)</sup>. وأتفق الطرفان، وتبادلا الهدايا، وأطلق سراح سعد، وعاد الشريف إلى الحجاز. أما الملك عبد العزيز فتوجّه إلى عيضة، ودخلها آخر شهر رمضان (٩/١٩١٠م<sup>(٢)</sup>) ثم عاد منها صوب الرياض ليتفرغ لحلّ المشكلة القائمة في الحريق.

توجّه الملك عبد العزيز بقواته حتى اقترب من الحريق، وأخذ يستعد لحصارها. لكن من كانوا داخلها خرجوا لمقاتلته، ونشبت بين الطرفين معركة أبدى فيها كل منهما ما أبدى من صبر وشجاعة، وانتهت بانتصار الملك عبد العزيز. ثم انسحب قادة خصومه من البلدة، ودخلها ظافراً<sup>(٣)</sup>. وقد حاول المنسحبون دخول حوطة بني تميم فلم يسمح لهم أهلها بذلك<sup>(٤)</sup>. فذهب أكثر قادة الهزازنة إلى الأفلاج، فاعتقلوا هناك، ثم قُضي عليهم فيما بعد<sup>(٥)</sup>. أملاً أحفاد الإمام سعود

(١) الريحاني، ص ١٩٣؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٢.

(٢) القاضي، ص ٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٢.

(٤) الريحاني، ص ١٩٥؛ القاضي، ص ٣٨؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٢.

(٥) القاضي، ص ٣٨؛ الريحاني، ص ١٩٦.

ابن فيصل فتفرقوا، فمنهم من ذهب إلى البحرين، ومنهم من توجه إلى الحجاز<sup>(١)</sup>. وبعد نجاح الملك عبد العزيز في الحريق مضى إلى حوطة بني تميم حيث طلب كبارها منه العفو عما بدر من بعض أهلها من محاولة مساعدة من حاربوه في الحريق، فعفا عنهم، ثم عاد إلى الرياض<sup>(٢)</sup>.

ولقد ظلت علاقة الملك عبد العزيز بإمارة جبل شمر هادئة خلال عامي ١٣٢٩ و١٣٣٠هـ<sup>(٣)</sup>. لكنه اضطر إلى الذهاب صوب الكويت في العام الأول منها نجدة لأمرها<sup>(٤)</sup>، كما اضطر إلى التوجه نحو الأحساء للتصدي لفئات من قبيلة العجمان قامت مع تركي بن عبدالعزيز، حفيد الإمام سعود بن فيصل. وكانت نتيجة مجابته مع تلك الفئات مقتل تركي ولجوء أعداد منها إلى داخل المدن الأحسائية<sup>(٥)</sup>. على أن ما كان أهم مما سبق اتخاذ الحسين بن علي - رغم اتفاقه مع الملك عبد العزيز - موقفاً غير ودي تمثل في مضايقة من كانوا لديه من تجار نجد، ومنع الاتصال التجاري بين بلاده وسكانها، وجعل تلك

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٢.

(٢) القاضي، ص ٣٨؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٢.

(٣) الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٥ - ٩٦.

(٤) الريحاني، ص ١٩٨.

(٥) القاضي، ص ٣٩؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٤.

البلاد منطلقاً لأحفاد الإمام سعود بن فيصل الذين اعتمدوا في  
تحركاتهم، بدرجة كبيرة، على فئات من قبيلة عتيبة. ولقد حاول الملك  
عبد العزيز أن يتفادى تدهور العلاقات بينه وبين الشريف، فأرسل  
إليه صالح بن عدل للتفاوض - ومعه هدية مكوّنة من أربع من الخيل  
وأربع من الإبل - فاستقبله الحسين استقبالا حسناً، لكن لما بلغه مقتل  
عقّاس بن محيّا، أحد فرسان عتيبة المشهورين، غضب، وردّ الهدية.  
ولم يصغ إلى ما عرضه ابن عدل من آراء بناءة<sup>(١)</sup>. فازدادت العلاقات  
توتراً.

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ص ٩٣ و ٩٥ - ٩٦؛ القاضي، ص ٤١. وكان مقتل عقّاس  
خلال هجوم للملك عبد العزيز بأتباعه عليه في الثالث من ربيع الثاني عام ١٣٣٠ هـ.  
حسب رواية القاضي.



توحيد الأحساء والقطيف



كان الملك عبد العزيز عازماً على توحيد منطقة الأحساء والقطيف  
معها وحده من أقاليم نجد لأسباب متعددة أهمها:

- ١ - أنها كانت جزءاً من الدولتين السعوديتين الأولى والثانية.
- ٢ - أن استيلاء العثمانيين عليها، سنة ١٢٨٨هـ، كان بمثابة حيلة  
مهّدت لها استنجد الإمام عبد الله بن فيصل بهم في نزاعه مع أخيه  
سعود. فأصبح من قدم منجداً في الظاهر محتلاً حقيقة.
- ٣ - أن العثمانيين وقفوا مع خصمه ابن رشيد، وأن سلطاتهم في  
المنطقة المتحدّث عنها كانت تقف ضد تحركاته ونشاط أتباعه كلما  
سنت لها الفرصة، وكانت تؤوي خصومه<sup>(١)</sup>.
- ٤ - أن تلك المنطقة ضرورية لأية دولة تقوم في نجد لأنها المنفذ  
البحري لتجاريتها.
- ٥ - أنها غنية بمواردها الزراعية، وثروتها السمكية، وأنها مهمّة بموانئها  
البحرية تجارياً وجمركياً.
- ٦ - أنه دخولها تحت رايته فيه تعزيز لقوته أمام خصومه شمال بلاده  
وغربها.

(١) من ذلك إمدادهم ابن رشيد بالقوات والأسلحة والأموال كما ظهر في معركتي البكيرية  
والشنانة، ومنع تلك السلطات أتباعه من دخول الأحساء، وقبولهم لجوء خصومه إلى  
مدنها.

وكان الملك عبد العزيز يفكر في توحيد منطقة الأحساء والقطيف منذ قضائه على الأمير عبد العزيز بن رشيد عام ١٣٢٤هـ (١). لكنه ظل ينتظر الظروف المناسبة لتنفيذ ما كان يفكر فيه. وقد رأى، بثاقب بصيرته، أن تلك الظروف قد تهيأت مع بداية عام ١٣٣١هـ؛ وذلك لما يلي:

١- أن شريف مكة، الحسين بن علي، قد ضايق التجار التجديين في الستين السابقتين لذلك العام، ومنع الاتصال التجاري بين الحجاز ونجد، رغم أن الملك عبد العزيز قد اعترف بالسيادة العثمانية عام ١٣٢٨هـ. ولذا كان لا بد من البحث عن حجة أخرى يتحقق فيها ما فقد في الحجاز.

٢- أن السلطات العثمانية في الأحساء سمحت لخصوم الملك عبدالعزيز من البادية، عامي ١٣٢٩ و ١٣٣٠هـ، بأن تلجأ إلى مدن تلك المنطقة عند مهاجمته لهم (٢).

٣- أن الملك عبد العزيز قد انتصر على خصومه في نجد، وأصبحت جبهته مع إمارة جبل شمر هادئة نسبياً.

(١) يتضح ذلك من إخباره ممثلي بريطانيا في الخليج، عام ١٣٢٤هـ، برغبته في انتزاع تلك المنطقة من الأتراك إن ضمن له حمايته منهم بحرياً. انظر حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط ٥، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ص ٢٤٩.

(٢) القاضي، ص ٣٩.



٤ - أن الدولة العثمانية قد انهزمت أمام إيطاليا في ليبيا، وانشغلت بالحرب في البلقان، فأصبحت سلطاتها في الجهات النائية عن مركز قوتها ضعيفة. ولعلّ مما يدل على شعورها بضعف حامياتها في الأحساء والقطيف - مثلاً - أنها طلبت من الملك عبد العزيز نفسه أن يرسل قوة لدعم تلك الحاميات. لكنه اعتذر عن عدم تمكّنه من ذلك<sup>(١)</sup>. ومن المحتمل أنه قد أدرك أن تلك المنطقة آيلة إليه لا محالة، وأن ذهابه إليها منجداً للسلطات الحاكمة فيها سيملي عليه أخلاقياً ألاّ يسيطر عليها لأنه لن يتصرّف تصرّف العثمانيين مع عمّه عبد الله.

٥ - أن السلطات العثمانية قد أرهقت سكان المنطقة بالضرائب<sup>(٢)</sup>، وعجزت عن حفظ الأمن خارج أسوار المدن بحيث أصبحت فئات من البادية تعتدي على الممتلكات دون رادع<sup>(٣)</sup>، وأصبح الحاضرة من السكان يتطلّعون إلى من يخلّصهم من الوضع الذي هم فيه. وكان الملك عبد العزيز يدرك أن أولئك السكان، الذين عرف آبائهم ما حققه أسلافه من حزم وعدل، سيرون فيه القائد الذي ينتظرون.

(١) الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٧.

(٢) فاسيليف، ص ٢٧٤؛ نقلاً عن قنصل روسيا في البصرة.

(٣) ابن هذلول، ص ٩٨.

٦ - أن البوادر توحى بأن بريطانيا ستنتجح في إبعاد العثمانيين عن شرقي الجزيرة العربية. فإن تحقق ذلك فإن من الصعب إخراج البريطانيين من المنطقة. فلا بد، إذاً، من الحيلولة دون استيلاء بريطانيا عليها بالسبق إليها.

ولقد مهّد الملك عبد العزيز لإقدامه على توحيد منطقة الأحساء والقطيف بخطوات ذكية. منها أنه اتصل بمن يثق بهم من سكانها ليمدّوه بالمعلومات المفيدة له، ويهيئوا له ما كان في حاجة إليه من الوسائل الميسرة لدخوله الأحساء<sup>(١)</sup>. ومنها أنه ذهب بأتباعه إلى تلك المنطقة، فلما اقترب منها سأله المسؤولون فيها عن هدفه، فقال: إنه جاء لمعاقبة بعض القبائل، والتزوّد بالأطعمة. ودخل أتباعه الأحساء فاشترى ما أرادوا. ثم غادر المنطقة عائداً إلى الرياض تاركاً أتباعه، أو أكثرهم، في الخفس<sup>(٢)</sup>. وأتبع ما تقدم بأن أغرى قبيلة العجمان بالغزو معه ضد مطير، وواعدها في مكان بعيد نسبياً عن الأحساء؛ وذلك أنه خشي أن تقوم بما يفسد عليه خطته إن هي بقيت في تلك المنطقة<sup>(٣)</sup>. ولما تيقن من ذهابها إلى المكان الذي واعدتها فيه هبَّ

(١) الريحاني، ص ٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٥؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٩.

(٣) ابن هذلول، ص ٩٨.

مسرعاً نحو هدفه: مدينة الهفوف، قاعدة الأحساء. وذلك في جمادى

الأولى عام ١٣٣١هـ<sup>(١)</sup>.

وكان أنصار الملك عبد العزيز داخل بلدة الهفوف قد أمدّوه بالمعلومات عن أمكنة الأتراك، وقوّتهم، وتحركاتهم، وهياًوا له الحبال وغيرها من الوسائل المعينة على دخوله البلدة. ولم يكن جيشه كبير العدد، لكن أغلب أفراده كانوا من الحاضرة؛ خاصة أهل العارض وما جاورها. وتختلف المصادر في كيفية دخوله البلدة، لكن من الممكن الخروج مما ذكرته بأنه قسم رجاله إلى قسمين: قسم أبقاه خارجها بقيادة عبد الله بن جلوي ليحمي ظهور الداخلين إليها من أي هجوم قبلي عليهم. وقسم بقيادته يدخل البلدة ويستولي عليها<sup>(٢)</sup>. وقد بدأت العملية بإعطائه إيّاهم تعليمات يجب عليهم تنفيذها بعد الدخول. ثم وُضعت سلام بجانب السور، فصعد بها أفراد ممن كانوا معه، وأدلوا الحبال، فتسوّر الآخرون، ثم انتشروا في البلدة بسرعة. أما الحامية التركية فتحصّنت بقصر إبراهيم ومعها المتصرّف. وقد عمّلت فتحة في سور البلدة دخل منها الملك عبد العزيز وباقي رجاله<sup>(٣)</sup>. وذهب فور

(١) القاضي، ص ٤٣.

(٢) ابن هذلول، ص ١٠٠.

(٣) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠٠. وقال ابن هذلول، ص ١٠١: إن رجال الملك هدموا جانباً من السور فدخل عبره الملك ومن معه.

دخوله تلك البلدة إلى منزل الشيخ عبد اللطيف الملا، وسارع أعيان البلاد إلى مباحته هناك<sup>(١)</sup>. ثم أرسل مندوباً إلى المتصرف يخبره بأن عليه أن يستسلم وإلا فإنه سيهاجمه. فاشتراط المتصرف أن يسلم بشرطين: (أولهما الأمان على أنفس رجاله وأموالهم وجميع ما لديهم من سلاح وذخائر. وثانيهما أن يكتب أعيان البلاد كتاباً بأنهم لا يريدون بقاء عسكر الدولة لديهم. فقبل الملك الشرط الثاني، كما قبل الشرط الأول على ألا يخرجوا إلا بسلاحهم الشخصي. فرضي المتصرف بذلك. واستسلم هو ورجاله<sup>(٢)</sup> وكان ذلك في الثامن والعشرين من جمادى الأولى (٤/٥/١٩١٣م)<sup>(٣)</sup>. ثم قام الملك عبدالعزيز بترحيلهم إلى العُقيقر، فبالبحرين. وبعد ذلك أرسل سرية، بقيادة عبد الرحمن بن سويلم، إلى القطيف، فتمكنت من دخولها دون صعوبة<sup>(٤)</sup>. وهكذا تمّ توحيد تلك المنطقة تحت راية الملك عبد العزيز.

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠٠؛ آل عبد القادر، ج ١، ص ٢٠٨.

(٢) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠٠. ولعل اشتراط المتصرف ذلك الكتاب حرصه على أن تعذره السلطات العثمانية العليا؛ إذ سيظهر بمظهر من لم يترك البلاد إلا بناء على رغبة أهلها. على أن آل عبد القادر قد ذكر في الموضع المشار إليه أعلاه أن المتصرف استشار المندوب الذي أرسل إليه، فأشار عليه بالتسليم معللاً ذلك بأن السكان لا يرغبون في بقاء قواته.

(٣) القاضي، ص ٤٣؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠٠؛ فاسيلييف، ص ٣٧٥؛ ترولر، وترجمة عنوان كتابه: مولد العربية السعودية، لندن، ١٩٧٦م، ص ٤٣. وذكر كل من الريحاني، ص ٢٠٨؛ ابن هذلول، ص ٩٩؛ آل عبد القادر، ج ١، ص ٢٠٨ أن ذلك كان امس من الشهر المذكور.

(٤) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠١.

ومن الواضح أن العثمانيين قد ساءهم ذلك العمل الجريء الذي فاجأهم الملك عبد العزيز به، وأجبرهم على مغادرة الأحساء والقطيف. ولذلك فإن إغراء من أغراهم بالعودة إليها قد لقيت منهم آذاناً صاغية<sup>(١)</sup>. وقد أقبلوا من البحرين صوب العقير. فلما وصلوا إليها بعث قائد سرية الملك فيها من أخبره بذلك، وصمد مع رجاله أمام المهاجمين؛ بل تمكّنوا من أسر أعداد منهم. ولما رأى المهاجمون طليعة خيل النجدة المرسلّة من الأحساء سارعوا إلى ركوب سفنهم عائدين إلى البحرين<sup>(٢)</sup>. ومكث الملك عبد العزيز فترة في الأحساء حتى اطمأن إلى استتباب الأمور فيها. ثم عين عبد الله بن جلوي أميراً عليها، وعاد إلى الرياض في العشر الأواخر من رمضان<sup>(٣)</sup>.

ولقد حاول العثمانيون إرسال قوة من العراق بحراً لاسترداد الأحساء والقطيف لكن بريطانيا حذرتهم من مغبة ذلك<sup>(٤)</sup>. وكانت رياح الحرب العالمية الأولى قد أوشكت أن تهبّ، فاجتمع هذا مع صعوبة

---

(١) القاضي، ص ٤٤. وقد اتهم هذا المؤلف القنصل البريطاني بذلك. ومن المرجح أن هذا القنصل لم يكن الوحيد في الإغراء.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ١٠١؛ ابن هذلول، ص ١٠٢.

(٣) القاضي، ص ٤٤.

(٤) خزعل، ج ٢، ص ١٩٦.

اتخاذهم أية خطوة عسكرية ضد الملك عبد العزيز، وأدركوا أن من الأفضل لهم أن ينهجوا في تعاملهم معه نهجاً آخر. ولعلّ مما شجّعهم على ذلك، أيضاً، أن الوكيل السياسي البريطاني في البحرين قد اجتمع به في العُقَيْرِ أوائل عام ١٣٣٢هـ<sup>(١)</sup>. فخافوا من توثُقِ علاقته بالبريطانيين. وبدأوا بالاتصال السلمي به إلى أن أرسلوا إليه وفداً برئاسة السيد طالب النقيب، واجتمع به في الصُّبَيْحِيَّةِ، واتفق معه على أمور من أهمّها اعترافه بالسيادة العثمانية مقابل مساعدته بالمال والسلاح. وقد صدّق الباب العالي على ذلك الاتفاق، وشكر الملك عبد العزيز، كما منحه نيشاناً عثمانياً من الدرجة الأولى<sup>(٢)</sup>. على أن قيام الحرب العالمية الأولى حال دون تنفيذ ما اتفق عليه على أية حال.

(١) القاضي، ص ٤٤؛ فاسيليف، ص ٢٧٦.

(٢) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠١. ولزيد من التفصيلات عن اجتماع الصُّبَيْحِيَّةِ وما نتج عنه يمكن الرجوع إلى خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ - ١٣٤١هـ، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ، ص ص ١٤٥ - ١٥٠؛ خزعل، ج ٢، ص ص ١٩٦ - ٢١٢.

الملك عبد العزيز  
خلال الحرب العالمية الأولى





## ١ - تلك خلال الحرب العالمية الأولى

بدأت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢هـ، وانتهت عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٤ - ١٩١٩م. وقد مرّت خلالها أوضاع الملك عبد العزيز داخلياً وخارجياً بحوادث مهمة.

### ١ - علاقته بأمرأه جبل شمر:

كان لدى سعود الصالح بن سبهان طموح إلى تولي مكانة قريبه زامل بن سبهان في الإمارة، فأوغر صدر الأمير سعود بن رشيد على ذلك القريب، ثم قام باغتياله سنة ١٣٣٢هـ، واحتلّ مكانته (١). ولقد كان زامل ذا رأي راجح، فاختر مهادنة الملك عبد العزيز فترة. لكن سعوداً لم يكن مثله؛ بل رمى بثقل الإمارة مع الدولة العثمانية، فأمدته بالمال والسلاح. أما الملك عبد العزيز ففضّل أن ينتهج سياسة حيادية نوعاً ما بين هذه الدولة وخصومها حينذاك (٢). وتوترت العلاقات بينه وبين قادة جبل شمر، وأخذ كل منهما يستعد لمجابهة الآخر حتى وقعت بينهما معركة جراب.

استنفر الملك عبد العزيز من استطاع من أتباعه؛ حاضرة وبادية، وسار بهم حتى وصل إلى جراب؛ وهو موضع قريب من بلدة الزلفي. أما ابن رشيد فجمع قواته ومن استجاب له من قبيلة شمر، ونزل بهم

(١) القاضي، ص ٤٣؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠٥؛ موزل، ص ٢٤٨.

(٢) الريحاني، ص ٢٢٠.

حول قُبة (١). وشدَّ الملك من جُراب متجهاً صوبه، لكنه ما إن سار

قليلاً حتى فوجئ بخصمه أمامه مستعداً لقتاله. وسرعان ما بدأت

المعركة بينهما؛ وذلك في اليوم الثامن من ربيع الأول عام

١٣٣٣هـ / ٢٣ / ١ / ١٩١٥م. وقد حدث أن كان الملك

عبد العزيز وأتباعه من أقاليم جنوبي نجد قبالة ابن رشيد وأهل لُبدة

وفئات من شمّر. فرجحت كفة الملك عبد العزيز ومن معه على كفة

من أمامهم، وتقهقروا. أما أتباع الملك عبد العزيز من أهل القصيم

فكان أمامهم أهل القصر وأهل مغيضة وفئات من شمّر. وقد تغلّب

هؤلاء على أولئك الأتباع، فانهمزوا.. ولما رأى الملك ومن معه ما حلَّ

بهذا الفريق من أتباعه حلّت بهم الهزيمة أيضاً (٢).

وكانت فئات من شمّر قد أغارت على إبل الملك عبد العزيز في

أثناء القتال، وأخذت منها ما استطاعت أخذه. لكن الأكثر إيلاماً أن

فئات من البادية التي كانت معه - وفي مقدمتها العجمان - أخذوا ما

استطاعوا أخذه من تلك الإبل، ومضوا بها. وكانت قبيلة مطير

المتحالفة معه لم تصل إلى ميدان المعركة إلا وقد بانت نتائجها،

فانتهزت الفرصة بالإغارة على إبل ابن رشيد، والاستيلاء على أعداد

(١) تقع شرق الأسياح. وقد أصبحت فيها بعد مقرّاً لعبد المحسن الفرم من حرب، وتطوّرت

مثل كثير من البلدان النجدية الحديثة.

(٢) القاضي، ص ٤٧؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠٧؛ موزل، ص ٢٤٩.

كبيرة منها<sup>(١)</sup> . وقد قُتِل من أتباع الملك عبد العزيز عدد من المشاهير بينهم محمد بن جلوي، ومحمد بن شريدة<sup>(٢)</sup>، وصالح الزامل أمير غزو أهل عنيزة<sup>(٣)</sup> . وكان من بين القتلى الضابط البريطاني شكسبير، الذي كان قد أتى إلى نجد للتفاوض مع الملك عبد العزيز، وأصرَّ على حضور المعركة<sup>(٤)</sup> .

وبعد تلك المعركة وصل الملك عبد العزيز إلى الأوطان حيث التحق به بعض أتباعه، ثم انطلق من هناك إلى بريدة<sup>(٥)</sup> . أما ابن رشيد فوصل إلى قُبة . وهناك وردت إليه أخبار بأن خصمه قد قُتِل ، فانتقل من موضعه إلى الأسياح آملاً الاستيلاء على القصيم . لكن ما إن علم بوصول الملك عبد العزيز إلى بريدة والتحاق أتباعه به حتى رحل من الأسياح متجهاً شمالاً . وبعد محاولة غير ناجحة لضرب فئات من مطير عاد إلى حائل . أما الملك عبد العزيز فتوجه ببعض أتباعه شمالاً حتى وصل إلى الكهفة ، ثم عاد إلى الرياض . وفي شهر رجب

(١) القاضي، ص ص ٤٧ - ٤٨ ؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ١٠٧ .

(٢) ابن هذلول، ص ١٠٥ .

(٣) القاضي، ص ٤٨ .

(٤) الريحاني، ص ٢٢٢ . ويذكر موزل (ص ٢٤٩) أن الذي قتله إبراهيم النودلي .

(٥) عند ما وصل إلى بريدة وصل إليها مندوبه صالح بن عدل قادماً من المدينة المنورة ومعه عشرة آلاف ليرة من العثمانيين محاولين استقطابه، فاستفاد بها في تجهيز أتباعه . الذكر، نسخة خاصة، ص ١٠٧ .

تصالح الطرفان<sup>(١)</sup>، لكن صلحهما لم يستمر إلا شهراً وأياماً. ذلك أن هزيمة الملك عبد العزيز أمام العجمان في كنانان أغرت ابن رشيد بنقص الصلح ومحاولة التوسع على حسابيه. فأغار على شرقي القصيم، وأخذ إبلاً وغنماً لأهل بريدة الذين كانوا يعتقدون أنه متمسك بالصلح. ثم نزل الطرّفة في منتصف رمضان، وأرسل رسالتين إحداهما إلى أمير عنيزة والأخرى إلى زعماء بريدة<sup>(٢)</sup>. يطلب من الجميع أن ينضموا إليه مشيراً إلى أنه متأكد من مقتل الملك عبد العزيز. لكن هؤلاء رفضوا طلبه، ولاموه على نقص العهد، وحذّروه من مغبّة ذلك<sup>(٣)</sup>.

ولكون ابن رشيد نازلاً قرب بريدة طلب أهلها من أمير عنيزة نجدة ترابط لديهم وتساعدهم في الدفاع عن بلدتهم، فبعث إليهم ذلك الأمير ١٢٠ رجل بقيادة ابن أخيه عبد الله الخالد. وقد هاجم ابن رشيد خبّ القبر، لكن خصومه من أهل القصيم فوّتوا عليه فرصة نيل مآربه، فعاد إلى معسكره في الطرّفة. وبينما هو في ذلك المعسكر قدم إلى القصيم سعود بن عبد العزيز (سعود الكبير) ومعه فئات من مطير

(١) القاضي، ص ٤٩؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ١١٠.

(٢) كان أمير بريدة من قبيل الملك عبد العزيز حينذاك فهد بن معمر.

(٣) القاضي، ص ٥١.

وعتبية، فخشي ابن رشيد أن ينضم إليه أهل القصيم فيقوم الجميع بمهاجمته، فانسحب من مكانه متجهاً شمالاً أواخر شوال سنة ١٣٣٣هـ. وقام سعود بهجمات ناجحة على فئات من شمّر<sup>(١)</sup>.

وقد شهد عام ١٣٣٤هـ غارات لابن الملك عبد العزيز، الأمير تركي، ومعه أتباع بينهم فئة من مطير، على مواضع قريبة من حائل. وكان الأمير سعود بن رشيد حينذاك قد خرج من قاعدة إمارته غازياً الأطراف الشمالية الشرقية من جزيرة العرب. فأسرع عائداً إلى جبل شمّر للدفاع عن بلاده<sup>(٢)</sup>.

أما عام ١٣٣٥هـ فشهدت بدلاته تغلغل نفوذ سعود بن سبهان في إمارة جبل شمّر لدرجة أنه بدأ يفكر في عزل الأمير سعود بن رشيد نفسه عن الإمارة. لكن هذا الأمير اكتشف أمره، فاضطره إلى الفرار إلى العراق حيث بقي هناك حتى قتل عام ١٣٣٩هـ. وقد حلَّ محلّه في مساعدة أمير الجبل عقاب بن عجل<sup>(٣)</sup>.

وفي أواخر عام ١٣٣٦هـ قام الملك عبد العزيز بغارة على أطراف جبل شمّر. فخرج الأمير سعود بن رشيد لمداومته<sup>(٤)</sup>. وفي بداية العام

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ١١٠.

(٢) المصدر الأول نفسه، ص ٥٢.

(٣) موزل، ص ٢٥٠؛ الدخيل، ص ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٤) القاضي، ص ٥٤؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ١٢٠.

التالي أدرك هذا الأمير أن موقفه قد بات ضعيفاً لعدة أسباب . منها أن  
 الدولة العثمانية التي كانت إلى جانبه قد هُزِمت في الحرب . ومنها أن  
 هيئات من شَمَرِ اعتنقت حركة الإخوان المشهورة ، فأصبح ولاؤها  
 السياسي للملك عبد العزيز . ولذا طلب الصلح من الملك ،  
 فاستجاب له (١) .

---

(١) المصدر الأول نفسه ، الصفحة ذاتها .



## ٢ - قضية العجمان:

سبقت الإشارة إلى ما حدث من قبيلة العجمان في معركة جُراب. وكان ذلك مما أغضب الملك عبد العزيز عليها. لكن تعامله معها ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلاقة مع الكويت. فقد توجهت تلك القبيلة بعد المعركة المذكورة إلى شمال شرقي الجزيرة العربية، وأخذت تعتدي على قوافل التجارة وبعض العشائر هناك وكان من تلك القوافل والعشائر ما هو تابع لأمر الكويت وأهلها<sup>(١)</sup>. فاستنجد ذلك الأمير بالملك عبد العزيز لرد ما أخذته من أتباعه.

وتردد الملك في بداية الأمر في اتخاذ إجراء ضد قبيلة العجمان لعدم ثقته بصدق موقف من استنجد به عند الحاجة. ثم استجاب له بعد أن عاهده على أن يمدّم برجال وسلاح<sup>(٢)</sup>. وألاً يستقبل تلك القبيلة إن لجأت إلى الكويت، وألاً يتوسط بينه وبينها في الصلح مستقبلاً<sup>(٣)</sup>. على أن زعماءها لم ينتظروا، فقد توجهوا بقبيلتهم إلى الأحساء ذاتها، وناصرهم من ناصرهم من أحفاد الإمام سعود بن فيصل المناوئين للملك عبد العزيز حينذاك<sup>(٣)</sup>. وكان هذا وذاك من بين الأسباب التي دفعت الملك عبد العزيز إلى التوجه إلى الأحساء لمحاربتهم.

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠٩؛ ابن هذلول، ص ١٠٥.

(٢) الريحاني، ص ٢٢٥؛ خزعل، ج ٢، ص ٢١٧.

(٣) القاضي، ص ٤٩؛ الذكير، نسخة خاصة، ص ١٠٨.

ووصل إلى هناك في شهر شعبان، سنة ١٣٣٣هـ، ومعه مئات من

الحاضرة، وانضم إليه آخرون من حاضرة تلك المنطقة وباديتها، ثم انطلق بهؤلاء لمهاجمة العجمان ليلاً في كَنْزَان. لكنهم كانوا على علم

بتحركه، فأوقدوا النيران لإيهام المهاجمين بأنهم مقيمون، وانسحبوا من خيامهم إلى مكان تحيط بها. وانطلق الأمر على المهاجمين، فراحوا

يطلقون نيران بنادقهم على ما كانوا يرون أمامهم من خيام وأشجار ظناً منهم أن تلك النيران موجهة إلى خصوصهم. ولما كادت ذخائرهم تنفذ

انقضَّ عليهم العجمان من كل اتجاه، فجلَّت بهم الهزيمة، وجرح

الملك عبد العزيز، وقُتِل أخوه سعد. وكان ذلك في

١٥ / ٨ / ١٣٣٣هـ<sup>(١)</sup> (٢٧ / ٦ / ١٩١٥م). وانسحب المنهزمون إلى

بلدة الهفوف قاعدة المنطقة. فتعقبهم العجمان، وفرضوا حصاراً على تلك البلدة وقراها. وظل الوضع كذلك ثلاثة أشهر تقريباً حتى

وصلت إلى الملك قوة من نجد بقيادة أخيه محمد. ثم وصلت إليه نجدة أخرى من الكويت بقيادة سالم الصباح. وبات موقف العجمان

يضعف تدريجياً حتى قرروا الانسحاب من مواقعهم، وتوجه أكثرهم شمالاً. فخرج الملك عبد العزيز في إثرهم، وقسم أتباعه إلى فرقتين:

إحداهما بقيادة تهاجمهم، والأخرى بقيادة أخيه محمد وسالم الصباح تطاردهم إذا انهزموا. ولما فعلت المدافع التي معه فعلها انهزم

العجمان، فتبعهم محمد وسالم. لكن سالماً توقف عن مهاجمتهم

(١) القاضي، ص ٤٩؛ آل عبد القادر، ج ١، ص ٢١٤.



لأسباب تختلف المصادر في تحديدها<sup>(١)</sup>. وقد أثار ما فعله سالم غضب الملك عبد العزيز، ثم اشتد غضبه حينما قبل مبارك التجاء العجمان إلى الكويت. على أن الأجل وافي مباركاً في شهر المحرم سنة ١٣٣٤هـ<sup>(٢)</sup>. فحاول خليفته جابر أن يحسّن علاقته بالملك عبد العزيز، وطلب من العجمان النزوح عن بلاده، فتوجّه أكثرهم شمالاً، ونزلوا في صفوان بإذن من أمير الزبير. وتعهّدوا - بضمانة بريطانية كويتية مشتركة - ألاّ يقوموا بأعمال عدائية ضد الملك عبد العزيز. لكن وفاة جابر بعد عام وشهرين تقريباً من تولّيه الحكم جاءت بأخيه سالم إلى ذلك الحكم. ومنذ بدأ عهد هذا الأخير بدأ ي تلاشى ما تعهّد به العجمان، وأخذوا يشنون غارات على أتباع الملك عبد العزيز عبر الأراضي الكويتية. لكن تصميم الملك عبد العزيز جعل بريطانيا تضغط على أمير الكويت بعدم التعاون معهم، فاضطروا في نهاية الأمر إلى تغيير موقفهم، وتعهّدوا بالانقياد للملك عبد العزيز، فعفا عنهم، وعادوا إلى مواطنهم السابقة في منطقة الأحساء، والتحق بعضهم بحركة الإخوان. وذلك سنة ١٣٣٧هـ<sup>(٣)</sup>.

(١) يذكر خزعل (ج ٢، ص ٢١٨) أن ذلك عائد إلى تسلّمه رسالة من أحد قادة القبيلة بعثها أبوه مبارك إلى ذلك القائد يأمره فيها ألاّ يشترك في قتال العجمان. ويذكر الوكيل السياسي البريطاني في الكويت - نقلاً عن خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ١٧٦ - أن زعيمين من زعماء القبيلة وصلاً إلى سالم وعرضاً عليه السلام. فأخبرهما أن ذلك عائد إلى أبيه أو الملك عبد العزيز، فسار أحدهما إلى أبيه، واصطالح معه.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ص ١٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٧ - ٢٠٧.

### ٣- الملك عبد العزيز والملك حسين:

بدأ شريف مكة، الحسين بن علي، نشاطاً واسعاً لتقوية وضعه العسكري عام ١٣٣٣هـ: ومن ذلك أنه فتح الباب أمام من يريدون أن ينخرطوا في سلك جيشه. فالتحق به عدد كبير من أهل نجد<sup>(١)</sup>. وفي العام التالي اشتد الخلاف بينه وبين حكومة الاتحاد والترقي التركية. وكانت تلك الحكومة قد عمدت إلى تتركيز ولاياتها العربية؛ إدارة وتعليماً، مما زاد من الشعور القومي العربي ضدها. وحاولت أن تطبّق على ولاية الحجاز ما تطبّقه على الولايات الأخرى من حيث تعميق السياسة المركزية<sup>(٢)</sup>. وبذلك أصبح الحسين بن علي في صف واحد مع الوطنيين القوميين في بلاد العرب الأخرى؛ خاصة العراق والشام<sup>(٣)</sup>.

وكانت بريطانيا في تلك الفترة تواجه عقبات عسكرية من تركيا وألمانيا مما دفعها إلى التحالف مع الحسين بن علي، ومن يقف معه؛ أملاً في التغلّب على تلك العقبات. وبذلك التقت مصالحها مع مصالحه، واتّفقا على العمل معاً. وتمخّض عن ذلك ما عُرف تاريخياً بالثورة

(١) يذكر القاضي (ص ٥١) أنه التحق بجيش الشريف من أهل القصيم وحدهم حوالي ٥٠٠ رجل.

(٢) وهيم، ص ٣٧.

(٣) كانت إجراءات جمال باشا، والي دمشق، ضد أولئك الوطنيين من أفسى ما قام به الولاة الأتراك.

العربية، التي أطلق الحسين رصاصتها الأولى من مقرّه في مكة يوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤هـ (١٠/٦/١٩١٦م) (١).

وكان لعبد الله بن الحسين أثر كبير في إقناع والده للقيام بالثورة متعاوناً مع بريطانيا. وليس المجال، هنا، مجال حديث عما دار بين هذه الدولة الماكرة والحسين من محادثات ووعود واتفاقيات مما فصلته كثير من المصادر والبحوث. لكن من الممكن إيجاز ما تمّ من خطوات على أرض الحجاز ذاتها.

طلب الأتراك من الحسين إرسال متطوعين من الحجاز، فانتهاز الفرصة وأوعز إلى عدد من هؤلاء أن يرقوا إلى جمال باشا في دمشق بأنهم يأملون أن يكونوا تحت قيادة فيصل بن الحسين، الذي كان لدى ذلك السوالي حينذاك. فانطلت عليه الحيلة، وأذن لفيصل بالتوجه إلى الحجاز. ولما وصل إلى المدينة المنورة اجتمع بأخيه علي الذي كان عند قائد الجيش التركي فيها، فخري باشا. واستأذناه في الخروج منها لجمع المتطوعين. خُذع بكلامهما، فأمدّهما بهال وذخيرة، وجمعا المتطوعين للثورة ضد العثمانيين لا للقتال معهم. وبعد إعلان الحسين الثورة في مكة استسلمت حامية جدة لقواته المدعومة ببوارج بريطانية. ثم تلتها

(١) السباعي، ج ٢، ص ٢٢٤. وقد أصبحت الحجاز مملكة في أول المحرم سنة ١٣٣٥هـ. وهيم، ص ٦٢.

حامية مكة، ثم حامية الطائف. ورداً على ذلك عين العثمانيون علي حيدر، الذي كان حينذاك في الأستانة، شريفاً لمكة. فتوجّه من هناك إلى دمشق حيث جهّزه جمال باشا بسرعة إلى المدينة المنورة.

وكان فخري باشا قد حقق بعض الانتصارات على الثائرين حول المدينة. وقد استمال الشريف علي حيدر بعض القبائل هناك. لكن انهيار المقاومة العثمانية في الشام أضعف موقف فخري باشا رغم ما أبداه من صمود ونشاط. وقاسى أهل المدينة حصاراً شديداً، فشجّعهم فخري باشا على الخروج منها. ولعلّ من أسباب ذلك خوفه من انقلابهم عليه، ورغبته في الحفاظ على ما فيها من مؤن لقواته (١). ولما أعلنت هدنة الحرب العالمية أوائل صفر من عام ١٣٣٧هـ، المتضمّنة جلاء العثمانيين عن بلاد العرب أمرت الحكومة العثمانية فخري بالتسليم، لكنه لم يمثل. بل ظل يقاوم حتى رأى فرق جيشه تستسلم للجيوش المحاصرة، فاضطر إلى الاستسلام في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ (٢).

ولقد شهد عام ١٣٣٣هـ عدم نجاح الملك عبد العزيز في جراب، ثم هزيمته في كتزان (٣). وكان هذا وذاك من بين العوامل التي دفعته

(١) القاضي، ص ٥٣.

(٢) السباعي، ص ص ٢٢٠ - ٢٣١.

(٣) انظر ص ص ١٤٦ - ١٤٧ و ١٥١ - ١٥٢.

إلى عقد معاهدة دارين المشهورة مع بريطانيا في صفر من العام التالي .  
ومع أن بعض بنود هذه المعاهدة تمنح تلك الدولة نوعاً من النفوذ  
عليه ، وتحدُّ من حركاته ضد بلدان الخليج المرتبطة معها بمعاهدات  
حماية ، فإن في بعض بنودها الأخرى اعترافاً بسيادته على ما تحت يده  
من مناطق وتعهّداً بحمايته ضد أي عدوان خارجي ضده (١) .

ولما قام الحسين بن علي بثورته وقف الملك عبد العزيز منه موقفاً  
حذراً ، لكنه أقرب ما يكون إلى الحياد ؛ انسجاماً مع الظروف التي كان  
يمرُّ بها . كان يخشى أن تصبح تلك الثورة وسيلة يتقوى بها الحسين  
مستقبلاً ، فيهدّد بلاده وحكمه . ومن هنا فاتح المسؤولين البريطانيين  
في الخليج بشأنها . وقد حاول هؤلاء طمأنته بأنه لن يحصل عليه أيُّ  
اعتداء . فتبادل الرسائل الودية والهدايا مع الحسين ، وسمح لأتباعه  
بالانخراط في جنديته (٢) . لكن الحسين ما لبث أن أعلن نفسه ملكاً  
للبلاد العربية كلها . وكان هذا مما زاد من مخاوف الملك عبد العزيز  
وغضبه . وقد قام ممثل بريطانيا في الخليج بدعوته إلى الكويت ، وأسفر  
الاجتماع به عن أمور منها تخصيص مساعدة مالية شهرية له ، وإمداده  
بشيء من الأسلحة ، وضمان عدم تدخل الحسين في شؤونه الخاصة أو

(١) انظر عن هذه المعاهدة الزركلي ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ؛ ترولر ، ص ص ٨٣ - ٨٩ .

(٢) القاضي ، ص ص ٥١ و ٥٣ ؛ الريحاني ، ص ٢٣٥ .

التحدُّث باسم العرب باعتباره ملكاً عليهم<sup>(١)</sup>، على ألاَّ يقوم الملك عبد العزيز بأيِّ نشاطٍ ضده<sup>(٢)</sup>. ولعلَّ من أسباب تجاوب بريطانيا النسبيِّ مع الملك عبد العزيز خشيتها من أن يفتح جبهة ضد الحسين، الذي كانت حينذاك تعتمد عليه كثيراً ضد العثمانيين في جزيرة العرب والشام والعراق.

### العرب والعرب

ومرَّ عام ١٣٣٥هـ بهدوء نسبي في العلاقات بين عبد العزيز والحسين. واستمرت الرسائل الوديَّة بين الطرفين. بل إنَّ الأول أبدى استعداداً للمساهمة في القتال إلى جانب الثاني لولا المشكلات الداخلية التي كانت تواجهه. وفي طليعتها مشكلته مع آل رشيد<sup>(٣)</sup>. وختِم ذلك العام بحج عشرات الآلاف من النجديين بقيادة محمد بن عبدالرحمن، أخي الملك عبد العزيز، فلقي في مكة حفاوة واهتماماً كبيرين<sup>(٤)</sup>. لكن نوعاً من التوتر طرأ على تلك العلاقات في العام التالي. وكان من أسبابه انضمام فئات من القبائل الموجودة على الحدود

(١) وهيم، ص ٢٨٨.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ٣١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١١.

(٤) الذكر، نسخة خاصة، ص ١١٦، العبيد، ص ١٩٦. وقد ذكر ابن هذلول (ص ١١٣) أن ذلك الحج حدث سنة ١٣٣٦هـ. ويبدو أن ذلك غير صحيح لأن النزاع بين عبدالعزيز والحسين حول تربة والخزمية كان مشتتاً آخر تلك السنة.

ما بين نجد والحجاز إلى حركة الإخوان . على أن الذي أوقد شرارة الخلاف بين الملكين العربيين إظهار كثير من سكان تربة والحُرمة التابعين إدارياً حينذاك للحسين حماسهم للمبادئ التي قام عليها الحكم السعودي ؛ وهو أمر تعود جذوره إلى عهد الدولة السعودية الأولى . وفي طليعة هؤلاء أمير الحُرمة الشريف خالد بن لؤي ، الذي أدت أسباب مختلفة إلى خروجه عن طاعة الحسين سنة ١٣٣٦هـ (١) . وحاول الحسين إخضاعه بالقوة ، ووجه إليه عدة حملات ؛ منها ما كان بقيادة الشريف شاكر بن زيد . لكن لخالد وأتباعه ومن انضم إليهم

(١) يذكر العبيد (ص ص ١٨٤ و ١٩٦) - وكان مقيماً عند خالد حينذاك - أن ذلك الشريف قدم مع وفد من بلده إلى الملك عبد العزيز في الأضواء عام ١٣٣٤هـ ، فأكرمه الملك . وغضب عليه الحسين لذهابه ، فأفهمه أنه كان يقصد تحسين العلاقة مع عبد العزيز لتتاح الفرصة لباديته كي ترعى في أراضي نجد الواسعة . ومنذ تلك الحادثة بدأ النفور بين خالد والحسين . وفي العام التالي كان خالد مع عبد الله بن الحسين في حصار المدينة المنورة ، وكان الشريف شاكر بن زيد يسخر من تدبير خالد ، فاستأذن خالد عبدالله ليزور أهله في الحُرمة ، فأذن له . وبوصوله إلى بلده أظهر الخلاف مع الحسين .

ومن المصادر ما يعزو رجوع خالد إلى بلده إلى شجار حدث بينه وبين فاجر بن شليويح العتيبي وهما في ذلك الحصار ، فلطم فاجر خالداً ، لكن عبد الله بن الحسين لم يعاقب فاجراً العقاب الذي أمّله خالد ، فاستأذن في العودة إلى بلاده ، فأذن له . ومن تلك المصادر ابن هذلول ، ص ١١٤ . ويبدو أن كلاً من سخريه شاكر بخالد والشجار مع فاجر قد حدثا ، فاجتمعا مع أسباب أخرى من أبرزها التوجه العقدي لتزيد الخلاف بين خالد والحسين . ومما هو جدير بالذكر أن حملة وجهت إلى خالد بقيادة شاكر ، وأن فاجر بن شليويح قد هاجم أهل إبل من سبيع في الحُرمة آخر يوم من ذي القعدة عام ١٣٣٦هـ ، فأصابته رصاصة من هاجمهم ، وأردته قتيلًا . العبيد ، ص ٢٠٤ .

من الإخوان؛ خاصة من هجرة الغطط، ألحقوا هزائم ساحقة بتلك الحملات. وكانت خاتمة المعارك بين الطرفين حول الواحيتين معركة تُرَبَّة المشهورة، التي حدثت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وستأتي تفصيلاتها إن شاء الله.



## ٤- قيام حركة الإخوان :

من الثابت أن كلمة «الإخوان» كانت تطلق على طلاب العلم والمرتبطين بهم، أو المتحمسين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منذ عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>(١)</sup>. لكنها أصبحت ذات دلالة تاريخية مرتبطة بحركة البادية الاستيطانية التي تمت على نطاق واسع في عهد الملك عبد العزيز. ولقد كتب عن هذه الحركة كثير من المؤرخين والباحثين؛ نشأة، وتطوراً، ثم مجابهة مع الملك<sup>(٢)</sup>.

والتأمل في سيرة الملك عبد العزيز يتضح له ما حباه الله به من صفات قيادية. ومن هذه الصفات مقدرته على استنتاج العبر من التاريخ، وما كان يمرُّه من تجارب. لقد أدرك أن من أسباب نجاح أسلافه من آل سعود مناصرتهم للعقيدة الإسلامية الصافية، وتطبيقهم للشريعة الغراء. وأدرك، أيضاً، أن العمود الفقري لقوة أولئك الأسلاف في مواجهاتهم مع خصومهم كان الحاضرة من السكان، وأن القبائل الرحّل - بسبب ما توارثته من تقاليد وما تفتقر إليه من معرفة بالدين حينذاك - كانت تقف بجانب المنتصر في أوقات انتصاره، لكن

(١) حسين بن غنّام، روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، القاهرة، ١٣٦٨هـ، ج ١، ص ١٧١.

(٢) من الكتب الجيدة عنها كتاب جون حبيب؛ وترجمة عنوانه: محاربو ابن سعود في سبيل الإسلام، لايدن، ١٩٧٨م.

غالبيتها سرعان ما تغير موقفها إذا بدت بوادر ضعفه . ولقد زادت تجاربه الخاصة، خلال السنوات العشر الأولى من مسيرة توحيدہ للبلاد، اقتناعاً بأن البدو الرحّل ليس من السهل صرفهم عن أمور درجوا عليها من مئات السنين؛ كتبادل الغزوات، ومهاجمة القوافل التجارية، وليس من الممكن أن يعتمد عليهم في المعارك كما يعتمد على الحاضرة. بل إن من الصعب السيطرة عليهم أمنياً. ومن ثمّ جاءت فكرته الرائدة الذكية للانطلاق بما عُرف تاريخياً بحركة الإخوان<sup>(١)</sup>.

لقد بدأت تلك الانطلاقة ببعث الدعوة إلى القبائل يرشدون زعماءها وأفرادها إلى دين الله القويم، ويحثونهم على هجر ما كانوا عليه من أمور لا تتفق مع أحكامه، والاستيطان في أمكنة معينة لتسهيل عليهم معرفة تلك الأحكام وتطبيقها. وبدأت تلك الجهود تؤتي ثمارها عندما قدمت إلى حرمة جماعة من قبيلة حرب من أعيانهم سعد بن ميثب ومعهم أفراد من قبيلة مطهر للاستقرار ومعرفة أمور دينهم؛ وذلك عام ١٣٣٠ هـ. ثم انتقلوا في العام نفسه إلى مورد الأرتاوية، وبدأوا يبنون مساكن لهم هناك. وأطلقوا على مستوطنتهم الجديدة اسم «هجرة»؛ إشارة إلى هجرهم نمط حياتهم الأول والانتقال إلى نمط جديد يعتمد

(١) ابن ناصر، ج ١، ص ٨٣.

على أسس دينية. وهكذا نشأت الهجرة الأولى التي أصبحت، فيما بعد، مركزاً لزعيم قبيلة مطير فيصل الدويش. ثم توالى إنشاء الهجر في مواطن القبائل المختلفة. وكان من أعظمها شأناً هجرة الغنطمة مقر زعيم أحد فرعي قبيلة عتيبة الكبيرين: سلطان بن بجاد. ولقد شجّع الملك عبد العزيز أولئك الذين رغبوا في الاستقرار ببعض المساعدات؛ خاصة بناء المساجد، وتأمين الكتب الدينية، وإرسال الدعاة والمعلمين. وأصبح أولئك المستقرون الجدد والمنضمون إلى تلك الحركة يتخذون اسم «الإخوان»؛ إشارة إلى أن ما أصبح يربط بينهم ليس رباط القبيلة، بل رباط الأخوة الدينية المقتبس من قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وبلغ تحمسهم لحياتهم الجديدة درجة جعلتهم يعارضون من لم ينضم إلى الحركة وإن كان من قبائلهم؛ ناهيك عن أن يكون من قبائل أخرى. على أنه من المؤكد - شأن كثير من الحركات - أن بعضاً ممن انضموا إلى حركة الإخوان لم يكن انضمامهم إليها نابعاً من اقتناع ديني؛ بل نتيجة خوف من بأس أولئك المنضمين ومن يؤيدونهم، أو رغبة في مشاركتهم الغنائم التي يكسبونها. وكان من فوائد الحركة لمسيرة توحيد البلاد مليلي:

(١) آية ١٠، الحجرات.

(٢) آية ١٠٣، آل عمران.

١ - القضاء، بدرجة كبيرة، على اعتداءات بعض القبائل على البعض الآخر، واعتداءاتها على الآخرين.

٢ - تكوين وحدات عسكرية تجمع بين التجربة القتالية والحماس الديني مما جعلها تستبسل في سبيل الهدف الذي اقتنعت به، والذي كانت تطمح إليه الحكومة المركزية. ولعلَّ جهود الإخوان بين سنتي ١٣٣٦ و١٣٤٤هـ أكبر دليل على ذلك.

٣ - التخفيف من حدة الولاء القبلي لزعماء القبائل لحساب الرعامة الدينية المتمثلة في الحكومة المركزية.

٤ - تسهيل مهمة الحكومة المركزية في الحفاظ على الأمن. فالتعامل مع من ارتبط بالأرض؛ سكنًا وزراعة، أيسر من التعامل مع من ينتقل من وادٍ إلى وادٍ ومن موضع إلى آخر.

ومع أن الآثار الإيجابية لحركة الإخوان لم تظهر بشكل فعّال إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فإن تكوين تلك الحركة خلال هذه الحرب كان من أعظم الأحداث في تاريخ البلاد<sup>(١)</sup>.

---

(١) من الأمور التي لا بد من الإشارة إليها الوباء الذي حدث خلال الشهور الثلاثة الأولى من عام ١٣٣٧هـ. وقد توفي بسببه آلاف من النجديين بينهم الأمير تركي بن عبد العزيز. ويسمّي السكان المحليون ذلك العام «سنة الرحمة»؛ تفاؤلاً منهم في أن يرحم الله من مات نتيجة ذلك الوباء.

# استكمال كوحيد نجد

لقد كان لنجاح الملك عبد العزيز في توحيد منطقة الأحساء والقطيف مع ما وحده من أقاليم نجد أثر واضح في تعزيز موقفه؛ وذلك لما تتميز به تلك المنطقة من إمكانيات اقتصادية. ثم جاء تمكنه من حل مشكلة العجمان ليزيد في تعزيز ذلك الموقف. على أنه لم يجل عام ١٣٣٧هـ إلا وقد تبلورت فائدة حركة الإخوان الذين أصبحوا قوة ضاربة في صفوف جيشه، كما برهنت على ذلك معركة ثربة المشهورة، هذا العام، وما تلاها من معارك<sup>(١)</sup>. وكان من حسن حظه أن تلك الأمور المفيدة له قد زامنها حدوث خلاف بين آل سبهان، الذين كانت لهم سلطة واضحة في تسير إمارة جبل شمر. بل إن فئات من قبيلة شمر ذاتها انضمت إلى حركة الإخوان، فأصبح ولاؤها للملك عبدالعزيز بدلاً من زعماء ذلك الجبل. ثم انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة الدولة العثمانية التي كانت سندا قويا لأولئك الزعماء. واجتمعت تلك العوامل لتزيد من ضعفهم يوماً بعد آخر.

على أن الكارثة الكبيرة لآل رشيد حدثت في شهر رجب من عام

١٣٣٨هـ عندما أقدم عبيد الله بن طلال على قتل الأمير سعود بن

(١) سيأتي الحديث عن تلك المعركة إن شاء الله.

عبد العزيز غدرًا خارج بلدة حائل<sup>(١)</sup>. وقد قتل مماليك سعود ذلك القتال فوراً، وعادوا إلى البلدة ومعهم عبد الله بن متعب بن عبدالعزيز، الذي بويع أميراً للجبل. لكن موقفه كان ضعيفاً جداً. ولعل ذلك الضعف كان أحد الأسباب التي دعت إلى إرسال وفد إلى الملك عبد العزيز أملاً في تجديد ما كان بين الملك وإمارة الجبل من صلح. لكن الملك اشترط أن تكون لآل رشيد إدارة الشؤون الداخلية للإقليم، وأن تكون الشؤون الخارجية في يده، فلم يتفق الطرفان<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن غريباً أن يتخذ الملك عبد العزيز ما اتخذته من موقف حازم تجاه إمارة جبل شمر. ذلك أن موقفه العسكري قد أصبح قوياً جداً؛ برهن عليه ما حدث في ثربة سنة ١٣٣٧هـ، ثم ما كان من نجاح في منطقة عسير سنة ١٣٣٨هـ. وبالإضافة إلى هذا فإنه رأى ضرورة إنهاء

إمارة آل رشيد لئلا يحدث تحالف بينهم وبين الأشراف الذين يحيطون به

(١) عبد الله بن طلال هو ابن لنايف بن طلال بن عبد الله بن علي بن رشيد. وكان سعود بن عبد العزيز قد خرج من حائل للنزهة ومعه ابن أخيه عبد الله بن متعب وعدد من مماليكه وخدمه. ولحق به عبد الله بن طلال، ثم أخذاً يتنافسان في إصابة هدف وضعاه في الصحراء. وبينما هما كذلك غدر عبد الله بسعود، فصوب نار بندقيته إليه، وأرداه قتيلاً. ثم جرت معركة بينه وبين مماليك سعود حتى قتلوه. وبعد عودتهم إلى حائل بعبد الله بن متعب كادت تقع فتنة بينه وبين محمد بن طلال، لكن الموقف انتهى بذهاب محمد إلى الجوف مؤقتاً. انظر عن ذلك القاضي، ص ٥٦ والذكر، نسخة خاصة، ص ١٢٨.

(٢) القاضي، ص ٥٨؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ص ١٢٨ - ١٢٩.

في كلٍ من الحجاز والأردن والعراق . وهكذا توافرت الأسباب لبدأ عملياته العسكرية ضد تلك الإمارة، فيوحّد ما تحت يدها مع ما وَحَّده سابقاً .

وقد بدأت تلك العمليات في شوال عام ١٣٣٨هـ عندما

أرسل الملك عبد العزيز ابنه سعوداً بقوة كبيرة من الإخوان صوب جبل شمّر، فنجحت تلك القوة في إغارتها على فئة من قبيلة شمّر في الشُعبيّة (١) . ثم عادت من هناك (٢) . وانشغل الملك عبد العزيز خلال الشهور الأولى من السنة التالية بأمر الكويت . فلما فرغ من ذلك أذن للإخوان بمهاجمة بلدان جبل شمّر وباديته . وذهبت فرقة قليلة العدد منهم إلى هناك ، فنجحت في اشتباكاتهما مع فئات من شمّر وابن رشيد رغم كثرة خصومها (٣) . ثم توجه الملك عبد العزيز نحو القصيم ، وأمر أتباعه ؛ خاصة الإخوان ، بالتجهّز لغزو جبل شمّر . فلما اجتمعوا قسمهم إلى قسمين ، وجعل قيادة أحدهما لابنه سعود ، والآخر لأخيه محمد (٤) . فاتجه سعود بمن معه وهاجم فئات من بادية شمّر ، وغنم

(١) تقع شرق حائل بميل نحو الشمال .

(٢) القاضي ، ص ص ٥٦ - ٥٧ ؛ الذكر ، نسخة خاصة ، ص ١٢٩ .

(٣) القاضي ، ص ٥٨ .

(٤) أكثر المصادر التي اطلعت عليها تذكر ذلك ؛ مثل القاضي ، ص ٥٨ ؛ الذكر ، نسخة خاصة ، ص ١٤١ ؛ الريحاني ، ص ٢٧٨ . لكن ابن هذلول ينفرد بالقول (ص ١٣٠) إن قسماً ثالثاً كان بقيادة فيصل بن عبد العزيز . ويبدو أن فيصلاً كان تحت راية أخيه سعود في تلك الغزوة كما نص على ذلك فؤاد حمزة ، البلاد العربية السعودية ، ص ٦٠ .

منها أموالاً كثيرة. وتوجه محمد حتى وصل إلى أطراف حائل، وبدأ يحاصرها. فاستأذنه كبارها أن يسمح بذهاب وفد منهم لمفاوضة الملك عبد العزيز، فأذن لهم. وعرض الوفد على الملك أن تكون الشؤون الخارجية في يده، لكنه رفض ذلك، وطالب بأن يدخل الإقليم فيما دخلت فيه بقية أقاليم البلاد الموحدة تحت رايته. ولم يرض آل رشيد وأنصارهم بذلك<sup>(١)</sup>. فاستمر الحصار لحائل. على أن الملك استدعى أخاه محمداً، وجعل القيادة كلها لابنه سعود. ولما اشتد الحصار على البلدة قدم إليها محمد بن طلال بن رشيد بترتيب مع بعض زعمائها<sup>(٢)</sup>. وخاف منه الأمير عبد الله بن متعب. فكان ذلك من بين عوامل خروجه إلى معسكر الأمير سعود بن عبد العزيز، ولجؤه إليه. وقد ركب به سعود إلى أبيه. الذي لم يرض عن مغادرة ابنه مركزه في الحصار<sup>(٣)</sup>. واستغل محمد بن طلال فرصة خروج ابن متعب من حائل، فاستولى على مقاليد الأمور فيها. ثم انتهز فرصة ابتعاد سعود ابن عبد العزيز عن البلدة، فخرج منها، وشنَّ حملات على السرايا السعودية التي كانت حولها<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الريحاني، ص ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) القاضي، ص ٥٨.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٤١؛ ابن هذلول، ص ١٣١.



وحينئذ أمر الملك عبد العزيز فيصلاً الدويش، أحد قادة الإخوان، أن يتوجه بأتباعه إلى جبل شمّر، ويبدأ بمحاصرة بلدانه. فلما اقترب الدويش من ذلك الجبل علم أن ابن طلال قد خرج من حائل لمجاботه، واعتقد أنه متّجه إلى الجُثامية، فسبّقه إليها. أما ابن طلال فاتخذ من النيصية القريبة منها مركزاً له. وتبادل الطرفان الإغارات الخفيفة<sup>(١)</sup>. ثم وصل إلى هناك الملك عبد العزيز بقوة كبيرة من الحاضرة والإخوان المتمعين إلى قبائل مختلفة، ومعه عدد من المدافع. وخطط تخطيطاً جيداً للهجوم على ابن طلال وأنصّاره بأن أرسل فئات من الإخوان ليلاً للإحاطة بهم وقطع خط انسحابهم إلى حائل. ثم بدأ الهجوم عليهم مع انبلاج الفجر من جميع الجهات مستخدماً المدافع في المعركة. فقُتل كثير من المهاجمين، ولجأ الباقيون إلى جبل أجأ حيث واصلوا انسحابهم إلى حائل<sup>(٢)</sup>.

وواصل الملك عبد العزيز زحفه بأتباعه صوب حائل، فشدّد الحصار عليها، واستبسل أهلها في الدفاع عنها. لكن إحكام الحصار حولها، ونفاد كثير من المؤن لدى سكانها، أضعفا موقفهم جداً. وحاول ابن طلال أن يقنع بريطانيا بالتوسط بينه وبين الملك

---

(١) يقال: إن ابن طلال كتب إلى الدويش يدعوه إلى تحكيم كتاب الله بينها؛ محاولة منه لطمأنته حتى يفاجئه بهجوم خاطف، وأن محاولته نجحت. انظر الريحاني، ص ٢٨٠.

(٢) القاضي، ص ص ٥٨ - ٥٩؛ الريحاني، ص ٢٨١.

عبدالعزیز، فلم تنجح محاولته<sup>(١)</sup>. واقتنع كثير من سكان البلدة أن استمرار مقاومتهم لا فائدة منه. فرأى بعض كبارهم، بقيادة إبراهيم ابن سبهان، أن يتصلوا بالملك، ويتفقوا معه على تسهيل دخوله إلى بلادهم مقابل الأمان لأهلها. وتم ذلك الدخول دون إراقة دماء. ولما علم ابن طلال بالأمر اعتصم بقصر الإمارة. ثم طلب الأمان لنفسه من الملك، فمنحه إياه. وذلك في التاسع والعشرين من صفر عام ١٣٤٠هـ (٢) / ٣١ / ١٠ / ١٩٢١ م. وبهذا توحد إقليم جبل شمر مع ما سبق توحيده من أقاليم البلاد ومناطقها.

ولقد عامل الملك عبد العزيز أهالي حائل بالحسنى، فوزع عليهم ما لديه من أطعمة كانوا في أمس الحاجة إليها حينذاك نتيجة الحصار السابق لها<sup>(٣)</sup>. ثم عاد من هناك إلى الرياض ومعه ابن طلال وبقية أفراد آل رشيد حيث بقوا معززين مكرمين<sup>(٤)</sup>. وعين في إمارة الجبل إبراهيم بن سبهان، ثم أحل محله عبد العزيز بن مساعد بن جلوي<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٨٣.

(٢) القاضي، ص ٥٩؛ الريجاني، ص ٢٨٣.

(٣) القاضي، ص ٥٩؛ الريجاني، ص ٢٨٤.

(٤) الزركلي، ج ١، ص ٢٥٦.

(٥) القاضي، ص ص ٥٩ - ٦٠. وكان تعيين ابن مساعد في رمضان سنة ١٣٤٢هـ.

# توحيد منطقة عسير



سبق الحديث بإيجاز عن أوضاع منطقة عسير بعد اجتياح قوات محمد علي باشا، والي مصر، لها<sup>(١)</sup>. وتبيّن من ذلك الحديث كيف استمر زعماءؤها في مقاومة تلك القوات، ثم في مقاومة جيوش الدولة العثمانية. ومع أن هذه الجيوش تمكّنت من السيطرة على المنطقة فإن المقاومة نشطت من وقت لآخر.

وفي نهاية الأمر جعل العثمانيون - بوساطة من شريف مكة - حسن ابن عائض معاوناً للمتصرّف في عسير. وبعد اضطرارهم إلى مغادرة المنطقة، عام ١٣٣٦ هـ، استقلّ حسن بحكمها.

على أن انسحاب العثمانيين من عسير جعل كلاً من الإدريسي، حاكم جازان، والملك حسين، حاكم الحجاز، يتطلّع إلى مدّ نفوذه عليها. واتصل قادتها بهذين الحاكمين ليروا ما يمكن عمله<sup>(٢)</sup>. ويقال: إنهم عقدوا اتفاقاً مع الإدريسي ليكونوا تحت مظلّته<sup>(٣)</sup>. لكن جهود الملك حسين، فيما يبدو، أقنعت بعضهم على الوقوف معه هو. وحدث بينهم وبين الإدريسي قتال رجحت فيه كفتهم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ص ص ١٥ - ١٨ من هذا الجزء من الكتاب.

(٢) العقيلي، ج ٢، ص ٧٣٨.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٤٠.

وبينما كانت الأحداث السابقة تجري في منطقة عسير كانت مكانة الملك عبد العزيز تزداد قوة وانتشاراً؛ خاصة في الجهات المجاورة لتلك المنطقة. ومن عوامل ذلك ما حققه أتباعه من انتصار عظيم على قوات الملك حسين في تربة سنة ١٣٣٧ هـ. ومن المرجح أن وهج حركة الإخوان قد وصل إلى فئات من قبائل منطقة عسير؛ مثل قحطان وزهران، في تلك الفترة. ولعلّ هذا كان سبباً من أسباب حدوث خلاف بين تلك الفئات والأمير حسن بن عائض<sup>(١)</sup>. ونتيجة لهذا الخلاف اتصل قادة الفئات المذكورة بالملك عبد العزيز يشكون إليه تصرف أميرهم ضدّهم. وسارع الملك إلى إرسال وفد إلى هناك محاولاً التوسط بين الطرفين. لكن ابن عائض عدّ ذلك تدخلاً في شؤونه الداخلية، ورفض التوسط<sup>(٢)</sup>. واجتمع هذا الرفض مع عوامل أخرى مهمّة؛ منها وجود علاقة جيدة حينذاك بين الملك عبد العزيز والإدريسي المناوئ لابن عائض، وحدّرُ الملك من امتداد نفوذ الملك حسين إلى المنطقة، وما كان يوجد من ارتباط عسير فترة من الفترات بالحكم السعودي. فرأى الملك عبد العزيز أن الوقت مناسب لتحركه

(١) عزت بعض المصادر حدوث الخلاف إلى سوء معاملة الأمير حسن لتلك القبائل. انظر الريحاني، ص ٣٠٠؛ ابن هذلول، ص ١٤٤؛ العقيلي، ج ٢، ص ٧٤١. لكن هذه المصادر لها موقف معيّن من آل عائض.

(٢) الريحاني، ص ٣٠٠؛ العقيلي، ج ٢، ص ٧٤٢.

صوب تلك المنطقة. (وأرسل جيشاً إلى هناك بقيادة الأمير عبد العزيز ابن مساعد عام ١٣٣٨ هـ. ولما وصل هذا الأمير إلى عسير انضم إليه المؤيدون للحكم السعودي. وهبَّ ابن عائض على رأس قواته لصدِّ ذلك الجيش ومن انضم إليه. ودارت بين الطرفين معركة في حَجَلَة (١)، فانهم ابن عائض عائداً إلى أبها. ثم غادرها عندما اقترب ابن مساعد منها، والتجأ إلى جبل حَرْمَلَة (٢). وبعد أن رأى عدم مقدرته على الصمود استسلم هو وبقيّة أفراد أسرته للقائد السعودي. ثم وصلوا في نهاية الأمر إلى الرياض، واستقبلوا بالتقدير والإكرام (٣).

وبعد أن أقام آل عائض شهوراً في العاصمة السعودية عادوا إلى عسير، وخطّصت لهم مرتبات شهرية (٤). وعيّن على تلك المنطقة أمير من قبيل الملك عبد العزيز، لكن شكاوى السكان منه كثرت، فاستبدل به آخر، فلم تتوقف الشكاوى، ثم استبدل بهذا غيره، ولم

(١) بعض المصادر توردها حجلة، وبعضها حجلا.

(٢) حرملة مكان حصين كان يلجأ إليه آل عائض عند الضرورة أمام هجمات خصومهم.

(٣) يقول النعمي (ص ٢٥٤) وفؤاد حمزة قلب جزيرة العرب، (ص ٣٥٦): إن آل عائض غادروا إلى الرياض برفقة ابن مساعد. لكن الريحاني (ص ٣٠١) وابن هذلول (ص ١٤٦) يذكران أن ابن مساعد أرسلهم إلى الرياض قبل عودته إليها. أما ابن مسفر (ص ١٦٦) فيقول: إنهم ذهبوا إلى الرياض وحدهم لمفاوضة الملك عبد العزيز، وإنهم اتفقوا معه على أن يكونوا أمراء للمنطقة مستقلين بها ذاتياً. لكن هذا القول يبدو ضعيفاً.

(٤) الريحاني، ص ٣٠١.

تنته (١). ومن المحتمل أن أولئك الأمراء قد بدر منهم ما يوجب الشكوى، لكن من المحتمل، أيضاً، أن تلك الشكاوى كانت نتيجة تحريضات من جهات معينة كابن عائض أو الملك حسين. وقد تطوّر الأمر، على أية حال، حتى تزعم حسن بن عائض ثورة هناك. وحاصر الأمير السعودي وحاميته في أبها، فاضطر ذلك الأمير إلى الخروج منها مع تلك الحامية بأسلحتها. لكنه جمع أنصاراً من أبناء المنطقة في خميس مشيط، وحاول مقاومة ابن عائض، ففشل في مسعاه (٢).

ولقد تزامنت تلك الحوادث مع انتصار الملك عبد العزيز النهائي على آل رشيد. وما إن علم بها حتى جهّز جيشاً بقيادة ابنه فيصل قوامه ستة آلاف مقاتل معظمهم من الإخوان. وانطلق ذلك الجيش من نجد في شوال سنة ١٣٤٠ هـ. ولما اقترب من منطقة عسير التحق به أربعة آلاف من قحطان وزهران وشهران وغيرها. وهناك علم أن فترات من بني شهر قد توجهت إلى بيشة محاولة الاستيلاء عليها. فهاجمها وهزمها. ثم واصل زحفه نحو أبها. وعند ما اقترب منها تركها آل عائض وأنصارهم. ولجأ حسن إلى حرملة. أما محمد بن عائض

(١) كان الأمير الأول شؤيش بن ضويحي، ثم عبد الله بن سويلم، ثم فهد العُقيلي.

(٢) النعمي، ص ص ٢٥٥ - ٢٥٦.



فسار إلى القنفذة، واستنجد بالملك حسين. فأمدّه برية صغيرة ومثي جندي نظامي. وقد تمكّن فيصل من اقتحام حزملة، لكنه وجد حسن بن عائض قد فرّ منها. وتمكّن، أيضاً، من انتزاع أسلحة الفئات التي لم يكن مطمئناً إلى ولائها العميق بطريقة ذكية سلمية<sup>(١)</sup>. واستطاع أتباعه من الإخوان أن هزموا محمد بن عائض ومن معه من أتباع الملك حسين. وبعد ذلك عين سعد بن عفيصان أميراً على عسير، وأبقى لديه حامية مكوّنة من خمس مئة مقاتل، ثم عاد إلى الرياض<sup>(٢)</sup>.

على أن آل عائض حصلوا على معونة من الملك حسين، فنسّقوا مع أنصارهم في عسير، وحاصروا ابن عفيصان في أبها. وأخرج هذا الأمير قوات لصدّهم، لكنها لم تنجح في بداية الأمر. وكادت أبها تسقط في أيدي المحاصرين لها لولا وصول نجدة من الرياض. ولقد توفي ابن عفيصان بعد تلك الحادثة بأيام<sup>(٣)</sup>. فحلّ محلّه في الإمارة عبد العزيز

---

(١) انظر تفصيلات ذلك لدى الريحاني، ص ص ٣٠١-٣٠٣؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ١١٥؛ ابن هذلول، ص ص ١٤٧-١٤٩؛ العقيلي، ج ٢، ص ٧٤٣؛ النعمي، ص ص ٢٥٦-٢٥٩.

أما الطريقة المشار إليها فهي أن فيصلاً أمر تلك الفئات أن تقدم إليه بأسلحتها استعداداً للقيام بغزو. ثم أمر كل من دخل من أفرادها الباب الأمامي لمكان استقبالها أن يسلم سلاحه ليأخذه بعد اللقاء عند باب آخر. وبذلك تمّ انتزاع تلك الأسلحة.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٥٨.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٥٩.

ابن إبراهيم، الذي امتاز بالحزم والدهاء. وكان من دهائه أن ذهب إلى ابن عائض في حرملية، وتفاوض معه، وبذل له ما أرضاه. ثم استقدمه إلى أبها، وأكرمه. واتفق معه على سلام أدى إلى ترحيله مع بقية أسرته إلى الرياض حيث بقي الجميع معززين مكرمين<sup>(١)</sup>. وبذلك تم توحيد منطقة عسير مع ما وحده الملك عبد العزيز من مناطق البلاد، وتوطد فيها الحكم السعودي.

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٦٠.

# توحيد الحجاز



سبق الحديث عن أوضاع منطقة الحجاز من خروجها عن حكم الدولة السعودية الأولى إلى أن تولّى شرافتها الحسين بن علي سنة ١٣٢٦هـ<sup>(١)</sup>، كما سبق الحديث عن الحملة التي قام بها ذلك الشريف على نجد بعد تولّيه بعامين<sup>(٢)</sup>، وعن العلاقات المتذبذبة بينه وبين الملك عبد العزيز خلال الحرب العالمية الأولى وكيف ازداد التوتر بينهما حول واحتى تربة والخزمة اللتين كانت غالبية سكانها متحمّسين للدعوة التي قام على أساسها الحكم السعودي . وكان في طليعة هؤلاء المتحمّسين أمير الخزمة خالد بن لؤي، الذي حدث خلاف بينه وبين الأمير عبد الله بن الحسين مما أدّى إلى خروجه عن طاعة ملك الحجاز<sup>(٣)</sup> . وقد أرسل هذا الملك عدة سرايا لإخضاعه، لكنه وأتباعه ومن انضم إليهم من الإخوان التابعين للملك عبد العزيز رسمياً تمكّنوا من صدّ تلك السرايا<sup>(٤)</sup> .

### ١- معركة تربة :

وفي عام ١٣٣٧هـ كان الملك حسين بن علي في نشوة انتصاره على العشائين في المدينة المنورة، وحصوله على أسلحة حديثة نتيجة

(١) انظر ص ص ٩ - ١٤ من هذا الجزء من الكتاب .

(٢) انظر ص ص ١٢٤ - ١٢٩ من هذا الجزء من الكتاب .

(٣) انظر ص ص ١٥٤ - ١٦٠ من هذا الجزء من الكتاب .

(٤) انظر ص ص ١٥٩ - ١٦٠ من هذا الجزء من الكتاب .

استسلامها له، فأصبح يعتقد أن بإمكانه أن يستعيد هيئته في تُربة  
والخُرْمَة بالقوة. فعقدت الحكومة البريطانية مؤتمراً لمسؤوليها عن جزيرة  
العرب، فقررت تخويل الملك الحسين ليحتل الواحيتين المذكورتين، رغم  
تحذير فيلبي الذي كان يرى أن ذلك الملك سيعجز عن مقاومة أتباع  
الملك عبد العزيز<sup>(١)</sup> ولعلّ من أهدافها إشغال الحسين بجهة أخرى  
تلقيه عن بلاد الشام وفلسطين. وسارع هذا الملك، بعد أن نال تأييد  
تلك الدولة معنوياً، إلى تجهيز ابنه عبد الله بجيش نظامي مزوّد بمدافع  
وأسلحة حديثة؛ إضافة إلى آلاف من رجال القبائل<sup>(٢)</sup>، واجتمع هذا  
الجيش في عُشيرة انتظاراً لتلقي الأوامر بالهجوم. فأنصل الملك عبد  
العزيز ببريطانيا محذراً من مغبة ما ينوي الملك حسين القيام به،  
وطلبت تلك الدولة من الحسين التريث والتفاهم مع الملك عبد  
العزيز، لكنه صمّم على تنفيذ ما أراد<sup>(٣)</sup>. وتقدّم جيشه صوب تُربة،  
فدخلها دون مقاومة تذكر، وعامل أهلها بقسوة.

وكان الملك عبد العزيز على علم بتحرك الأمير عبد الله بن الحسين  
منذ توجهه صوب تُربة. وقد أرسل إلى هناك طليعة من الإخوان أغلبهم

(١) وهيم، ص ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) تختلف الروايات في عدد ذلك الجيش، لكن أقلها تقديراً لعدده يجعله أكثر من عشرة  
آلاف.

(٣) وهيم، ص ٣١٠؛ ابن هذلول، ص ١١٧. ويذكر وهيم أن عبد الله بن الحسين كان  
يميل إلى رأي بريطانيا، لكنه لم يجد بُدّاً من إطاعة أبيه.

بقيادة سلطان بن بجاد، الذي كان مركزه في هجرة العُطَظ، ومعها  
فئات من قحطان بقيادة حمود بن عمر، وأتباع خالد بن لؤي (١). ثم  
سار هو بجيش كبير، ولما علم باحتلال الأمير عبد الله بن الحسين  
لثُرْبَة بعث إليه وفداً يعرض عليه حلَّ مشكلة الحدود بالطرق  
السلمية، لكن عبد الله لم يستجب لذلك العرض معتبراً أن تلك البلدة  
تابعة للحجاز فلا مفاوضة حولها. ووصل الوفد إلى معسكر الإخوان  
بين ثُرْبَة والخُرْمَة، فأخبرهم بتعنته، وقسوته، واستهزائه بهم،  
وتهديده لنجد. فالتهبوا حماساً، وصمّموا على مهاجمته، وبعثوا إليه من  
أنذره بأنهم سيهجمون عليه مع طلوع الفجر اعتقاداً منهم أن ذلك  
الإنذار سيجعله مرتبكاً ويكرمه من الراحة والاستعداد (٢). وما إن بدا  
فجر الخامس والعشرين من شعبان، سنة ١٣٣٧هـ، حتى انقضوا  
على معسكره من جهات مختلفة بخطة محكمة (٣). فأبادوا أغلب  
جيشه، ولم ينج إلا من حالفه الحظ بالهروب (٤). واستولى الإخوان على  
ما كان مع عبد الله بن الحسين من أسلحة ومؤن وأموال وخيل وإبل.

(١) تذكر مصادر أن عددهم كان بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف. لكن الذكير (نسخة خاصة،  
ص ١٤٧) يقول: إنهم لا يتجاوزون الألفين.

(٢) العبيد، ص ١١٣.

(٣) من أحسن من فصل تلك المعركة العبيد، الذي عمل فترة عند خالد بن لؤي في الخُرْمَة.  
انظر تاريخه، ص ص ٢١٢ - ٢١٤.

(٤) قدر العبيد عدد قتلى جيش الشريف بتسعة آلاف، وقتلى الإخوان بخمسين وثلاث مئة.

أما الملك عبد العزيز فوصل إلى مكان المعركة بعد خمسة أيام من وقوعها . وأقام في تُربة حوالي عشرة أيام يدبّر شؤونها .

ولقد استبد الذعر بالمسؤولين في الحجاز بعد معركة تُربة ، وظنوا أن الإخوان سيواصلون زحفهم إلى الطائف . فاتصلوا بالمعتمد البريطاني في جدة طالبين مساعدة حكومته ، فأخبر هذه الحكومة بما جرى وما يخشاه أولئك المسؤولون . وحذرت بريطانيا الملك عبد العزيز من التقدم في اتجاه الطائف . بل طلبت منه ، أيضاً ، أن ينسحب بقواته من تُربة حتى تتاح الفرصة لمفاوضات بينه وبين الملك حسين (١) . ومراعاة للظروف المحيطة به قام الملك عبد العزيز بالانسحاب بقواته من البلدة المذكورة ، لكنه عين عليها أميراً من قبيله (٢) .

## ٢ - من معركة تُربة إلى الزحف على الحجاز :

تأثر الملك حسين تأثراً شديداً نتيجة ما حدث في تُربة . ذلك أن سمعته بين أتباعه قد اهتزت ، وأنه فقد كثيراً مما لديه من قوات مدرّبة وأسلحة متطورة وأموال ضخمة . فراح يتخذ مواقف متعنّته ؛ منها قطع التعامل التجاري مع التجديين (٣) ، ومنعهم من دخول الحجاز لأداء

(١) ابن هذلول ، ص ١٢١ ؛ وهيم ، ص ٣١٤ .

(٢) ابن هذلول ، ص ١٢٢ .

(٣) الذكير ، نسخة بغداد ، ص ٨٥ .



الحج (١). (وقد حاولت بريطانيا تهدئته، فأمدته ببعض الطائرات، وطلبت من الملك عبد العزيز أن ينسحب بقواته من ثربة على ألا يقوم الحسين بأي اعتداء عليه، فاستجاب لطلبها - كما ذكر سابقاً - وسألته أن يؤجل حج أتباعه ذلك العام، فلم يمانع (٢). ومن الواضح أنه راعى أموراً كثيرة في اتخاذ ذلك الموقف المرن؛ منها هيمنة بريطانيا على المنطقة حينذاك بدرجة كبيرة، بحيث تصعب معارضتها. ومنها أن مرونته ستجعل تلك الدولة أكثر ميلاً إليه وأقل اندفاعاً مع خصمه. ومن المحتمل جداً أنه قد أدرك بأنها لن تحرص كل الحرص على مساندة هذا الخصم بعد أن انتهت الحرب العظمى وحققت ما تريده منه. ومن تلك الأمور أن الملك عبد العزيز كان حينذاك بصدد معالجة قضايا ملحّة كقضية جبل شمر وقضية عسير.

ومع أن بريطانيا نجحت في الوساطة بين الملك حسين والملك عبدالعزيز لتوقيع هدنة بينهما عام ١٣٣٨هـ (٣). فإنها أخفقت في إقناع الأول بالسماح لأهل نجد بالحج هذا العام والعام الذي تلاه. وفي عام ١٣٤٠هـ رضي بذلك على أن يكون عددهم محدوداً، وأن يكونوا تحت قيادة أمير يستطيع منعهم من القيام بأي عمل يعكّر الأمن (٤).

(١) السباعي، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٢) ترولر، ص ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٤) وهيم، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠؛ ويذكر أن عدد الذين أدوا الحج حوالى ١٨٠٠.

على أن إنهاء الملك عبد العزيز لإمارة آل رشيد في جبل شمّر، وما تلا ذلك من بسط نفوذه على ما يليه شمالاً من جزيرة العرب، عام ١٣٤٠هـ، وتوطيد حكمه في عسير في بداية العام التالي، ونشاط أتباعه حول الحدود مع العراق وشرق الأردن، أثارت مخاوف الملك حسين أكثر من ذي قبل، فراح يطالب بتخليّ الملك عبد العزيز عن جبل شمّر وعسير، وعاد إلى منع أهل نجد من الحج<sup>(١)</sup>. ولما رأت بريطانيا أن العلاقات بين الملك عبد العزيز وكلّ من الملك حسين في الحجاز وابنيه فيصل وعبد الله في العراق والأردن متوترة<sup>(٢)</sup> دعتهم إلى مؤتمر في الكويت للنظر في المشكلات القائمة بينهم. لكن الحسين أبي الحضور قبل أن ينسحب الملك عبد العزيز من جميع المناطق التي لم تكن تحت حكمه قبل الحرب العالمية الأولى<sup>(٣)</sup>. وانعقد المؤتمر دون حضور ممثل له. لكن المؤتمرين لم يصلوا إلى اتفاق؛ خاصة أن ممثلي العراق والأردن تعرّضوا لأمور متصلة بالحجاز<sup>(٤)</sup>. وبفشل المؤتمر أصبحت الطريق

(١) السباعي، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٢) تولّى فيصل عرش العراق سنة ١٣٣٩هـ، وأصبح عبد الله أميراً لشرق الأردن في العام ذاته. الزركلي، ج ١، ص ٣٢٥.

(٣) الذكير، نسخة بغداد، ص ٨٥؛ ترولر، ص ٢٠٠.

(٤) الزركلي، ج ١، ص ٣٢٦؛ وهيم، ص ص ٣٤١ - ٣٤٢. وكان انعقاد الدورة الأولى من ذلك المؤتمر يوم التاسع من جمادى الأولى عام ١٣٤٢هـ. انظر ترولر، ص ٢٠٦؛ موضي بنت منصور آل سعود، الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت، دار تهامة، ١٤٠٢هـ، ص ص ١٢٢ - ١٢٣.

ممّهدة لدخول العلاقات بين الملك حسين والملك عبد العزيز مرحلة  
حسم جديدة.

### ٣- اكمال توحيد الحجاز:

من الأمور التي قام بها الملك حسين إثر انعقاد مؤتمر الكويت اتخاذه لقب خليفة المسلمين<sup>(١)</sup>. وكان هذا مما أغضب الملك عبد العزيز وشخصيات وجهات إسلامية، خاصة في مصر والهند<sup>(٢)</sup>. وقد سارع الملك عبد العزيز إلى كتابة بيان أوضح فيه ما أخذه على الملك حسين؛ مشيراً إلى عدم أهليته لتولي الخلافة التي هي شأن عام لجميع المسلمين. ونشر ذلك البيان في عدة صحف عربية وهندية، فحظي بتعليقات مؤيدة<sup>(٣)</sup>.

وفي الوقت نفسه توجه الملك عبد العزيز إلى القصيم حيث عين عبد العزيز بن مساعد بن جلوي أميراً على جبل شمر، وربط به كلاً من القصيم وما يقع شمال ذلك الجبل<sup>(٤)</sup>؛ تمهيداً لاتخاذ إجراءات عسكرية. ولعلّ مما شجعه على التوجه إلى الحقل العسكري أن بريطانيا قطعت المعونة الاقتصادية عنه بحيث لم يعد يخشى أن تستغل تلك

(١) كان إعلان الخلافة له في عمان في ٨ / ٦ / ١٣٤٢ هـ. الريحاني، ص ٣٢٤.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ٣٢٦.

(٣) يوجد البيان والتعليقات عليه في تاريخ الذكر، نسخة بغداد، ص ٨٥ - ٩١.

(٤) الريحاني، ص ٣٢٣ ومن المرجح أن ذلك الربط كان مؤقتاً.

المعونة سلاحاً ضده<sup>(١)</sup>. ثم عاد إلى الرياض، فعقد مؤتمراً في شهر ذي الحجة، عام ١٣٤٢هـ، ترأسه أبوه الإمام عبد الرحمن، وحضره العلماء وأمراء البلدان وقادة الإخوان ورؤساء القبائل. وافتتحه الإمام عبد الرحمن بالإشارة إلى تدمر أهل البلاد من منعهم من الحج. ثم شرح الملك عبد العزيز أبعاد الموقف، وتوصل الجميع إلى وجوب أداء الحج سلماً أو عن طريق القوة<sup>(٢)</sup>.

وكان من الخطوات العسكرية التي اتخذها الملك عبد العزيز أن أرسل فئة من أتباعه إلى الحدود مع العراق، وفئة أخرى إلى الحدود مع الأردن؛ استعداداً لصد أية حركة من القطرين المذكورين<sup>(٣)</sup>. وبعث فئة ثالثة قوامها ثلاثة آلاف من الإخوان إلى الحجاز بقيادة سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي، ومعهما رؤساء هجر آخرون من قبائل مختلفة<sup>(٤)</sup>. وقد اجتمعت القوة المتجهة إلى الحجاز في تربة. ثم انطلقت من هناك صوب الطائف حتى اقتربت منها فجأة في بداية شهر صفر عام ١٣٤٣هـ، فاكتسحت حصونها الأمامية، وانضم إليها أعداد من أفراد القبائل المحيطة بها أملاً في الحصول على مكاسب مادية من خلال

(١) تولر، ص ٢١٦.

(٢) الريحاني، ص ص ٣٢٦-٣٢٧؛ الزركلي، ج ١، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٣) الذكير، نسخة بغداد، ص ٩٢؛ تولر، ص ص ٢١٧-٢١٨.

(٤) الزركلي، ج ١، ص ٣٣٠.

الحرب<sup>(١)</sup>. وكان في تلك البلدة قوة نظامية، فخرجت لصد المهاجمين، لكنها لم تتمكن من ذلك، فتقهقرت، ورابطت شمال البلدة، وراحت تطلق نيران مدافعها ضدهم ثلاثة أيام. وفي ليلة السادس من ذلك الشهر وصل إلى الطائف الأمير علي بن الحسين بنجدة من الجند النظامي والهجانة. لكنه، فيما يبدو، لم يثق بمقدرته على مجابهة الإخوان، فانسحب عصر ذلك اليوم إلى الهدا<sup>(٢)</sup>. ونتيجة لهذا اضطرت القوة النظامية المدافعة عن البلدة إلى الانسحاب، أيضاً، واللحاق به في معسكره بعد يوم من انسحابه<sup>(٣)</sup>. فاستبدَّ الذعر بالسكان، وفتح قسم منهم أبواب البلدة مظهرين أنهم يؤثرون السلامة<sup>(٤)</sup>. فاندفع إليها مئات من عامة الإخوان والملتحقين بهم من البدو المحيطين بها، وراحوا ينهبون ويقتلون من يقاومهم أو يظنون أنه عقبة في سبيل ما يهدفون إليه<sup>(٥)</sup>. ولما علم القائدان خالد بن لؤي

(١) القاضي، ص ٦٠؛ الذكير، نسخة بغداد، ص ٩٠.

(٢) ورد اسم هذا الموضع «الهدة» في كتاب بلاد العرب للأصفهاني، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة، ١٣٨٨هـ، ص ٣١. لكن بعض المصادر الحديثة، كالسباعي، أوردته كما رسم في المتن. وهذا هو المتداول عند الناس الآن.

(٣) الذكير، نسخة بغداد، ص ٩١؛ السباعي، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٥) ضخمت جهات معينة ما حدث في الطائف لأغراض خاصة. ومن المؤكد أنه لم يحدث قتل لنساء أو أطفال، ومن المرجح، أيضاً، أنه لم يقتل من سالم من الرجال.

وسلطان بن بجاد بذلك هرعا إليها، وأوقفنا تلك المأساة<sup>(١)</sup>. وهكذا  
دخلت الطائف تحت حكم الملك عبد العزيز.

وكان لما حدث في الطائف أثر سلبي كبير على معنويات قوات  
الملك حسين وأتباعه. ولهذا فإن إمداده ابنه علياً بكل ما استطاع من  
قوات ومعدّات لم يرفع تلك المعنويات. فقد خرج الإخوان من  
الطائف، وهجموا على علي ومن معه ليلة السادس والعشرين من  
صفر، فهزموه هزيمة شديدة، واستولوا على ما كان معه من أسلحة  
وذخيرة، وفرّ هو ومن نجا من أتباعه إلى مكة<sup>(٢)</sup>.

وبعد معركة الهدا توقّف الإخوان منتظرين تعليمات الملك  
عبد العزيز. أما أهل مكة فدبّ الخوف في نفوسهم، وفرّ كثير منهم إلى  
جدة. وذهبت أدرج الرياح كل الصيحات التي أطلقها الملك حسين  
لاستنهاض همم أتباعه أو الحصول على معونة خارجية مؤثّرة. وأمام  
هذا الوضع اجتمع وجهاء الحجاز في جدة، وقرروا أن يتخلّى الحسين  
عن الملك لابنه علي<sup>(٣)</sup>؛ أملاً في أن يمهد ذلك الطريق أمام حل  
سلمي مع الملك عبد العزيز. ولم يجد الحسين وابنه علي بُدّاً من النزول

١٥٣

(١) الذكير، نسخة بغداد، ص ٩١؛ ابن هذلول، ص ١٥٣.

(٢) الذكير، نسخة بغداد، ص ٩١؛ الزركلي، ج ١، ص ٣٣٢.

(٣) الريحاني، ص ٣٣٦؛ السباعي، ج ٢، ص ٢٤٦.

عند رغبة أولئك الوجهاء. وبويع علي بالحكم في الخامس من ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ (١). وفي العاشر من هذا الشهر وصل أبوه إلى جدة حيث بقي خمسة أيام، ثم غادرها بحراً إلى العقبة (٢). أما الملك علي فإنه أدرك أن الموقف في مكة ميؤوس منه، فتركها قاصداً جدة في الرابع عشر من الشهر المذكور. وبحولاً من أن تدبّ الفوضى في مكة، أو تجتاحها قوات الإخوان القرية منها اجتياحاً، اتصل عدد ممن كانوا فيها بخالد بن لؤي، وطلبوا منه أن يدخلها بأمان (٣)، فدخلها ومعه الإخوان جميعاً محرمين مهللين مكبرين دون إراقة دماء. وذلك في السابع عشر من ربيع الأول (١٥/١٠/١٩٢٤م) (٤). وتولّى خالد مقاليد الأمور فيها (٥).

بعد أن أصبحت مكة في أيدي أتباع الملك عبد العزيز تلى خطاب منه موجه إلى أهل الحجاز يوضح فيه مآخذه على حكاهم والأسباب التي دعت إلى اتخاذ ما اتخذ من إجراءات، ويؤكد لهم أنه سيعاملهم بالتي هي أحسن (٦). وقد كتب كبارهم في جدة إلى قائده خالد بن

(١) الريحاني، ص ٣٤٠.

(٢) السباعي، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٣) القاضي، ص ٧١؛ الذكير، ص ٩٣.

(٤) الريحاني، ص ٣٥١؛ السباعي، ج ٢، ص ٢٥٥.

(٥) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

(٦) انظر نصه في المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

لؤي يطلبون منه عقد هدنة بين الطرفين، فأجابهم بأنه يجب على الملك علي أن يقدم إليه، وأن أمر السلم والحرب من شأن الملك عبد العزيز. فأرسلوا إلى خالد وفداً للمفاهمة. أما الملك علي فأعلن تصميمه على المقاومة<sup>(١)</sup>. وقد خيّر خالد أهل الحجاز بين أمرين: القبض على الملك علي، أو إخراجه من الحجاز. فإن كانوا لا يقدرّون على ذلك فإنه مستعد لإمدادهم بقوة تحقق لهم ما يختارون. فلم يتفقوا على رأي<sup>(٢)</sup>. ولما علم الملك علي بما حدث كتب إلى الملك عبد العزيز رسالة يبدي فيه رغبته في الصلح، لكن الملك عبد العزيز لم يرض بديلاً عن تحلّي الملك علي عن الحكم<sup>(٣)</sup>. وفي أثناء ذلك تلقّى خالد بن لؤي وسلطان بن يجاد رسائل من معتمدي الدول الأجنبية وقناصلها في جدة يفيدون بأن دولهم تلتزم الحياد في النزاع في الحجاز ما دامت رعاياها في أمان<sup>(٤)</sup>. وتوجه الملك عبد العزيز بجيش كبير من الحاضرة والإخوان، فدخل الجميع مكة المكرمة معتمرين في الثامن من جمادى الأولى<sup>(٥)</sup>. ولما قضى الملك عمرته أقبل عليه السكان يرحّبون به ويبايعونه، ووعدهم بإزالة المظالم، وتطبيق الشريعة، وتحقيق الأمن<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) ابن هذلول، ص ١٦١.

(٣) السباعي، ج ٢، ص ص ٢٦١ - ٢٦٤.

(٤) ابن هذلول، ص ١٦٤.

(٥) السباعي، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٥.



وبقي الملك عبد العزيز في مكة شهراً حاولت خلاله جهات مختلفة أن تصلح بينه وبين الملك علي، لكنها لم تنجح<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك أمر أتباعه بالزحف إلى جدة. واجتمع أولئك الأتباع بقيادته في الوزيرية ثم الرغامة<sup>(٢)</sup>. وكان الملك علي قد أحاط جدة بما أمتطاع من وسائل الدفاع كالخنادق والأسلاك الشائكة. وبالإضافة إلى ذلك فقد وصلت إليه من أبيه وأخيه عبد الله إمدادات من الرجال والأسلحة والأموال، كما وصلت إليه طائرات ومدافع ومصفحات<sup>(٣)</sup>. وظل الملك عبد العزيز معسكراً في الرغامة؛ مشدداً الحصار على جدة، ومتبادلاً الهجمات مع خصمه من وقت إلى آخر<sup>(٤)</sup>. ولم يحاول أن يقتحم تلك البلدة لأنه كان يدرك حجم الخسائر التي قد تنجم عن الاقتحام، ويخشى حدوث خطر على ممثلي الدول الأجنبية هناك فتقف ضده. وتوالت الإمدادات إليه من داخل البلاد، فازداد موقفه العسكري تحسناً يوماً بعد آخر.

على أن الملك عبد العزيز لم يقصر نشاطه على جبهة جدة. بل بعث سرايا من جيشه إلى جهات متعددة في الحجاز. وكان أمير الليث

(١) الذكير، نسخة بغداد، ص ص ١٠٢ - ١٠٣؛ ابن هذلول، ص ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ٣٤٤.

(٣) الذكير، نسخة بغداد، ص ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه، وفيه تفصيل جيد عن ذلك، ص ص ١٠٥ - ١٠٧.

والقنفذة قد دخل في طاعته سلماً بعد دخول أتباعه مكة<sup>(١)</sup>. ثم نجح من بعثهم إلى رابغ في إدخالها تحت حكمه. وكان هذا وذاك من المكاسب العظيمة له. ذلك أنه تمكّن من الإعلان بأن السبل إلى مكة ميسرة آمنة عن طريق هذه الموائئ<sup>(٢)</sup>. وفي آخر ذي القعدة توجه من معسكره إلى مكة لأداء الحج. وقدم إلى هذه البلاد آلاف كثيرة من داخل البلاد لتأدية حجهم، كما وصلت إليها أعداد لا بأس بها من الخارج عبر الموائئ التي دخلت تحت طاعته للقيام بالركن الخامس من أركان الإسلام. وأدى الجميع الحج بأمان واطمئنان<sup>(٣)</sup>. فكان لهذا أثره الطيب معنوياً واقتصادياً.

ولقد حاول الملك علي استغلال فرصة ذهاب الملك عبد العزيز إلى مكة، فهاجم معسكر السعوديين. لكنه رُدَّ على أعقابهِ<sup>(٤)</sup>. وكان قد وصل إلى مكة الزعيم القحطاني، فيصل بن حشر، ومعه أكثر من ألف رجل من أتباعه، فأمرهم الملك عبد العزيز أن يتجهوا - بعد قضاء عمرتهم - إلى معسكره قرب جدة لمساعدة من فيه من جيشه. ووصل ذلك الزعيم بمن معه إلى هناك، دون أن يعلم أتباع الملك علي

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٣) القاضي، ص ٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٤.

بوصوله . فأقترح خطة دفاعية جيّدة ، ووافق القادة الآخرون عليها .  
ونتج عن ذلك إبادة أكثر من هاجم السعوديين من أتباع الملك  
علي (١) .

وفي غضون ذلك أرسل الملك عبد العزيز إلى الجهات الشمالية  
والشمالية الغربية من الحجاز عدة سرايا . ومن أولى تلك السرايا سرية  
بقيادة عمر بن زبيّعان انطلقت إلى جهة ينبع لتأديب بعض القبائل  
التي اعتدت على القوافل القادمة من هناك (٢) . ومنها تلك التي بقيادة  
سعود بن عبد العزيز (سعود الكبير) ومعظم جنودها من أهل  
القصيم (٣) . وكان الملك قد أمر عبد العزيز بن مساعد أن يبعث قوات  
لمهاجمة بلدة العقبة ، التي كان الحسين بن علي يوالي نشاطه المعادي له  
منها . ولما رأى البريطانيون اقتراب تلك القوات من هذه البلدة طلبوا  
من الملك عبد العزيز أن يمنعها من مهاجمتها على أن يبعدوا الحسين  
عنها . فتمّ هذا وذاك (٤) .

وكانت أول سرية وجهها الملك عبد العزيز إلى المدينة المنورة تلك

---

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

(٢) الذكير ، نسخة بغداد ، ص ١٠٧ .

(٣) القاضي ، ص ٦٣ .

(٤) الذكير ، نسخة بغداد ، ص ١١٣ . وقد أُبعد الحسين إلى قبرص حيث توفي هناك عام  
١٩٣١ م . ثم نُقل جثمانه إلى القدس ، فدُفن فيها . السباعي ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

التي بقيادة صالح بن عدل<sup>(١)</sup>. ثم وجّه إليها سريةً أخرى بقيادة إبراهيم النّسّمي<sup>(٢)</sup>. وبعد انقضاء موسم الحج بعث إلى جهاتها كلاً من فيصل الدويش وعبد المحسن الفِرم بأتباعهما<sup>(٣)</sup>. واستقر المقام أخيراً بالأول منهما في العوالي. ومع أن المدينة أصبحت محاصرة فقد وصلت إليها أسلحة وأطعمة من الأردن. وكان ذلك مما شجع حاميتها على الخروج منها ومهاجمة المحاصرين لها، لكنها تكبّدت خسائر فادحة، فعادت إليها<sup>(٤)</sup>.

وبعد أن أقام الدويش ومن معه فترة في العوالي ارتحل صوب نجد في شهر ربيع الثاني من عام ١٣٤٤هـ<sup>(٥)</sup>. وبقي أتباع الملك عبدالعزيز

---

(١) الذكر، نسخة بغداد، ص ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٣) القاضي، ص ٦٤. ويفهم من كلام الذكر (نسخة بغداد، ص ١١٧) أن الدويش كان موجّهاً لالتحاق بقوة سعود الكبير، لكنه ذهب إلى العوالي باتفاق مع أهلها. بل إن العبيد (ص ٢٤١) ينقل عن إمام الدويش حينذاك، محمد العجاجي، أن هذا الزعيم قد أرسل مدداً لسعود المحاصر لينبع، لكنه توجه إلى المدينة بدلاً من ذلك.

(٤) القاضي، ص ٦٥؛ الذكر، نسخة بغداد، ص ١١٨.

(٥) القاضي، ص ٦٦، ويعلّل هذا المؤلف ارتحاله بأنه قد حلّ في أتباعه وباء، فاستأذن عبدالعزيز في الرحيل، فأذن له.

أما الذكر (نسخة بغداد، ص ١٢٥) فيقول: إن ارتحاله كان بأمر من الملك عبدالعزيز طمأنة لأهل المدينة الذين أبدوا الرغبة في إنهاء الحرب، لكنهم كانوا خائفين من الدويش. على أن هذا المؤلف أشار في النسخة الخاصة (ص ١١٦) إلى انتشار الوباء في أتباعه واستئذانه الملك في الرحيل.

ويذكر ابن ناصر (ص ١٤٦) أن الدويش قد أمر بأن لا ينال المدينة بسوء، لكنه لما وصل إلى ضواحيها أغار عليها، فأصاب الله قومه بالوباء، فارتحل عنها. وتقرب رواية العبيد (ص ٢٤٢) من روايتي القاضي وابن ناصر.

الآخرون محاصرين للمدينة، فندرت فيها الأطعمة، وغادرها أعداد كبيرة من أهلها. ثم أدرك بعض كبارها أن من الأفضل الدخول في طاعة الملك، فأرسلوا إليه مندوباً يطلبون إرسال أحد أبنائه ليسلموا له. فبعث إليها ابنه محمداً. لكنه لما وصل إلى مشارفها وجد أن من كان في أيديهم الأمر يأبون التسليم<sup>(١)</sup>. فأقام محاصراً لها. ولما اشتد الحصار على من فيها خرج وفد منهم لمفاوضته على التسليم. واتفق الطرفان على أن يؤمنهم الأمير على دمائهم وأموالهم، ويسلموه جميع ما للحكومة من أموال وأسلحة وغيرهما. وكان ذلك في الثامن عشر من جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ/ ٣/ ١٢/ ١٩٢٥ م. ودخلها ذلك الأمير في اليوم التالي<sup>(٢)</sup>.

وكان لخروج المدينة المنورة من يد الملك علي أثر سلبي كبير على معنوياته ومعنويات أتباعه. ذلك أن حاميتها كانت تملك أسلحة ومعدّات حربية كبيرة. وكان ذلك الخروج/كسباً عظيماً للملك عبدالعزيز سياسياً وعسكرياً. وبينما كانت النكسات تتوالى على الأول كان موقف الثاني يزداد قوة يوماً بعد آخر. وكانت الإمدادات تصل إليه تباعاً من أرجاء البلاد التابعة له. ومن ذلك وصول قوة بقيادة ابنه

(١) القاضي، ص ٦٦؛ الذكر، نسخة بغداد ص ١٢٥.

(٢) القاضي، ص ٦٦؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ص ١٢٦ - ١٢٧.

فيصل (١). وازداد موقف المحاصرين داخل جدة حرجاً لقلّة الأطعمة ومياه الشرب والذخيرة والأموال، فدبّ اليأس في نفوسهم. وكان الملك عبد العزيز على علم بما يحدث داخل تلك البلدة، فأعلن العفو العام عمن يغادرها إلى مكة أو أي مكان آخر. وكان هذا وذاك مما شجّع بعضاً من أهلها؛ بل ومن قواتها النظامية وكبار موظفيها، على مغادرتها (٢). وأمام هذا الوضع المتردّي أدرك الملك علي أنه لا بد من مفاوضة الملك عبد العزيز حول تسليم البلاد إليه. فاتصل بالمعتمد البريطاني في التاسع والعشرين من جمادى الأولى، عام ١٣٤٤هـ، وطلب منه أن يتوسط في الأمر؛ مبدئياً شروطه لذلك التسليم. فخرج المعتمد إلى الملك عبد العزيز، وأطلعه عليها. وبعد إدخال تعديلات طفيفة عليها قبلها وأمضاها في أول يوم من جمادى الآخرة. ثم أمضاها الملك علي مساء ذلك اليوم. وأهم تلك الشروط:

١- يتنازل الملك علي عن ملك الحجاز، ويرحل عنها بممتلكاته الشخصية فقط، ويسلم للملك عبد العزيز كل ما هو ملك لحكومة الحجاز من أسلحة ومعدّات وبواخر ومنشآت وأموال.

٢- يضمن الملك عبد العزيز سلامة الموظفين والعسكريين والأشراف والأهالي والقبائل، ويمنحهم العفو العام، ويتعهّد بترحيل

(١) القاضي، ص ٦٧.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٢٧. وقد ذكر أن من غادروها ٣٠٠ جندي من سوريا وفلسطين، وتحسين باشا القائد العام للجند، وعبد الله باشا رئيس وزارة جدة، ومحمد علي كاتب الملك الخاص، وأحمد السقاف رئيس الديوان.

العسكريين الذين يرغبون الرحيل إلى أوطانهم (١).

وبذلك انتهى حكم الأشراف للحجاز، وتوحدت هذه المنطقة مع ما وحده الملك عبد العزيز من مناطق البلاد. وغادر علي بن الحسين جدّة في السادس من جمادى الآخرة (٢) سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م. ثم دخلها الملك عبد العزيز، وعامل من فيها معاملة حسنة.

#### ٤ - مقارنة بين توكيد الحجاز في الدولتين السعوديتين الأولى والثالثة:

هنالك وجه شبه في موقف حكام الحجاز من الدولة السعودية الأولى وموقفهم من الدولة السعودية الثالثة (٣)، والظروف التي ساهمت في توحيد قادة هاتين الدولتين لتلك المنطقة. فقد كانت علاقات أولئك الحكام بالدولة السعودية الأولى عدائية بصفة عامة. من ذلك أنهم منعوا أتباعها من أداء الحج حوالي نصف قرن (٤)، وبدأوها بالحرب. ولم يكن موقف الشريف حسين بن علي (الملك حسين) من الدولة السعودية الثالثة ودياً في غالب الأوقات. فقد بدأ بغزو أراضيها، ومنع أتباعها من أداء الحج سنوات قليلة.

(١) القاضي، ص ٦٨؛ الريحاني، ص ص ٢٤ - ٤٢٥؛ السباعي، ج ٢، ص ص ٢٦٨ - ٢٧١.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٣) من المعروف أن الدولة السعودية الثانية لم توحد الحجاز مع ما وحدته من مناطق.

(٤) استمر منع الأشراف لأولئك الأتباع من قيام الدولة السعودية الأولى تقريباً إلى عام ١٢١٣هـ، باستثناء عامي ١١٨٥هـ و١١٩٧هـ.

وكان من الأمور التي ساهمت في توحيد الدولة السعودية الأولى للحجاز انتشار مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي قامت على أساسها تلك الدولة، بين قبائل كانت تابعة للشريف غالب حاكم الحجاز. ومنها اختلاف هذا الحاكم مع صهره وأحد المقربين إليه، عثمان المضايقي، وانضمام هذا الأخير إلى السعوديين، ثم مساهمته في عملياتهم العسكرية الموجهة إلى الحجاز. ومنها دخول منطقة عسير تحت راية الدولة السعودية الأولى بحيث أصبحت الحجاز محاطة من أكثر جهاتها بمناطق سعودية. ومنها عدم قدرة الدولة العثمانية، التي كان يتبعها الشريف غالب رسمياً، على مساعدته.

وكان من الأمور التي ساهمت في توحيد الملك عبد العزيز، مؤسس الدولة السعودية الثالثة، للحجاز انتشار الوهج الديني لحركة الإخوان؛ خاصة في واحتي الحُزْمة وتُرْبَة، اللتين كانتا تابعتين رسمياً للشريف حسين بن علي (الملك حسين). ومنها اختلاف هذا الشريف مع خالد بن لؤي، قريبه نسباً وأمير الحُزْمة، وانضمامه إلى الملك عبدالعزيز، ثم مساهمته في العمليات السعودية العسكرية الموجهة إلى الحجاز. ومنها دخول منطقة عسير تحت حكم الملك عبد العزيز بحيث أصبحت الحجاز محاطة من الشرق والجنوب بمناطق سعودية. ومنها عدم وقوف بريطانيا مع الملك حسين في ساعته الحرجة؛ وهي التي ساعدته في فترة من الفترات لمصالحها الخاصة، ثم رأت عدم الوقوف معه تمثيلاً مع الأمور المستجدة.



توحيد المخلاف السليمانج

[ جازان ]



سبقت الإشارة إلى أن زعماء عسير، كابن مجثل وعائض بن مرعي وابنه محمد، استطاعوا أن يمدُّوا لهم نوعاً من النفوذ على جازان حتى انتصرت الدولة العثمانية على الأخير منهم، وبسطت حكمها على كل من عسير وجازان. وسبقت الإشارة، أيضاً، إلى زعامة أحمد الإدريسي الدينية، والظروف التي أدت إلى بروز حفيده محمد سياسياً، وتعاونيه مع إيطاليا ضد العثمانيين، ومعاهدته مع بريطانيا، التي ضمَّت إليه الحديدية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم معاهدة حسن الجوار بينه وبين الملك عبدالعزيز عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م (١).

ولما توفي محمد بن علي الإدريسي، عام ١٣٤١هـ، خلفه في الحكم ابنه علي الذي كان عمره سبعة عشر عاماً (٢). وكان ذلك على مضض من بعض أفراد أسرته وكبار دولته. فقاموا بعدة حركات ضده (٣). وهذا مما أضعف البلاد عامة أمام تطلّعات حاكم اليمن. وقد استغل هذا الحاكم أوضاع جازان الداخلية، وانشغال الملك عبد العزيز بأمر ملك الحجاز فاستولى على الحديدية وبلدان شامها وشرقها (٤). وكان هذا من الأمور التي دفعت المعارضين لعلي بن محمد إلى أن يثوروا عليه (١) انظر ص ص ٢٠ - ٢٣، وكانت الاتفاقية في ١٦/١٢/١٣٣٨هـ وأبرمت في ١٠/٢/١٣٣٩هـ.

(٢) العقيلي، ج ٢، ص ٨٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ص ٨٥٤ - ٨٦٠.

(٤) الذكير، نسخة خاصة، ص ٢٠٠؛ العقيلي، ج ٢، ص ص ٨٨٥ - ٨٨٦.

بزعامة عمّه الحسن . وكان النصر في نهاية المطاف لهؤلاء عام  
١٣٤٤هـ<sup>(١)</sup> . وأصبح الحسن حاكماً لجازان .

وقد حدث اتصال بين الحسن الإدريسي وإيطاليا . وكان يأمل  
مساعدتها . لكن تلك المساعدة لم تتحقق<sup>(٢)</sup> . وعقد اتفاقية مع شركة  
إنجليزية للتنقيب عن النفط واستغلاله في إحدى الجزر التابعة له ،  
لكن تلك الاتفاقية ألغيت فيما بعد<sup>(٣)</sup> . وقد تزامن ذلك مع نجاح  
الملك عبد العزيز في استكمال توحيد الحجاز، فرأى الحسن أن من  
الأفضل له - للحفاظ على ما بقي من بلاده من زحف حاكم اليمن -  
أن يحصل على حماية الملك عبد العزيز . وعقد معه اتفاقية مكة عام  
١٣٤٥هـ<sup>(٤)</sup> / ١٩٢٦م .

وأهم ما في هذه الاتفاقية أن الأمور الداخلية في منطقة جازان  
للإدريسي ، والأمور الخارجية للملك عبد العزيز المتعهد بالدفاع عنها  
ضد أي عدوان عليها . وأرسل الملك مندوباً من قبله لمساعدة الحسن

- 
- (١) ذلك التاريخ يفهم من كلام المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ٨٩٢ وإن لم ينص عليه .  
(٢) العقيلي، ج ٢، ص ٩٠٠ - ٩٠١؛ مشاري بن سعود، علاقات المملكة العربية  
السعودية بالمملكة التوكلية اليمنية في عهد الملك عبد العزيز، رسالة ماجستير غير  
منشورة، قسم التاريخ، جامعة الملك سعود ١٤٠٤هـ، ص ٨٢ .  
(٣) المصدر الأول نفسه، ج ٢، ص ٩٠٣ .  
(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩١٦؛ الذكر، نسخة بغداد، ص ٢٧ - ٢٨ . وفيه نص  
الاتفاقية .

على تصريف شؤون البلاد. وظلت العلاقات بين الطرفين جيدة إلى أن أسند الحسن إدارة البلاد إلى الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٩هـ (١) عملياً مع بقية المناطق السعودية.

على أن ملك الأردن، عبد الله بن الحسين، احتضن عدداً من أهل الحجاز الفارين من البلاد (٢)، وراح يخطط معهم للعمل ضد الحكم السعودي، فنسّقوا مع حامد بن رفاعة للتمرد في شمالي الحجاز، واتصلوا بالإدريسي في الجنوب، وحرّضوه على التمرد. ولما علم الملك عبد العزيز بذلك بعث إلى الإدريسي يذكّره بالعهد الذي بينهما، ويحذّره من التعاون مع أولئك المحرّضين. غير أن الحسن لم يصنع إلى التحذير. وراح يحشد قواه للعمل. فلما اعتقد أنه مستعد للحركة قام بمحاصرة المندوب السعودي، فهد بن زُعَيْر، ورجاله في جازان؛ وذلك في الخامس من رجب عام ١٣٥١هـ. وبعد أسبوع من ذلك الحصار استسلموا بأمان. ثم نقلوا إلى صبيا تحت الإقامة الجبرية (٣). وكان الملك عبد العزيز قد أرسل إلى تلك المنطقة سبعين سيارة تقلّ خمس

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٨؛ الزركلي، ج ٢، ص ٥٣٦.

(٢) أسس هؤلاء حزباً سمّوه حزب الأحرار.

(٣) العقيلي، ج ٢، ص ص ٩٦٨، ٩٧٣، ٩٧٧ و ٩٨٠. وقد تخلّصوا من تلك الإقامة فيما بعد. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٩٧.

مئة جندي بقيادة حمد بن سليمان وخالد القرني للتفاهم مع الإدريسي، واتخاذ الإجراءات اللازمة. فلما علم بما حدث لابن زعير ألحق بهم سرية بقيادة محمد بن شهيل<sup>(١)</sup>. وقد استطاع من أرسلهم الاستيلاء على بلدة جازان<sup>(٢)</sup>. ثم أرسل بعد ذلك ثلاث سرايا؛ الأولى بقيادة عمر بن عسكر وعبد الوهاب أبي ملحمة، والثانية بقيادة خالد ابن لؤي، والثالثة بقيادة عمر بن ربيعان<sup>(٣)</sup>. وبعد هذا بعث جيشاً كبيراً بقيادة الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي، الذي أصبح القائد العام للقوات السعودية في تلك المنطقة، والذي تمّ على يديه إنهاء حركة الإدريسي التمردية<sup>(٤)</sup>. وقد فرّ الإدريسي وعدد كبير ممن تعاونوا معه إلى اليمن. فعفا الملك عبد العزيز عن الجميع، وعاد الفارون من أهل منطقة جازان إلى بلدانهم. أما الإدريسي وعائلته فطلب الإمام يحيى من الملك عبد العزيز أن يبقوا في اليمن، فوافق على ذلك، وخصص لهم مرتبّات سخية، وبذلك عام ١٣٥١هـ<sup>(٥)</sup>.

١٩٣٣م.

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٨١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ص ١٠١٤، ١٠١٩ و ١٠٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٣١.

(٥) الذكر، نسخة خاصة، ص ص ١٩ - ٢٠: ابن هذلول، ص ٢١٦.

مشكلة المعارضين من الإخوان





١- بداية المشكلة وتطورها :

سبق الحديث عن بداية حركة الإخوان التي كانت انطلاقة عظيمة في تاريخ البلاد، وورد في ثنايا الكلام عن توحيد مناطقها؛ خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ما قاموا به من جهود كبيرة في ذلك التوحيد<sup>(١)</sup>. على أن المتبَّع لسير تلك الحركة يرى أن بعض الإخوان لم يفهموا الدين فهماً صحيحاً، فَعَلُّوا في نظرهم إلى الحاضرة من السكان وإلى من لم يستوطن الهجر من البادية. وكان من مظاهر ذلك العُلُوّ إيقافهم الناس في البلدان لمساءلتهم عن أصول الدين وأحكامه. بل إنهم راحوا يشكُّون في إيمان غيرهم من الحاضرة والبادية بحيث حرَّموا ذبائحهم، وأباحوا الاعتداء عليهم<sup>(٢)</sup>. وأدرك الملك عبدالعزیز ما قد يترتب على ذلك من عواقب وخيمة، فاستفتى العلماء، وأفتوا بأن تلك النظرة لا تتفق مع أصول الدين الحنيف.

(١) انظر ص ص ١٦٩ - ١٧١، ١٧٨، ١٨٤ - ١٨٥، ١٩٠ - ١٩٩ من هذا الجزء من الكتاب.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ص ١٦٧ - ١٦٨. ويعلّل هذا المؤلف ذلك التطرّف بعدم فهم بعض الدعاة الذين أوفدوا إليهم لساحة الدين. ومن الطريف ما ذكره العبيد (ص ص ٢٣٨ - ٢٣٩) - وهو قريب رحماً لعبد الله الجفالي - من أن هذا الأخير أعدّ غداء لخالد بن لؤي وجماعته بعد دخولهم مكة عام ١٣٤٣هـ، فاستفسر خالد من العبيد عن ذلك الغداء. فلما أخبره أنه يشتمل على ذبيحتين توقف في الذهاب إليه، ولم يذهب إلا بعد أن أفتاه الشيخ عبد الرحمن بن داود بحلّ الذبيحتين. وهذا يعني أن شيئاً من تلك النظرة المتطرّفة بقي في بعض النفوس.

وكانت تلك الفتوى عام ١٣٣٧هـ (١). وبعدها تحسّن الوضع بدرجة لا بأس بها.

ولما وحّد الملك عبد العزيز الحجاز مع ما سبق أن وحّده من المناطق بذات بعض بوادر الاختلاف بينه وبين عدد من قادة الإخوان؛ خاصة فيصل الدويش، وسلطان بن بجاد، وضيدان بن حثلين (٢). وكان من الأسباب الظاهرة لذلك الاختلاف استخدامه لمخترعات حديثة كالبرقيات والهاتف، ومرونته في التعامل مع دول وفئات يرون خطأ مرونة التعامل معها؛ إضافة إلى أمور أخرى كانت موجودة قبل توحيد الحجاز (٣).

ومن المحتمل أن ما أعلنه أولئك الزعماء كان معبراً عن نظرهم حقيقة إلى تلك الأمور، أو بعضها على الأقل (٤). لكن من المحتمل، أيضاً، أن تلك المآخذ المعلنة ليست الأسباب الحقيقية، أو الأسباب المهمّة، لاختلافهم مع الملك عبد العزيز. والمتتبع لسير الأحداث خلال

---

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٦٧ — ١٦٨. وقد أورد الفتوى ومنشور الملك عبد العزيز الموجه إلى الإخوان بناء عليها.

(٢) ضيدان: أحد زعماء قبيلة العجمان المشهورين.

(٣) توجد مأخذهم المعلنة على الملك عبد العزيز لدى ابن هذلول، ص ١٨٦. ومما أخذوه عليه إرسال ابنه سعود إلى مصر وابنه فيصل إلى بريطانيا. ومن الأمور التي لم يوردها المؤلف في قائمة المآخذ، وإنما وردت في فتوى العلماء حولها: قضية المحمل المصري، ومسألة غزو الدول المجاورة. المصدر نفسه، ص ١٨٨ — ١٨٩.

(٤) ذلك أن العلماء أنفسهم أعلنوا إنكار بعض ما أنكروه أولئك الزعماء، وإن أوضحوا بجلاء أن كونها منكرًا لا يبيح الخروج على وليّ الأمر بسببها. المصدر نفسه، ص ١٨٩.

العمليات العسكرية السعودية في الحجاز، وما ترتب عليها، يتضح له ما يلي :

عندما انطلقت قوات الإخوان صوب الحجاز، عام ١٣٤٣هـ، كان أبرز قائد من قادتهم من حيث كثرة الأتباع بين تلك القوات سلطان ابن بجاد، الذي كان له النصيب الأوفى هو وأتباعه، أيضاً، في معركة تُربّة من قبل (١). ومع ذلك لم تسند إليه مقاليد الأمور في مكة بعد دخولها؛ بل أسندت إلى خالد بن لؤي (٢). وقد عاد إلى نجد قبل استسلام جدة للملك عبد العزيز (٣). أما الدويش فلم يلتحق بقوات الملك إلا بعد دخولها الطائف ومكة لأنه كان مشغولاً بالجبهة مع العراق (٤). ولعلّ هذا كان أحد أسباب حرصه على أن يتم تسليم المدينة المنورة على يديه كي ينال ما نال ابن بجاد من سمعة وشهرة في ذلك الميدان. لكنه، مع محاصرته لهذه المدينة فترة، اضطر إلى الارتحال من عندها إلى نجد قبل تسليمها - كما سبق ذكره - مهما كان سبب ارتحاله (٥). فلم ينل ما حرص على نيله. وربما كان هذان الزعيمان قد

---

(١) ابن ناصر، ص ١٢٢.

(٢) الزركلي، ج ١، ص ٣٣٠؛ ابن هذلول، ص ١٥٦. وقد يكون من أسباب إسناد الأمر لخالد أنه من الأشراف. فهو بهذا أقرب إلى نفوس السكان من سلطان، إضافة إلى أنه يبدو أكثر مرونة من هذا الأخير.

(٣) ابن ناصر، ص ١٤١. ولم يذكر سبب عودته. ومن المحتمل أنه عاد بعد أن جدّد الملك بعض أتباعه بإحلال آخرين محلهم رافة بهم.

(٤) انظر ص ١٩٠ من هذا الجزء من الكتاب.

(٥) انظر ص ١٩٨ من هذا الجزء من الكتاب.

أحسًا بأنهما لم يدركا من المشاركة في العمليات السعودية العسكرية في الحجاز ما اعتقدا أنها يستحقان من مكاسب<sup>(١)</sup>. أما ابن حثلين فلم يشارك في تلك العمليات لأنه لم يتحمَّس، فيما يبدو، في التوجه إلى تلك المنطقة عندما طلب منه الملك عبد العزيز ذلك. ولهذا أمره الملك بأن يعود إلى مركزه قبل وصوله إليها<sup>(٢)</sup>. ولعلَّه عدَّ ذلك الأمر عقاباً له أو عدم ثقة به. وكانت قد عقدت اتفاقية بحرة بين الملك عبد العزيز والمفوض البريطاني السير كلايتون نائباً عن حكومة العراق. وذلك في ١٥/٤/١٣٤٤ هـ. وقد حدَّدت بموجبها الحدود بين السعودية والعراق، ونصَّ فيها على ألاَّ تعتدي قوات إحداهما على أراضي الأخرى. وفي اليوم التالي عقدت بين الملك وذلك المفوض اتفاقية حدَّة التي حدَّدت بموجبها الحدود بين السعودية والأردن، ونصَّ فيها على مثل الذي نصَّ عليه في الاتفاقية الأولى<sup>(٣)</sup>. وكان معنى هذا - في نظر بعض قادة الإخوان - أنه قد سُدَّت أمامهم طرق كانوا يعبرونها إما اعتقاداً منهم أن أهل القطرين المذكورين يستحقون الغزو دينياً، أو رغبة منهم في الحصول على غنائم<sup>(٤)</sup>.

(١) الذكر، نسخة خاصة، ص ١١٤.

(٢) الزركلي، ج ٢، ص ٤٦٦.

(٣) انظر نص الاتفاقيتين في الريحاني، ص ص ٤٣٥ - ٤٤٥.

(٤) من الجدير بالذكر أن الإخوان أشاروا إلى هذه المسألة في مأخذهم على الملك عبد العزيز. وكان الملك، أيضاً، أباح لقبائل القطرين الرعي في الأراضي السعودية. انظر ابن هذلول، ص ١٨٦.

وفي حج عام ١٣٤٤هـ حدثت مسألة المحمل المصري المشهورة، التي راح ضحيتها أربعون من الإخوان. وقام الملك بحراسة الحجاج المصريين حتى أدوا مناسكهم، وعادوا إلى وطنهم. ثم دفع ديات القتلى من الإخوان، وعوّضهم عما قُتل من إبلهم<sup>(١)</sup>.

كانت تلك إذاً خلفية إعلان ما أعلنه زعماء الإخوان المشار إليهم سابقاً. وكانت بداية أعمالهم لبلورة موقفهم أن اجتمعوا في الأرباطوية، مقر الدويش، وبعاهدوا على أن يكونوا صفاً واحداً في وجه من يخالفهم للرأي. وأعلنوا ما أخذهم<sup>(٢)</sup>. وكان الملك عبد العزيز حينذاك في الحجاز، فقدم إلى نجد، وحاول أن يجتنب سياسة المواجهة معهم

---

(١) تختلف المصادر في تفصيلات الحادثة. فابن هذلول (ص ١٨٤) يذكر أن العسكر عزفوا الموسيقى، وأن المقتولين من الإخوان خمسة وعشرون، وأن الملك بعث ابنه سعوداً وفضلاً إلى محل الحادثة. وابن ناصر (ص ص ١٥٦ - ١٥٧) يقول: إن الإخوان سمعوا أبواقاً، فأنكروا ذلك الفعل، وأن الملك بعث ابنه سعوداً لتهدئة الموقف. ولما قاما بذلك فوجئ الجميع بإطلاق النار على الإخوان. ثم لحق الملك بابنيه وهدأ الموقف من جديد. وأما الذكر (نسخة بغداد، ص ١٤٠) فيقول: إن الحكومة المصرية قد تعهدت بعدم الإتيان بآلات موسيقية، وإن الإخوان فوجئوا بمظهر المحمل وبهرجته، فراحوا يرمونه بالحصى على أنه بدعة، فأمر قائد العسكر المصريين بإطلاق النار عليهم، وقُتل منهم أربعون رجلاً وأعداد من الإبل. ولما سمع الملك إطلاق النار هرع إلى مكان الحادثة ومعه ابنه سعود وفضل وآخرون، وهدأ الموقف. ثم حرس المصريين حتى عادوا إلى وطنهم، ودفع ديات القتلى وثمن الإبل.

(٢) ابن هذلول، ص ١٨٦؛ الزركلي، ج ٢، ص ٤٧٢.

منذ البداية . وراح يصدق عليهم الأموال والهدايا<sup>(١)</sup> . ثم دعا إلى مؤتمر في رجب عام ١٣٤٥ هـ . وحضره أكثر زعماء الإخوان . ومن لم يحضره سلطان بن بجاد<sup>(٢)</sup> . وقد أوضح الملك في بدايته تمسكه بدين الله ؛ عقيدة ، وشريعة ، وتطبيقاً . وانتهى المؤتمر باستفتاء العلماء حول مآخذ بعض الإخوان . فأقوتوا بتوقفهم في مسألة البرق والهاتف ، وأنكروا بعض ما أنكره الإخوان كالمكوس ، وربطوا قضية الجهاد بالإمام . لكنهم أكدوا بجلاء أن إنكار ما هو منكر من تلك المآخذ لا يبيح الخروج على وليّ الأمر<sup>(٣)</sup> . على أن تلك الفتوى ، رغم أهميتها المعنوية بالنسبة للملك عبد العزيز ، لم تغرّ موقف الذين عارضوه . وحدث أن حكومة العراق شرعت في بناء مخفر بُصَيَّة على حدودها مع السعودية خلافاً لما نصّ عليه بروتوكول العُقَيْر المعقود بين البلدين<sup>(٤)</sup> ، سنة ١٣٤١ هـ<sup>(٥)</sup> .

واتصل الملك عبد العزيز بالسلطات البريطانية في المنطقة لحلّ تلك المشكلة سلمياً . لكن الدويش - ومركزه أقرب مراكز المعارضين إلى ذلك المخفر - قرّر أن يأخذ زمام الأمر بيده ، فهجم أتباعه على الحامية التي كانت هناك وقتلوا بعض أفرادها ، وهدموا ما بُني ؛ وذلك عام

(١) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٠ .

(٢) الزركلي، ج ٢، ص ٤٧٣ .

(٣) ابن هذلول، ص ص ١٨٧ - ١٨٩ .

(٤) والمراد اتفاقية العقير. الزركلي، ج ٢، ص ٤٧٥ .

(٥) ماضي آل سعود، ص ٨٢ .

١٣٤٦هـ (١). ولعلّه أراد بذلك إحراج الملك عبد العزيز مع تلك السلطات، وإظهاره بمظهر غير المسيطر على شؤون البلاد، وكسب عواطف المتحمّسين من الإخوان الذين سيرونه البطل المدافع فعلاً عن الحقوق الوطنية. واحتج البريطانيون على الملك عبد العزيز لما فعل الدويش، فأجاب أنهم هم الذين بدأوا الشر ببناء ما اتفق على عدم بنائه، وأنه مع ذلك لم يأمر الدويش بالقيام بما قام به (٢). وظلّ الدويش وأتباعه يغيرون على الأراضي العراقية والكويتية، لكن الطائرات البريطانية كانت تلاحقهم وتنزل بهم خسائر (٣). وظلّ المعارضون للملك عبد العزيز من الإخوان يزدادون نشاطاً، فاجتمعوا في مكان بين الزُّلفي وعينزة يرسمون خططهم المستقبلية (٤). فتوجه الملك عبد العزيز إلى بريدة لمراقبة الوضع عن كثب. وقرب موسم الحج، الذي يتطلّب وجوده في الحجاز، وهم لا يزالون في ذلك المكان. فاضطر إلى إيفاد الأمير عبد العزيز بن مساعد إليهم حاملاً معه ختمه ومفوضاً بتلبية مطالبهم (٥). وأخبرهم أنه سيبحث في جدة

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٠؛ آرسترنج، ص ٢٠٧.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٠.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) العبيد، ص ٢٤٣. ويقال: إنهم اتفقوا على تقسيم البلاد فيما بينهم، المصدر نفسه،

ص ٢٤٢؛ الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٠.

(٥) العبيد، ص ٢٤٣.

كل المشكلات الحدودية مع ممثل بريطانيا ذات النفوذ في الأقطار الواقعة شمال البلاد<sup>(١)</sup>. وانتهى الحج بسلام. ولكن محادثات جدة لم تنجح؛ إذ أصرت بريطانيا على إقامة المخافر<sup>(٢)</sup>. وعاد الملك إلى الرياض في ربيع الأول من العام التالي وهو أكثر تصميمًا على حلّ مشكلة أولئك المعارضين من الإخوان.

لقد رأى الملك من الحكمة أن يطمئن إلى موقف أتباعه لمناصرته في أية خطوة يمكن أن يقدم عليها؛ خاصة أن المعارضين له يعلنون أنهم ينطلقون من المبادئ التي نادى بها هو منذ بداية مسيرته لتوحيد البلاد وهي الجهاد في سبيل الله<sup>(٣)</sup>، وأن يبرهن للجميع بأنه لم يترك فرصة إلا انتهزها لحلّ ما نشأ من خلاف بينه وبين أولئك المعارضين بطريقة سلمية. فدعا إلى مؤتمر يعقد في الرياض ويكون في طليعة من يحضره العلماء وأمراء الحاضرة وزعماء الإخوان والقبائل. وكان حريصاً كل الحرص على أن يحضر قادة المعارضين له بالذات؛ أملاً في إقامة الحجة عليهم أمام المؤتمرين والحصول على بيعتهم مجدّدة لتقوية موقفه في أي

---

(١) ابن هذلول، ص ١٩٠.

(٢) النزكلي، ج ٢، ص ٤٧٨. من الجدير بالذكر أن الإمام عبد الرحمن بن فيصل توفي في شهر ذي الحجة عام ١٣٤٦هـ. الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٠. ويذكر المؤلف أنه

عما أجّل حركة المعارضين للملك ما كانوا يضمرونه لذلك الإمام من تقدير.

(٣) ذلك أنهم رأوا ما عدّوه توقُّفاً عن الجهاد بعد توحيد الحجاز.



إجراء يتخذه ضدهم إن لم يعدلوا عن معارضتهم . ولقيت دعوة الملك تجاوباً كبيراً . فوصل إلى الرياض كثير من المدعويين<sup>(١)</sup> ، لكن الدويش لم يحضر . بل أرسل ابنه عبد العزيز نائباً عنه<sup>(٢)</sup> . ولم يحضر، أيضاً، ابن بجاد<sup>(٣)</sup> . أما ابن حثلين فتوجه إلى الرياض ، لكنه علم وهو في الطريق أن الزعيمين السابقين لن يحضرا ، فعاد إلى شرقي البلاد<sup>(٤)</sup> .

وأجل الملك انعقاد المؤتمر قليلاً أملاً في حضورهم ، فلم يقدموا . وفي الثاني والعشرين من جمادى الأولى بدأ ذلك المؤتمر، الذي عُرف باسم «الجمعية العمومية»<sup>(٥)</sup> . وحضره عدة مئات من الشخصيات المختارة

المثّلة لآلاف التي أجابت الدعوة . ونُظّم جلوس الجميع بدقة بحيث كان أفراد الأسرة الحاكمة عن يمين الملك وشماله والعلماء أمامه في الصف الأول ، ثم أمراء الحاضرة خلفهم يميناً وشمالاً ، وزعماء الإخوان والقبائل في الوسط بين أولئك الأمراء<sup>(٦)</sup> .

(١) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧١ . وقد قَدَّر من وصل إليها بالآلاف ، وكذلك قَدَّرهم آرسترونج ص ٢١١ .

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٠ ؛ الزركلي، ج ٢، ص ٤٧٩ .

(٣) يذكر العبيد (ص ٢٤٤) أن ابن بجاد أرسل نيابة عنه ابن عمه علوش بن حميد .

(٤) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٠ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧١ ؛ أم القرى، ١٥/٧/١٣٤٧هـ . وقد أخطأ ابن هذلول (ص ١٩١) في قوله : إنه عُقد في العاشر من ذلك الشهر .

(٦) الذكر، نسخة خاصة ص ١٧١ . وفيه أوفى وصف لذلك المؤتمر . ويمكن، أيضاً، الرجوع إلى محمد المناع، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الله العثيمين، الدمام، ١٤٠٢هـ، ص ص ١٢٠ - ١٢٢ .

افتتح الملك المؤتمر بإيضاح سبب انعقاده، ثم تساءل عما إذا كانت لدى أي إنسان من الحاضرين شكوى ضده أو ضد أحد عمّاله . وبعد ذلك أبان ما قام به من أعمال . ثم عرض عليهم أن يتنازل عن الحكم ليختاروا غيره من آل سعود . وكان هذا العرض فكرة بارعة ألهبت حماسهم ، وجعلتهم يصلون بأنهم لا يرضون به بديلاً<sup>(١)</sup> . وعندئذ وجه كلامه إلى العلماء متسائلاً عما إذا كانوا يرونه مخالفاً للشرع في أي أمر من الأمور؟ فأجابوا بأنهم لم يروا منه إلا الالتزام بذلك الشرع المطهر . ثم تكلم بعض زعماء الإخوان والقبائل مؤيدين له إلا أنهم أثاروا مسائل لا يزال في نفوسهم منها شيء . ومن تلك المسائل البرقيات أهى سحر أم غير سحر؟ والمخافر (القصور) التي بنيت على أمكنة كانت مراعي «للمسلمين» أيجوز شرعاً السكوت عنها؟ والجهاد في سبيل الله أيجلّ توقّفه؟ فأفتى العلماء بإعادة ما سبق أن قالوه عن البرقيات ؛ وهو التوقّف . أما المخافر فضرر واضح يجب على الملك أن يسعى لإزالته ديناً وحميةً ، لكن الأمر متروك له ليعالجه بالطريقة التي يراها . وأما الجهاد فواجب . غير أن إعلانه شأن من شؤون وليّ الأمر<sup>(٢)</sup> . وبدا وكأن الحاضرين قد اقتنعوا بتلك الفتوى .

(١) يذكر العبيد (ص ٢٤٤) أن أحد كبار حوطة بني تميم نهض ، وقال للملك : معاذ الله أن نقبل ولاية غيرك ، لكن أخبرنا من الذي كدّر خاطرك حتى قلت ما قلت؟ «والله إن يطيح راسه عندك» .

(٢) الذكير، نسخة خاصة، ص ص ١٧٣ - ١٧٥ ؛ الزركلي، ج ٢، ص ص ٤٧٩ - ٤٨٤ .

وكانت نهاية ذلك المؤتمر، أو الجمعية العمومية، أن جدد الجميع للملك البيعة (١). وكان ذلك مما أعطاه الضوء الأخضر في اتخاذ ما يراه من إجراءات ضد المعارضين له.

## ٢ - معركة السبلة: ١٣٤١هـ

مع أن نهاية لقاء «الجمعية العمومية» في الرياض كانت نصراً سياسياً للملك عبد العزيز على معارضيه من الإخوان فإنهم لم يغيروا موقفهم. وأعلنوا أنهم القائمون حقاً بأمر الدين والجهاد (٢). وقد ألح ابن بجاد على الملك كي يسمح له ولأتباعه بغزو من وصفهم بأعداء الدين خارج حدود البلاد الشمالية (٣). وفعل مثل ذلك الدويش في رسالة إلى ابن الملك، سعود (٤). أما ابن حثلين فقام فعلاً بمهاجمة

(١) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ٤٨٥. ويذكر العبيد (ص ٢٤٤) أن أمير عنيزة، عبدالعزيز بن سليم قال: لقد بايعتك في الكويت سنة ١٣٢٠هـ فهل جرى مني نقض للبيعة؟ قال: لا. وأورد مثل ذلك المانع، ص ١٢٢.

(٢) وهبة، ص ٢٩٨.

(٣) يذكر العبيد (ص ٢٤٦ - ٢٤٧) أن الملك استدعى الشيخ عبد الله بن بليهد من الفوارة، وأطلعه على رسالة من ابن بجاد إليه يذكر فيها أن أتباعه ثائرون عليه يريدون أن يسمح لهم بالغزو وإلا فإنهم سيغزون بدون سماح. وأن الشيخ أشار عليه بأن يدعهم يفعلون ذلك.

(٤) حبيب، ص ١٣٦. يذكر الدويش فيها لسعود أنه من الصعب على أتباعه أن يمنعوا من الغزو. لأنهم بهذا المنع أصبحوا لا مسلمين يقاتلون كفاراً، ولا بدواً يعيشون من غارات بعضهم على بعض.

بعض القبائل العراقية<sup>(١)</sup>. وبدا الملك مترثاً في اتخاذ قرار بشأن ذلك الموضوع انتظاراً، فيما يبدو، لتبلور أمور عدة . منها التوصل مع بريطانيا إلى حلٍّ لمسألة الفارين من بلاده إلى البلدان التي كانت لها هيمنة عليها . ولعلَّ ذلك التريث كان سبباً من أسباب إقدام المعارضين له على العمل ، أو التمرد . فقد سار ابن بجاد بأتباعه ومن انضم إليه ممن حوله من أهل الهجر إلى منطقة الأرتاوية، مركز الدويش . والتحق به هناك من التحق . فتوجه بالجميع شمالاً، وراحوا يغيرون على فئات من القبائل التابعة للملك عبد العزيز . بل إنهم صادروا إبلاً لتجار من بريدة، وقتلوا أصحابها<sup>(٢)</sup>. وبذلك اتضح أن أعمالهم لم تُوجَّه إلى من هم خارج البلاد وحدهم — كما أعلنوا أنهم سيفعلون — وإنما شملت أربياء من أبناء البلاد أيضاً . فلم يعد الملك يطبق صبراً على أفعالهم . وأمر أتباعه بالاستعداد للقتال، والتوجه إلى القصيم<sup>(٣)</sup> . وانطلق إلى بريدة في العشر الأواخر من رمضان . ولم يحلَّ

(١) الزركلي، ج ٢، ص ٤٨٦ .

(٢) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٧٦؛ ابن هذلول، ص ١٦٢؛ العبيد، ص ١٤٧ .

(٣) يذكر المانع (ص ١٢٩) أن عبد الله بن جلوي وعبد العزيز بن مساعد قاما بجهود لعرقلة أية محاولة يقوم بها أنصار المعارضين للملك في جهاتهما للانضمام إلى أولئك المعارضين . لكن جلوب (وترجمة عنوان كتابه الحرب في الصحراء، نيويورك، ١٩٦١م، ص ٢٨٥) يقول: إن الدويش سأل ابن حثلين أن يبقى في شمالي شرق البلاد لحماية ظهره ضد أي هجوم قد يقوم به أمير الأحساء والقطيف، عبد الله بن جلوي . على أن الصحيح أن ابن حثلين كان متفقاً مع ابن بجاد والدويش في مهاجمة من هم خارج البلاد فقط، ولم يرد محاربة الملك وأتباعه . الذكير، نسخة خاصة، ص ١٨٣ .

العاشر من شوال إلا وقد اجتمع لديه حولها أعداد كبيرة من الحاضرة والبادية والإخوان المتمسكين بولائهم له<sup>(١)</sup>. فسار بهم إلى النّبقيّة، التي كان قد وصل إليها ابنه سعود بآلاف من أهل العارض وما حوله. ولما تكاملت قواته هناك زحف بها جميعاً إلى الزلفي<sup>(٢)</sup>.

وكان ابن بجاد - بعد أن عمل ما عمل في شمال البلاد - قد عاد إلى الأرتاوية. ثم تحرّك منها هو والدويش إلى السبلة القريبة من الزلفي<sup>(٣)</sup>. ومع أن كلاً من الملك عبد العزيز والمعارضين له قد أصبحا على شفا الحرب فإنهما لم يكونا، فيما يبدو، متحمّسين لها قبل استنفاد جميع الوسائل السلمية لحلّ الخلاف بينهما. ولعلّ مما يدلّ على ذلك ما قام به كلٌّ منهما من اتصال بالآخر. فقد أرسل إليهم الملك الشيخ عبدالله العنقري ليقنعهم بالنزول على حكم الشرع لما قاموا به من اعتداءات، لكنه لم ينجح في ذلك<sup>(٤)</sup>. فتحرّك الملك بقواته حتى نزل قرب خصومه. وحينئذ بعث إليه ابن بجاد ماجد بن خُثَيْلة ليفاوضه.

---

(١) من الإخوان الموالين للملك حرب وقحطان وسبيع وشمّر وغيرها إلا من ندر من تلك القبائل؛ إضافة إلى فئات من عنزة والظفير. بل إن فئات من عتيبة في طليعتها ابن ربيعان وأتباعه، وفئات من مطير في طليعتها ابن بصيص والدياحين، بقيت موالية له. المصدر الأخير نفسه، ص ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ ابن هذلول، ص ١٩٢.

(٣) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٦.

(٤) ابن ناصر، ج ١ ص ١٨٤؛ المانع، ص ١٣٥. وكان مع الشيخ العنقري الشيخ عبد العزيز

لشكري

فأصرَّ على أنه لا بد من رضوخ المعتدين لحكم الشرع . ثم قدم إليه الدويش نفسه ، وتناقش معه ، فعاد إلى الإخوان واعداً أن يقنع ابن بجاد ورفاقه بتلبية طلب الملك ويرسل إجابتهم إليه . وقد أنذره الملك بأنه إن لم يتلقَّ تلك الإجابة قبل الصباح فإنه سيهاجمهم . لكن الدويش - كما تذكر بعض المصادر - لم يحاول إقناع رفاقه من الإخوان بما وعد أن يقنعهم به ؛ بل أغراهم بالحرب<sup>(١)</sup> . وحلَّ الصباح وإجابة الإخوان لم ترد . فأعدَّ الملك قواته للهجوم بحيث كان هو في القلب ، وجعل ابنه سعوداً على ميمنة الخيالة ، وأخاه محمد بن عبد الرحمن على ميسرتها . وبدأ إطلاق النار بين الطرفين . ويبدو أن الإخوان قد توهموا بأن الملك وأتباعه قد بدأوا في الانهزام ، فترك بعضهم متاريسهم ، وأقبلوا مهاجمين ، فتعرَّضوا لنيران كثيفة أودت بحياة أعداد منهم ، ثم

---

(١) اختلفت المصادر كثيراً حول تفصيلات مقابلة الدويش للملك ، وما قال له . فابن ناصر (ج ١ ، ص ١٨٥) يقول - نقلاً عن شيخه العنقري - إن الدويش أتى إلى الملك برفقة ذلك الشيخ ، وأقام عنده ثلاثة أيام عاهده خلالها على السمع والطاعة ، ووعد أن يقدم عليه مع ابن بجاد فإن أبي هذا الأخير فسينفصل عنه ويعود إلى الأوطاية . ويتفق معه جلوب (ص ٢٨٦) في أن الدويش قد وعد بأنه سينصرف إلى الأوطاية إن لم يوافق ابن بجاد على المجيء معه إلى الملك . ويقول : إن الدويش بات ليلة في معسكر الملك . ويذكر ذلك ، أيضاً ، المانع ، ص ١٣٨ . وكان هذا الأخير مع الملك حينذاك مترجماً لديه . وهو أكثر من فصل تلك الحادثة . ومن المصادر ما يذكر أن الدويش لم ينم في معسكر الملك ؛ بل أمره الملك أن يعود إلى رفاقه . انظر وهبة ، ص ٣٠٠ ؛ ابن هذلول ، ص ١٩٣ . ولعلَّ ذلك الأمر كان في اليوم التالي لمبيت الدويش ، فلا تعارض .

انقضت خيالة الملك عبد العزيز على خصومه باندفاع كبير، ولم تمرّ نصف ساعة على بدء القتال إلا وقد أخذ أولئك الخصوم في الانهزام وتعقبهم خيالة الملك عبد العزيز قليلاً، ثم كفوا عنهم بأمر منه؛ إذ لم يرد قتل مزيد منهم وهم مدبرون<sup>(١)</sup>. وقد أصيب الدويش برصاصة في خاصرته، فحملة أحد أتباعه على فرسه إلى الأوطاوية، وتوجه ابن بجاد وفلول أتباعه جنوباً<sup>(٢)</sup>. وهكذا انتهت معركة السبلة المشهورة، التي وقعت في التاسع عشر من شوال عام ١٣٤٧هـ/ ٣٠/٣/١٩٢٩م<sup>(٣)</sup>.

وكانت معركة السبلة من الأهميّة بمكان عظيم. فقد كانت أول مجابهة عسكرية بين الملك عبد العزيز وطائفة سبق أن قامت بجهود كبيرة في مراحل مهمّة من توحيد البلاد. ولذلك خاضها بعد أن أعيته السبل لتفاديها. ومع أن عدد القتلى من خصومه لم يكن كبيراً

(١) ابن ناصر، ص ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) من أوفى التفاصيل عن سير المعركة ما أورده الذكير، نسخة خاصة، ص ص ١٧٧ - ١٧٨، والمناج، ص ص ١٤٢ - ١٤٥. ومما ذكره هذا الأخير أن الإخوان فوجئوا عند اندفاعهم من متاريسهم بنيران رشاشات كانت مع الملك عبد العزيز دون علمهم. ومن المصادر التي فصّلت الحديث عنها أم القرى ٣/١١/١٣٤٧هـ، وجلوب، ص ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) الزركلي، ج ٢، ص ٤٨٨.

على أرجح الروايات (١) فإن الهالة التي كانت تحيط بهم لم يعد لها ذلك البريق السابق .

### ٣ - ما بعد السبلة حتى نهاية مشكلة المعارضين:

بعد انتصار الملك عبد العزيز في معركة السبلة قدمت إليه نساء أسرة الدويش يشفعن له عنده . ثم تحرك نحو الأوطاوية . فلما اقترب منها أتى إليه بذلك الزعيم محمولاً على نعش . فأمر طبيبه الخاص بالكشف عليه ومعالجته . وعند مقابلته له شخصياً وبخه على تمرده ، فطلب منه العفو، فعفا عنه (٢) . ثم توجه إلى شقراء . ومن المرجح جداً أن ذلك العفو كان السبب الأكبر في استئذان ابن بجاد للقدوم عليه أملاً في أن يعامله معاملة الدويش (٣) . لكنه لما قدم عليه مع عدد من كبار قومه قبض عليه وعلى من رآهم ارتكبوا ذنباً لا يغتفر في حقه ، وأرسلهم إلى سجن الرياض (٤) . ثم أرسل ابنه سعوداً وأخاه عبد الله

---

(١) قَدَّرهم ابن ناصر (ج ١ ، ص ١٩٢) بأربع مئة . وقال (ج ١ ، ص ١٩٧) : إن قتلى من كانوا مع عبد العزيز الدويش في أم رضة - بعد ذلك - كانوا خمس مئة . ولا تؤيد الروايات الراجحة ما ذكره ابن هذلول (ص ١٩٤) من أن معظم الإخوان قد أيدوا .  
(٢) من أوفى المصادر تفصيلاً لتلك الحادثة المانع ، ص ص ١٤٧ - ١٥١ ؛ جلوب ، ص ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) من المحتمل أن الدويش قد شجعه على الذهاب إلى الملك ، كما ذكر ذلك العبيد ، ص ٢٤٨ . وقد حذر عدد من قومه من ذلك الذهاب ، لكنه لم يلتفت إلى تحذيرهم .  
(٤) الذكر ، نسخة خاصة ، ص ص ١٧٨ - ١٧٩ ؛ ابن ناصر ، ص ١٩٢ .



ابن عبد الرحمن إلى الغطظ - هجرة ابن بجاد - فهدهاها(١). أما هو فمضى بكثير من أتباعه إلى القصيم حيث اعتقل عدداً من الوعاظ الذين حرّضوا الإخوان على التمرد، وأُتي إليه بأحد زعماء حرب المتمردين، فأرسل الجميع إلى سجن الرياض(٢). ثم أذن لمن معه من الإخوان بالرجوع إلى مواطنهم، وأمر فئات من الحاضرة أن يلتحقوا بابن مساعد، الذي كان حينذاك في الشُعبيّة. ومضى إلى الحجاز لاقترب موسم الحج(٣).

على أن مشكلة الإخوان لم تنته بانتصار الملك عبد العزيز في السبلة رغم أهميّة ذلك الانتصار. كان من الإجراءات التي قام بها قبل توجهه إلى الحجاز أن طلب من أمراء المناطق، كابن جلوي وابن مساعد، أن يأخذوا السلاح والخيول والجيش من القبائل التي لم تقف معه في المعركة المذكورة(٤). وكان ضيدان بن حثلين قد بعث إليه قبلها يخبره أنه متفق مع ابن بجاد والدويش على إزالة ما وُضع على الحدود مع

---

(١) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٩. أما ابن هذلول (ص ١٩٤) فيذكر أن الذي قام بهدهاها سعود.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٩.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٧٩.

العراق، لكنه يبرأ من أعمالهما ضد أبناء البلاد<sup>(١)</sup>. فكتب إليه الملك بعدها خطاباً لم يفهم منه أنه راضٍ عنه أو غاضب عليه. فاستنجد بالأمير عبد الله بن جلوي لمساعدته كي يبعث إليه الملك ما يطمئنه. فطمأنه هذا الأمير، وأخبره أن ابنه فهداً سيخرج بقوات تكون مستعدة لأي توجيه من الملك. وخرج فهد بتلك القوات<sup>(٢)</sup>؛ وبينها فئات من العجمان يتزعم بعضها نايف بن حثلين، الذي كان منافساً لضيدان. ووصل إلى مكان قريب من الصرّار، مركز هذا الزعيم وجماعته، فأرسل ضيدان إليه يستفسر عما يريد، فكتب إليه أنه لا يريد إلا الخير، وطلب منه القدوم إليه. فاستشار كبار جماعته، واستقر رأيهم على أن يذهب إليه، ويتبعه أربع مئة رجل يكمنون قريباً من مكان فهد. فإن رجع إليهم، أو جاءهم رسول منه، قبل مضيّ أربع ساعات على غروب الشمس وإلا فلهم أن يتخذوا ما يرونه من إجراء. ورحّب فهد بضيدان والرجال الخمسة الذين معه. ثم ذهبوا لتناول القهوة عند أحد أقاربه. فلما استقرّوا هناك أمر فهد بتقييدهم، فقيّدوا، ووضعوا في

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٠. وقد ذكر هذا المؤرخ (ص ١٨٢)، الذي كان قريباً في عمله الإداري من الأمير عبد الله بن جلوي، أن ضيدان «كان شاباً ذكياً فارساً كريماً نشأ تحت كنف الإمام عبد العزيز لما كان صغيراً، وأنزله عنده في الرياض، ورثب له الرواتب الكافية من طعام وغيره، وبذل عناية في تربيته، فقرأ وكتب ودرس شيئاً من علوم الدين».

(٢) من تلك القوات حوالي ست مئة من الحاضرة؛ إضافة إلى قبائل آل مُرّة وبني خالد وبني هاجر. المصدر نفسه، ص ١٨٣.

خيمة تحت حراسة مشدّدة. فاستفسر ضيدان عما يريد فهد، فأخبره أنه يريد أن يُسلم إليه السلاح والخيل والجيش<sup>(١)</sup>، فتعهّد ضيدان بتسليم ما أريد، لكنه قال لفهد: إن جماعته يمكن أن يهجموا عليه إن لم يأتهم خبر منه في الوقت المذكور، واستأذنه في إرسال أحد رفاقه إليهم، أو الكتابة لهم، لئلا يقوموا بهجومهم. فأذن له بالكتابة. وبعث فهد رسالة مع أحد العجمان، لكنها لم تصل<sup>(٢)</sup>. ويبدو أن فهداً توقّع ذلك الهجوم؛ إذ أمر الذين يجرسون ضيدان ورفاقه بقتلهم عند سماعهم أول طلقة رصاص من جماعتهم. وحدث الهجوم، ونفّذ الحرس ما أمروا به. واشتدّ القتال، فانضم نايف بن حثلين إلى جماعة ضيدان<sup>(٣)</sup>، وقُتل فهد<sup>(٤)</sup>، وهزمت قواته من الحاضرة خاصة<sup>(٥)</sup>، واستولى المنتصرون على ما في خيمه من خيل وجيش وموئن؛ وذلك في

(١) يقصد بالجيش الإبل المعدّة للغزو.

(٢) يعلّل الذكر (نسخة خاصة، ص ١٨٥) عدم وصولها بأن من استلمها من فهد لم يكن حريصاً على أن تصل إلى العجمان كرهاً لضيدان.

(٣) يعزو الذكر انضمامه إلى رغبته في زعامة القبيلة بعد مقتل ضيدان، المصدر نفسه، ص ١٨٦. وهذا سبب محتمل. لكن من المحتمل، أيضاً، أن شعوره بخطأ فهد على رجل من أسرته كان سبباً آخر.

(٤) قتله أحد العجمان الذين كانوا معه ثأراً، فيما يبدو، لمقتل ضيدان. ابن ناصر، ص ١٩٤؛ جلوب، ص ٢٩٤.

(٥) يقول الذكر (نسخة خاصة، ص ١٨٦): إن كثيراً من أصحاب الحجر والبادية كانوا بعيدين نسبياً عن الميدان، ولم يشتركوا في صد الهجوم. وأشار إلى عدم اشتراكهم، أيضاً، جلوب، ص ٢٩٤.

التاسع عشر من ذي القعدة عام ١٣٤٧هـ (١). وتوقع نايف ومن والاه من قبيلته أن الأمير عبد الله بن جلوي سيعاقبهم، فاتجهوا شمالاً حتى نزلوا الوفرء (٢).

وكان لما حدث قرب الصرّار أثره في رفع معنويات المناوئين للملك عبد العزيز من الإخوان. وكان فرحان بن مشهور العنزى نشطاً في إغاراته على أتباع الملك شمال البلاد قبيل معركة السبلة؛ وذلك بدعم من ابن بجاد (٣). فلما اتضح نتيجة تلك المعركة انفصل عنه من دعمه بهم هذا الزعيم، وتوجه هو إلى الأراضي الكويتية تفادياً لهجوم يمكن أن يشنّه عليه الأمير عبد العزيز بن مساعد (٤). ووصل أخيراً إلى نايف بن حثلين (٥)، الذي وصلت إليه، أيضاً، فئات من مطير وغيرها (٦). ويبدو أن المتعاطفين مع ابن بجاد من عتية قد ساءهم أن يسمح الملك عبد العزيز عن الدويش ولا يسمح لابن بجاد، كما

---

(١) من أوفى المصادر عن تلك الحادثة ما أورده الذكر، نسخة خاصة، ص ص ١٨٣ - ١٨٦.

(٢) الزركلي، ج ٢، ص ٤٨٩.

(٣) جلوب، ص ٢٩٥.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥) انتهى الأمر بابن مشهور إلى اللجوء إلى السلطات البريطانية في العراق في

١٦/٧/١٣٤٨هـ. وقبلت لجوءه تلك السلطات على أساس أنه من سوريا. انظر

جلوب، ص ٣٢١.

(٦) الزركلي، ج ٢، ص ٤٨٩.

ساءهم تهديم هجرة الغطظ . فانضم هذا وذاك إلى عوامل أخرى ، ونشطوا مرة ثانية بقيادة مقعد الدهينة . بل إن الدويش نفسه سُفي من جراحه ، فلم يلزم السكنة ، وإنما توجه بأتباعه شمالاً حتى اقترب من الوُفراء (١) . وهكذا عادت أجواء البلاد ملبّدة بغيوم التمرد .

علم الملك عبد العزيز بتلك الحوادث وهو في الحجاز، فطلب من بريطانيا أن تفي بتعهداتها، فتلزم الأقطار المجاورة له الواقعة تحت نفوذها بعدم مساعدة المتمردين عليه أو إيوائهم ، فالتزمت بذلك (٢) . ثم أمر زعماء القبائل ؛ خاصة عتيبة ، أن يقابلوه في الدوادمي وهو في طريقه إلى الرياض ، ففعلوا . وقد بين لهم ما يجري وعزمه على محاربة المتمردين شمال شرقي البلاد ، وألزمهم بالاستعداد والتأهب (٣) .

وفي أثناء ذلك تمكّن العوازم الموالون للملك عبد العزيز من هزيمة الذين هاجمهم من المتمردين عليه (٤) . ثم قام الدويش بإغارات متفرقة على القبائل المؤيدة للملك ، ومضى ابنه عبد العزيز بحوالى

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٩١ .

(٢) حبيب، ص ١٤٣ .

(٣) عبد الحميد الخطيب، الإمام العادل، القاهرة، دون ذكر لسنة الطباعة، ج ١، ص ١٧٧ . وكان ذلك في أول صفر عام ١٣٤٨ هـ .

(٤) الزركلي، ج ٢، ص ٤٩٠ - ٤٩١ . وكانت تلك المعركة في ١٧/١/١٣٤٨ هـ . وتسمى معركة رضى .

أبو  
عبد  
المنذر

ثماني مئة مقاتل للإغارة على قبائل الشمال، فغنم منها مالا كثيرا، وقرّر العودة إلى الوفراء عن طريق أم رَضْمَة. لكن الأمير عبد العزيز بن مساعد كان يراقب حركاته، فجمع قوات من جبل شَمْر وأولئك الذين كانوا في الشُّعْبَة بعد السبلة<sup>(١)</sup>، ورصد له عند ذلك المورد. ووقعتْ غربه معركة عنيفة بين الطرفين قُتِل فيها عبد العزيز الدويش وحوالي خمس مئة ممن كانوا معه، واثناعشر رجلاً من أتباع ابن مساعد أشهرهم ندا بن نهير، الذي كان له جهد بارز في المعركة<sup>(٢)</sup>.

وكان مقعد الدهينة قد انضم بأتباعه إلى المتمردّين شمال شرقي البلاد. ثم طلبوا الأمان من الملك عبد العزيز فمنحهم إياه. لكنهم لما عادوا إلى عالية نجد أعلنوا أن ملك العراق قد وعد بإرسال جيش لمناصرتهم، وتسيير أخيه علي بجيش إلى الحجاز إذا لمس نشاطاً منهم في الداخل<sup>(٣)</sup>. وامتنعوا عن أداء الزكاة؛ بل صادروا ما أدّته القبائل لعمّالها، واعتدوا على القوافل<sup>(٤)</sup>. فوجه إليهم الملك عبد العزيز قوات

(١) انظر صفحة ٢٢٧ من هذا الجزء من الكتاب.

(٢) تختلف المصادر في تفصيلات تلك الحادثة. ولعلّ ما ذكر أعلاه أقربها إلى الواقع. ومن

تلك المصادر ابن ناصر، ص ص ١٩٦ - ١٩٨؛ المانع، ص ص ١٦٩ - ١٧١؛

جلوب، ص ص ٣٠٦ - ٣٠٧. وابن نهير أحد زعماء شَمْر.

(٣) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٩٧.

(٤) الزركلي، ج ٢، ص ٤٩٣.

بقيادة عمر بن ربيعان، ثم بعث إلى عمر سريةً من الرياض بقيادة ابن أخيه، خالد بن محمد بن عبد الرحمن، وأمر ابنه فيصلاً أن يبعث جيشاً من الحجاز، فأرسل قوات بقيادة خالد بن لؤي وأخرى بقيادة محمد بن سحمي القحطاني. وقد طاردت القوات التي مع خالد بن محمد وابن ربيعان الدهينة ومن معه قرب جبلة في عالية نجد حتى طلب بعضهم الأمان فمُنحوا إياه. ثم هجم ابن لؤي على بعض الذين هربوا، فقتل حوالي مئتين منهم، وهجم هو وابن سحمي على الدهينة ومن بقوا معه، فقتلوا منهم حوالي سبعين رجلاً<sup>(١)</sup>. أما الدهينة نفسه فتمكّن من الهروب حتى وصل إلى العراق<sup>(٢)</sup>.

بعد أن تحقق للملك عبد العزيز ما تحقق من انتصارات ترأس مؤتمراً في الشعراء في مستهل جمادى الأولى عام ١٣٤٨هـ. وتقرر عقاب من أخلّوا بالأمن، وقاتل من بقي من المتمردين قرب حدود البلاد الشمالية الشرقية. واجتمعت قوات كبيرة من الحاضرة والبادية في الشوكي قبيل نهاية جمادى الآخرة. ولما علم الدويش بذلك بعث إلى الملك عبدالعزيز طالباً الأمان. فأجابه الملك بأنه يعلم أنه لم يلجأ إليه

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٩٧ - ١٩٨. وكان ذلك في العشرين من ربيع الثاني عام ١٣٤٨هـ. وقد جرح الدهينة خلال المعركة.

(٢) الزركلي، ج ٢، ص ٤٩٤. ثم عاد إلى البلاد بعد استقرار الأمن.

إلا بعد أن سُدَّت الأبواب في وجهه ، ومع ذلك فإنه يعده بالأمان . فردَّ الدويش عليه بأن حكومات الدول المجاورة تخطب ودّه ، لكنه يكره أن يدخل في ولاية الكفار . فلم يجبه الملك ؛ اكتفاء بجوابه الأول (١) . فكتب الدويش إلى ملك العراق يطلب منه كفّ قبائله عنه ليتفرّغ لحرب ابن سعود ، وإلى جلوب ، المفتش الإداري لذلك القطر ، يرجوه أن يقبله من رعاياه . لكنه لم ينجح فيما أراد (٢) .

ولما رأى أتباع الدويش أن الأراضي الكويتية والعراقية لن يسمح لهم بدخولها ، أو البقاء فيها ، وأن الملك عبد العزيز يتجه إليهم بقوات لا قبل لهم بها ، بدأوا ينفضون من حول زعيمهم ويعودون إلى الملك طالبين عفوّه (٣) . وفي الثامن والعشرين من رجب قام عبد المحسن الفِرْم ، بالتعاون مع مشعل بن طوالة وعجمي بن سُويط ، بهجوم مباغت على الدويش ، فاستولوا على كثير مما كان لديه من إبل وخيام وأثاث (٤) . واضطر آخر الأمر إلى الذهاب إلى الجَهراء حيث استسلم ، هو وجاسر بن لامي ونايف بن حثلين (٥) ، للسلطات البريطانية في

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ٤٩٥ - ٥٠١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ٥٠٢ - ٥٠٣ .

(٣) وقد نال أولئك ما طلبوا .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ ؛ جلوب ، ص ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٥) كان استسلام نايف في الثامن من شعبان ، واستسلام الدويش وابن لامي في اليوم التالي ،

المصدر الأخير نفسه ، ص ٣٤١ .



الكويت، ونُقلوا إلى سفينة بريطانية في شط العرب<sup>(١)</sup>.

وبعد أن قضت قوات الملك عبد العزيز على كثير من فلول المتمردين أقام في خباري وضحا حيث دارت بينه وبين بريطانيا مفاوضات بشأن تسليم الدويش ورفيقه، وتقرر أن يسلم هؤلاء إليه على أن يبقى على حياتهم، وأن تطارد القوات البريطانية فلول المتمردين الموجودين على حدود العراق ليعودوا إلى نجد، وأن يسلم الملك عبدالعزيز ما نهبه الدويش وجماعته من أهل الكويت والعراق<sup>(٢)</sup>. وفي الثامن والعشرين من شعبان أُحضر أولئك القادة في إحدى الطائرات البريطانية إلى الملك عبد العزيز. وبعد ثلاثة أيام نُقلوا بالسيارات إلى سجن الرياض<sup>(٣)</sup>. وبذلك انتهت حركة المتمردين من الإخوان التي كلفت الشيء الكثير. وبانتهائها عادت رايات الأمن تخفق من جديد.

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) الزركلي، ج ٢، ص ٥٠٦ - ٥٠٧. على أن الملك اشترط لتسليم ما نهبه أولئك أن لا يسمح للمتمردين الذين لجأوا إلى السلطات البريطانية في العراق والكويت أن يبقوا - أو تبقى أموالهم - فيها. حبيب، ص ١٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٠٧.

1

# حركة ابن رفاة وملابساتها



كان ملك الأردن، عبد الله بن الحسين، ممن ساءهم ما حققه الملك عبد العزيز من نجاح؛ خاصة في منطقة الحجاز. فاتصل بحسين الدباغ، الذي كان فاراً من هذه المنطقة بعد دخولها تحت الحكم السعودي، وشجّعه على تأليف حزب ضد هذا الحكم، ووعدته بالتأييد المادي والمعنوي<sup>(١)</sup>. وتألّف الحزب من عدد من الحجازيين في مصر، وأسندت رئاسته إلى طاهر الدباغ، الذي كان حينذاك في جزيرة جاوة<sup>(٢)</sup>. وكان من أعضائه حامد بن رفادة، أحد زعماء قبيلة بلي، الذي سبق أن قام بتمرد في شمالي الحجاز عام ١٣٤٧هـ، ففشل وفرّ إلى مصر<sup>(٣)</sup>. وخطط أعضاء الحزب ومن وراءهم أن يقوم ابن رفادة بحركة في شمالي الحجاز، ويُرتّب مع الإدريسي ليقوم بتمرد في جازان، ويثور مؤيّدو الحزب في المدن الحجازية الكبيرة<sup>(٤)</sup>. أما ما كان من أمر الإدريسي فقد سبق الحديث عن فشله فيما سعى إليه<sup>(٥)</sup>. وقد اعتقلت الحكومة احتياطاً من رأيتهم مصدر خطر محتمل في الحجاز مدة قصيرة، ثم أطلقت سراحهم بعد زوال الخطر<sup>(٦)</sup>.

(١) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٢٢؛ الخطيب، ج ١، ص ١٩٩.

(٢) المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٢٢. وقد أورد أسماء أولئك الأعضاء الخطيب، ج ١، ص ١٩٩.

(٤) العقيلي، ج ٢، ص ٩٤٠.

(٥) انظر ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨ من هذا الجزء من الكتاب.

(٦) أوردت أسماءهم مصادر متعددة منها الذكر، نسخة خاصة، ص ١٣١؛ الخطيب، ج ١، ص ٢٠٣؛ العقيلي، ج ٢، ص ٩٤٥.

وفي آخر سنة ١٣٥٠هـ سافر حامد بن رفاة من القاهرة إلى عمّان حيث مُنح الجنسية الأردنية. ثم عاد إلى مصر، وأخذ يُعدُّ رجال قبيلته الذين في تلك البلاد للقيام بحركة تمرد في شمالي الحجاز. وتمكّن من الانتقال بهؤلاء من مكان إلى آخر حتى وصلوا إلى الشريح جنوب غربي العقبة داخل الأراضي السعودية<sup>(١)</sup>. ومكثوا هناك أكثر من شهر كانت تأتيهم المؤن والأسلحة خلاله من الأردن<sup>(٢)</sup>. ولما علم الملك عبدالعزيز بذلك أعدَّ للأمر عدته، فأمر الأمير عبد العزيز بن مساعد أن يبعث سرايا من قبائل المنطقة الشمالية إلى جهات معينة وتتنظر حتى تأتيها التوجيهات، وأمر جماعات من الإخوان؛ خاصة عتيبة، أن ترابط في الطائف، كما أمر بأن تكون القوات النظامية في الحجاز مستعدة<sup>(٣)</sup>. واتّصل بالحكومة البريطانية يطلب منها التقيّد بمعاهدة حدّة، فأصدر ممثلها في الأردن بياناً ذكر فيه أنه سيقوم بمنع أية مساعدة للمناوئين للملك عبد العزيز<sup>(٤)</sup>، وأصدر ملك ذلك القطر بياناً مماثلاً؛ بناء - فيما يبدو - على مشورة بريطانية<sup>(٥)</sup>.

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٢٢. وهو أوفى مصدر عن تلك الحركة. وكان في مقدمة من انتقلوا مع ابن رفاة ابنه، ومحمد بن عبد الرحيم أبو طهينة. وقد دبر عبورهم الحدود المصرية محمد رشيد فتوح، الذي كان يقيم في السويس. وأورد أسماء بعضهم وتواريخ عبورهم ذلك المؤرخ.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. وكانت المؤن والأسلحة تأتيهم عن طريق حميد الكبارقي.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٦؛ الخطيب، ج ١، ص ٢٠٤.

(٥) بل إن الخطيب ينص على أنه أكره على ذلك، المصدر الأخير نفسه، الصفحة ذاتها.

ويبدو أن من أهداف عدم مسارعة الملك عبد العزيز إلى مهاجمة ابن رفاة معرفة ما إذا كان له أعوان داخل البلاد، وخوفه من أن يفرّ إلى خارجها لأنه كان قريباً من حدودها. فلما اطمأن إلى الموقف أوعز إلى كبار القبائل في شمال الحجاز أن يتصلوا بذلك المتمرد معربين عن تأييدهم له استدراجاً له<sup>(١)</sup>. ونجحت تلك الخطة، فتوغل في البلاد حتى اقترب من جبل شام الذي يبعد عن ضبا بحوالي خمسين كيلاً<sup>(٢)</sup>. وكان الملك عبد العزيز على علم بتحركه، فوجّه القوات للقضاء عليه ومن معه. وكان على رأس تلك القوات عبد الله بن عُقَيْل، أمير الجوف حينذاك<sup>(٣)</sup>، وابن مبارك أمير ضبا، ومحمد بن سلطان قائد الهجانة، وعبد الله بن حلوان، الذي كان مع القوة المرسلة بالسيارات من الطائف<sup>(٤)</sup>. وقد بعث إليهم الملك برقية أوضح لهم فيها الطريقة التي يمكن أن يسيروا بموجبها<sup>(٥)</sup>. وسارت القوات حتى أحاطت بابن رفاة ومن معه في جبل شار في السادس والعشرين من ربيع الأول، عام ١٣٥١هـ. وفي منتصف ذلك اليوم بدأت

(١) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٢٧.

(٢) ابن هذلول، ص ٢١١.

(٣) وابن عقيل من قصر ابن عقيل المشهور في القصيم. وكانت القيادة العامة له.

(٤) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٢٨.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

بمهاجمته، وحاول الهروب مع عدد من أعوانه. فلما تجاوزوا سفح  
الجبل اعترضهم ابن حلوان ومن كانوا معه في السيارات، ففضوا  
عليهم. ولم ينج من الأربع مائة مقاتل الذين كانوا في الجبل المذكور إلا  
حوالي ثلاثين طوردوا فيما بعد، وقضي عليهم<sup>(١)</sup>. وبذلك انتهت تلك  
الحركة.

---

(١) المصدر نفسه، ص ص ١٢٩ - ١٣٠.



علاقات الملك عبد العزيز  
بالقوى المحيطة به



كان للملك عبد العزيز علاقات بقوى مختلفه إبان مرحله توحيدده للبلاد. ثم توسعت تلك العلاقات لتشمل قوى أخرى بعد تلك المرحلة. والحديث عن علاقاته الخارجيه في المرحلتين يطول. لكن من الممكن القول باختصار: إنه جعل علاقاته بالآخرين متّصفه بالوضوح، وقائمه على الاحترام المتبادل، ومنسجمه مع المصالح العليا لوطنه وأمته. وكان من أبرز القوى ذات العلاقات المهمّة بالنسبه للبلاد خلال مرحله التوحيد: الكويت، والعراق، والأردن، واليمن، وبريطانيا<sup>(١)</sup>.

#### أ - العلاقات مع الكويت :

علاقات أمراء الكويت بدولة آل سعود عميقة الجذور. فقد بدأت باتصال أحد أولئك الأمراء بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي قامت على أساس دعوتة الإصلاحية الدولة السعودية الأولى. ثم توتّرت العلاقات بين أولئك الأمراء وتلك الدولة نتيجة إيوائهم لبعض خصومها، واضطروا - نتيجة لقوتها - أن يأمروا بأمر قادتها فترة قصيرة<sup>(٢)</sup>. وكانت العلاقات بين الطرفين في عهد الدولة السعودية

(١) من الواضح أن الحديث، هنا، لا يتناول القوى التي أصبحت أراضيها أجزاء من المملكة العربية السعودية، والتي دار حولها الحديث فيما سبق من صفحات هذا الكتاب.

(٢) انظر عن تلك العلاقات كتاب العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، لكاتب هذه السطور، ط٢، الرياض، ١٤١١هـ.

الثانية طيبة بصفة عامة<sup>(١)</sup>. على أنه من الواضح أن نفوذ أمراء الكويت خلال هذا العهد لم يمتد بعيداً عن أسوار مدينة الكويت ذاتها<sup>(٢)</sup>.

وقد سبقت الإشارة إلى ملابس السباح للإمام عبد الرحمن بن فيصل وأسرته بالإقامة في الكويت بعد نهاية الدولة السعودية الثانية<sup>(٣)</sup>. ولما وصل مبارك بن صباح إلى إمارة بلده توطنّت علاقته بالأسرة السعودية؛ خاصة عبد العزيز بن عبد الرحمن (الملك عبد العزيز). ثم أصبحت متذبذبة مع تغيّر الظروف. وكان من أكبر أسباب ذلك التذبذب اتّباعه ما اعتقد أنه حفظ للتوازن بين القوى المتنافسة في المنطقة، وتسربّ نوع من الغيرة السياسية إلى نفسه نتيجة نجاح الملك عبد العزيز.

لقد وحدت مصالح آل سعود والأمير مبارك موقفيهما أمام خصمهما المشترك، الأمير عبد العزيز بن رشيد، عام ١٣١٨ هـ، فخرجاً لحربه،

- 
- (١) من مظاهر ذلك إهداء أمير الكويت هدايا إلى الإمام تركي خلال إقامته في الصُّيحية عام ١٢٤٦ هـ. ابن بشر، ج ٢، ص ٥١. ومع أن إمارة الكويت ساعدت الحملة العثمانية المتجهة من العراق إلى الأحساء، عام ١٢٨٨ هـ، فإن مبعث مساعدتها ارتباطها بالحكم العثماني؛ إضافة إلى أن الحملة، أساساً، تلبية لطلب من الإمام عبد الله بن فيصل.
- (٢) لويس بيلي، وترجمة عنوان كتابة: تقرير عن رحلة إلى الرياض عاصمة الوهابيين في وسط جزيرة العرب، بومبي، ١٨٦٦ م، ص ١٦ و ١٧. وقد أشار إلى أن حدود أمير الكويت، سنة ١٢٨١ هـ، لا تتجاوز موقع مَلح.
- (٣) انظر ص ٣٣ - ٣٥ من هذا الجزء من الكتاب.

وكان ما كان في الرياض والصَّريف . ثم حاصر ذلك الخصم الكويت ، فساعد أميرها الملك عبد العزيز في انطلاقته إلى نجد في العام التالي ؛ أملاً في تخفيف ذلك الحصار أو إزالته . غير أن نجاح الملك أمام ابن رشيد والقوات العثمانية ، عام ١٣٢٢هـ ، أثار نوعاً من القلق لدى ذلك الأمير . ولعلَّ من مظاهر ذلك أنه منعه من شراء أسلحة وذخائر من الكويت في السنة ذاتها<sup>(١)</sup> . ثم اتفق مع ابن رشيد في السنة التالية على إنهاء حالة العداء بينهما<sup>(٢)</sup> . وفي عام ١٣٢٨هـ وقف الملك عبد العزيز مع الأمير مبارك ضد زعيمة المنتفق والظفير<sup>(٣)</sup> . وبعد ذلك بثلاثة أعوام دخلت منطقة الأحساء والقطيف تحت حكم الملك . ومن المرجَّح أن هذا كان مثار مخاوف جديدة لدى الأمير مبارك لأن الملك أصبح أقوى من ذي قبل عسكرياً واقتصادياً ، وأنه بات في إمكانه الاعتماد على موانئ خاصة به لاستيراد ما يحتاج إليه ؛ إضافة إلى أن ذلك الأمير يدرك أن الأراضي التابعة للأحساء والقطيف ، في عهدي الدولتين السعوديتين الأولى والثانية ، كانت تشمل كثيراً من الأراضي التابعة لإمارته في نظره حينذاك . ولذا حاول إفشال المفاوضات بين

---

(١) خالد السعدون ، العلاقات بين نجد والكويت ، ص ١١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

(٣) الزركلي ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

الملك عبد العزيز وممثلي الدولة العثمانية عام ١٣٣٢هـ<sup>(١)</sup>. لكن تلك المفاوضات انتهت باستقرار وضع الإقليمين المذكورين تحت الحكم السعودي<sup>(٢)</sup>. ولما قامت المشكلة بين الملك عبد العزيز وقبيلة العجمان، سنة ١٣٣٣هـ، نتيجة لموقفها في معركة جراب كان من بين تطورات تلك المشكلة نهب القبيلة أموالاً لأطراف عدة بينها أهل الكويت<sup>(٣)</sup>. واتفق الملك مع الأمير مبارك على أن يقفا معاً ضد تلك القبيلة. فسارع الأول إلى مهاجمتها في كَنْزَان، لكنها هزمته<sup>(٤)</sup>. ووقف الثاني موقفاً لا ينسجم مع ما اتفق عليه مع الأول؛ إذ كان من جملة ما فعله قبول لجوء العجمان إلى بلاده<sup>(٥)</sup>. على أن الأمير مباركاً توفي خلال شهر المحرم سنة ١٣٣٤هـ<sup>(٦)</sup>؛ أي بعد خمسة شهور من حدوث معركة كَنْزَان. فانتهت بوفاته مرحلة مهمة من مراحل علاقة الملك عبدالعزيز بالكويت<sup>(٧)</sup>.

(١) السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ص ١٤٥ - ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٣) انظر ص ص ١٥١ - ١٥٣ من هذا الجزء من الكتاب.

(٤) الزركلي، ج ١، ص ص ٢٢٦ - ٢٢٨.

(٥) السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٦) كانت وفاة مبارك في ٢١ / ١ / ١٣٣٤هـ؛ طبقاً لما ذكره خزعل، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٧) بالإضافة إلى دراسة السعدون لتلك المرحلة يمكن قراءة موجز عنها لدى الزركلي، ج ١،

ص ص ٢٢٣ - ٢٢٩. ومن كتب عنها جلال كشك في كتابه السعوديون والحل

الإسلامي، ط ٣، القاهرة، ١٤٠٢هـ، ص ص ٢٥٩ - ٢٩٠. على أن في أسلوبه،

أحياناً، نوعاً من المبالغة والتعجني.

وخلف الأمير مباركاً في الحكم ابنه جابر، الذي انتهج سياسة ودّية تجاه الملك عبد العزيز. ويعلّل السعدون ذلك بعاملين: أولهما مشاعر الصداقة الشخصية بينهما، وثانيهما توقيع الملك معاهدة مع بريطانيا في صفر، عام ١٣٣٤هـ، تعهّد فيها بعدم الاعتداء على أراضي الكويت وبقية بلدان الخليج التي تحت حمايتها<sup>(١)</sup>. وكان من مظاهر تلك السياسة الودّية أن طلب الأمير جابر من قبيلة العجمان مغادرة الكويت<sup>(٢)</sup>. وفي شهر المحرم من العام التالي قام الملك بزيارة الكويت. على أن الأمير جابراً توفي عام ١٣٣٥هـ<sup>(٣)</sup>. فخلفه في الإمارة أخوه سالم، الذي توتّرت العلاقات بينه وبين الملك عبد العزيز بدرجة كبيرة.

لم يكن الأمير سالم موافقاً لأخيه جابر على إخراج العجمان من الكويت<sup>(٤)</sup>. ولهذا تمكّنوا من استئناف نشاطهم ضد أتباع الملك عبدالعزيز عبر الأراضي الكويتية<sup>(٥)</sup>. ثم حدثت مشكلة تهريب المؤن إلى الأتراك عن طريق الكويت مما أدّى إلى حصار بريطاني أضرّ

(١) السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٥.

(٣) يجعل عبد العزيز الرشيد (ج ١، ص ١٥١) وفاته في ربيع الأول. ويجعلها خزل (ج ٣، ص ١١٦) في ربيع الثاني.

(٤) السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ١٨٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

بمصالح التجار النجديين . وقد حُلَّت المشكلة الأولى من قِبَل بريطانيا، التي كانت قد ضمنت عدم قيام العجمان بعدوان على أراضي الملك<sup>(١)</sup>، ثم بعودتهم إلى ديارهم موالين له . وانتهت المشكلة الثانية بانتهاء الحرب العالمية الأولى<sup>(٢)</sup> . لكن بقيت مشكلة أهم من هذه وتلك ؛ وهي مشكلة الحدود .

اعتمد الأمير سالم، في قضية حدود بلاده مع الأراضي السعودية، على الاتفاقية التي توصلت إليها الدولتان البريطانية والعثمانية سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣ م . وهي تعطي الكويت أراضي تفوق ما كان لها في عهدتي الدولتين السعوديتين الأولى والثانية أضعافاً<sup>(٣)</sup>، وتزيد على ما أصبح لها بعد حلِّ تلك القضية كثيراً . لكن مما يمكن قوله عن تلك الاتفاقية :

أ - أن الدولتين المتفقتين لم تصادقا عليها<sup>(٤)</sup> .

ب - أن مفعولها بطل - هذا لو كان لها مفعول قانوني كامل - بنشوب الحرب بين الدولتين المذكورتين بعد عام من اتفاقهما غير المصدَّق عليه<sup>(٥)</sup> .

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٠٢ و ٢١٣ .

(٣) انظر ص ٢٤٦ هـ - ٢ من هذا الجزء من الكتاب عن حدود نفوذ أمير الكويت كما ذكر بيلى .

(٤) ترولر، ص ١٧٢ .

(٥) فاسيليف، ص ٢٧٦ . ويقصد بتلك الحرب الحرب العالمية الأولى .



ج - أنها حدثت بعد انتزاع الملك عبد العزيز من الدولة العثمانية الأحساء والقطيف وما يتبعهما من الأراضي التي كانت تحت حكم أسلافه<sup>(١)</sup>. فالدولة العثمانية عند توصلها مع بريطانيا إلى الاتفاقية المذكورة لم تكن حاكمة لما اتفقت عليه، وبالتالي لا يحق لها التوصل إلى أي اتفاق حوله.

د - أن بريطانيا الحامية للكويت حينذاك قد اعترفت للملك عبد العزيز - حسب اتفاقية دارين عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م - بملكته للأحساء والقطيف وما يتبعهما من بلدان ومرافئ كانت تابعة لأسلافه<sup>(٢)</sup>.

هـ - أن من الثابت تاريخياً أن الحكم السعودي في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية كان يمتد إلى داخل المناطق الحالية لدولة الكويت. وإذا كانت بريطانيا قد اعترفت للملك عبد العزيز بما كان تابعاً للأحساء والقطيف زمن الدولتين المذكورتين فإن ذلك يعني العودة إلى حدود ملك قادتها. وهذا ما لم يحصل عليه الملك في ظل الاتفاق النهائي على الحدود. فهو الذي خسر في هذا الاتفاق وليس أمير الكويت.

---

(١) كان دخوله الأحساء في الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٣١هـ. وكانت الاتفاقية غير المبرمة بين بريطانيا والدولة العثمانية في شهر رجب من ذلك العام.  
(٢) فاسيليف، ص ٢٨٣؛ ترولر، ص ٢٥١.

ولقد أراد الأمير سالم أن يثبت عملياً ما كان يراه نظرياً عن امتداد حدود إمارته، فحاول بناء مركز له في بلبول، الذي لا يبعد عن الجبيل إلا تسعين ميلاً. وكتب إليه الملك عبد العزيز موضحاً أن المكان تابع له. لكن الأمير أصرَّ على أنه من أراضيه. فكتب الملك إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت مبيِّناً له الأمر. ونهى الوكيل الأمير سالماً عن البناء، فامتثل (١).

وفي أثناء ذلك أخذت عشائر قبيلة مطير تستقر في هجر ضمن حركة الإخوان. وحدث أن بدأ تريحيب بن شقير يقيم مع جماعته هجرة في قرية العليا (٢)، التي هي من مضارب تلك القبيلة حينذاك. فغضب الأمير سالم، وحذَّره من الإقامة فيها، فرفض تحذيره. وشكا الأمير إلى الوكيل السياسي البريطاني، فلم يتلقَّ إجابة سريعة منه. ولهذا أرسل قوة من أربع مئة رجل، بقيادة دعيج الصباح، لإرغام ابن شقير على الرحيل. ووصل دعيج بقواته إلى حمض. فاستنجد ابن شقير بزعيم مطير، فيصل الدويش. وهبَّ هذا لنجدته بألفين من أتباعه (٣). ومن الواضح أن تحرُّكه كان بموافقة الملك عبد العزيز، لكن

(١) الزركلي، ج ١، ص ٢٣٨؛ خزعل، ج ٤، ص ٢٢٢.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٤. ونزل هايف الفغم في قرية السفلى.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ خزعل، ج ٤، ص ٢٢٥.

الملك أمره بالدفاع فقط<sup>(١)</sup>. على أن الدويش هاجم القوة الكويتية، وقتل كثيراً من أفرادها، وغنم بعض ما كان معها، ثم أخذ ما كان قرب موضع المعركة من إبل وغنم لأهل الكويت<sup>(٢)</sup>، وعاد من هناك. فأرسل خمس ما غنمه، أو أخذه، إلى الملك عبد العزيز، فأظهر الملك عدم رضاه عما قام به، وأمره أن يبقي جميع ما عاد به من الكويت عند قاضي الأرطاوية حتى تأتيه التوجيهات بشأنه<sup>(٣)</sup>.

وأعرب الملك عبد العزيز للأمير سالم عن أسفه لما قام به الدويش، وردَّ ما تسلَّمه من هذا الأخير إلى الأمير، كما وعدَّ برّد جميع ما أخذه من غنائم. لكنه في الوقت نفسه لام الأمير سالماً على تدخله في قرية وعدم الاتصال به قبل تلك الحادثة، وطلب منه التوقيع على وثيقة بأنها ليست تابعة له<sup>(٤)</sup>. واستشار الأمير سالم بريطانيا، فأشارت عليه أن يكتب إلى الملك كتاباً لبقاً يعتذر فيه عن عدم توقيعه على تلك الوثيقة بأنه لا ضرورة لها، ويعدّه بالألّا تصدر منه أية إساءة<sup>(٥)</sup>. وغضب الملك عبد العزيز من موقف الأمير سالم، فطلب من بريطانيا أن تتدخل لحلّ

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٤؛ ابن هذلول، ص ١٢٣.

(٢) الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٤. وكانت معركة حمض في ٢٨/٨/١٣٣٨هـ.

(٣) ابن هذلول، ص ١٢٣.

(٤) الذكير، نسخة خاصة، ص ٩٤؛ خزعل، ج ٤، ص ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٥) السعدون، ص ٢٢٨.

مشكلة الحدود بينهما . وإدراكاً من أمير الكويت لخطورة الوضع طلب، أيضاً، تدخل تلك الدولة<sup>(١)</sup> .

ومع أن الحاكمين رضيا بريطانيا حكماً بينهما فإن الأمير سالماً اتخذ ما رآه ضرورياً من الناحية العسكرية، فبنى سوراً حول مدينة الكويت، وراح يجمع إليه خصوم الملك عبد العزيز. وكان في مقدمة من قدم إليه من هؤلاء ضاري بن طوالة، رئيس الأُسلم من شمر، بتوجيه من ابن رشيد<sup>(٢)</sup> . وترجَّح لدى الملك عبد العزيز أن خصومه سيهجمون على أتباعه في قرية . فأمر الدويش بنجدتهم . وكانت قوات الكويت وابن طوالة قد اجتمعت في الجَهراء . ثم توجهت صوب قرية، لكنها عادت بعد اختلاف وقع بين قائديها دعيج وضاري . أما الدويش فواصل زحفه حتى وصل إلى الصَّبِيحِيَّة . وأمام هذا الوضع خرج الأمير سالم بقوة من مدينة الكويت إلى الجَهراء، وتولَّى القيادة هناك بنفسه<sup>(٣)</sup> . واقتنع الدويش، فيما يبدو، أن خصومه سيهجمون عليه، فأخذ زمام المبادرة، واندفع مهاجماً لهم<sup>(٤)</sup> وقُتِل بعض أتباعه في اندفاعهم على

(١) خزعل، ج ٤، ص ٢٣٦ .

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ وقد حاول سالم أن يكون حلفاً ضد الملك عبد العزيز من الملك حسين، وابن رشيد، وأمير المحمَّرة، وطالب النقيب في البصرة . السعدون،

العلاقات بين نجد والكويت، ص ٢٣٩ .

(٣) خزعل، ج ٤، ص ٢٥٨ .

(٤) وذلك في ٢٦ / ١ / ١٣٣٩ هـ .

أرض مكشوفة بنيران المتحصنين بما في الجَهراء من بناء وأشجار. لكنهم تمكنوا من دخولها، ومزقوا شمل خصومهم، ففرَّ ابن طوالة ومن سلم من قومه، كما فرَّ آخرون، إلى مدينة الكويت، ولجأ الأمير سالم، ومعه من يزيدون على الألف، إلى القصر الأحمر في الجَهراء<sup>(١)</sup>. ولم يكن لديهم إلا قليل من المؤن<sup>(٢)</sup>. وحاصر الدويش أتباعه ذلك القصر، فغامر مرزوق المتعب ومرشد الشمري بالخروج منه والذهاب إلى مدينة الكويت لطلب النجدة<sup>(٣)</sup>. وسارع من في تلك المدينة لنجدة المحاصرين<sup>(٤)</sup>.

وفي أثناء ذلك بدأت مفاوضات بين الأمير سالم والدويش. وكان الأول في موقف أكثر حرجاً من الثاني. ولذلك تظاهر بأنه يتفق معه على التمسك بالدين وإنكار المنكر، وطلب منه أن ينسحب إلى الصُّبْحِيَّة ليذهب هو إلى مدينة الكويت ويتشاور مع جماعته للتوصل

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥٨ - ٢٦٢. وتختلف المصادر في عدد أفراد الطرفين، لكن الأقرب احتمالاً أن الدويش وأتباعه كانوا يزيدون على ثلاثة آلاف، وأن خصومهم كانوا لا يقلُّون عن ثلاثة آلاف. أما القتلى فكانوا - على الأرجح، مئات من الفريقين، لكن قتلى أتباع الدويش كانوا أكثر لأنهم اندفعوا مهاجمين في أرض مكشوفة، كما ذكر أعلاه.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٥؛ الرشيد، ج ٢، ص ١٨٣. ويذكر أن أكبر مصيبة كانوا يواجهونها الظماً.

(٣) مرزوق: كان أحد عماليك آل رشيد.

(٤) خزعل، ج ٤، ص ٢٦٥.

إلى حلِّ نهائي لما بينهما من خلاف . وقبل الدويش ذلك ، فانسحب إلى الصُّبَيْحِيَّة (١) . وأرسل بعد أيام وفداً إلى الأمير سالم ، لكن هذا سوِّف في مقابلته معللاً ذلك بمرضه (٢) ، في حين كان يجري مفاوضات مع بريطانيا لإنقاذه من المأزق الذي أصبح فيه . ولما وعدته بذلك قابل الوفد بحضور ممثلها ، الذي ناول الوفد رسالة إلى الدويش يقول فيها إن أيَّ اعتداء على مدينة الكويت اعتداء على بريطانيا ذاتها (٣) . وكان ذلك التهديد مشفوعاً بإرسال سفينتين حربيتين بريطانيتين إلى ساحل تلك المدينة ، ونصب مدافع رشاشة على سطوح بعض منازلها ، ونزول ثلثة من جنود البحرية لحراسة طرفي سورها (٤) . وبالإضافة إلى ذلك حلَّقت طائرة بريطانية على معسكر الدويش في الصُّبَيْحِيَّة ، وألقت منشورات تنذر ذلك الزعيم وأتباعه بالعقاب الشديد إن حاولوا مهاجمة مدينة الكويت . ولم يجد الدويش بداً من الانسحاب ؛ خاصة أن البريطانيين أخبروه في إنذارهم بأن ما يقوم به لا يتفق مع سياسة الملك عبد العزيز (٥) . وهكذا دارت معركة الجهراء المشهورة ، وما أحاط بها من ملابسات ، وعاد الدويش إلى الأرتاوية .

(١) الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٥؛ خزعل، ج ٤، ص ٢٧٢ .

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ٤، ص ٢٧٦ .

(٣) الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٥؛ خزعل، ج ٤، ص ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٤) السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٢٦٤ .

(٥) الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٥؛ ابن هذلول، ص ص ١٢٧ - ١٢٨؛ خزعل، ج ٤،

ص ٢٨١ .

بعد معركة الجهراء تعهّد الملك عبد العزيز لبريطانيا بعدم قيام الإخوان بمهاجمة الكويت بشرط ألا يتآمر الأمير سالم مع خصومه أو يستعين بهم، وأن يوقف نشاطه العدائي خلال المدة التي تقوم خلالها تلك الدولة بإيجاد حلّ للمشكلة بين الطرفين<sup>(١)</sup>. لكن من الواضح أن ذلك التعهد لم يقدر لشرطه أن يتحقق. فقد كان ابن ماجد الدويش معارضاً لفیصل الدويش وللملك عبد العزيز. وكان مقيماً في الكويت ومعه قوة من أمرها. وكانت قافلة تجارية لأهل حائل قد وصلت إلى هناك، فأكرمهم ذلك الأمير، وأظهر إبلهم عند ابن ماجد. فلما علم بذلك فیصل الدويش انطلق بأتباعه من الأوطاوية، وهجم على ابن ماجد ومن معه، وقتك بهم، وأخذ كثيراً من إبل أهل حائل. ثم هجم على قبيلة الظفير الموالية حينذاك للأمير سالم، ووصل إلى جهات الزبير، فهذّته بريطانيا، وعاد<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لما سبق بدأ حاكم المحمّرة، خزعل، بمحاولة للتوسط بين الملك عبد العزيز والأمير سالم، ونال موافقة بريطانيا على تلك المحاولة. فذهب إلى الملك وفد برئاسة الشيخ أحمد الجابر، الذي كان

(١) السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧.  
(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ٩٦؛ الرشيد، ج ٢، ص ١٩٣؛ السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٢٦٨.

صديقاً حميماً للملك<sup>(١)</sup>. وبينما كان أعضاء الوفد يتفاوضون معه بلغتهم أخبار وفاة الأمير سالم. وعندئذ مزق الملك ما كان أمامه من أوراق المفاوضات، وقال للأمير أحمد: ما دام حكم الكويت قد آل إليك فلا داعي لمكاتبات بيننا، فأنت مفوض عني فيما تراه<sup>(٢)</sup>.

وبتولي الأمير أحمد الجابر حكم الكويت تمهدت الطريق لحلّ المشكلات بين بلاده وبلاد الملك عبد العزيز. والعقد مؤتمر في العقير برئاسة المندوب السامي البريطاني في العراق، بيرسي كوكس، الذي كانت السعودية والكويت قد رضيتا دولته حكماً بينهما<sup>(٣)</sup>. وتوصل المؤتمر إلى تعيين الحدود بينهما<sup>(٤)</sup>، ووُقِّعت اتفاقية بهذا الشأن في الثالث عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ / ٢ / ١٢ / ١٩٢٢ م. فصدّق عليها

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ٢٧١. وضم الوفد - بالإضافة إلى أحمد الجابر - كاسب ابن خزعل، وعبد اللطيف المنديل، وعبد العزيز البدر.

(٢) الرشيد، ج ٢، ص ٢١١؛ الزركلي، ج ١، ص ٢٤٠.

(٣) الواقع أن المؤتمر لم يقتصر على السعودية والكويت؛ بل شمل العراق. وقد مثّل

السعودية الملك عبد العزيز نفسه، ومثّل العراق وزير الأشغال والمواصلات، صبيح نشأت، ومثّل الكويت الوكيل السياسي البريطاني فيها الميجور مور. السعودون،

العلاقات بين نجد والكويت ص ٢٨٢ وقد حضر مع المندوب السامي فهد بن هذال زعيم

العمارات من عنزة. الريحاني، ص ٣٠٨.

(٤) كما توصل إلى تعيين الحدود بين العراق وكل من السعودية والكويت. لكن اقتصر في

المتن على ذكر البلدين الأخيرين لأن العلاقات بينهما هي المتناولة هنا.



المملك عبد العزيز، ثم الأمير أحمد<sup>(١)</sup>. وبعد عشرين عاماً من ذلك التاريخ عُقدت بين البلدين اتفاقية صداقة وحسن جوار، واتفاقية تجارية، واتفاقية تسليم المجرمين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) كان تصديق الملك على الاتفاقية بعد توقيعها مباشرة. وكان تصديق الأمير أحمد عليها في ١٣٤١/٦/٥هـ. السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ص ٢٨٥ و ٢٨٩.  
(٢) الزركلي، ج ١، ص ص ٢٤٠ - ٢٤١.

## ٢ - العلاقات مع العراق :

لعلّ من أبرز مظاهر عمق الصلة التاريخية بين العراق وقلب الجزيرة العربية أنها كانت أحد الأقطار التي تنزح إليها القبائل النجدية، أو فئات منها، عبر السنين، وأحد الأمكنة التي يتجه إليها من أثقلت كواهلهم وطأة العيش من النجديين، ويقصدها تجارهم - خاصة تجار الإبل - بائعين ومشتريين<sup>(١)</sup>. وكان سكان جبل شمرّ بالذات يستوردون منها بعض الأطعمة كالرز؛ إضافة إلى أن قوافل الحج القادمة منها تمرّ بذلك الجبل وتتمتع بحماية إمارته. ولم تكن هناك حدود سياسية، بالمعنى المتعارف عليه حديثاً، بين العراق التابعة للدولة العثمانية ونجد. ولذلك كانت القبائل تنتقل بين القطرين دون عوائق إلا تلك التي تفرضها قوة القبيلة المتنقلة أو المقرب من مواطنها؛ وهو القانون القبلي السائد داخل القطر ذاته.

وقد غيرت الحرب العالمية الأولى ما كان سائداً قبلها. فقد زال الحكم العثماني من العراق، وحلّ محلّه النفوذ البريطاني. وفي عام ١٣٣٩هـ وصل فيصل بن الحسين إلى حكم ذلك القطر تحت النفوذ المذكور. وكانت علاقة والده، ملك الحجاز حينذاك، بالملك عبدالعزيز ليست على ما يرام. وبالإضافة إلى هذا كان النزاع قائماً بين

---

(١) غلبت تسمية أولئك التجار بالعُقَيْلات أو عُقَيْل.

القبائل في الأراضي التي امتد إليها نفوذ هذا الملك والأراضي التابعة لحكم العراق الجديد. وفي العام التالي تمكّن الملك عبد العزيز من إنهاء إمارة آل رشيد في جبل شمر<sup>(١)</sup>. فانتقلت فئات من شمر نجد إلى العراق، وراحت تشنّ - مع فئات من قبائل أخرى - غارات على القبائل التابعة للملك عبد العزيز<sup>(٢)</sup>. وحدث، أيضاً، أن عينت حكومة العراق يوسف السعدون، زعيم المنتفق، رئيساً للهجّانة على حدودها الجنوبية، فأغضب ذلك حمود بن سويط، زعيم الظفير، الذي كان على خلاف معه حينذاك. ووفد إلى الملك عبد العزيز معلناً ولاءه له، ومرحّباً بأداء الزكاة إليه. لكن رئيس أحد أفخاذ هذه القبيلة عارضه<sup>(٣)</sup>. وتحالف مع ابن طوالة لشنّ غارات على أتباع الملك. وبالإضافة إلى ذلك قامت السلطات العراقية بمنع الذين أرادوا دفع الزكاة إلى جابيهما السعودي من دفعها إليه<sup>(٤)</sup>. فردّ الملك على تلك الإغارات وهذا المنع بإرسال فيصل الدويش إلى حفر الباطن ليدافع عن القبائل الموالية للملك. ولاستمرار الغارات على هذه القبائل هجم الدويش بأتباعه على ابن طوالة ومن تحالف معه، وألحق بهم أضراراً

(١) كان ذلك أواخر صفر عام ١٣٤٠هـ.

(٢) الريحاني، ص ٣٠٥.

(٣) اسم ذلك الرئيس أبو ذراع. الريحاني، ٣٠٦.

(٤) الذكر، نسخة خاصة، ص ١١٧.

بالغة . وهبَّ يوسف السعدون لنجدتهم ، فلقني ما لقوا . فقامت الطائرات البريطانية بمهاجمة الدويش وأتباعه حتى انسحبوا إلى نجد<sup>(١)</sup> .

وبعد ذلك حدث اتصال بين الملك عبد العزيز والمندوب السامي البريطاني في العراق ، بيرسي كوكس . وأدَّى هذا الاتصال إلى عقد مؤتمر في المحمّرة للنظر في المشكلات بين الملك والحكومة العراقية . وتوصل الطرفان - بحضور ذلك المندوب - إلى معاهدة مبدئية تشمل أموراً من أهمها تحديد تبعية بعض القبائل لكل منهما . لكن الملك عبد العزيز لم يصادق على تلك المعاهدة لأن بعض بنودها كانت مخالفة لما أوصى به وفده إلى المؤتمر<sup>(٢)</sup> .

واجتمعت رغبة الملك عبد العزيز في مقابلة المندوب البريطاني في العراق للنظر في مشكلاته مع جيرانه مع حرص ذلك المندوب على تفادي ما يمكن أن يسبب أزمة جديدة لدولته في المنطقة ، فانعقد مؤتمر

---

(١) الريحاني، ص ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٢) كان ذلك التوصل في ٩/٩/١٣٤٠هـ - ٥/٥/١٩٢٢م . وكان رئيس الوفد السعودي أحمد بن ثنيان . ومما توّصل إليه أن شمّر نجد ، التي ذهبت إلى العراق بعد دخول حائل تحت حكم الملك عبد العزيز، تابعة له ، والظفير والعمارات من عنزة تابعتان للعراق . وكان الملك يطالب بتبعية هاتين القبيلتين له ، ولذلك لم يصادق على المعاهدة إلا بعد أن حلّت تلك المسألة في مؤتمر العُقَيْر . الذكير، نسخة خاصة، ص ١١٨ ، ترولر، ص ص ١٧٥ و ١٧٨ .

في العُقَيْر حضره الملك وهذا المندوب ووفد عراقي برئاسة صبيح نشأت . وانتهى المؤتمر – كما سبق أن ذكر<sup>(١)</sup> – إلى حلّ للمشكلات الحدودية بين نجد والعراق بتعيين الحدود، وجعل منطقة محايدة بينهما ترعى فيها قبائلهما بحريّة ولا تقيم كلّ منهما مخافر أو بنايات فيها<sup>(٢)</sup>. لكن ما أصبح تابعاً للملك عبد العزيز من الأراضي المتنازع عليها يقلُّ كثيراً عما كان يطالب به<sup>(٣)</sup>.

على أن ما توّصل إليه في العُقَيْر بين الحكومتين السعودية والعراقية لم يمنع قيام فئات من القبائل؛ خاصة من شمّر، بغارات على قبائل وقوافل تجارية تابعة للملك عبد العزيز. فلفت نظر حكومة العراق والمندوب السامي البريطاني فيها إلى ذلك . وطالب برّد ما نهفته تلك القبائل من أتباعه إليهم . فدعت الحكومة البريطانية إلى عقد مؤتمر في الكويت لبحث ما بقي من مشكلات بين بلاده والعراق ، وما قام من مشكلات بينها وبين شرق الأردن؛ إضافة إلى مشكلاتها مع الحجاز إن رضي هو بذلك ، فوافق بشرط أن تكون مفاوضات وفده مع كل وفد من الأقطار الثلاثة على حدة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر صفحة ٢٥٨ هامش ٢ من هذا الجزء من الكتاب .

(٢) السعودون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٢٨٤ . وحرّم على الطرفين بناء مخافر على طول خط الحدود الفاصل بينهما .

(٣) كان يطالب بمدّ حدوده إلى الفرات حيث تقيم قبيلتا الظفير والعمارات اللتان يرى تبعيتهما له . المصدر نفسه، ص ٢٨٣ .

(٤) الريحاني، ص ص ٣١٨ - ٣١٩ .

وبدأ مؤتمر الكويت أولى جلساته في التاسع من جمادى الأولى سنة ١٣٤٢هـ<sup>(١)</sup>. فقدّم الوفد العراقي مطالب حكومته، ثم قدم الوفد النجدي مطالب حكومته، التي تضمّنت عودة شمّر نجد، وطرد القبائل النجدية الملتجئة إلى العراق المواصلة عداوتها، وردّ ما نهبتة تلك القبائل وأعوانها من قبائل العراق من أموال أتباع الملك عبدالعزيز بعد مؤتمر العُقَيْر<sup>(٢)</sup>. وكاد الوفدان يتفقان على كثير من المسائل المناقشة، لكن وفد العراق اشترط أن يكون أي اتفاق مرهوناً بالتوصل إلى اتفاق بين الملك عبد العزيز والملك حسين. فرفض الوفد النجدي هذا الشرط<sup>(٣)</sup>. وأعطى الوفدان وقتاً لمراجعة حكومتيهما. ثم عاد المؤتمر إلى الانعقاد بعد موافقة العراق على إلغاء ما اشترطه<sup>(٤)</sup>. غير أن هذه الدورة الثانية من المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود. فأُجِّلت مفاوضاتها مرة أخرى للتشاور مع حكومتيهما<sup>(٥)</sup>. لكن الغارات من القبائل في العراق على أتباع الملك عبد العزيز لم تتوقف. فبعث رسالة

---

(١) الموافق ١٧/١٢/١٩٢٣م. وكان برئاسة الكولونيل نوّكس، المقيم السياسي البريطاني في الخليج سابقاً. وكان رئيس الوفد النجدي حمزة غوث وسكرتيه هاشم الرفاعي. أما رئيس وفد العراق فكان صبيح نشأت.

(٢) ترولر، ص ص ٢٠١ - ٢٠٣. وقد أورد الذكر (نسخة خاصة، ص ص ١٢٣ - ١٢٤) قائمة بما نهبت القبائل المذكورة ومن نهبت منهم ومقاديرها.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص ١٢٤.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥) ترولر، ص ٢٠٣.

إلى رئيس المؤتمر يجبره بتلك الغارات، ويطلب منه وضع حد لها، أو عدم التعرّض له إن حاول ردّ العدوان بنفسه<sup>(١)</sup>. وواضح أن الردّ لم يأت سريعاً مما حدا بفيصل الدويش إلى الانطلاق بأتباعه شمالاً حتى هاجم فئات من القبائل حول الديوانية<sup>(٢)</sup>. وكان الوفد العراقي في طريقه إلى الكويت لمواصلة المفاوضات، فأمرته حكومته بالعودة إلى بغداد<sup>(٣)</sup>. وكانت النتيجة أن الطرفين النجدي والعراقي لم يتوصلا إلى اتفاق في ذلك المؤتمر.

على أن بقاء المشكلات دون حلّ بين القطرين الشقيقين لم يطل. فقد عُقدت بينهما اتفاقية بحّرة في الرابع عشر من ربيع الثاني عام ١٣٤٤هـ / ٣١ / ١٠ / ١٩٢٥ م. ووقّعها الملك عبد العزيز نفسه عن بلاده، ووقّعها كلايتون مفوضاً عن الحكومة البريطانية ونائباً عن الحكومة العراقية<sup>(٤)</sup>. وقد حدثت مشكلات على حدود القطرين نتيجة تمرد الإخوان على الملك عبد العزيز، لكن حرص الملكين عبد العزيز وفيصل على التصافي كان كفيلاً بحلّها. ولما انتهى ذلك التمرد، عام ١٣٤٨هـ، تقابل الملكان على ظهر الباخرة البريطانية

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٢٦؛ ترولر، ص ٢٠٨.

(٢) ترولر، ص ٢٠٩.

(٣) الريحاني، ص ٣٢٢.

(٤) انظر نصّها في المصدر نفسه، ص ٤٣٧ - ٤٤٠. وتتكوّن من اثنتي عشرة مادة.

لوبيين في الخليج، بحضور المندوب السامي البريطاني همفري، وعمّقا  
أواصر الألفة والود بينهما<sup>(١)</sup>. وبعد عام تقريبا من لقاءهما عُقدت  
معاهدة صداقة وحسن جوار بين بلديهما. وقد كُتبت موادها في مكة  
المكرمة في العشرين من ذي القعدة سنة ١٣٤٩هـ، ووقّعها عن  
الجانب السعودي فيصل بن عبد العزيز نائب والده في الحجاز، وعن  
الجانب العراقي نوري السعيد رئيس وزراء العراق<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الخطيب، ج ١، ص ١٨٧ - ١٨٨. وكان ذلك اللقاء في الرابع والعشرين والخامس  
والعشرين من رمضان. جلوب، ص ٣٤٤. وكان جلوب ممن قدم مع الملك فيصل.  
(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٢٩ - ١٣٢.



### ٣ - العلاقات مع الأردن :

كان شرق الأردن تابعاً لولاية دمشق زمن العثمانيين . ولما احتلت فرنسا سوريا أخرجت فيصل بن الحسين منها . وعندما اشتعلت الثورة في حوران بالذات ضد الفرنسيين استغلّت بريطانيا ذلك الوضع ، فعملت على سلخ شرق الأردن من سوريا ، وراحت تشجّع قاداته المحليين على الاستقلال (١) .

وفي عام ١٣٣٩هـ قدم الأمير عبد الله بن الحسين إلى شرق الأردن وفي ذهنه مقاومة من أبعدهوا أخاه فيصلاً عن سوريا . ورحّب به كثير من زعماء الأردن . فاستدعاه تشرشل وزير المستعمرات البريطاني ، الذي كان موجوداً في القدس حينذاك . وعرض عليه أن يبقى أميراً للأردن على تفاهم مع فرنسا . فقبل ذلك العرض ؛ خاصة أن زعماء هذه البلاد قد ارتضوه (٢) .

ومع أن الأمير عبد الله بن الحسين قد أصبح حاكماً لشرق الأردن فإن صلته بما حدث وما كان يحدث في الحجاز كانت وثيقة جداً . فقد كان ساعد والده الأيمن عسكرياً في هذه المنطقة ، وكان قائد جيشه في

(١) الذكير، نسخة خاصة، ص ١٣٢ .

(٢) وكان ذلك في ١٣٣٩/٧/٢٣هـ . عبد الله بن الحسين ، حقبة من تاريخ الأردن ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ص ١٦٤ - ١٦٦ .

معركة تُرَبّة المشهورة، عام ١٣٣٧هـ؛ وهي المعركة التي مُني فيها بهزيمة كبيرة على أيدي الإخوان<sup>(١)</sup>. ولم تكن علاقة أبيه بالملك عبدالعزيز على ما يرام في الوقت الذي وصل فيه هو إلى حكم الأردن. وبالإضافة إلى ذلك فقد تمكّن هذا الملك من إنهاء إمارة آل رشيد في صفر عام ١٣٤٠هـ، مما أتاح له إدخال الأراضي التابعة لهذه الإمارة تحت حكمه. وكانت تلك الأراضي تشمل — من بين ما تشمل — الجوف وقرىّات الملح ووادي السرحان. وبذلك أصبح نفوذه يمتد إلى الأراضي التي باتت تحت حكم الأمير عبد الله بن الحسين في شرق الأردن. ولم يكن غريباً، نتيجة لكل ما سبق، أن ينتهج هذا الأمير سياسة غير ودّية تجاه الملك عبد العزيز في تلك الفترة. من ذلك أن فئات من قبائله كانت تغير على القوافل التجارية النجدية المتّجهة إلى الشام فتنهبها<sup>(٢)</sup>. أو تعتدي على القبائل التابعة للملك عبدالعزيز<sup>(٣)</sup>. وردّاً على تلك الأعمال قام الإخوان بمهاجمة الفئات المذكورة آخر عام ١٣٤٠هـ<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر ص ص ١٨٣ - ١٨٦ من هذا الجزء من الكتاب.

(٢) من ذلك نهب عودة أبو تايه، شيخ الحويطات، قافلة تجارية نجدية متجهة إلى الشام عام ١٣٤٠هـ. الذكر، نسخة خاصة، ص ١٣٢. وكان من بين ما نهبه ثلاثون من الخيل.

(٣) عامر موسى، العلاقات الأردنية السعودية ١٩٢١ - ١٩٢٨، رسالة تخرّج جامعية غير منشورة، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، ١٩٧٧م، ص ٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ص ١١ و ١٦. وكان من قادة المهاجمين عقاب بن محيّا. وعددهم يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مقاتل. وقد أُسر منهم ٣٠ رجلاً كانوا جرحى، فتوفي منهم ١٨، وأطلق سراح الباقيين بعد شفائهم.

ومع أن هجوم الإخوان يمكن أن يُعدَّ جزءاً على أعمال سابقة فإن القبائل الأردنية لم توقف أعمالها. فقد أغارت جماعة من بني صخر على أطراف وادي السرحان في صفر، عام ١٣٤١هـ، ونهبت قافلة تجارية لابن شريدة<sup>(١)</sup>، وقتلته مع رجلين ممن كانوا معه. وفي شهر ذي الحجة من ذلك العام قُتل في عمان رميةً بالرصاص أحد عشر رجلاً من أهل الجوف سبق أن أسرههم الشريف شاكر. وفي ربيع من العام التالي أغار أحد شيوخ الحويطات على قافلة تجارية متجهة إلى سوريا، فنهبها، وقتل ثمانية من أهلها<sup>(٢)</sup>.

على أن الأمر لم يتوقَّف عند ما سبق. بل أقدمت الحكومة الأردنية على احتلال قُرَيَّات الملح. فعزم الملك عبد العزيز على استرجاعها بالقوة، لكن بريطانيا طلبت منه التريُّث لحلَّ المشكلة سلمياً. وكان هذا أحد العوامل المهمَّة لدعوتها إلى مؤتمر الكويت<sup>(٣)</sup>.

ولقد سبقت الإشارة إلى ما حدث في ذلك المؤتمر بين وفدي نجد والعراق. أما المفاوضات بين وفدي نجد وشرق الأردن فبدأت في الخامس عشر من جمادى الأولى، عام ١٣٤٢هـ، وكان من مطالب

---

(١) ابن شريدة من كبار تجار أهل بريدة.

(٢) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

الوفد الأردني أن تتخلى حكومة نجد عن الجوف لابن شعلان على أن يكون تحت إشراف الحكومة الأردنية. فردّ الوفد النجدي على ذلك بأن هذا الإقليم كان تابعاً للدولتين السعوديتين الأولى والثانية، ثم لإمارة جبل شمر، التي قضى عليها الملك عبد العزيز. فأصبح مع أراضي هذه الإمارة تابعاً له. وكان مما طالب به الوفد السعودي إخلاء الأردنيين لقرى الملح، وردّ ما نهبوه من أموال أهل نجد، ودفع ديات المقتولين منهم<sup>(١)</sup>. ثم كرّر الوفد الأردني مطالبته بتخلى حكومة نجد عن الجوف، وطالب بإخلائها وادي السرحان<sup>(٢)</sup>. بل طالب، أيضاً، بتخليها عن أجزاء من عسير لصالح حكومة الحجاز<sup>(٣)</sup>. وكان هذا المطلب الأخير بالذات مخالفاً لما اشترطه الملك عبد العزيز لحضور المؤتمر. فأجّلت المفاوضات بينهما. ثم استؤنفت في الثامن عشر من شعبان من العام نفسه. لكن الوفد الأردني تمسك بمطالبه، بل زاد على ذلك بأن طالب بإعادة آل رشيد إلى إمارة جبل شمر، وآل عائض إلى إمارة عسير<sup>(٣)</sup>. ورفض الوفد النجدي - كما كان متوقعاً - تلك المطالب. وبذلك فشلت المفاوضات بين الطرفين.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(٢) وكان مؤتمر العُقَيْر قد ثبت ملكية تلك الجهات لحكومة نجد. حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨٩.

(٣) الذكر، نسخة خاصة، ص ١٣٧.

ونتيجة لفشل مؤتمر الكويت صمّم الملك عبد العزيز على حسم الموقف بينه وبين الملك حسين بالقوة. فاتخذ الاحتياطات اللازمة تجاه ابنه فيصل وعبد الله في العراق وشرق الأردن. وكان من ذلك أن وجّه إلى القطر الأخير حملة من الإخوان يزيد عددها على الألفين. فتوغّلت في أراضيهِ، أوائل عام ١٣٤٣هـ، حتى اقتربت من عمّان ذاتها. وقد دارت بينها وبين القبائل الأردنية عدة معارك منها معركة دامت عدة ساعات. وقامت الطائرات والمصفحات بقصف للمقاتلين من الطرفين. وكانت النتيجة أن قُتلت أعداد كبيرة منهما، وأُسِر عدد قليل من الإخوان، ثم انسحب باقيهم إلى الأراضي السعودية<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن بريطانيا قد أدركت قوة الملك عبد العزيز، الذي كان يحاصر جدة عام ١٣٤٤هـ، وخشيت أن يؤدي انتصاره شبه المؤكد في الحجاز إلى هجوم على كلٍّ من العراق وشرق الأردن. فكانت مفاوضات مندوبها كلايتون مع الملك، التي أدّت إلى عقد اتفاقية بحرة بين حكومته والحكومة العراقية، كما سبق أن ذكر. وانتهزت تلك الفرصة، فعقدت معه - نيابة عن الحكومة الأردنية - اتفاقية حدّة، ووقّعها في اليوم التالي من توقيع الاتفاقية المذكورة سابقاً. وكان من أهم

---

(١) المصدر نفسه، ص ص ١٣٧ - ١٣٨؛ موسى، ص ص ٣٠ - ٣١. وكان من بين قادة الإخوان ندا بن نهير والذويبي.

بنودها تحديد الحدود بين الطرفين<sup>(١)</sup>.

ورغم اتفاقية حدّة فإن العلاقات بين الملك عبد العزيز والأمير عبد الله بن الحسين لم تسر وفق ما يرام. فقد كان لهذا الأخير جهد بارز في حركة ابن رفاة ونشاط الحزب الحجازي عامي ١٣٥٠ و١٣٥١هـ، كما سبق أن ذكر<sup>(٢)</sup>. غير أن تلك العلاقات أخذت في التحسّن مع مرور الأيام.

---

(١) وقد قيل الملك عبد العزيز اتصال حدود الأردن بالعراق، الذي كان يطالب بعدمه، مقابل ضمان بريطانيا حرية مرور أتباعه إلى سوريا وعودتهم منها، وعدم دفعهم ضرائب جمركية. وتتكون الاتفاقية من ١٦ مادة؛ وهي موجودة في كتاب الريحاني، ص ص ٤٤١ - ٤٤٥.

(٢) انظر ص ص ٢٣٩ - ٢٤١ من هذا الجزء من الكتاب.

#### ٤ - العلاقات مع اليمن :

بدأت العلاقات الحقيقية بين الملك عبد العزيز وإمام اليمن، يحيى حميد الدين، بعد أن دخلت منطقة عسير تحت حكم الملك عام ١٣٣٨هـ؛ إذ أصبح بلدهما متجاورين. ولقد سبقت الإشارة إلى قيام ابن عائض بتمرد على الحكم السعودي في تلك المنطقة سنة ١٣٤٠هـ. فهبّ لمساعدته ملك الحجاز، الحسين بن علي<sup>(١)</sup>. وبينما كانت الحرب قائمة بين أتباع الملك عبد العزيز والمتمردين عليه وصلت إلى أبها قافلة يمنية في طريقها إلى مكة، فنصحها أمير هذه البلدة أن تغير اتجاهها لثلاث تمرّ بالجهات التي كان فيها قتال بين أتباع الملك عبدالعزيز والمتمرّدين عليه فتعرض لما لا تحمد عقباه. غير أنها لم تستمع إلى نصيحته. فلما وصلت إلى تلك الجهات طلب أتباع الملك منها أن تعود، فرفضت، فظنوا أنها يمكن أن تنضم للمتمردين، فهاجموها، وقتلوا أعداداً منها. وبعد أن علم الملك بذلك أعرب للإمام يحيى عن أسفه العميق، وبعث إليه ما أخذ منها. واعتقد حينها أن تلك الحادثة قد انتهت دون مضاعفات<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر ص ١٧٩ من هذا الجزء من الكتاب.

(٢) الذكر، نسخة بغداد، ص ٣٢. ولعلّ مما يؤيد ذلك الاعتقاد أن الإمام يحيى أرسل استلاماً لما بعثه إليه الملك عبد العزيز مما أخذ من القافلة اليمنية، وأنه لم يثر تلك القضية بهذه المناسبة أو خلال الأربع سنوات التالية لحدوثها. بل إنه لم يؤكد عليها إلا عام ١٣٥١هـ.

وكان الإمام محمد الإدريسي - حاكم إقليم جازان - قد عقد معاهدة حسن جوار مع الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٩هـ. ولما توفي بعد ذلك بثلاث سنوات خلفه ابنه علي، الذي كان صغير السن، فلم يستطع السيطرة على مقاليد الأمور كما ينبغي. فاستغلَّ إمام اليمن ذلك الوضع، وانتزع الحديدة وبلداناً شامها وشرقها. وقام كبار الإقليم على علي، فأزاحوه، وولَّوا عمه الحسن بدلاً منه. وحاول الحاكم الجديد أن يحصل على مساعدة إيطالية أو بريطانية ضد الإمام يحيى، فلم تنجح محاولته. فالتفت إلى الملك عبد العزيز، الذي كان قد أتمَّ توحيد الحجاز مع ما سبق أن وَّحده من البلاد، وعقد معه اتفاقية مكة، التي تقضي بحمايته من أي اعتداء؛ وذلك سنة ١٣٤٥هـ<sup>(١)</sup>.

وقد بعث الملك عبد العزيز صورة من تلك الاتفاقية إلى الإمام يحيى مفيداً أنه ألزم الإدريسي بالألا يقوم بأية حركة ضد هذا الإمام، وأملاً من الإمام أن يأمر أتباعه بعدم الاعتداء على بلاد الأدارسة<sup>(٢)</sup>. وردَّ عليه الإمام بخطاب يتضمَّن هجوماً عنيفاً على هؤلاء من الناحية الدينية، ويصفهم بأنهم مغتصبون لقطعة من بلاد اليمن<sup>(٣)</sup>. لكنه، على أية

(١) لمزيد من الإيضاح انظر ص ٢٠٦ من هذا الجزء من الكتاب.

(٢) العقيلي، ج ٢، ص ص ٩١٧ - ٩١٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩١٩ - ٩٢١. ومن الثابت تاريخياً أن المخلاف السليمانى قد دخل تحت حكم الدولة السعودية الأولى. ثم تمكَّن زعماء عسير، الذين قاوموا العثمانيين =



حال، طلب من الملك أن يرسل وفداً للتفاوض<sup>(١)</sup>. فأرسل الملك وفداً إليه، ومكث الوفد أكثر من شهر في صنعاء، لكن الطرفين لم يصلا إلى اتّفاق.

على أن أبواب المفاوضات لم توصل. فقد بعث الملك إلى الإمام وفداً اجتمع بوفد يماني في صنعاء عدة مرات كانت أكثر إيجابية من سابقتها<sup>(٢)</sup>. وعاد الوفد السعودي ومعه رسالة من الإمام إلى الملك يخبره فيها أنه مرسل إليه وفداً لاستئناف المفاوضات. ووصل هذا الوفد إلى مكة، فعُيّن وفد سعودي لمفاوضته<sup>(٣)</sup>. لكن أعضاء الوفد اليمني

---

= بعد زوال تلك الدولة، من إدخاله تحت حكمهم. ثم استقلّ به الأدارسة. وكان الإمام يحيى نفسه يخاطب الإدريسي مخاطبة الند للند، ويحاول أن يقف معاً ضد العثمانيين، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٥١ — ٧٥٢. وكان تاريخ تلك الرسالة ١٣٣٩/٦/٢٥هـ.

(١) كان الوفد يتكوّن من سعيد بن مشيط، وعبد الوهاب أبو ملحّة، وتركبي بن ماضي.  
(٢) كان الوفد السعودي مكوّناً من محمد بن دُلَيْم، وتركبي بن ماضي. وكان الوفد اليمني مؤلفاً من عبد الله العمري وعبد الكريم المطهر. العقيلي، ج ٢، ص ٩٢٤. وقد استمرت المفاوضات من ٦/٢٠ إلى ١٣٤٦/٨/١هـ. الذكير، نسخة بغداد، ص ٣٤. وكاد الوفدان يتفقان على أكثر جهات الحدود. المصدر الأول، ج ٢، ص ٩٢٥، والمصدر الثاني، ص ٣٤.

(٣) كان الوفد اليمني مكوّناً من قاسم بن حسين، ومحمد زبارة، وعبد الله بن مناع، وعباس ابن إبراهيم. وكان الوفد السعودي مؤلفاً من عبد الله بن عسكر، وحافظ وهبة، وتركبي بن ماضي، ومحمد بن دُلَيْم، الذكير، نسخة بغداد، ص ٣٥.

اختلفوا فيما بينهم<sup>(١)</sup>. فلم تطل المفاوضات، وعاد هذا الوفد إلى بلاده دون إحراز أيّ تقدّم؛ وذلك في شهر محرّم سنة ١٣٤٧هـ<sup>(٢)</sup>.

وظلت الأوضاع بين الطرفين هادئة نسبياً ثلاث سنوات. وفي عام ١٣٥٠هـ استولت قوات الإمام يحيى على جبل العر التابع للأدارة<sup>(٣)</sup>، مبرّراً ذلك بقوله:

«إن أهل الجبل قد طلبوا ذلك منه لتعليمهم الدين، وإنهم ليسوا من تهامة ولا عسير»<sup>(٤)</sup>.

فاقترح الملك أن يناقش الموضوع مندوبون من الطرفين. واجتمع وفدهما قرب ذلك الجبل، لكنهما لم يتوصلا إلى اتفاق بشأنه، فأحال الإمام القضية إلى الملك راضياً حكمه فيها. وقد أكّد الملك أنه لا حق لليمن في الجبل، لكن رغبته في سيادة السلام بين بلديهما تدفعه إلى التنازل عنه للإمام<sup>(٥)</sup>. وأمر الزعيمان وفديهما بوضع اتفاقية تنظّم حوادث الحدود بينهما. وتوصل الوفدان إلى اتفاقية تدور مجمل بنودها الثمانية حول معاملة كل طرف لرعايا الطرف الآخر<sup>(٦)</sup>.

(١) العقيلي، ج ٢، ص ص ٩٣٠ - ٩٣١.

(٢) الذكر، نسخة بغداد ص ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. وقد كتب هذا المؤلف اسم الجبل «عرو»؛ لكن العقيلي

(ج ٢، ص ٩٣٣) يسميه «العرو». وبما أنه مؤرخ من أهل تلك الجهات اعتمدت تسميته.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ٩٣٣؛ الذكر نسخة بغداد، ص ٣٥.

(٥) الذكر، نسخة بغداد، ص ٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ص ٣٦ - ٣٧.

على أن أواخر عام ١٣٥٠ هـ شهدت نشاط حزب الأحرار الحجازي وتنسيقه مع ابن رفاة في شمال البلاد والإدريسي في جنوبها. وقد قُضي على حركة ابن رفاة في بداية العام التالي. ولم يبق أمام أعضاء ذلك الحزب إلا تكثيف الجهود مع الإدريسي. ومن تلك الجهود اتخاذ عدد منهم اللُّحِيَّة مركزاً له. ولفت الملك عبد العزيز نظر الإمام يحيى إلى ذلك الأمر المعارض لما يؤمل من تحسين العلاقات بينها. ثم فشل تمرُّد الإدريسي آخر الأمر، ففرَّ مع أفراد أسرته إلى اليمن. وطلب الإمام من الملك أن يبقوا لديه، فوافق على ذلك، وخصص لهم مرتبات كافية، على أن يضمن عدم قيامهم بأيِّ نشاط ضده<sup>(١)</sup>. لكن استمرار نشاطهم كان أحد العوامل التي جعلت الملك يكتب إلى الإمام طالباً أن يجتمع وفدان يمثلانها للتوصل إلى أهداف أهمها تثبيت الحدود بين بلديهما بصورة واضحة، وتبيين صلات أمراء هذه الحدود وصلاحياتهم. فوافق الإمام على ذلك. وتوجه وفد سعودي إلى صنعاء<sup>(٢)</sup>. وما إن وصل إلى اليمن حتى رأى الأعلام مرفوعة ابتهاجاً باستيلاء قواتها على نجران<sup>(٣)</sup>. وقد أقام ذلك الوفد في العاصمة

---

(١) انظر ص ٢٠٨ من هذا الجزء من الكتاب. وقد حدث ذلك من الإمام مع أنه كان قبل ذلك يهاجمهم دينياً وسياسياً.

(٢) كان هذا الوفد برئاسة خالد القرني وعضوية تركي بن ماضي وحمد السليمان الحمدان.

(٣) الذكر، نسخة بغداد، ص ٤٢.

اليمنية حوالي خمسين يوماً دون أن يعيّن الإمام وفداً لمفاوضته، ودون أن تتاح له الفرصة للاتصال ببلاده<sup>(١)</sup>. ثم تفاوض الطرفان، لكنهما لم يتوصلا إلى اتفاق. فعاد الوفد السعودي من هناك<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لتقارير الوفود السعودية المتكررة إلى اليمن المفسرة لأسباب فشل المفاوضات بينها وبين الوفود اليمنية، ومساندة إمام اليمن لمن كانوا في بلاده من السعوديين المتمردين، ومحاولته إثارة القبائل السعودية، وأعماله في نجران، اقتنع الملك عبد العزيز أن ما يظهره الإمام يحيى من رغبة في السلم لا يتفق مع ما يعمل به. ولذلك أمر بعض قواته بالتوجه إلى جنوبي البلاد تحسباً للطوارئ<sup>(٣)</sup>. ولما سأله الإمام عن سبب ذلك أجابه بأن أعمال هذا الإمام وما تنشره صحفه الرسمية يثيران الشك ويدعوان إلى الحذر، ودعاه إلى الاعتراف بالحدود وتثبيتها بمعاهدة، وإعادة الأدارسة، وحلّ قضية نجران. وتبودلت بينهما برقيات عديدة تظهر محاولة الإمام تأجيل التوصل إلى حلول للمشكلات القائمة<sup>(٤)</sup>. على أنه في نهاية الأمر رضي بأن ينتقل

---

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ العقيلي، ج ٢، ص ١٠٤٦.

(٢) غادر الوفد جازان في ١/٢/١٣٥٢ هـ، وعاد إليها في ١٤/٤/١٣٥٢ هـ، المصدر الأخير

نفسه، ج ٢، ص ص ١٠٤٥ و ١٠٥٦.

(٣) الذكر، نسخة بغداد، ص ٤٨.

(٤) يمكن رؤية نماذج من تلك البرقيات في كتاب العقيلي، ج ٢، ص ص ١٠٥٠ - ١٠٧٤.

الأدراسة من الأماكن القريبة من الحدود إلى أماكن يمنيّة داخلية، واقترح أن تعقد معاهدة، لمدة عشرين سنة، يثبت فيها كلٌّ من الطرفين على ما في يده فعلاً من البلاد. فوافق الملك على ذلك<sup>(١)</sup>. لكن أعداداً من قوات الإمام بدأت تتسلّل إلى جهات جازان كجبل فيفاء وبني مالك. فأبرق إليه الملك مستنكراً ومنبّهاً إلى خطورة الأمر. وتأخر ردُّ الإمام عليه، فأمر قواته المرابطة في بيشة أن تسير إلى تهامة، وأمر ابنه سعوداً أن يتوجه مع قوة بالسيارات إلى أبها، وأمر ابنه فيصلأ أن ينطلق من الحجاز عبر الساحل جنوباً<sup>(٢)</sup>. وعندئذ بعث الإمام جواباً على برقيته السابقة مفيداً أنه كتب إلى ابنه أن يمتنع عن أية حركة، وآملاً أن يفعل الملك مثل ذلك، وأن يعيّن مكاناً للاجتماع مندوبيهما لعمل الاتفاقية التي سبقت الموافقة على عملها. فردَّ عليه الملك بأنه فاعل ما أمّله الإمام بالنسبة للقوات، وأنه يرحب بوفد منه. واقترح أن يكون الاجتماع في أبها حيث يوجد ولي العهد، الأمير سعود<sup>(٣)</sup>.

وفي مستهل ذي القعدة، عام ١٣٥٢هـ، وصل الوفد اليمني،

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٧٥.

(٢) الذكر، نسخة بغداد، ص ٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥؛ العقيلي، مصدر سبق ذكره؛ ج ٢، ص ١٠٩١.

برئاسة عبد الله بن الوزير، إلى أهما<sup>(١)</sup>. وبدأت مفاوضات مع وفد سعودي برئاسة فؤاد حمزة في الخامس من ذلك الشهر<sup>(٢)</sup>. لكنها سارت بخطى متعثرة لعدم حرص الوفد اليمني على حلّ للمشكلات المطروحة للنقاش، وإصراره على عدم مناقشة قضية نجران بشكل خاص مدّعياً أنها تابعة لبلاده. وقد فنّد الوفد السعودي ذلك الادعاء بأدلة تاريخية واضحة<sup>(٣)</sup>. وتبادل الملك عبد العزيز مع الإمام يحيى برقيات عدة؛ آملاً في إنجاح المفاوضات، وموضحاً أنه لا بد من انسحاب القوات اليمنية عما استولت عليه في الجبال التابعة لجازان، ولا بد تحديد الحدود بمعاهدة، وإبعاد الأدارسة إلى المحلّ المتفق عليه داخل اليمن، وإيجاد حلّ لقضية نجران<sup>(٤)</sup>. فردّ عليه الإمام بالموافقة

---

(١) ذهب تركي بن ماضي لاستقبال الوفد في ظهران الجنوب. ثم كتب انطباعه عن ابن الوزير قائلاً: إنه «يتظاهر بالقوة والشجاعة». ليس عنده إخلاص للملكين، ويرشح نفسه لولاية اليمن». المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ١٠٩٥. ومن المعروف أن ابن الوزير قام فيما بعد بانقلاب ضد الإمام، ففشل.

(٢) وكان أعضاء الوفد السعودي: الشيخ عبد الله بن زاحم، وتركيب ماضي، وعبد الوهاب أبو ملح، ودليم بن دليم. المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) الذكير، نسخة بغداد، ص ٥٦-٥٩؛ العقيلي، ج ٢، ص ١٠٩٨-١٠٩٩. ومن تلك الأدلة التاريخية أن أهل نجران؛ حاضرة وبادية، قد استقلوا بأنفسهم بعد ضعف الدولة العباسية. ثم تبعوا آل سعود مختارين كما توضحه رسالتا سعود بن عبد العزيز وفيصل بن تركي. وأصبحوا يدفعون الزكاة للملك عبد العزيز منذ أن دخلت تحت حكمه منطقة عسير. الذكير، نسخة بغداد، ص ٥٩؛ العقيلي، ج ٢، ص ١٠٩٩.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ج ٢، ص ١١٠٢.

على المسائل الثلاث الأولى، لكنه أصرَّ على تبعية نجران له . فاقترح الملك أن يكون هذا الإقليم محايداً بين الطرفين، أو يكون ما في يد كلٍ منهما تابعاً لمن هو في يده<sup>(١)</sup>. فلم يرض الإمام بذلك . وهكذا أوصدت أبواب الحلِّ السلمي ولم يبق أمام الملك عبد العزيز إلا استعادة حقوقه بالقوة .

### أ - الحرب السعودية اليمينية :

أمر الملك عبد العزيز قواته أن تتحرك لاستعادة ما استولت عليه قوات الإمام يحيى من الأراضي السعودية؛ وذلك في السادس من ذي الحجة عام ١٣٥٢هـ / ٢١ / ٣ / ١٩٣٤م<sup>(٢)</sup>. وقد سارت الحرب بين الطرفين في جبهتين: شرقية تشتمل على حدود عسير الجبلية ونجران، وغربية منطلقة من منطقة جازان .

### الجبهة الشرقية :

قسم الأمير سعود بن عبد العزيز القائد العام لهذه الجبهة جيشه إلى أربعة أقسام: الأول بقيادة الأمير فيصل بن سعد بن عبد الرحمن ووجهته باقم . والثاني بقيادة الأمير خالد بن محمد بن عبد الرحمن ويتقدم بين نجران يساراً وباقم يميناً ليصل إلى حدود صعدة . والثالث

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٠٥ .

(٢) الذكر، نسخة بغداد، ص ٦٢ .

بقيادته هو ويتقدم في الجهات الواقعة شرق المنطقة التي يسير فيها القسم الأول ليكون رديفاً له؛ إضافة إلى التوجيه العام للجبهة. والرابع بقيادة مذكر القحطاني وابن سعيّد ووجهته نجران<sup>(١)</sup>. وقد لقيت الأقسام الثلاثة الأولى صعوبات كبيرة في زحفها لوعورة المناطق التي كان عليها أن تمرّ بها، واحتماء القوات اليمينية بمرتفعاتها وحصونها المنيعة، لكنها رغم كل ذلك حققت الكثير من أهدافها<sup>(٢)</sup>. بل إن أحد المؤرخين اليمينيين قال: إن حركة المقاومة المتوكلية (اليمينية) شلّت تماماً في تلك المنطقة<sup>(٣)</sup>. أما القسم الرابع من الجيش السعودي على هذه الجبهة فانتزع بعض جهات نجران، بمعونة أهلها، من القوات اليمينية الموجودة فيه. ثم أرسل الأمير سعود قوة استولت على عقبة تصل هذا الإقليم باليمن غرباً. فلما رأت القوات اليمينية المتبقية حرج مواقفها حاولت الانسحاب باتجاه بلاد وائلة، فتعقبتّها القوات السعودية لإخراجها من الإقليم<sup>(٤)</sup>. ولو لم يكن من نجاح العمليات في الجبهة الشرقية إلا إشغال قسم كبير من قوات الإمام يحيى عن الجبهة

(١) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨؛ العقيلي، ج ٢، ص ١١١٤.

(٣) العقيلي، ج ٢، ص ١١١٤. وبطبيعة الحال لا يمكن أن يؤخذ من كلام ذلك المؤرخ ما هو ظاهر منه. ذلك أن القوات اليمينية لم تُشل، فيما يبدو، إلا عن الهجوم. أما الدفاع فقد دافعت بصلابة.

(٤) الذكير، نسخة بغداد، ص ص ٦٨ - ٦٩.



الغربية لكان ذلك مكسباً عظيماً، فكيف وقد حققت ما حققت من نجاح غيره؟

### الجبهة الغربية :

تولَّى القيادة العامة لهذه الجبهة، أول الأمر، حمد الشويعر نيابة عن الأمير فيصل بن عبد العزيز<sup>(١)</sup>. فانطلق بالقوات من مركز تجمُّعها في صامطة متَّجهاً إلى بلدة حَرَضَ المهمةً استراتيجياً. وأرسل الخيالة والقوات المحمولة بالسيارات لتقطع الطريق بينها وبين الجبال الواقعة شرقها. وزحف ببقية قواته حتى استولى على تلك البلدة، وحاصر القوة النظامية التي لجأت إلى قلعتها الحصينة بقيادة علي السباني. وظلت تلك القوة صامدة، رغم كثافة النيران الموجهة إليها، اثني عشر يوماً. وفي ليلة الأول من شهر محرَّم، عام ١٣٥٣هـ، تسلَّت منها منسحبة، فاستولى الشويعر على القلعة وما فيها من أسلحة ومعدَّات. وبعد أن رتَّب أمور البلدة بعث سرايا إلى الجهات القريبة منها، فنجحت في مهمَّاتها، وأعلنت قبائلها الطاعة<sup>(٢)</sup>. ثم زحف صوب بلدة

(١) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها، العقيلي، ج ٢، ص ١١٣٠ — ١١٣١. من تلك السرايا سرية بقيادة حسن بن دغثير إلى جنوب حَرَضَ. وقد انطلق إبراهيم النشمي بقوة من أبي عريش إلى العارضة وما حولها، فأخرج من فيها من جنود اليمن. وتقدَّم ابن مشيقح بقوة ضد عبد الوهاب الإدريسي ومن معه من اليمنيين في جبال بني جابر وبني سفيان وما حولها، فاستولى على بعض جهاتها، وفرَّ عبد الوهاب منها. الذكر، نسخة بغداد، ص ٦٦.

ميدي الساحلية، التي كان فيها القاضي عبد الله العرشي وفرقة من الجيش النظامي. فاستولى على القرى القريبة منها، ثم حاصرها، فخرج بعض أهلها يطلبون الأمان منه، ومنحهم إيّاه<sup>(١)</sup>. وظل محاصراً لها حتى وصل إليه الأمير فيصل بن عبد العزيز بالسيارات في الحادي عشر من المحرم، وتولّى القيادة العامة<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أن العرشي قد أدرك حرج موقفه، فانسحب مع جند الإمام يحيى من ميدي ليلة الثاني عشر من المحرم. وعندئذ بعث كبار أهلها رجلاً إلى قائد القوات السعودية، الأمير فيصل بن عبد العزيز، ليخبره بانسحاب العرشي وأولئك الجند، ويطلب منه إرسال من يستلم البلدة ويؤمن أهلها. فاستجاب الأمير لما طلب منه، ودخلها صباح اليوم التالي<sup>(٣)</sup>. ثم بعث قوة محمولة بالسيارات لمطاردة المنسحبين، فأدركتهم، وقبضت على العرشي، وأتت به إليه، فأكرمه وأرسله إلى مكة<sup>(٤)</sup>.

وبعد أن دخل الأمير فيصل بن عبد العزيز بلدة ميدي قدم إليه كثير من مشائخ تهامة يطلبون الأمان مقابل تسليمهم بلادهم إليه، كما

(١) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) العقيلي، ج ٢، ص ١١٣٤.

(٤) الذكير، نسخة بغداد، ص ٦٧.

طلب أهل اللُّحَيَّة وقبائل وادي مُورٍ منه التقدم إلى بلادهم، فأجاب طلبهم<sup>(١)</sup>. وكانت قوات الإمام يحيى تنسحب بسرعة من بلدان تهامة؛ ومن جملتها الحديدة، التي كان فيها أحد أبناء ذلك الإمام. فبقيت هذه المدينة المهمة دون سلطة تدبّر شؤونها. فسارعت القوات السعودية إليها، وتمكّنت من دخولها في الحادي والعشرين من المحرم دون مقاومة<sup>(٢)</sup>. وفي اليوم التالي وصل إليها الأمير فيصل، فاستقبله أهلها معلنين طاعتهم<sup>(٣)</sup>. وقد حاول الإيطاليون الذين كانوا على ظهر سفينتهم النزول إلى البلدة، بحجة المحافظة على رعاياهم<sup>(٤)</sup>. فحذّرهم ذلك الأمير من مغبّة فعلهم، وغادروا الميناء<sup>(٥)</sup>. ثم بعث قوات إلى جهات مختلفة من البلدان اليمنية القريبة منها، كبيت الفقيه وبلاد الزرائق، فدخلت في طاعته<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ العقيلي، ج ٢، ص ص ١١٣٧ - ١١٣٨. ويذكر هذا المؤرخ أن أهل المدينة بعثوا إلى الأمير فيصل يطلبون منه أن يرسل من يستلمها.

(٣) الذكر، نسخة بغداد، ص ٦٧.

(٤) يقول الذكر (المصدر نفسه، الصفحة ذاتها): إنه كانت في الميناء سفن فرنسية وبريطانية وإيطالية، وإن الإيطاليين حاولوا النزول، فمنعهم البريطانيون، وانسحبت السفن الثلاث، لكن الإيطاليين عادوا. فلما حذّر الأمير فيصل قائدهم قال للأمير: إن هدفه من النزول استيفاء ما على الإمام يحيى من ديون قدرها ستون ألف جنيه.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٨؛ العقيلي، ج ٢، ص ص ١١٣٨ - ١١٣٩.

## ب - الصلح بين الطرفين ومعاهدة الطائف:

ألت الحرب الدائرة بين البلدين الشقيقتين كثيراً من المخلصين، فسعى عدد منهم للصلح بينهما. وقدم وفد إلى الحجاز في الرابع من المحرم لذلك الغرض. ويتكوّن من أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين، والأمير شكيب أرسلان رئيس الوفد السوري في أوروبا، وهاشم الأتاسي رئيس الوزراء السابق في سوريا، ومحمد علي علوبة وزير الأوقاف السابق في مصر، وعلي رشدي سكرتيراً للوفد<sup>(١)</sup>. فقابلوا الملك عبد العزيز، الذي كان لا يزال متصلاً بالإمام يحيى برقيّاً، وعرضوا عليه الصلح. فقبل ذلك على أن تنسحب قوات الإمام من نجران والمناطق الجبلية التي احتلتها كجبل فيفاء وبني مالك والعبادل، ويُسلّم إليه الأدارسة<sup>(٢)</sup>. وقبل الإمام بذلك. فأمرت القوات بوقف القتال في جميع الميادين؛ وذلك في التاسع والعشرين من المحرم/١٣/٥/١٩٣٤م<sup>(٣)</sup>.

وكان الوفد اليمني، الذي قدم إلى أبها برئاسة عبد الله بن الوزير، ما زال في الحجاز<sup>(٤)</sup>. فبدأت المفاوضات بينه وبين وفد سعودي برئاسة

---

(١) الذكر، نسخة بغداد، ص ٦٩.

(٢) العقيلي، ج ٢، ص ١١٤٠.

(٣) الذكر، نسخة بغداد، ص ٦٩.

(٤) لم يسافر ابن الوزير ومن معه من أبها إلى اليمن لنشوب الحرب. فانتقل إلى جدة، وظلّ هناك حتى بدء المفاوضات في الطائف.

الأمير خالد بن عبد العزيز. واتفق الطرفان على بنود معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية عرفت باسم معاهدة الطائف. ومن بين تلك البنود:

١ - إنهاء حالة الحرب بين البلدين وإبدالها بحالة سلم دائم وصداقة وطيدة.

٢ - اعتراف كلٍّ منهما باستقلال الآخر ومملكته.

٣ - تنازل الإمام يحيى عن أيِّ حق يدَّعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها من البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية والتي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام، وتنازل الملك عبد العزيز عن أيِّ حق يدَّعيه من حماية واحتلال أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو غيرها<sup>(١)</sup>.

٤ - تُعد الحدود الموضحة في المعاهدة حدوداً فاصلة بين البلدين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) من هذه البلاد الجديدة وجزء من تهامة أصبح تابعاً لإمام اليمن.

(٢) الذكر، نسخة بغداد، ص ص ٧٠-٧٦؛ العقيلي، ج ٢، ص ص ١١٤٢ - ١١٥١. وفيها المعاهدة كاملة البنود.

وقد وقَّع المعاهدة رئيساً الوفدين السعودي واليميني في السادس من صفر عام ١٣٥٣هـ - ٢٠ / ٥ / ١٩٣٤م. ثم وقَّع عليها الملك عبدالعزيز. وسافر بها من جدة إلى اليمن وفد المصالحة العربية ومعه الوفد اليمني ووفد سعودي ليوقَّع عليها الإمام يحيى، ويتمَّ تبادل نسختيها بعد هذا التوقيع. فجرى ذلك على أحسن حال<sup>(١)</sup>. وانسحبت قوات كل من الطرفين إلى الأراضي التي حددتها المعاهدة له. وفتحت صفحة جديدة سلمية في تاريخ علاقات البلدين الشقيقتين.

وفي العاشر من ذي الحجة، عام ١٣٥٣هـ، قام ثلاثة رجال بمحاولة لاغتيال الملك عبد العزيز وهو يؤدِّي طواف الإفاضة، وجرح أحدهم ابنه سعوداً الذي كان يطوف بجواره<sup>(٢)</sup>. لكن حرس الملك لم يكن لهم بد من قتلهم أثناء تلك المحاولة. وقد ثبت في التحقيقات التي أجرتها الجهات السعودية المختصة أنهم يمنيون<sup>(٣)</sup>. وأبرق الإمام يحيى إلى الملك عبد العزيز مستنكراً ما قام به أولئك الرجال، غير أنه

---

(١) وقَّعها الملك عبد العزيز في الخامس والعشرين من صفر، ووقَّعها الإمام يحيى في السادس من ربيع الأول، وتبادل النسختين المرمتين الأمير فيصل بن عبد العزيز وعبد الله بن الوزير في العاشر من هذا الشهر. الذكير، نسخة بغداد، ص ٧٩.

(٢) يقال: إن سبب جرحه محاولته أن يقي أباه من هجوم المعتدي عليه. وقد حاول شرطي اسمه أحمد العسيري أن يمسك المعتدي، فقتله المعتدي، ثم حاول أن يمسكه شرطي آخر اسمه مجدوع بن شباب فقتله المعتدي أيضاً. وكان جرح الأمير سعود خدشاً بسيطاً في أسفل كتفه اليسرى. الذكير، نسخة بغداد، ص ١٨٢.

(٣) هم النقيب علي بن علي بن حزام الحاضري، وأخوه صالح، ومبخوت بن مبخوت الحاضري. المصدر نفسه، ص ١٨٣؛ الخطيب، ج ١، ص ٢١٦.

قال: إنهم إن كانوا من اليمن فإن يداً خارجية قد دبّرتهم<sup>(١)</sup>. وشكّل ذلك الإمام هيئة لتحقيق في الموضوع، فقررت أن أحد الرجال الثلاثة كانت له اتصالات خارجية ليس من الممكن استقصاء أسرارها<sup>(٢)</sup>. على أن الحكومة السعودية لم تسمح لهذا الحادث أن يؤثر على ما توصل إليه البلدان من اتفاق، فبرأت ولي عهد اليمن من الإشاعات التي اتهمته بأنه وراء ما حدث<sup>(٣)</sup>. وأسدلت الستار على الموضوع.

وتنفيذاً لمعاهدة الطائف شكّلت هيئتان سعوديتان يمينتان لتخطيط الحدود بين بلديهما في تهامة والجبال. فقامت بتثبيت أعمدة على هذه الحدود من شمال ميّدي على ساحل البحر الأحمر إلى الربع الخالي. وذلك عام ١٣٥٤هـ<sup>(٤)</sup>.

ولعلّ مما يدلُّ على تحسُّن العلاقات بين السعودية واليمن انضمام الأخيرة، عام ١٣٥٦هـ، إلى معاهدة الأخوة العربية التي عقدت بين المملكتين السعودية والعراقية قبل عام من ذلك التاريخ<sup>(٥)</sup>، ووقوف الملك عبد العزيز إلى جانب أحمد بن الإمام يحيى في صموده أمام الحركة التي تزعمها عبد الله بن الوزير وأدّت إلى اغتيال ذلك الإمام عام ١٣٦٨هـ<sup>(٦)</sup>.

(١) الذكر، نسخة بغداد، ص ١٨٤.

(٢) الخطيب، ج ١، ص ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٣) مشاري بن سعود، ص ١٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ص ١٩٧ - ١٩٩. ويذكر أن عدد تلك الأعمدة ٢٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ص ٢١٠ - ٢١١.

## ٥ - العلاقات مع بريطانيا:

كان لبريطانيا نفوذ كبير على الإمارات العربية الواقعة في الساحل الشرقي للجزيرة العربية عندما بدأ الملك عبد العزيز أولى خطواته لإعادة الحكم السعودي . وقد تابعت ما كان يجري بينه وبين ابن رشيد بالذات لما لتطوُّر ذلك من تأثير في وضع المنطقة المهمّة لها . كانت لا تود أن ينتصر عليه ذلك الخصم المدعوم من العثمانيين لأن انتصاره قد يؤدّي إلى تهديد خطير للكويت . وكانت ، أيضاً ، لا تود أن ينتصر هو انتصاراً كبيراً لأن انتصاره في نجد قد يؤدّي إلى محاولته مدّ نفوذه على مناطق ساحلية داخلية تحت نفوذها؛ خاصة أن منها ما كان تحت حكم أسلافه . ولهذا تفادت التدخل في النزاع الدائر بينه وبين من يناوئه . بل إنها نصحت أمير الكويت بعدم مساعدته<sup>(١)</sup> . أما هو فقد اتصل بها بعد دخوله الرياض ، وطلب تأييدها له<sup>(٢)</sup> . لكنها لم تتخذ أية خطوة في هذا المجال . وبعد معركة البُكرية طلب منها الحماية لمساعدة العثمانيين لابن رشيد . لكنها لم تستجب لطلبه وإن حذرت العثمانيين من التدرُّج عسكرياً في نجد<sup>(٣)</sup> . ثم حاول بطرق مختلفة أن

---

(١) كشك ، ص ٢١٨ .

(٢) ترولر ، ص ٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .



تعترف به، ونصحها مندوبها في المنطقة، بيرسي كوكس، أن تقيم علاقات معه، لكنها عارضت رأي ذلك المندوب لأسباب منها انغماسها حينذاك في القضايا المعلقة بينها وبين العثمانيين<sup>(١)</sup>.

وكان أول لقاء بين الملك عبد العزيز ومسؤول بريطاني لقاءه بشكسبير الوكيل السياسي في الكويت؛ وذلك عام ١٣٢٨هـ<sup>(٢)</sup>. ثم لقيه مرة أخرى في العام التالي<sup>(٣)</sup>، حيث أوضح له رغبته في إخراج العثمانيين من الأحساء والقطيف لكونها تابعتين لأسلافه، ومنفعتهما له عسكرياً واقتصادياً. وتساءل عن إمكانية حماية بريطانيا له فيما لو حاول العثمانيون مهاجمته بحراً، وأبدى استعداداه لقبول وكيل بريطاني عنده. لكن شكسبير قال له: إن بريطانيا في وضع لا يتيح لها مساعدته<sup>(٤)</sup>، ونصحته بعدم الإقدام على ما يرغب فيه لاحتمال أن ينتج عنه خطر كبير بالنسبة له<sup>(٥)</sup>. ولما أخرجهم من الإقليمين، بعد عامين

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤ و ٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٩. وقد تمّ اللقاء في ربيع الأول. ويفهم من هذا المصدر أن بعض المسؤولين في لندن علموا باللقاء وما دار فيه. على أنه ذكر (ص ٤٥) أن الملك قابل شكسبير مرةً أخرى قبيل إخراجه العثمانيين، وأنه أعاد ما قاله في لقائه السابق.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦. ولم تكن تلك المناسبة أول مرةً نجبر فيها الملك عبد العزيز بريطانيا برغبته في انتزاع الأحساء والقطيف من العثمانيين. فقد أخبرها بذلك عام ١٣٢٤هـ. وهبة، ص ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٥) كشك، ص ٣٤٣.

من لقاءه الثاني به ، حاولوا استرجاعها منطلقين من البحرين بتشجيع من السلطات البريطانية هناك<sup>(١)</sup> .

وكان وصول نفوذ الملك عبد العزيز إلى ساحل الخليج الذي ترتبط إماراته العربية بمعاهدات مع بريطانيا دافعاً لها إلى اتخاذ موقف أكثر جدية من ذي قبل بالنسبة له ؛ خاصة أن بعض أراضي تلك الإمارات كانت تابعة للدولتين السعوديتين الأولى والثانية . وكان هو يدرك غاية الإدراك قوة تلك الدولة وأهمية تأمين جانبه من سطوتها . فواصل مساعيه للحصول على اعترافها به ، وإقامة علاقات رسمية معه<sup>(٢)</sup> ، وتحمّس ممثلو حكومتها في الخليج لإنجاح تلك المساعي إدراكاً منهم لمقدرته ، وأملاً في أن يكون في ذلك سلامة للإمارات السالفة الذكر . غير أن قادتها في لندن فضّلوا التريث والاستمرار في التعامل مع الدولة العثمانية وكأنها ما زالت المسيطرة على الأحساء والقطيف<sup>(٣)</sup> . ثم أدركت - وهي على أعتاب دخول حرب مع هذه الدولة في إطار الحرب العالمية الأولى - أن استمرار موقفها السلبي نحوه ليس من مصلحتها . ذلك أنه سيدفعه إلى الوقوف مع العثمانيين عملياً . وكان من أكبر ما يشغل باله حينذاك احتمال قيامهم بمحاولة لاستعادة الأحساء والقطيف منه .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

(٢) ترولر ، ص ص ٥٥ - ٥٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ص ٥٩ - ٦٠ .

ولعدم تجاوب بريطانيا معه اتخذ سياسة مرنة مع العثمانيين، الذين كان من مصلحتهم، أيضاً، أن يلتقوا معه في تلك المرونة. فنتج عن ذلك توصلهما إلى اتفاقية مطمئنة نوعاً ما بالنسبة له<sup>(١)</sup>. ويقال: إنهم طلبوا منه أن يساعدهم في الدفاع عن البصرة<sup>(٢)</sup>.

وفي ظل الظروف السابقة ازداد حماس ممثلي بريطانيا في الخليج لتعميق الصلة بالملك عبد العزيز، فتكررت زياراتهم له<sup>(٣)</sup>. وكان في طليعتهم شكسير، الذي كان معجباً به كثيراً، والذي أصرَّ على صحبته وهو متجه لمحاربة الأمير سعود بن رشيد، فقتل في المعركة التي دارت بينهما في جُراب سنة ١٣٣٣هـ<sup>(٤)</sup>. وكان مما طلبته بريطانيا من الملك أن ينضم إلى حاكمي الكويت والمحمرة لمساعدتها في انتزاع البصرة من العثمانيين، وترتيب أمورها، مقابل وعدها بأن تعترف به حاكماً مستقلاً، وتقيم معه علاقات، وتحميه من أي هجوم بحري عليه<sup>(٥)</sup>. فردَّ عليها مرحباً بالتعاون، لكنه فضل مناقشة الموضوع

---

(١) من أهم ما فيها تعيينه حاكماً لنجد تابعاً للعثمانيين. وكان توقيع تلك الاتفاقية ١٣٣٢/٦/٢٠هـ. المصدر نفسه، ص ص ٦٠ - ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٣) الزركلي، ج ١، ص ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٤) انظر ص ١٤٧ من هذا الجزء من الكتاب.

(٥) ترولر، ص ص ٨٣ - ٨٤. وتاريخ ذلك الطلب ١٣٣٢/١٠/٢٤هـ.

شخصياً مع شكسبير. وقد اتضح لهذا الأخير أنه لا نية للملك عبدالعزیز بترك موقفه الحيادي بين بريطانيا والدولة العثمانية حتى يتوصل إلى اتفاقية موقّعة ومختومة مع الأولى. فنصحته شكسبير أن يقدّم خطوطاً عريضة للاتفاقية التي يطمح إليها<sup>(١)</sup>. ومن هنا بدأت المفاوضات بين الطرفين حول هذا الموضوع حتى انتهت بعقد معاهدة دارين، أو القطيف، عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م<sup>(٢)</sup>. ومن أهم بنودها: اعتراف بريطانيا به حاكماً مستقلاً لنجد والأحساء والقطيف والجبيل وملحقاتها، ومساعدتها له ضد أية دولة تعتدي على أراضيه، وتعهّده بأن يمتنع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع أية دولة أجنبية، وتعهّده بأن يمتنع عن التدخل في أراضي إمارات الخليج العربية التي هي تحت الحماية البريطانية<sup>(٣)</sup>.

والمأمل في سير الأحداث في الجزيرة العربية والخليج خلال السنوات الثلاث من بداية الحرب العالمية الأولى يرى أن الملك عبدالعزیز اتخذ موقفاً أقرب ما يكون إلى الحياد بين بريطانيا والدولة العثمانية. وذلك لأسباب عديدة، منها انشغاله بأمره الداخلية وفي

---

(١) المصدر نفسه، ص ص ٨٤ - ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٨٥ - ٨٦.

(٣) وهبة، ص ص ٣٣١ - ٣٣٢. وقد أخطأ هذا المؤلف حيث ذكر أنها وقّعت في ١/٣/ ١٩١٥م. ذلك أن توقيعها تمّ في ٢٦/١٢/ ١٩١٥م. ترولر، ص ٨٩.

مقدمتها مشكلة العجمان . ومنها عدم رغبته في الإقدام على أمر لا يرى فيه فائدة واضحة له ، أو يرى أن تفاديه لا يضره . ومع اتخاذه ذلك الموقف الذي لم تكن بريطانيا راضية عنه كثيراً فإنها أمدته ببعض المساعدات المالية والعسكرية التي طلبها منها<sup>(١)</sup>؛ خوفاً - فيما يبدو - من أن يقوم بأعمال تعرقل مساعي حلفائها في المنطقة ، مثل الملك حسين ، وبالتالي تكون له آثار سلبية على محاولة تحقيق أهدافها .

وكان من نتائج الحرب العالمية أن أصبح نفوذ بريطانيا في المنطقة أعظم من ذي قبل . فقد دخلت تحت نفوذها كل من العراق وشرق الأردن ؛ إضافة إلى جهات أخرى . وأصبحت بذلك صاحبة الكلمة العليا في تحديد علاقات حكام تلك الأقطار بالملك عبد العزيز . وقد أتضح هذا الأمر في معاهدة الحمرة بينه وبين العراق عام ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م ، ومؤتمر العقير الذي عُيِّن فيه الحدود بين بلاده وكل من الكويت والعراق ، وأُقرت فيه تبعية قرى الملح ووادي السرحان له ؛ وذلك عام ١٣٤١هـ . ثم اتفاقية بحرة ، عام ١٣٤٤هـ ، التي سُويت فيها مشاكل البادية على الحدود بين بلاده والعراق ، واتفاقية حدة - في العام نفسه - التي حُدِّدت فيها الحدود بين بلاده والأردن<sup>(٢)</sup> .

---

(١) الزركلي ، ج ١ ، ص ٢٨٧ . وقد ذكر أن بريطانيا قررت له خمسة آلاف جنيه شهرياً ، وأمدته بثلاثة آلاف بندقية .

(٢) انظر ص ص ٢٧١ - ٢٧٢ من هذا الجزء من الكتاب .

وبعد أن وَّحَّدَ الملك عبد العزيز الحجاز مع ما وَّحَّده من مناطق البلاد الأخرى دارت مفاوضات بينه وبين بريطانيا أدَّتْ إلى معاهدة جدة، التي أمضاها بتفويض منه ابنه فيصل النائب العام في الحجاز، وبتفويض من ملك بريطانيا جلبرت كلايتون؛ وذلك في الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٥هـ - ٢٠ / ٥ / ١٩٢٧م. ومن أهم ما تضمَّنته تلك المعاهدة الاعتراف باستقلاله التام داخلياً وخارجياً<sup>(١)</sup>. وبذلك أُلغيت معاهدة دارين، أو القطيف، السابقة.

---

(١) الزركلي، ج ١، ص ص ٢٩٨ - ٣٠٠.

جوانب من النهضة  
في عهد الملك عبد العزيز





تعامل الملك عبد العزيز مع الظروف المحيطة به بحكمة ومهارة . فأدار أمور بلاده العامة بسياسة مرنة موفقة . وحقَّق الله على يديه وحدة أجزائها وحلول الأمن في ربوعها . ورَسَّخ تلك الوحدة وذلك الأمن بما سنَّه من تنظيمات ونفَّذه من أعمال في ميادين مختلفة من أمور الحياة . وكان من نتائج ذلك أن خُطت البلاد في عهده خطوات حضارية جيدة في جوانب متعددة منها :

#### ١ - تنظيم الإدارة العامة للبلاد:

كان الملك عبد العزيز يدير الشؤون العامة للبلاد - خلال جهوده العظيمة لتوحيدها - بطريقة مشابهة، في كثير من جوانبها، لتلك التي كان يديرها بها القادة الموفِّقون من أسلاف أسرته . ومن معالم تلك الطريقة تطبيق الشريعة، واستشارة ذوي الرأي الصائب من علماء الدين وأمراء الحاضرة ورؤساء البادية ؛ إضافة إلى أفراد من أسرته ورجال البلاد الآخرين . على أن صفاته الذاتية وتجربته الخاصة الطويلة قد أضافتا إلى الطريقة المذكورة الكثير من التطوير والتحسين ؛ بل الابتكارات الرائدة . ولقد استفاد من بعض الشخصيات النجدية المتعلِّمة، التي كانت تعيش خارج منطقة حكمه خلال العقدين الأولين من ذلك الحكم . فكانوا نعم العون له سواء منهم من بقي في

القطر الذي يعيش فيه<sup>(١)</sup>، أو من قدم إلى نجد وعمل تحت رايته، واحتلَّ مناصب مهمّة لديه<sup>(٢)</sup>. واستفاد، أيضاً، من شخصيات عربية غير نجدية أتت إليه، بصفة عامة، هاربة من أوضاع بلدانها، والتحقّت بخدمته فتبوّأت ما تبوّأت من مكانة رفيعة<sup>(٣)</sup>. وبالإضافة إلى هؤلاء وأولئك استفاد من رجالات المناطق غير النجدية التي توحدت تحت رايته<sup>(٤)</sup>.

(١) من هؤلاء ابن مندبل في العراق، والنفيسي في الكويت، والقصيبي في البحرين، والزغبني في المدينة المنورة؛ وذلك قبل دخولها تحت الحكم السعودي.

(٢) من هؤلاء أحمد بن ثنيان آل سعود، وإبراهيم بن معمر، ومحمد بن سليمان الحمدان، وأخوه عبد الله الذي أصبح وزيراً للمالية وبلغ منزلة في الدولة لم يبلغها أحد من غير أفراد الأسرة المالكة.

(٣) منهم عبد الله الدملاجي من العراق، ومحمود حمدي ويوسف ياسين وخير الدين الزركلي من سوريا، وفؤاد حمزة من لبنان، وحافظ وهبة من مصر، وخالد أبو الوليد القرقي من ليبيا. وكان مما قام به الدملاجي المشاركة في مفاوضات الدولة مع غيرها من الدول، وإدارة الشؤون الخارجية سنة ١٣٤٤ هـ. وما قام به حمدي إدارة الشؤون الصحية في الحجاز. وما قام به ياسين رئاسة تحرير أم القرى ورئاسة الشعبة السياسية، ونيابة وزارة الخارجية. وما قام به الزركلي إدارة أعمال الخارجية في جدة، وتمثيل المملكة في الجامعة العربية. وما قام به حمزة وكالة وزارة الخارجية. أما وهبة فكان من أعماله المشاركة في المفاوضات بين المملكة وبلدان أخرى، وإدارة شؤون المعارف، وتولّى منصب سفير في لندن. وأما القرقي فكان عضواً في بعض الوفود إلى اليمن، ومستشاراً في الأمور الخارجية. ولمزيد من التفصيل عن أعمال من سبقت الإشارة إليهم يمكن الرجوع إلى الزركلي، ج ١، ص ص ٣٦٥-٣٦٨، ٣٧٥ و ٤٠٩.

(٤) يتبيّن ذلك بشكل جليّ عند تأمل من ساهموا في الإدارات في الحجاز؛ خاصة في مجالات الأمن والدفاع والتعليم.

ومع أن الملك عبد العزيز ورث بعضاً من التنظيمات الإدارية العثمانية في منطقة الأحساء والقطيف، ثم في منطقة عسير، بعد توحيد هاتين المنطقتين فإن التنظيم الإداري الواضح المعالم المؤدّي إلى إصلاحات بيّنة في الدولة عامة لم يحدث إلا بعد توحيد منطقة الحجاز. كان حكام الدولة العثمانية يولون منطقة الحجاز؛ لا سيما مكة والمدينة، أهميّة خاصة. فقاموا ببعض الإصلاحات التي تعكس تلك الأهميّة لديهم وتهدف، في الوقت ذاته، إلى ترسيخ سلطتهم هناك. من ذلك مدّ سكة الحديد من دمشق إلى المدينة المنورة<sup>(١)</sup>، وتأسيس مطبعة حكومية<sup>(٢)</sup>، وإصدار جريدة الحجاز، التي تلتها عدة صحف بالعربية والتركية<sup>(٣)</sup>.

ولما استقلّ الحسين بن علي بالحجاز، سنة ١٣٣٤هـ، قام بعدة أمور تتلاءم مع الوضع الجديد للبلاد. من ذلك إصدار عملة خاصة بها<sup>(٤)</sup>، وإنشاء جريدة القبلة<sup>(٥)</sup>، وتشكيل حكومة مشتملة على وكلاء

(١) كان وصول السكة إلى المدينة عام ١٣٢٦هـ. السباعي، ج ٢، ص ١٩٩.

(٢) كان تأسيس المطبعة سنة ١٣٠٠هـ. وكان من أول ما طبع بها كتاب دوريّ رسميّ عن ولاية الحجاز. انظر محمد الشامخ، الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٤٤م، بيروت، ١٣٩١هـ، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١٣، ٢٧، ٣٧، ٤٤، ٤٩ و ٥٢.

(٤) وهيم، ص ص ٦٣ - ٦٤.

(٥) صدر العدد الأول منها في ١٥/١٠/١٣٣٤هـ. الشامخ، ص ٨٧.

(وزراء) للداخلية، والخارجية، والحربية، والمعارف، والأشغال  
والمواصلات، والأوقاف، والمالية، والبرق والبريد، والصحة<sup>(١)</sup>.

ولقد راعى الملك عبد العزيز ظروف الحجاز الخاصة، فحاول أن  
يتعامل معها بحكمة ومرونة، وأن يستفيد من تجارب من سبقوه في  
تنظيم أمورها وإدارتها. فبعد أن دخل مكة المكرمة جمع علماءها  
وأعيانها، وطلب منهم أن يكونوا عوناً له في تسيير شؤون البلاد، وأن  
ينتخبوا من بينهم أعضاء لوضع تلك المعونة موضع التنفيذ. فانتخبوا  
أناساً كوّنوا «المجلس الأهلي»<sup>(٢)</sup>، الذي عُهد إليه النظر في أمور  
المحاكم والأوقاف، والأمن، والبلدية، والصحة، والبرق والبريد<sup>(٣)</sup>.

وكان من الأمور التي تمت سنة ١٣٤٤هـ مبايعة أهل الحجاز  
الملك عبد العزيز، الذي كان لقبه الرسمي حينذاك سلطان نجد  
وملحقاتها، ملكاً عليهم<sup>(٤)</sup>. ومما قام به الملك في تلك السنة تعيين ابنه  
فيصل نائباً عنه في الحجاز<sup>(٥)</sup>، وتشكيل هيئة لوضع وصف للحكومة

(١) السباعي، ج ٢، ص ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) كانوا أحد عشر رجلاً أورد أسماءهم فؤاد حمزة في كتابه البلاد العربية السعودية، ط ٢،  
الرياض، ١٣٨٨هـ، ص ١٠٠.

(٣) الزركلي، ج ٢، ص ٥٧١.

(٤) الخطيب، ج ١، ص ص ١٣٧ — ١٣٨. وقد رفعت تلك المبايعة إليه في  
١٣٤٤/٦/٢٢هـ. وتمت رسمياً في الخامس والعشرين من ذلك الشهر.

(٥) الزركلي، ج ١، ص ٣٥٨.

وتنظييات لإدارتها<sup>(١)</sup>. وفي العام التالي ظهرت نتائج جهود هذه الهيئة بما صدر بعنوان «التعلييات الأساسية للمملكة الحجازية»<sup>(٢)</sup>. وفي طليعة تلك التعلييات أن المملكة لا تقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه، وأنها شورية إسلامية مستقلة في داخلتها وخارجيتها، وأن إدارتها بيد الملك عبد العزيز الذي هو مقيد بأحكام الشرع<sup>(٣)</sup>.

وكان مما تضمته التعلييات الأساسية إنشاء مجلس للشورى برئاسة النائب العام للملك في الحجاز وعضوية ثمانية من «ذوي الفضل والخبرة»<sup>(٤)</sup>.

وكانت مهمّة ذلك المجلس الرئيسية استشارية وتنظيمية إلا أن له الحق، أيضاً، في لفت نظر الحكومة إلى أي خطأ يقع في تطبيق الأنظمة<sup>(٥)</sup>. وقد مرّ بتغييرات في بعض مواد نظامه مع مرور الوقت،

---

(١) الخطيب، ج ١، ص ١٣٢. وقد أورد أسماء أعضاء تلك الهيئة.

(٢) صدرت التعلييات في ٢١/٢/١٣٤٥هـ. الزركلي، ج ١، ص ٣٥٣. وقال ذلك المؤلف: إن مادتها كانت من إملاء الملك عبد العزيز نفسه، وإن الهيئة تولّت صياغتها. ولعلّ الأكثر دقة ما ذكره الخطيب (ج ١، ص ١٣٢) من أن الملك أبلغ المجتمعين لديه من كبار أهل الحجاز بأنه أعدّ ملاحظات أحبّ أن ينظروا فيها؛ وهي خطوط عريضة للأمر التي طلب من الهيئة بحثها.

(٣) الزركلي، ج ١، ص ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٤) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٥) الزركلي، ج ٢، ص ٥٧٣.

وأُنجز كثيراً من الأنظمة والتعليقات والمقررات (١).

وكان قد تشكّل، عام ١٣٤٥هـ، مجلس تنفيذي من رؤساء الدوائر الحكومية لمساعدة النائب العام في إنجاز مهمّاته الإدارية. ثم تطوّر هذا المجلس حتى انبثق منه، سنة ١٣٥٠هـ، مجلس الوكلاء الذي ترأسه النائب العام وضمّ في عضويته وكيلي الخارجية والمالية، ورئيس ديوانه ومعاونيه، ونائب رئيس مجلس الشورى (٢). ثم ازداد أعضاؤه شيئاً فشيئاً حتى حلّ محلّه مجلس الوزراء عام ١٣٧٣هـ.

على أن ما سبقت الإشارة إليه من تنظيم الإدارة العامة للبلاد كان مركزاً، بدرجة كبيرة، على منطقة الحجاز؛ خاصة في السنوات العشر التي تلت توحيد تلك المنطقة. أما شؤون نجد والأمور السياسية العامة للبلاد؛ لا سيما الخارجية، فكان الملك عبد العزيز يديرها من خلال عدة قنوات في طليعتها:

أ- المجلس الخاص. وكان يُعقد مرتين في اليوم. وفي مقدمة من يحضره تحت رئاسة الملك عبد العزيز أخوه الأمير عبد الله بن

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٧٧. ولزيد من التفصيلات يمكن الرجوع إلى حمزة. البلاد العربية السعودية، ص ص ١٠٢ - ١١١.

(٢) من أوفى الدراسات عن هذا الموضوع كتاب إبراهيم بن عويض العتيبي، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣ - ١٣٧٣هـ، الرياض، ١٤١٤هـ، ص ص ١٣٩ - ١٤٧.

عبدالرحمن، وابنه ولي عهده الأمير سعود بن عبد العزيز، ومن يحملون لقب وزير دولة، والمستشارون.

ب - الشعبة السياسية، وتعنى بالشؤون الخارجية.

ج - الديوان الملكي، ويعنى بالشؤون الداخلية.

وكانت هناك عدة شعب ذات اختصاصات محدّدة كشعبة البادية، والخاصة الملكية، والمحاسبة والأعطيات، والوفود والضيافة<sup>(١)</sup>.

وبالإضافة إلى ما تقدم كان ولي العهد، الأمير سعود بن عبدالعزيز، يسهم إسهاماً واضحاً في تسيير الأمور الإدارية في منطقة نجد بالذات. وكان قد أصبح ولياً للعهد منذ عام ١٣٥٢هـ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الزركلي، ج ١، ص ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٢) الخطيب، ج ٢، ص ١٥.

## ٢ - اتخاذ البلاد اسمها الموحد:

يوجد، عادة، اتفاق بين لقب الحاكم واسم الدولة التي يحكمها<sup>(١)</sup>. لكن من الألقاب التي أطلقها أتباع الدولتين السعوديتين الأولى والثانية على حكامهم لقب «الإمام»؛ رمزاً لقيام حكمهم على أسس دينية. ومع ذلك فلم تطلق المصادر المتوافرة على أي من هاتين الدولتين اسم «إمامة». وقد سُمِّي كثير من أبناء البلاد؛ خاصة علماء الدين<sup>(٢)</sup>، الملك عبد العزيز/بالإمام حتى وفاته مع أنه حمل ألقاباً رسمية غير هذا اللقب. بل إنه كان يُسَمَّى بهذا مع وجود أبيه، الذي كان هو، أيضاً، يُسَمَّى به<sup>(٣)</sup>. وكانت فئات من المجتمع السعودي تُسَمَّى الملك، أحياناً، «الشيخ» بالجمع عند الحديث عنه<sup>(٤)</sup>.

أما الألقاب التي أشار إلى الملك عبد العزيز، أو خاطبه بها، ممثلو الحكومات الأجنبية قبل اتخاذه رسمياً لقب «سلطان» فمنها

---

(١) كأن يسمَّى حاكم المملكة ملكاً، وحاكم السلطنة سلطاناً.

(٢) ابن ناصر، ج ١، ص ١٧٩. وقد سُمِّي الملك عبد العزيز «الإمام» في المعاهدة التي عُقدت بينه وبين الإدريسي عام ١٣٣٨ هـ. انظر أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، بيروت، ١٣٨٥ هـ، ج ٢، ص ٩٧.

(٣) كانت وفاة الإمام عبد الرحمن بن فيصل عام ١٣٤٦ هـ. ابن ناصر، ج ١، ص ١٦٢.

(٤) الزركلي، ج ٢، ص ٦٤٩. ولعلَّ الأصل «شيخ الشيخ». فحذف المضاف لفظاً، وبقي في الذهن معنى.



«الأمير»<sup>(١)</sup>، و«الشيخ»<sup>(٢)</sup>. و«والي نجد وقائدها . . الباشا . .»<sup>(٣)</sup>،  
و«حاكم نجد والحسا والقطيف . .»<sup>(٤)</sup>. وكثيراً ما قيل عنه، أيضاً،  
«ابن سعود»<sup>(٥)</sup>.

وفي محرم ١٣٣٩ هـ عُقد مؤتمر في الرياض حضره علماء البلاد  
وأعيانها، وتقرر فيه أن يكون لقب حاكمهم «سلطان نجد  
وملحقاتها»<sup>(٦)</sup>. وفي عام ١٣٤٤ هـ بايعه أهل الحجاز ملكاً عليهم.  
فأصبح لقبه «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها»<sup>(٧)</sup>. وفي العام  
التالي بايعه أهل نجد ملكاً عليهم أيضاً. فأصبح لقبه «ملك الحجاز  
ونجد وملحقاتها»<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) كما ورد في خطاب عبد الله - ابن الملك حسين - إليه سنة ١٣٣٧ هـ. الريحاني، ص ٢٤٤.  
(٢) كما ورد في خطاب حاكم الكويت إليه في رجب عام ١٣٣٩ هـ؛ أي قبل اتخاذه لقب  
سلطان بشهور. خزعل، ج ٥، ص ٤٠.  
(٣) الزركلي، ج ٢، ص ٦٥٠. وهذا مما وصفه به قادة الدولة العثمانية.  
(٤) ترولر، ص ٢٥٠. وقد أورد ذلك المؤلف نص الاتفاقية بين الملك عبد العزيز وبريطانيا  
حيث أشير إلى الملك بها ذكر أعلاه.  
(٥) هذا اسم شائع لدى الكثيرين؛ عربياً وأجنبياً، قبل اتخاذه لقباً رسمياً وبعده.  
(٦) الريحاني، ص ٢٧٧؛ الزركلي، ج ٢، ص ٦٥٠.  
(٧) الخطيب، ج ١، ص ١٣٢؛ ابن هذلول، ص ١٨٣؛ الزركلي، ج ٢، ص ٦٥٠.  
(٨) الخطيب، ج ١، ص ١٦٩؛ الزركلي، ج ٢، ص ٦٥١.

وقد شهدت الشهور الأولى من عام ١٣٥١ هـ نهاية الفتن الداخلية التي تلت توحيد البلاد عملياً. فأصبح الجو مناسباً لتوحيدها رسمياً في اسم واحد. وصدر في السابع عشر من جمادى الأولى من ذلك العام مرسوم ملكي بتوحيدها باسم «المملكة العربية السعودية»؛ اعتباراً من الحادي والعشرين من الشهر المذكور (١٩٣٢/٩/٢٢ م). فأصبح لقبه «ملك المملكة العربية السعودية» (١).

---

(١) الخطيب، ج ١، ص ٢٠٩؛ حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٩٢؛ الزركلي، ج ٢، ص ٦٥١.

### ٣- تنظيم شؤون القضاء والحسبة.

#### أ- القضاء:

كان القضاء في نجد - قبل إكمال توحيد المملكة عملياً - يسير على ما كان يسير عليه في عهدي الدولتين السعوديتين الأولى والثانية. بل إنه ظلّ كذلك بعد إكمال هذا التوحيد فترة غير قصيرة. وكان من أبرز ملامحه الاعتماد على المذهب الحنبلي، وسهولة الإجراءات القضائية. ولم يكن ذلك الاعتماد وهذه السهولة غير متوقعين. فقد كان علماء نجد حنابلة منذ قرون لا تقلّ عن الخمسة<sup>(١)</sup>، وكانت حياة مجتمعهم ما زالت بسيطة.

وكان الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ مرجع الأمور الدينية، بصفة عامة، لدى الملك عبد العزيز حتى وفاته<sup>(٢)</sup>. ثم أصبح لأخيه محمد منزلة رفيعة<sup>(٣)</sup>. وبعد ذلك أصبح لابن أخيها، الشيخ

(١) عن سيادة المذهب الحنبلي في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يمكن الرجوع إلى دراستي المنشورة في مجلة الدارة، شوال ١٣٩٨هـ، ص ص ٣٢ - ٤٠، بعنوان «نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب».

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، مكة، ١٣٩٨هـ، ج ١، ص ٧٦. وسيشار إلى هذا المصدر، مستقبلاً، بعلماء نجد؛ لئلا يلتبس اسم هذا المؤلف مع اسم المؤرخ البسام صاحب تحفة المشتاق. وكانت وفاة الشيخ عبد الله سنة ١٣٣٩هـ.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ص ٨٤٩ - ٨٥٠. وكانت وفاته سنة ١٣٦٧هـ.

محمد بن إبراهيم، مكانة خاصة في الإشراف على شؤون القضاء في نجد بالذات<sup>(١)</sup>، الذي شهد نوعاً من التطور الإداري أواخر عهد الملك عبد العزيز.

ومن المعلوم، علي أية حال، أن المسائل التي يمكن أن ينظر فيها القضاة مختلفة الأنواع. فمنها ما هو من المخالفات الدينية الأخلاقية. وكان أمير البلدة يحيل المتهم فيها إلى القاضي، فيحكم عليه الثاني وينفذ الأول ما حكم به دون تدوين للقضية. ومن تلك المسائل ما هو خلاف بين خصمين. وهو متعدّد الجوانب. منه ما هو ذو صبغة يومية كالخلاف المتصل ببيع الحيوانات والأطعمة والملابس. وكان الخصمان فيه يذهبان، عادة، إلى القاضي مباشرة في أي مكان يجده، وفي أية ساعة من النهار، دون إحالة من الأمير. فيحكم القاضي بينهما دون تحرير للقضية<sup>(٢)</sup>. ومنها ما هو ذو صفة دائمة كالخلاف المتصل بالعقارات. ومثل هذا الخلاف يحال، في أغلب الأحيان، من الأمير إلى القاضي، الذي يحدّد موعداً للنظر في القضية<sup>(٣)</sup>. فإذا انتهى

---

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٣. وكانت وفاة الشيخ محمد سنة ١٣٨٩هـ.

(٢) من التعبيرات الشائعة في بعض أقاليم نجد قول أحد المتخاصمين للآخر: «كثّ للشرع»، أي هيأ بنا إلى القاضي ليحكم بيننا. و«الكثّ» نوع من المشي في اللغة العربية. ومما يلفت النظر أن كلمة Get الإنجليزية قريبة لفظاً ومعنى منها.

(٣) غالباً ما كان ذلك في دار القاضي، التي هي، أحياناً، تابعة للدولة. لكن قد تكون الجلسة للخصمين في بيت آخر.

المدَّعي والمدَّعى عليه من الإدلاء بحجتيهما حكم بينهما . ثم كتب ما توصل إليه من حكم لمن كسب القضية<sup>(١)</sup> .

وقد يلتمس المحكوم له تصديق الملك عبد العزيز على الحكم ، فيتمُّ ذلك<sup>(٢)</sup> . وكان من النادر أن يبدي من خسر القضية عدم رضاه بالحكم . فإن فعل شكاً الأمر إلى الملك . وعندئذ يوجَّه الملك أحد القضاة الكبار لينظر في قضية المتخاصمين من جديد<sup>(٣)</sup> .

وكان القضاء في كلِّ من منطقة الأحساء والقطيف ومنطقة عسير - قبل توحيد الملك عبد العزيز لهما - يعتمد على المذهب الحنفي ؛ وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية التي حكمتها فترة من الزمن<sup>(٤)</sup> . وكانت إجراءاته تتمُّ وفق الخطوط العامة التي يتمُّ بها القضاء في مختلف ولايات تلك الدولة . ولما وحدها الملك مع منطقة نجد أصبح القضاء فيها يعتمد على المذهب الحنبلي . بل إن أكثر قضاتها أصبحوا من العلماء النجديين ، الذين يتبعون هذا المذهب .

---

(١) قد يكتب ذلك في دفتر خاص بمن كُتب له ، أو في ورقة عادية .

(٢) يكثر ذلك إذا كان العقار المختلف حوله في بلاد خارج الحكم السعودي كالعراق .

(٣) قد يكون هذا القاضي في الرياض ذاتها أو في بلدة غيرها .

(٤) أما الأولى فاستعادها الملك عبد العزيز من العثمانيين مباشرة . وأما الثانية فكان آل عائض قد استقلوا بها عن العثمانيين قبل توحيدها لها بفترة قصيرة جداً .

أما منطقة الحجاز فكانت لها أوضاعها القضائية الخاصة . كان تعيين القاضي في مكة يتم من العاصمة العثمانية ذاتها، ويرتبط مباشرة بشيخ الإسلام في تلك العاصمة<sup>(١)</sup>. وكان ذلك القاضي يعتمد المذهب الحنفي، الذي هو المذهب الرسمي للعثمانيين، كما أن إجراءات القضاء في مكة كانت مشابهة لتلك المعمول بها في بقية الولايات العثمانية . وبعد أن استقلَّ الشريف الحسين بن علي بالحجاز بقي رئيس القضاة لديه حنفياً، لكن أصبح إلى جانبه قضاة من المذاهب السنيّة الثلاثة الأخرى<sup>(٢)</sup>. وأصبح هناك محكمة شرعية كبرى، ومحكمة مستعجلة، ومحكمة تجارية . وكل واحدة منها تنظر في الأمور المحدّدة لها . وفي عهده أنشئت «مدرسة قضاء الشرع»، التي تدرس فيها العلوم الشرعية وما يساعدها من علوم لتخريج قضاة أكفاء في عملهم<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن وحدَّ الملك عبد العزيز منطقة الحجاز مع ما وحدّه من مناطق البلاد الأخرى راعى ظروف تلك المنطقة الخاصة . وعمل ما في وسعه لتطوير أوضاعها القضائية . وقد أبقى القضاء معتمداً على

(١) السباعي، ج ٢، ص ٢١١ .

(٢) العتيبي، ص ٢١٦ .

(٣) لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى وهيم، ص ص ٨١ - ٨٥ .

المذاهب السنيّة الأربعة حوالي ستين . ثم أمر بتوحيده على المذهب الحنبلي<sup>(١)</sup> ، ما لم يكن أحد المذاهب الثلاثة الأخرى أصحّ منه في المسألة التي يُنظر فيها فيتَّبَع المذهب الأصح<sup>(٢)</sup> . وكان أوَّل من تولّى إدارة القضاء في الحجاز - بعد توحيد الملك عبد العزيز لها - الشيخ محمد مرزوقي<sup>(٣)</sup> . ثم حوِّلت تلك الإدارة إلى رئاسة عام ١٣٤٤هـ ، وعيّن فيها الشيخ عبد الله بن بُلَيْهَد . فاستمر فيها إلى نهاية العام التالي تقريباً<sup>(٤)</sup> . وبعد ذلك عيّن محلّه الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، الذي ظلّ فيها حتى وفاته سنة ١٣٧٨هـ<sup>(٥)</sup> . وقد رُبِطت بتلك الرئاسة دوائر مختلفة ، مع مرور الوقت ، من أهمّها هيئة تمييز الأحكام ، التي أنشئت عام ١٣٥٠هـ<sup>(٦)</sup> . وكانت توجد إلى جانب هذه الهيئة محاكم كبرى ، ومحاكم مستعجلة . ولكلٍّ من هذه وتلك اختصاصاتها<sup>(٧)</sup> . وبالإضافة إلى ذلك أنشئت كتابة للعدل سنة ١٣٤٦هـ<sup>(٨)</sup> .

(١) حمزة ، البلاد العربية السعودية ، ص ١٩٧ .

(٢) العتيبي ، ص ٢٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .

(٤) علماء نجد ، ج ٢ ، ص ص ٥٤٤ و ٥٤٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ص ٨٤ - ٨٥ .

(٦) العتيبي ، ص ٢٣٠ .

(٧) حمزة ، البلاد العربية السعودية ، ص ١٩٨ .

(٨) العتيبي ، ص ٢٦١ .

## ب - الحسبة :

الحسبة، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الأمور المهمّة جداً في الدين الإسلامي الحنيف. وهي إحدى الصفات التي جعلت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس. وقد بيّن أهمّيّتها العلماء، ومارسها المصلحون، على مرّ القرون. وكان ممن اهتمّ بها غاية الاهتمام علماء نجد منذ ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقادة الدولتين السعوديتين الأولى والثانية. أولئك العلماء بإيضاح مكانتها، وتبيين شروطها ووسائلها<sup>(١)</sup>، وهؤلاء المصلحون بالحثّ على ممارستها، وتشجيع القائمين بها<sup>(٢)</sup>.

ولقد أولى الملك عبد العزيز قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الحسبة، ما تستحقه من عناية منذ بداية عهده. ومن المصادر المتوافرة يبدو أن أول مسؤول مباشر عنها في الرياض كان الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ<sup>(٣)</sup>. وقد عُيّن الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ مساعداً له. ثم تولّى هذا الأخير رئاستها عام

(١) ممن تناوّلها من أولئك العلماء الشيخ محمد نفسه، وحفيده عبد الرحمن بن حسن، وابن حفيده، عبد اللطيف بن عبد الرحمن. انظر ابن غنّام، ج ١، ص ص ١٥٣، ١٥٨، ١٧١؛ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، القاهرة، ١٣٣٤هـ، ج ٤، ص ص ٢٢٤، ٣٨٠ و ٥٥٥.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٦٨، وج ٢، ص ص ٧٤ و ٨٢.

(٣) علماء نجد، ج ٣، ص ٧٤٢.



١٣٤٥هـ (١). ومن المحتمل جداً أن نشاط الرئاسة في تلك الفترة المبكرة لم يكن شاملاً لأقاليم نجد. لكنه اتسع مع مرور الأيام ليشمل كل تلك الأقاليم، ثم المنطقتين الشرقية والشمالية من المملكة.

وما إن وُحِدَ الملك عبد العزيز منطقة الحجاز مع ما وُحِدَ من مناطق البلاد حتى أنشأ هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة؛ وذلك عام ١٣٤٤هـ. وقد أسند رئاستها إلى الشيخ عبد الله الشيباني (٢). ثم أنشأ هيئات مماثلة في بقية مدن الحجاز الكبيرة (٣). وكان لرئاسة القضاء إشراف عليها في بداية الأمر، ثم رُبِطت إدارياً بالأمن العام عدة سنوات. لكنها ما لبثت أن أعيدت إلى إشراف رئاسة القضاء (٤).

وفي عام ١٣٧٢هـ أصبحت في المملكة رئاستان رسميتان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأولى مركزها الرياض وتشرف على الهيئات في نجد والمنطقتين الشرقية والشمالية، ويرأسها الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ. والثانية مركزها مكة وتشرف على الهيئات في الحجاز وعسير وجازان، ويرأسها الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ (٥).

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. وقد استمر في ذلك المنصب حتى وفاته عام ١٣٩٥هـ.

(٢) الخطيب، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) العتيبي، ص ١٧٩. وكانت رئاسة الهيئة في المدينة المنورة للشيخ صالح الزغبني، ورئاستها في جدة للشيخ محمد نصيف.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٥) توفي الشيخ عبد الملك سنة ١٤٠٤هـ. وقد وُحِدَت الهيئات تحت رئاسة واحدة عام

١٣٩٦هـ.

#### ٤ - الدخل والتنظيم المالي:

سيتركز الحديث، هنا، على أهم مصادر دخل الدولة في عهد الملك عبد العزيز في أثناء عمليات توحيد أجزاء البلاد. ومن الواضح أنه عندما بدأ خطواته الأولى في نجد لهذا التوحيد كان الدخل يعتمد، بدرجة كبيرة، على مصدرين. أولهما ما يُؤخذ زكاة من أتباعه كزكاة الإبل والغنم من البادية، وزكاة التمر والحبوب من الحاضرة (١). وثانيهما ما كان يُغنم في المعارك مع الخصوم أو الغارات على من رفضوا الدخول في الطاعة (٢). وكانت الغارات على البادية بالذات مفيدة نسبياً من الناحية المادية. ذلك أن النجاح فيها كان يعني الحصول على جزء كبير، أحياناً، من ثروتها الحيوانية. أما كسب معركة ضد أهل بلدة ما فينتهي، غالباً، بدخولها تحت الحكم دون نيل ممتلكات أهلها. وعلى أية حال فإن الدخل من المصدرين المذكورين لم يكن كافياً لسدّ الاحتياجات المتعددة للجوانب. لذلك كان لا بد من وضع ضريبة على السكان؛ خاصة من لا يشتركون من الحاضرة في الغزوات، سُميت ضريبة «الجهاد»، أو الجهاد فقط (٣). وعندما لا

(١) من بلدان نجد ما تُركت زكاتها لأمرائها المحليين؛ مثل عنيزة التي تُركت زكاتها لأمرائها آل سُليم.

(٢) معروف أن قسماً مما كان يُغنم يُوزع على المشتركين في الغزو.

(٣) تسميتها الشائعة لدى بعض النجديين: «فَصّة»، بمعنى الشيء المفروض.

تكفي هذه الضريبة مع ما سبق ذكره لسدّ تلك الاحتياجات كان يُلجأ إلى الاقتراض من أغنياء البلاد.

ولما دخلت منطقة الأحساء والقطيف تحت حكم الملك عبد العزيز، سنة ١٣٣١ هـ، تحسّنت أوضاع دولته المالية كثيراً. ذلك أن تلك المنطقة غنيّة بشروتها الزراعية؛ خاصة النخيل، وباديتها من الكثرة بمكان. ولذا أصبحت زكاة حاضرتها وباديتها تمثل دخلاً لا يستهان به. وبالإضافة إلى ذلك فقد استجدّ بدخولها مصدر آخر من مصادر الدخل؛ وهو جمارك البضائع الواردة إلى موانئها. ثم أتت دخول منطقتي عسير؛ سراة وتهامة، وجبل شمر وما يليه شمالاً؛ حاضرة وبادية، لتزيد كثيراً في تحسّن تلك الأوضاع المالية.

وبكمال دخول الحجاز تحت حكم الملك عبد العزيز، سنة ١٣٤٤ هـ، انتهى، أو كاد ينتهي، المصدر الثاني من مصادر دخل دولته؛ وهو غنائم المعارك. لكن حلّ محلّه مصدر آخر؛ وهو دخل الحج، إضافة إلى زكوات المنطقة وجماركها.

على أن جميع ما سبق ذكره من مصادر الدخل كان قليلاً أمام المتطلّبات الجديدة لدولة عزم قائدها على أن يسارع إلى القيام بإصلاحات متعدّدة الجوانب. ولم يبدأ ذلك القائد بحلّ المشكلات التي واجهت تطلّعاته الإصلاحية الحلّ الذي وصل إليه إلا بتوفيق من الله، ثم بتدفّق النفط في البلاد وتصديره.

وكانت محاولات اكتشاف نفط في البلاد قد بدأت باتفاقية مع شركة سنديكيت الشرقية الإنجليزية، سنة ١٣٤٢هـ، للتنقيب عنه في المنطقة الشرقية على أن تدفع الشركة مقدماً إلى الملك عبد العزيز مبلغ ألفي جنيه ذهبي، ثم تدفع إليه مثلها سنوياً حتى تكتشف النفط. لكن تلك الشركة توقفت عن العمل، فألغيت الاتفاقية سنة ١٣٤٧هـ<sup>(١)</sup>. وكان الثري الأمريكي، تشارلز كرين، ذا صلة وثيقة بالبلاد العربية، ورغبة في تقدّمها. ومن ذلك زيارته لإمام اليمن وإمداده بمهندسين على حسابه الخاص للتنقيب عن المعادن وإقامة بعض الجسور<sup>(٢)</sup>. وقد زار المملكة، سنة ١٣٤٩هـ، فشرح له الملك عبد العزيز مشكلة قلّة المياه في البلاد. وتعهّد له كرين أن يبعث إليه خبيراً للمساعدة. فأرسل إليه الجيولوجي تويتشل، الذي كان يعمل حينذاك في اليمن. وتنقّل هذا في منطقة الحجاز بحثاً عن مصادر للمياه، لكنه اقتنع بأن الأمل في العثور على ما هو مطلوب ضعيف جداً<sup>(٣)</sup> وكان مما كلّفه به الملك، أيضاً، دراسة إمكانية وجود معادن في البلاد، فلم يجد ما يشجّع على ذلك. على أن مقارنة تربة منطقة

(١) الزركلي، ج ٢، ص ص ٦٩٢ - ٦٩٣؛ المانع، ص ٢٩٦.

(٢) تويتشل، وترجمة عنوان كتابه: العربية السعودية: تطورها ومصادرها الطبيعية، برنستون، ١٩٥٨م، ص ٢١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ٢١٢ - ٢١٣.

الأحساء بترية البحرين، التي اكتشفت فيها نـفـط، رَجَّحت لـديـه  
إمكانية وجود نـفـط في تلك المنطقة. وكان أن فَوَّضه الملك عبد العزيز  
أن يتَّصل بمـمـوِّلين للتـنـقيب عنه<sup>(١)</sup>. ونتج عن اتصالاته أن اقتنعت  
شركة «ستاندرد أويل أف كاليفورنيا» بالفكرة. ثم اتفقت مع حكومة  
المملكة عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، على أن تقوم بالتنقيب عن النفط  
في شرقي البلاد وفق شروط منها: أن مدة امتياز الشركة ستون عاماً،  
وأن عليها أن تقرض المملكة فوراً ثلاثين ألف جنيه ذهبي ثم تقرضها  
عشرين ألفاً بعد ثمانية عشر شهراً، وتدفع لها خمسة آلاف جنيه إيجاراً  
سنوياً، ثم تدفع لها - بعد اكتشاف النفط - أربعة شلنات عن كل  
طن منه<sup>(٢)</sup>. وفي عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م اكتشف النفط قرب بلدة  
الدمام بكميات تجارية<sup>(٣)</sup>.

أما قضيَّة التنظيم المالي فيمكن القول باختصار: إن مصادر الدخل  
كانت - خلال عمليات توحيد البلاد - تتجه، بصفة عامة، إلى  
خزينة الملك عبد العزيز، الذي ينفقها على متطلبات دولته

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(٢) الزركلي، ص ص ٦٩٦ - ٦٩٧؛ المانع، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٨. ومن الواضح أن تلك  
الشروط كانت كسباً للشركة، لكن المملكة كانت حينذاك في حاجة ماسة إلى المال. على  
أن الشروط تغيَّرت لصالحها مع مرور الوقت.

(٣) الزركلي، ج ٢، ص ٧٠١.

بأساليب مشابهة لتلك التي كانت سائدة في الدولتين السعودية الأولى والثانية. ولما دخلت منطقة الأحساء والقطيف تحت حكمه وجد فيها تنظيمات مالية سنَّها العثمانيون الذين كانوا يحكمونها. فرأى الاستفادة منها، وعيَّن موظفاً من موظفيهم السابقين للإشراف على مالية تلك المنطقة تحت رعاية أميرها، الذي كانت له صلاحيات إدارية تفوق تلك التي لغيره من أمراء المناطق الأخرى في البلاد. وكانت في منطقة عسير، أيضاً، تنظيمات مالية خَلَفها العثمانيون، لكن تثبيت الحكم فيها، على أية حال، لم يتم إلا قبل ثلاث سنوات من توحيد منطقة الحجاز، التي نتج عن توحيدها الكثير من التنظيم الإداري في ميادين مختلفة بينها الأمور المالية.

وكانت أولى الخطوات التي قام بها الملك عبد العزيز لتنظيم الأمور المالية في الحجاز بعد توحيدها مباشرة أن أَلَف لجنة لدراسة أوضاعها المالية؛ وذلك سنة ١٣٤٤هـ. وفي العام نفسه أنشأ إدارة مالية هناك<sup>(١)</sup>. وبعد هذا بعامين وُحِّدَت جميع الدوائر المالية في الحجاز في إدارة اسمها: مديرية المالية العامة، وعيَّن عبد الله بن سليمان الحمدان مديراً لها<sup>(٢)</sup>. ثم حُوِّلت هذه المديرية إلى وكالة في السنة

(١) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٨؛ الزركلي، ج ١، ص ٣٧٥.

المالية التالية<sup>(١)</sup>. وفي عام ١٣٥١هـ حُوِّلت الوكالة إلى وزارة، وأصبح وكيل المالية العام نفسه وزيراً لها<sup>(٢)</sup>.

ومع مرور الأيام اتَّسعت صلاحيات وزارة المالية وتعدّدت مسؤولياتها. فربطت بها جميع إدارات المالية في المملكة<sup>(٣)</sup>، ولم تُعدّ وظيفتها محصورة على ما يبادر إلى الذهن من اسمها. بل صار مربوطاً بها أمور كثيرة مختلفة الطبيعة منها: الحج، والدفاع، والزراعة، والأشغال العامة، والطرق، والسيارات، والتعدين<sup>(٤)</sup>. غير أن من هذه الأمور ما فُصل عنها بعد فترة<sup>(٥)</sup>. وكانت أول محاولة لعمل ميزانية للمملكة تلك التي تمّت سنة ١٣٤٨هـ<sup>(٦)</sup>. ثم تقرّرت أول ميزانية بعد خمس سنوات من ذلك التاريخ، حيث فُصلت فيها

---

(١) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ الزركلي، ج ١، ص ٣٧٦. ولقّلة الوزارات التي أنشئت في البلاد، وما هيئاً الملك عبد العزيز لابن سليمان من مكانة في الدولة، أصبح اسم «الوزير»، إذا أُطلق انصرف الذهن إليه وحده. وظلّ وزيراً للمالية حتى عام ١٣٧٤هـ؛ أي بعد وفاة الملك بعام واحد.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٣٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٧٦، حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ١٦٢ - ١٧٢.

(٥) من ذلك الدفاع، الذي سيأتي الحديث عنه بإذن الله.

(٦) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ١٧٦؛ الزركلي، ج ٢، ص ٧٥٩.

الواردات، فبلغت أربعة عشر مليون ريال<sup>(١)</sup>. وفي عام ١٣٦٧هـ ازدادت الميزانية فتجاوزت مئتي مليون ريال<sup>(٢)</sup>.

ولعلَّ مما تجدر الإشارة إليه، في مجال التنظيم المالي، مسألة النقود. كان هناك عملات متنوّعة في مناطق البلاد المختلفة. ومن هذه العملات ما هو عثماني أو بريطاني أو هندي. ومنها الريال النمساوي المسمّى بالفرانسي. وقد أصدر الملك حسين عملة هاشمية في الحجاز<sup>(٣)</sup>. ولما وُحّد الملك عبد العزيز الحجاز أصدر عملة نحاسية من فئات القرش ونصفه ورُبعة سنة ١٣٤٤هـ. وبعد هذا بستين صدر أول نظام للنقد في المملكة، كما سُك من الفضة الريال العربي السعودي ونصفه ورُبعة<sup>(٤)</sup>. وفي عام ١٣٧١هـ أنشئت مؤسسة النقد العربي السعودي<sup>(٥)</sup>. وفي العام الذي تلاه أصدرت الدولة الجنيه الذهبي السعودي، الذي كان مساوياً للجنيه الإنجليزي الذهبي في حجمه ووزنه، كما أصدرت أول عملة ورقية، باسم إيصالات الحجاج، من فئات عشرة ريالات، وخمسة، وريال واحد<sup>(٦)</sup>.

---

(١) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ١٧٦.

(٢) الزركلي، ج ٢، ص ٧٥٩.

(٣) وهيم، ص ص ٦٥ - ٦٦.

(٤) العتيبي، ص ٣٣٩ - ٣٤١.

(٥) الزركلي، ج ٣، ص ١٠٥٣.

(٦) العتيبي، ص ص ٣٤٤ - ٣٤٥.



## ٥ - التعليم وتنظيمه:

كانت الأوضاع العلمية في المناطق التي توحدت على يد الملك عبدالعزيز ضعيفة بصفة عامة. ذلك أن التعليم كان معدوماً تقريباً لدى البادية من السكان، وقليلًا جداً لدى الحاضرة. ولعلّ من أكبر أسباب ذلك ترحال الفئة الأولى المستمر من مكان إلى مكان آخر وراء الكلا، وانشغال الكثيرين من الفئة الثانية بالبحث عن لقمة العيش؛ إضافة إلى عدم الاستقرار السياسي في بعض المناطق، وندرة وجود قادة يهتمون بالتعليم؛ سياسة وتمويلاً.

وكان هناك نوعان من التعليم. أولهما ما اصطُحح البعض على تسميته الكتابية، حيث يُدرّس القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة<sup>(١)</sup>. ويلتحق بهذا النوع، غالباً، أبناء من تسمح لهم ظروفهم المادية بالاستغناء عن مشاركة آبائهم لهم في تأدية أعمالهم ساعات الدراسة، ودفع ما يدفع، عادة، إلى المدرسين<sup>(٢)</sup>. وثاني النوعين

---

(١) بدأت بوادر لتطور هذا النوع من التعليم قبل أن تقوم الدولة بافتتاح مدارس منظّمة. وذلك بقيام بعض المدرسين بتحسين مستوى القراءة والكتابة، وتدرّس الإملاء والحساب.

ولقد وجدت مدارس للبنات، لكن التدريس فيها كان مركزاً على قراءة القرآن الكريم. وما يلفت النظر أن بعضاً منهن أصبحن يعرفن تلاوته، لكنهن لا يعرفن قراءة أي كتاب سواه.

(٢) كان يدفع مبلغ زهيد كل شهر؛ إضافة إلى مبلغ قليل في مناسبة العيدين.

حلقات العلماء في المساجد . ويتركز التدريس فيها على أصول الدين وفروعه وشيء من قواعد اللغة العربية . ومع أن أوقات تلك الحلقات محدودة؛ صباحاً أو مساءً، بحيث يمكن أن يجمع الطالب بين حضورها والقيام بكثير من متطلّبات معيشته، فإن الإقبال عليها لم يكن كبيراً . وربما كان من أسباب ذلك أن كثيرين كانوا يرون محدودية حاجة المجتمع حينذاك إلى مثل هذا النوع من التعليم . ومن الواضح أن أولئك العلماء كانوا، بصفة عامة، يدرّسون ابتغاء وجه الله . فقد كان أكثرهم يدرّسون دون مقابل مادي . لكن منهم من كانوا ينالون شيئاً من الأوقاف على المساجد أو التعليم .

على أنه كان لكل منطقة من المناطق المشار إليها سابقاً أوضاعها العلمية الخاصة نتيجة لظروفها السياسية والاجتماعية . فقد كانت الحجاز - مثلاً - تفوق غيرها في نشاط الحركة العلمية؛ إذ كان الحرمان الشريفان في مكة والمدينة ملتقى العلماء وطلاب العلم من جميع الأقطار الإسلامية . وكان من أولئك العلماء من يبقى مجاوراً في هاتين البلديتين فترة من حياته، أو طوال عمره، فيسهم في التدريس ونشر العلم والمعرفة . وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت البلدتان محلّ عناية القادة العثمانيين والأغنياء من المسلمين الأفاضل . وكان من مظاهر تلك العناية أن جعلوا أوقافاً فيها، أو خارجها، يصرف جزء من ريعها مساعدة للعلماء وطلاب العلم .

أما التعليم الحديث، أو المنظم، فتعود جذوره في بعض مناطق البلاد إلى العهد العثماني. ذلك أنه كان موجوداً مع إطلالة القرن الرابع عشر الهجري في الحجاز<sup>(١)</sup>. ومنه ما كان حكومياً مشابهاً لما هو مطبّق حينذاك في مدارس بقية ولايات الدولة العثمانية من حيث المواد المدرّسة، ومن حيث اللغة التي تدرّس بها تلك المواد؛ وهي اللغة التركية<sup>(٢)</sup>. ومنه ما كان أهلياً معتمداً على نفقة المحسنين، ومتخذاً من اللغة العربية أداة للتدريس وفي طليعة المدارس الأهلية المدرسة الصّولتية بمكة<sup>(٣)</sup>، ومدرستا الفلاح بجدة ومكة<sup>(٤)</sup>، اللتان تخرّج فيهما عدد ممن أسهموا في النهضة الأدبية أوائل عهد الملك عبد العزيز<sup>(٥)</sup>. وبعد أن استقل الحسين بن علي بالحجاز عن الدولة العثمانية أولى التعليم عناية كبيرة من مظاهرها جعلُ وزارة<sup>(٦)</sup>، أو وكالة<sup>(٧)</sup>، خاصة

(١) من أحسن الكتابات عنه دراسة الدكتور محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، الرياض، ١٣٩٣هـ.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧. وقد فتح العثمانيون مدرسة في الأحساء تدرّس بالتركية، فلم يقبل الطلاب على الالتحاق بها.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٩. وقد أسسها الشيخ الهندي محمد رحمة الله العثماني سنة ١٢٩٢هـ. ثم أسس الشيخ عبد الحق قاري المدرسة الفخرية، وأسس الشيخ محمد حسين الخياط المدرسة الخيرية. المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣. أسسها محمد علي زينل: الأولى سنة ١٣٢٣هـ، والثانية سنة ١٣٣٠هـ.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٦) وهيم، ص ١١٤.

(٧) السباعي، ج ٢، ص ٢٣٨. وكان أول من تولّاها الشيخ علي المالكي، ثم عُيّن الأستاذ كامل القصاب مساعداً له. وكان لهذا جهوده الموقّفة في ذلك الميدان.

به ، وافتتاح مدارس في عدد من بلدان المنطقة<sup>(١)</sup> .

ولقد كان اهتمام الملك عبد العزيز بالناحية العلمية واضحاً منذ أن بدأ مسيرته لتوحيد مناطق البلاد تحت رايته . فقد كان يقدر العلماء ، ولا يخلو مجلسه في كثير من الأحيان منهم ؛ حضراً أو سفراً . بل كان منهم من يصحبه في تحركاته العسكرية . وكان يُشجّع طلاب العلم وفق إمكاناته المحدودة جداً حينذاك . ومع أن فكرته الرائدة لتحضير البادية كانت متعددة الأهداف فإنها توحى به اهتمامه بنشر المعرفة الدينية بالذات بين أفراد تلك الفئة المهمة من أتباعه ؛ إذ كان إرساله مرشدين إلى مضاربها ، ثم إلى هجرها ، علامة على حرصه على تعليمها ما هو ضروري من أصول الدين وفروعه لتكون مزاولة أفرادها لواجباتهم الدينية أصح وأقوى .

وكانت البذرة التي بذرها العثمانيون في مجال التعليم المنظم في الحجاز ، ثم تولّى رعايتها الملك حسين بن علي ، قد جعلت من تلك المنطقة أرضية مناسبة تقوي عزيمة الملك عبد العزيز لاتخاذ القرار الصائب لبدء حركة تعليمية منظمة في البلاد . ولذلك لم يكن غريباً أن يأمر سنة ١٣٤٤هـ - وهي السنة ذاتها التي وُحِد فيها المنطقة المذكورة

---

(١) بلغت المدارس عشرين ؛ فيها أكثر من سبعة آلاف طالب . وهيم ، ص ١١٧ . ومن تلك المدارس مدرسة للزراعة وأخرى للحربية ، السباعي ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

مع ما سبق أن وَّحَّده من المناطق - بإنشاء «مديرية المعارف العمومية» لترعى شؤون التعليم، وتنطلق به إلى الأمام<sup>(١)</sup>. وكان أول مدير لها السيد صالح شطا<sup>(٢)</sup>. ثم تعاقب على إدارتها عدد من الأفاضل كان آخرهم الشيخ محمد بن مانع<sup>(٣)</sup>. وبعد أقلَّ من عامين على إنشائها أمر الملك عبد العزيز بإنشاء مجلس للمعارف للإشراف على سيرها وتنظيمها<sup>(٤)</sup>.

وانطلقت مديرية المعارف تزاوُل أعمالها بجِدِّ واجتهاد. فلم تمض ثلاثة أشهر على إنشائها إلا وقد فتحت المدارس التابعة لها أبوابها أمام التلاميذ. ولعلَّ مما يدلُّ على مدى نشاطها أن أول ميزانية لها كانت ٥٦٦٥ جنيه. ثم قفزت، عام ١٣٤٧هـ، إلى ١٤٧٩١ جنيه، ثم إلى ٢٣١٤٠ جنيه في العام التالي<sup>(٥)</sup>. ولم يقتصر ذلك النشاط على افتتاح

(١) كان إنشاؤها في غرّة رمضان. حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٢٢٧؛ عبد الله عبدالمجيد بغدادي، الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية...، جدة، ١٤٠٤هـ، ج ١، ص ١٨٨؛ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ١٦.

(٢) نقل سنة ١٣٤٥هـ، ليصبح مستشاراً للنائب العام. الخطيب، ج ٢، ص ٩٥.

(٣) كانوا - بعد شطا وقبل المانع - كامل القصاب، ثم ماجد الكردي، ثم حافظ وهبة، ثم محمد أمين فودة، ثم إبراهيم الشورى، ثم طاهر الدباغ، وكان هذا الأخير أطولهم فترة؛ إذ تولّاها من سنة ١٣٥٥هـ إلى سنة ١٣٦٤هـ. ويساويه في طول الفترة المانع بعده، إذ تولّاها من سنة ١٣٦٤هـ إلى سنة ١٣٧٣هـ. آل الشيخ، ص ١٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ص ١٧ - ١٨.

(٥) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٢٢٧.

تلك المدارس الحكومية. بل شمل مساعدة المدارس الأهلية<sup>(١)</sup>. وقد أدركت المديرية الحاجة الملحة إلى أساتذة من أبناء البلاد. فسارعت، سنة ١٣٤٥هـ، إلى فتح المعهد العلمي السعودي، الذي كان الهدف الأكبر منه تخريج مدرسين للمرحلتين الابتدائية والأولية<sup>(٢)</sup>. وأدركت، أيضاً، الحاجة إلى متخصصين في علوم لا يتوافر تدريسها داخل البلاد حينذاك. فقامت، سنة ١٣٤٦هـ، بإرسال أول بعثة للدراسة في مصر<sup>(٣)</sup>. وتوالى إرسال البعثات الطلابية إلى هناك. لكن برزت مشكلة أمام من يريد أن يلتحق بكليات ذات اختصاصات علمية بحتة أو تقنية كاهندسة والطب والزراعة والصناعة. ذلك أن المواد التي يدرسها الطلاب السعوديون لم تكن تشتمل على مقررات تؤهلهم للالتحاق بتلك الكليات. ولهذا عمدت مديرية المعارف إلى حلّ تلك المشكلة بافتتاح مدرسة تحضير البعثات سنة ١٣٥٦هـ<sup>(٤)</sup>.

---

(١) آل الشيخ، ص ٦٢. ومما يدلُّ على حرص الملك عبد العزيز على مساعدة تلك المدارس تبرعه - مثلاً - لمدرستي الفلاح والفخرية سنة ١٣٤٤هـ. المصدر نفسه، ص ١٤.

(٢) الزركلي، ج ٥، ص ٦٣٦. وكان أول مدير له الشيخ محمد بهجة البيطار، آل الشيخ، ص ٤٢. وقد فُتِح معهد سعودي في المدينة، ثم في عنيزة سنة ١٣٦٦هـ. المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٣) الخطيب، ج ٢، ص ٩٥. وقد أورد أسماء طلاب تلك البعثة.

(٤) الزركلي، ج ٢، ص ٦٣٨. وكان منهجها مشابهاً لمنهج المدارس الثانوية في مصر. وأول مدير لها

السيد أحمد العربي. بغداد، ص ٢٢٢.

ومضت مديرية المعارف تواصل جهودها مركزة نشاطها - خلال العقد الأول من عمرها - على منطقة الحجاز؛ وهو أمر كانت له دواعيه الخاصة. ثم وُسِّعت مسؤولياتها، عام ١٣٥٦هـ، لتشمل كل مناطق المملكة. ونتيجة لهذا بدأت افتتاح مدارس ابتدائية، ذلك العام، في بقية المناطق<sup>(١)</sup>. وانتشرت المدارس انتشاراً عظيماً؛ خاصة في السنوات الخمس التي سبقت تحويل المديرية إلى وزارة سنة ١٣٧٣هـ. فقد ارتفع - مثلاً - عدد المدارس الابتدائية من إحدى وسبعين، عام ١٣٦٧هـ، إلى أكثر من مئتين عام ١٣٧٣هـ<sup>(٢)</sup>، وارتفع عدد المدارس الثانوية من خمس إلى اثنتي عشرة<sup>(٣)</sup>. ومن الواضح أن مما ساعد على هذا التقدم زيادة كميات النفط المصدّرة إلى الخارج، ومن ثمّ زيادة الدخل الوطني<sup>(٤)</sup>. وكان من نشاط مديرية المعارف افتتاح معتمديات في كل منطقة من مناطق المملكة لتسهيل سير شؤون التعليم والإشراف عليه<sup>(٥)</sup>.

(١) آل الشيخ، ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠، يجعل العدد ٣٢٦. وتؤيده في ذلك مصادر أخرى. لكن مركز المعلومات الإحصائية في وزارة المعارف، أربعون عاماً من عمر التعليم في وزارة المعارف، ص ٢٨، يجعله ٣٠٦؛ وهو الرقم الذي جعلته المصادر الأولى لسنة ١٣٧٢هـ.

(٣) عبد اللطيف بن دهيش، التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز: نشأته وتطوّره، مكة، ١٤٠٧هـ، ص ص ٩٠ و ٩٢.

(٤) ارتفع الدخل من ٣٢,٠٠٠ دولار سنة ١٣٦٧هـ إلى ٢٢٦,٠٠٠ دولار سنة ١٣٧٢هـ. الزركلي، ج ٢، ص ص ٧٠٨ - ٧٠٩.

(٥) آل الشيخ، ص ٢٤.

ولحاجة البلاد إلى متخصصين في ميادين القضاء، والإرشاد،  
وتدريس العلوم الدينية، قامت مديرية المعارف بافتتاح مدرسة دار  
التوحيد في الطائف سنة ١٣٦٤هـ<sup>(١)</sup>. وهي تركّز على تدريس أصول  
الدين وفروعه وعلوم اللغة العربية. وبعد ست سنوات من ذلك  
التاريخ رأت الدولة ازدياد الحاجة إلى متخصصين في تلك الميادين،  
فتحت أول معهد علمي في الرياض تحت إدارة الشيخ محمد بن  
إبراهيم آل الشيخ وتوجيهه<sup>(٢)</sup>. وكان منهجه مشابهاً لمنهج دار التوحيد  
من حيث التركيز على علوم الدين واللغة العربية.

وإلى جانب دار التوحيد والمعهد العلمي المتخصصين وجدت  
مدارس متخصصة في ميادين معيّنة كالزراعة، والتجارة، والصحة،  
والأمور العسكرية، ومدارس خاصة بفئات محدّدة من المجتمع كالأيتام  
وأبناء العشائر<sup>(٣)</sup>.

ولم يقتصر التعليم في عهد الملك عبد العزيز على المراحل السابقة  
للمرحلة الجامعية. فبالإضافة إلى إبتعاث الطلاب للدراسة الجامعية  
خارج البلاد وُضعت نواة التعليم الجامعي داخلها بإنشاء كلية

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦. وكان أول مدير لها الشيخ محمد بهجة البيطار.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٥٠ - ٥١.

(٣) الزركلي، ج ٢، ص ص ٦٤٣.



الشرعية في مكة سنة ١٣٦٩هـ (١). ثم افتتحت كلية المعلمين فيها سنة ١٣٧٢هـ (٢). وفي مطلع السنة التالية فُتحت كلية الشرعية في الرياض تحت رئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم، فكان أول من التحق بها الخريجون من المعهد العلمي في هذه المدينة (٣).

وجدير بالذكر أن الدولة في عهد الملك عبد العزيز لم تكتف بجعل التعليم مجانياً للجميع. بل خصّصت مكافآت مجزية لطلاب بعض المدارس والمعاهد، وطلاب الكليات (٤).

---

(١) مركز المعلومات، ص ٢٧؛ آل الشيخ، ص ٨٧.

(٢) مركز المعلومات، ص ٢٧؛ آل الشيخ، ص ٨٩.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص ص ٩٠ - ٩١.

(٤) وهذه السياسة التشجيعية استمرت حتى الوقت الحاضر كما هو مشاهد معلوم.

## ٦ - الأمن وتنظيمه :

سبقت الإشارة في الجزء الأول من هذا الكتاب إلى ما بذله قادة الدولة السعودية الأولى بالذات من جهود كبيرة في مجال الأمن في ربوع البلاد التي حكموها، وما حققوه من نجاح عظيم في مساعيهم حتى أصبحت تلك الربوع مضرب المثل في رسوخ الأمن واستقراره. ومن المعلوم ما للعقيدة الدينية في نفس الفرد من أثر طيب في اجتناب الجرائم. لكن للإجراءات التي اتخذها أولئك القادة من تطبيق للشريعة بحزم، وضرب على أيدي المجرمين بصرامة، أثرها المهم في استتباب الأمن وتثبيته.

ولقد تدبّر الملك عبد العزيز سيرة أسلافه في الحكم. فأعجب كثيراً بما حققوه من نجاح في الميدان الأمني. لكنه لم يقتصر على اقتفاء أثرهم في ذلك فقط، بل تجاوزه إلى الإتيان بأفكار رائدة، وسنّ تنظيمات جيدة، مما جعل جهوده تؤتي ثماراً وفيرة الخير مستمرة النماء.

وكان من تلك الأفكار الرائدة إرساله دعاة ومرشدين إلى مضارب البادية لحثّها على الاستيطان، والإيحاء لها بأنها ما لم تستقر في أمكنة حضرية فإنها لن تتمكن من فهم عقيدتها وممارسة واجباتها الدينية كما ينبغي. ونجحت تلك الجهود أيّما نجاح؛ إذ برهنت الأحداث على أن استقرار كثير من فئات البادية - في ظلّ حركة الإخوان المتحدّث عنها

سابقاً — كان ذا ثمار عظيمة . منها أنه كان عاملاً كبيراً في استتباب الأمن ورسوخه .

ولما وُحِّدَ الملك عبد العزيز منطقة الحجاز مع ما وُحِّدَ من مناطق البلاد عمَّقَ اهتمامه بتحقيق الأمن في ربوعها؛ خاصة أنه لم يعد مسؤولاً عن أمن مواطنيه وحدهم، بل أصبح مسؤولاً، أيضاً، عن آخرين غيرهم، في طليعتهم القادمون إلى الأماكن المقدَّسة لأداء الحج والعمرة . وقد اعتمد في تخطيطه لتحقيق ما كان يهدف إليه في المجال الأمني على أسس متينة من كتاب الله وسنَّة رسوله، ﷺ؛ مستفيداً مما كان موجوداً في الحجاز من بدايات تنظيمية لا بأس بها في ذلك المجال . وكان من الخطوات المهمَّة التي بادر إلى اتخاذها إنشاء مديرية الشرطة العامة سنة ١٣٤٤هـ<sup>(١)</sup> . وكانت في بداية عهدها مربوطة بمدير الأمن العام، الذي كان مرجعه النائب العام للملك في الحجاز<sup>(٢)</sup> . وكان مقرُّها الرئيسي في مكة المكرمة . ثم أنشئت إدارات أخرى للشرطة في مناطق متعددة من المملكة؛ بعضها ذات اختصاص

---

(١) الزركلي، ج ٢، ص ٤٥٤ .

(٢) العتيبي، ص ٤٣٠ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن وزارة الداخلية أنشئت عام ١٣٥٠هـ، لكنها ألغيت بعد ثلاثة أعوام، وأدمجت أعمالها في ديوان مجلس الوكلاء . ثم أعيد تكوينها مستقلة سنة ١٣٧٠هـ . المصدر نفسه، ص ص ٤٢٤ و ٤٢٧ .

محدّد<sup>(١)</sup>. وفي عام ١٣٤٩هـ جعلت هذه الإدارات تحت رئاسة مدير الأمن العام<sup>(٢)</sup>. وأصبحت قوات الشرطة تركز على قوى المشاة، وجنود المرور، والخيالة والآليات، وشرطة حماية الأخلاق<sup>(٣)</sup>. وكان مما تمّ، سنة ١٣٥٤هـ، إنشاء مدرسة للشرطة تهدف إلى تخريج ضباط ومساعدى ضباط<sup>(٤)</sup>؛ أملاً في إسهامهم الفعّال في إدارة الأمن مستقبلاً. وفي عام ١٣٦٣هـ تحوّلت مديرية الشرطة العامة إلى مديرية عامة للأمن<sup>(٥)</sup>. فتوسعت مسؤولياتها وأعمالها. واستُقدِم لها خبراء من البلدان العربية لتطوير أجهزتها، كما ابْتُعث عدد من رجالها إلى الخارج للتخصص في شؤون الأمن العام والاطلاع على كل جديد في ميدانه. ثم استُحدثت، عام ١٣٦٩هـ، تشكيلات جديدة في إدارته المختلفة، وعُرِّف تعريفاً واضحاً جاء فيه:

«الأمن العام هو القوات المسلّحة المسؤولة عن المحافظة على النظام وصيانة الأمن العام، وتوفير أسباب الراحة العامة، بمنع الجرائم قبل

(١) مثل وحدة الدرك، وشرطة الحرم، وشرطة سكة الحديد فيما بعد.

(٢) العتيبي، ص ٤٣٢.

(٣) الزركلي، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٤) العتيبي، ص ٤٣٨؛ استناداً إلى أم القرى، الصادرة ذلك العام. وقد ذكر الزركلي (ج ٢،

ص ٤٥٥) أن إنشاءها كان سنة ١٣٥٥هـ. ولعلّ التحاق الطلبة بها كان هذا العام، وأن

الأمر بإنشائها كان في العام السابق.

(٥) العتيبي، ص ٤٣٤.

وقوعها، وضبطها بعد ارتكابها، وتنفيذ كل ما يتطلب منها تنفيذه من أنظمة ولوائح وأوامر. . .» (١).

وإذا كانت مهمّة الشرطة مركّزة، بصفة عامة، على المناطق الداخلية من البلدان والمدن الكبيرة فإنه قد أنشئ جهاز يركّز اهتماماته على الجهات الساحلية، وسُمّي حرس خفر السواحل. وكانت نواته قد وضعت بعد ما وُحّد الملك عبد العزيز الأحساء والقطيف سنة ١٣٣١هـ. ثم أخذ شكلاً أكثر تنظيمياً بعد توحيد الحجاز (٢).

ومضت أجهزة الأمن العام في البلاد تخطو خطوات واسعة ثابتة؛ تنظيمياً وتطبيقاً، مع مرور الأيام. وازدادت تقدماً بعد إعادة تكوين وزارة الداخلية سنة ١٣٧٠هـ، كما سبق أن ذكر (٣). وتحقّق ما تحقّق من نجاح أمني تحدّث عنه بإعجاب كبير كلٌّ من القاضي والداني.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(٣) انظر صفحة ٣٣٣ هامش ٢.

## ٧ - الجيش وتنظيمه:

سبقَت الإشارة في الجزء الأول من هذا الكتاب إلى أنه لم يكن هناك جيش دائم للدولة السعودية الأولى، وأن قواتها المحاربة كانت تتكوَّن بطريقة إلزامية في أغلب الأحيان؛ إذ يطلب الحاكم، أو نائبه في الغزو، من أمراء المناطق والبلدان ورؤساء القبائل أعداداً معيَّنة من المقاتلين لينضمُّوا إلى الغزو الذي يراد القيام به فيلبَّون طلبه. وكان على هؤلاء أن يكونوا متجهِّزين بما يلزمهم من سلاح، ورواحل، وأطعمة تكفيهم المدة المتوقَّعة للغزو<sup>(١)</sup>. وكان الوضع العسكري في الدولة السعودية الثانية مشابهاً لما كان عليه في الأولى، في بعض جوانبه، كطريقة تكوينه ووسيلة تموينه.

وكانت قوات الملك عبد العزيز، في أثناء عمليات توحيدِه لمناطق البلاد المختلفة، كما كانت قوات أسلافه من قادة الدولتين السعوديتين الأولى والثانية في كثير من جوانبها. فقد كانت تتكوَّن من أفراد الحاضرة والبادية. وكان يدعو أتباعه من هؤلاء وأولئك للغزو، فتجتمع فئاتهم تحت رايته، ومع كل فئة أميرها الخاص في الغزو. وكان الغزاة يعتمدون كثيراً على إمكاناتهم الذاتية أو المحليَّة؛ تسليحاً وتمويناً. وبعد نهاية الغزو يعودون إلى بلدانهم ومواطنهم ليستأنفوا مزاوله

---

(١) صفحة ١٧٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

أعمالهم المعتادة كالزراعة والتجارة والرعي . وكان أفراد الحاضرة يمثلون العمود الفقري في المراحل الأولى من عمليات التوحيد التي قادها الملك . وبعد أن نجحت فكرته الرائدة تجاه البادية ، واستوطن كثير من أبنائها في «الهجر» ، وأصبحوا «إخوانا» ، صاروا في طليعة قواته المحاربة .

ولما أتمَّ الملك عبد العزيز توحيد منطقة الحجاز مع ما سبق أن وحَّده من مناطق البلاد أدرك أهمية تطوير قواته بشكل منظم يتواءم مع المستجدات الحديثة المحيطة به . ومن حسن الحظ أنه كانت توجد نواة طيبة للجيش المنظم في هذه المنطقة قبل توحيدها . فأصبحت الفرصة متاحة أمامه ، بعد ذلك التوحيد ، ليقوم بتنفيذ ما أدرك أهميته من تطوير وتنظيم لقواته المسلحة .

والواقع أن تطَّع الملك عبد العزيز إلى أن يكون بين قواته جيش منظم قد ظهرت علاماته وهو ما زال محاصراً للملك علي بن الحسين في جدة . ذلك أنه نادى أفراد الجيش الهاشمي الموجود فيها ؛ ضباطاً وجنوداً ، أن يلتحقوا به ، ووعدهم أن تصبح أوضاعهم تحت رايته أحسن مما كانت عليه تحت راية الملك علي<sup>(١)</sup> . وكان من أولئك من استجاب لندائه قبل انتهاء الحصار المذكور ، ومنهم — وهم الكثرة — من

---

(١) صفحة ٢٠٠ من هذا الجزء من الكتاب .

التحق بقواته بعده<sup>(١)</sup>. وكان للجميع جهود موقّعة في نشأة قوات الشرطة، أو الأمن، وخفر السواحل، وتشكيل وحدات عسكرية في جهات مختلفة من الحجاز. وقد استُقدم من الأقطار العربية؛ خاصة سوريا، عدد من الضباط الذين أسهموا في عملية التشكيل<sup>(٢)</sup>. وكانت بداية تشكيل الجيش السعودي النظامي بفوج من المدفعية، وفوج من الرشاشات، وفوج من المشاة<sup>(٣)</sup>.

أما الخطوات المهمّة في نشأة الجيش السعودي النظامي؛ إضافة إلى ما تقدم، فمنها تأسيس مديرية الأمور العسكرية سنة ١٣٤٨هـ<sup>(٤)</sup>. وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ وصلت القوات النظامية إلى مستوى اقتضى أن تُشكّل بموجبه وكالة للدفاع مع استمرار وجود تلك المديرية<sup>(٥)</sup>. وكان من أهم الأمور التي قامت بها الوكالة إعادة تشكيل وحدات الجيش، بحيث أصبحت تُسمّى: سلاح المشاة، وسلاح المدفعية، وسلاح الفرسان، وتنظيم تلك الوحدات على أساس

---

(١) الزركلي، ج٣، ص ٩٩١.

(٢) كان من هؤلاء محمد مراد، ونبیه العظمة، وفوزي القاوقجي. المصدر نفسه، ج٣، ص ٩٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٩٨٩.

(٤) العتيبي، ص ٣٩٩.

(٥) الزركلي، ج٣، ص ٩٨٩ - ٩٩٠. وعيّن عبد الله بن سليمان وكيلها، إضافة إلى عمله وزيراً للمالية. حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٢٥٧.



كتائب وألوية<sup>(١)</sup>، وإنشاء مدرسة عسكرية في الطائف<sup>(٢)</sup>. وفي سنة ١٣٥٩هـ أُلغيت مديرية الأمور العسكرية، وأقيمت بدلاً منها رئاسة الأركان الحربية<sup>(٣)</sup>.

على أن النقلة الكبيرة في تاريخ نهضة الجيش العربي السعودي بدأت عام ١٣٦٣هـ عندما حُوِّلت وكالة الدفاع إلى وزارة، وعيّن الأمير منصور بن عبد العزيز وزيراً لها<sup>(٤)</sup>. وكان ذلك الأمير نشطاً متحمساً لعمله. فسارع إلى اتخاذ خطوات موفقة تهدف إلى تطوير الجيش بسرعة؛ تنظيمياً وتدريباً وتسليحاً. وكان مما قام به استقدام خبراء عسكريين من الخارج للتدريب، وابتعاث أعداد من أفراد الجيش إلى بلدان عربية وغير عربية للدراسة والتدريب والاطلاع على ما هو جديد في المجال العسكري، وافتتاح مدرسة للإشارة واللاسلكي، ومدرسة للطيران، ومدرسة للصحة والإسعاف، ومستشفى عسكري في الطائف<sup>(٥)</sup>، والبدء ببناء المصانع الحربية في

---

(١) الزركلي، ج ٣، ص ٩٩٠.

(٢) العتيبي، ص ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٣) الزركلي، ج ٣، ص ٩٩٠، على أن العتيبي (ص ٤٠٦) نقلاً عن محمد الأفريقي ومحمد شيخو، يذكر أن إنشاء تلك الرئاسة حدث سنة ١٣٥٨هـ.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ص ٤٠٨. وقد دُلِّل على هذا بمرسوم ملكي صدر متضمناً ذلك في العام المذكور.

(٥) الزركلي، ج ٣، ص ٩٩٣.

الخرج<sup>(١)</sup> . وهكذا اكتمل بناء الأسس القوية للجيش العربي السعودي . وكان من المواقف المشرفة لهذا الجيش في ذلك العهد الاشتراك في الحرب التي خاضتها الجيوش العربية إلى جانب الفلسطينيين ضد اليهود سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م<sup>(٢)</sup> .

---

(١) العتيبي ، ص ٤١٠ .

وقد توفي الأمير منصور بن عبد العزيز سنة ١٣٧٠هـ ، فخلفه في الوزارة شقيقه الأمير مشعل بن عبد العزيز .

(٢) الزركلي ، ج ٣ ، ص ٩٩٠ .

وكانت الفرقة السعودية التي اشتركت في تلك الحرب ضمن قوات الجيش المصري . وكان قائدها سعيد الكردي ، وقد أبلت بلاء حسناً في القتال .

## ٨ - المياه والزراعة:

كانت مصادر المياه متوافرة في بعض مناطق البلاد، وقليلة في بعض مناطقها الأخرى. فقد كانت توجد عيون جارية؛ خاصة في الأحساء والخرج والقصيم<sup>(١)</sup>، كما توجد عيون حفرها وأجراها المصلحون الأولون قرب مكة والمدينة وجدة للمساعدة في إمداد سكان تلك المدن بمياه الشرب<sup>(٢)</sup>. وكانت هناك آبار ينزح منها الماء، عادة، بالحيوانات<sup>(٣)</sup>. وهذا هو الوضع في أكثر الأقاليم والمدن والقرى. ومن مناطق البلاد ما كانت تنزل عليها أمطار موسمية بدرجة لا بأس بها، كمنطقة عسير، فتساعد كثيراً في إمداد السكان بما يحتاجون إليه من مياه. على أن مصادر المياه كانت، على أية حال، في تناقص مع مرور الأيام. ولذلك أصبح من الضروري تحسين أوضاع المصادر الموجودة، والبحث عن مصادر جديدة؛ أملاً في سدّ حاجة السكان المتزايدة مع بؤادر دخول جوانب الحضارة الحديثة ومتطلباتها؛ شرباً، واستعمالاً يومياً، وزراعة.

---

(١) من تلك العيون ما كان سائحاً على وجه الأرض، ومنها ما اعتاد الناس على حفر بضعة أمتار، فينبع الماء، ويمدّون مما حفروا سواقي لريّ النخيل، بالذات، كما كانت عليه الحال في الجزء التابع لعنيزة من وادي الرمة.

(٢) مثل عين زبيدة لمكة، وعين الزرقاء للمدينة، وعين الوزيرية لجدّة.

(٣) من مزارع النخيل الصغيرة ما كانت حال أصحابها المادية لا تمكّنهم من اقتناء الحيوانات، فيضطرون إلى نزح الماء بأنفسهم.

وكانت طرق الزراعة في البلاد تسير، بصفة عامة، وفق ما توارثه أبناؤها المزارعون عن آبائهم وأجدادهم من خبرات . وكان من وسائل الزراعة ما هو بَعلي قائم على نزول الأمطار عليه، ويكاد يكون محصوراً في الحبوب، وهو في نجد - مثلاً - أقلُّ منه في عسير. ومن تلك الوسائل ما هو بسقي؛ سواء من العيون الجارية، أو من المياه المستخرجة من الآبار. وهذا عام في أنواع مختلفة من المزرعات. وما من شك أنه كان لتلك الخبرات المتوارثة أهميتها وجودتها في كثير من الجوانب. لكن ما وصلت إليه التقنية الحديثة من تقدُّم يمكن أن يفيد كثيراً في المجال الزراعي؛ تخفيفاً للأعباء التي كانت تُعاني، وتطويراً للسبل التي كانت تنتهج، وابتكاراً لوسائل لم تكن موجودة من قبل. وفي هذا كله ما فيه من دفع عجلة التقدم إلى الأمام، وفتح إمكانات لمعيشة فيها رغد ورخاء.

ولقد أدرك الملك عبد العزيز أهمية توافر المياه وتطوير الزراعة في إسعاد مواطنيه. وأدرك، أيضاً، حجم مشكلة نقص المياه التي تعانيها بعض المدن؛ خاصة تلك الكبيرة في الحجاز، وقلة مصادر المياه التي تحتاجها الزراعة في بعض المناطق، كما أدرك ضرورة تطوير الزراعة بتحسين وسائلها وتوسيع رقعتها في أنحاء المملكة بصفة عامة. ونتيجة لهذا قرَّر أن يبذل كل ما في وسعه للتغلب على مشكلة نقص المياه أو

قلّتها؛ تحلّية، وتنقياً، واستخراجاً بالوسائل الحديثة. وصمّم على النهوض بالزراعة؛ تشجيعاً للمزارعين ماليّاً، وإمداداً لهم بالخبرات فنيّاً، واستعانة ببيئات متقدّمة علمياً وتقنياً لتقوم بزراعة مناطق معيّنة، فتسهم في زيادة الإنتاج الزراعي وتنويعه، وتضرب مثلاً حياً للسكان المحليّين كي يطوروا أساليبهم ويحسّنوها.

وقد بدأ الملك عبد العزيز تنفيذ ما قرّر أن يبذله من جهد لتوفير المياه وتطوير الزراعة في البلاد منذ عام ١٣٤٦هـ<sup>(١)</sup>؛ دراسة وتطبيقاً. وكانت أول محاولة للبحث عن مصادر المياه تلك التي قام بها المهندس الجيولوجي الأمريكي، تويتشل، سنة ١٣٥٠هـ<sup>(٢)</sup>. أما أول بعثة فنيّة لتطوير الزراعة فكانت تلك التي استقدّمت من العراق سنة ١٣٥٣هـ<sup>(٣)</sup>. وتوالى الدراسات والبعثات بعد هذه وتلك<sup>(٤)</sup>. وكان إنشاء مديرية الزراعة، سنة ١٣٦٧هـ<sup>(٥)</sup>، من الخطوات المهمّة لتحقيق

---

(١) تمّ في ذلك العام إعفاء المعدّات الزراعية من الرسوم الجمركية. عبد الله السدحان وعبد العزيز الغامدي، الزراعة والمياه في عهد الملك عبد العزيز، بحث قدّم للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض سنة ١٤٠٦هـ، ص ٤.

(٢) تويتشل، ص ٢١٢.

(٣) السدحان والغامدي، ص ١٠.

(٤) من تلك الدراسات والبعثات بعثة من أمريكا، وأخرى من مصر، ودراسات شركة أرامكو. المصدر نفسه، ص ١١ - ١٤.

(٥) الزركلي، ج ٣، ص ١٠١٩.

الأهداف المرجوة في مجال المياه والزراعة . وقد استمرت تعمل ، مع فروعها التي افتتحت في مناطق مختلفة من المملكة ، بجدٍ ونشاط طوال عهد الملك عبد العزيز . ثم تحوّلت إلى وزارة بعد وفاته بقليل . وكان أول وزير لها الأمير سلطان بن عبد العزيز<sup>(١)</sup> . ومما تمّ في عهد الملك ما يلي :

١ - تركيب آلتين كبيرتين لتقطير المياه في جدة سنة ١٣٤٥هـ ، وإنشاء هيئة عين الوزيرية عام ١٣٥٢هـ ، ثم إنشاء العين العيزرية سنة ١٣٦٦هـ<sup>(٢)</sup> ، وإيصال الماء إلى تلك المدينة من وادي فاطمة سنة ١٣٦٧هـ<sup>(٣)</sup> .

٢ - إنشاء لجنة عين الزرقاء في المدينة المنورة ، عام ١٣٤٦هـ ، لتنظيف تلك العين ، ومدّ أنابيب منها لسدّ حاجة السكان من مياه الشرب<sup>(٤)</sup> .

٣ - إنشاء هيئة عين زبيدة ، سنة ١٣٥٣هـ ، لإصلاح روافدها ، وجلب مياه مما حولها ، لإمداد مكة بمزيد من المياه<sup>(٥)</sup> .

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٢١ . وكان ذلك في ١٨/٤/١٣٧٣هـ .

(٢) السدحان والغامدي ، ص ص ٧ - ٨ .

(٣) الخطيب ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

(٤) أول من حفر تلك البئر مروان بن الحكم بأمر من الخليفة معاوية بن أبي سفيان .

الزركلي ، ج ٣ ، ص ٩٤٦ .

(٥) السدحان والغامدي ، ص ٨ . ولمزيد من التفصيل عنها انظر الزركلي ، ج ٣ ، ص ص

٩٤٣ - ٩٤٢ .

- ٤ - إصلاح سدود، وحفر آبار ارتوازية<sup>(١)</sup>.
- ٥ - إعفاء المعدّات الزراعية من الرسوم الجمركية، واستيراد الآلات والمعدّات لبيعها على المزارعين بأسعار مخفّضة، وبشروط دفعٍ سهلة، وتقديم مساعدات لصغار المزارعين، وإنشاء مصارف لإقراضهم<sup>(٢)</sup>.
- ٦ - تعليم المزارعين طرقاً حديثة لزيادة الإنتاج وتنويعه وحمايته من الآفات<sup>(٣)</sup>.
- ٧ - إقامة مشروع الخرج الزراعي، الذي أسهم في الإشراف عليه وإدارته مهندسون زراعيون من الخارج، وعُني باستصلاح الأراضي، وزراعة محاصيل جديدة، وتربية المواشي<sup>(٤)</sup>.
- ٨ - إنشاء ورش ميكانيكية لإصلاح مضخّات المياه والآلات الزراعية<sup>(٥)</sup>.

---

(١) من ذلك سد في مكة ذاتها، السدحان والغامدي، ص ٦. وقد تمّ حفر أول بئر ارتوازية، سنة ١٣٥٨هـ، في جهة الدمام. الزركلي، ج ٣، ص ٩٥٢.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ٣، ص ص ١٠١٩ - ١٠٢١؛ السدحان والغامدي، ص ص ٤ - ٥.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص ٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ص ١٦ - ١٧.

(٥) الزركلي، ج ٣، ص ١٠٢٠.

## ٩ - الرعاية الصحيّة :

كان السكان في جميع مناطق البلاد - باستثناء المدن الكبيرة في الحجاز - يتبعون الطرق التقليدية المتوارثة جيلاً بعد آخر في علاج الأمراض التي تحلُّ بهم، أو الحوادث التي تقع بين صفوفهم. ومن هذه الطرق ما أثبتت التجارب وأكَّد العلم الحديث أنه جيّد وناجح. لكن منها ما هو غير جيّد ولا ناجح؛ بل قد يكون ضاراً. ومن أكبر المشكلات التي كان أولئك السكان يواجهونها، ويصعب عليهم حلُّها، أمراض الجدري والإسهال عند الأطفال بالذات. بحيث كانت نسبة الوفيات بينهم كبيرة. ومنها تلك الأوبئة التي تفتك بالكثيرين إذا حلَّت، كما وقع سنة ١٣٣٧هـ<sup>(١)</sup>.

أما منطقة الحجاز؛ خاصة المدن الكبيرة فيها، فكانت أوفر حظاً من بقية المناطق من جهة، وأكثرها تعرُّضاً للأخطار من جهة أخرى. فقد دفعت مكانتها الدينية قادة العثمانيين إلى الاهتمام بأمورها العامة؛ وفي طليعتها المسألة الصحية. ومن أدلّة ذلك الاهتمام أن أوجدوا فيها عدداً من المستشفيات والمحاجر الصحية<sup>(٢)</sup>؛ حفاظاً على صحة

---

(١) تُسمّى تلك السنة لدى كثير من النجديين سنة الرحمة، كما سبق أن ذُكر.

(٢) من تلك المستشفيات: مستشفى القبان، ومستشفى أجياد في مكة، ومستشفى باب شريف في جدة، ومستوصف في المدينة، ومركز صحي في جدة، وآخر في ينبع.



سكانها وصحة القادمين إليها من الحجاج والمعتمرين . لكن كونها ملتقى لهؤلاء الذين يصلون إليها في زمن محدد وأعداد غير قليلة ومن مناطق مختلفة جعلها، في بعض الأحيان، عرضة لانتشار أوبئة ينقلها أناس من القادمين إليها. وقد أدرك الملك عبد العزيز عظم المسؤولية الملقاة على عاتق دولته في مجال الصحة العامة لا بالنسبة لمواطنيها فحسب؛ بل بالنسبة للحجاج والمعتمرين أيضاً. فأولى ذلك المجال ما يستحقه من رعاية واهتمام. وكان مما قام به، بعد توحيدهِ لمنطقة الحجاز مباشرة، إنشاء «مصلحة الصحة العامة» في مكة<sup>(١)</sup>. وفي مقدمة واجباتها الإشراف على تنظيم الشؤون الصحية في داخل البلاد، والنظر في المسائل الصحية الدولية<sup>(٢)</sup>. وانطلقت تلك المصلحة تؤدّي أعمالها لتحقيق ما أُسند إليها من واجبات على المستويين الوطني والخارجي. فافتتحت لها فروعاً في مدن المملكة الكبيرة حتى أصبح هناك ست مناطق صحيّة<sup>(٣)</sup>. وطوّرت المستشفيات والمستوصفات الموجودة سابقاً، وفتحت عدة مستشفيات في تلك المدن، كما أنشأت

---

(١) كان إنشائها سنة ١٣٤٤هـ، وكان أول رئيس لها الدكتور محمود حمودة. حمزة، البلاد

العربية السعودية ص ٢٠٧.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) هي: مكة، وجدة، والمدينة، والرياض، والأحساء، وأبها. ويتبع كل منطقة مستوصفات ومراكز صحية متعددة. الزركلي، ج ١، ص ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

مستوصفات في بلدان وأمكنة متعدّدة (١). وبالإضافة إلى ذلك كوَّنت فرقاً طبيّة تتنقل في ربوع البلاد المختلفة لتقدم العلاج والرعاية الصحيّة للسكان في القرى ومضارب البادية (٢).

وعُيّنت الدولة عناية كبيرة بالحجاج صحياً. فكانت تجنّد أكبر عدد ممكن من المتخصصين والإداريين كل موسم حج ليقدموا ما يستطيعون تقديمه من خدمة صحيّة لأولئك الحجاج؛ علاجاً وإمداداً بالأدوية. ومن أدلّة تلك العناية، أيضاً، إقامة مستشفى في منى، ومستوصف في عرفات، وسبعة مراكز صحيّة في أمكنة من المشاعر المقدّسة أو حولها (٣)، وإنشاء إدارة خاصة بالمحاجر الصحيّة مركزها في جدة، ويتبعها محاجر متعدّدة، وأكثر من اثني عشر مركزاً صحياً في بلدان ساحل البحر الأحمر وحده (٤).

---

(١) من ذلك تطوير مستشفى أجياد في مكة، ومستشفى باب شريف في جدة، وتحويل مستوصف المدينة إلى مستشفى. يوسف الحميدان ومحمد العيسى، الإنجازات الصحيّة في عهد الملك عبدالعزيز، بحث مقدّم إلى المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز المشار إليه سابقاً، ص ٨. أما المستشفيات والمستوصفات التي أنشئت فكثيرة. انظر عنها حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ص ٢٠٩ - ٢١٤، والزركلي، ج ١، ص ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٤٠٤.

(٣) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ص ٢١٣ - ٢١٤؛ الزركلي، ج ١، ص ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٤) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ٤٠٤. وكان هناك محاجر صحيّة في الموائئ الشرقية من البلاد، وفي حدودها البرية الشالية والجنوبية.

ولم تقتصر الجهود المبذولة في ميدان الخدمات الصحيّة على المنشآت العلاجية؛ تطويراً أو إنشاءً. بل شملت استقدام الإخصائيين والخبراء للعمل في البلاد، وابتعث الأطباء الموجودين فيها إلى الدول المتقدمة علمياً ليطلّعو على ما هناك من تطوّر وتقدّم، ويعمّقوا معارفهم وخبراتهم<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة للمسائل الصحيّة الدولية فقد مدّت المملكة يدها إلى المنظّمات والهيئات العالمية للتعاون معها، والاستفادة من خبراتها؛ خاصة في ميدان الوقاية من الأوبئة الفتّاقة، على أن لا يمَسّ ذلك السيادة الوطنية لها<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ١٣٧٠هـ حُوّلت «مصلحة الصحة العامة» إلى وزارة، وعيّن الأمير عبد الله الفيصل وزيراً للصحة والداخلية معاً. فتقدّمت الرعاية الصحيّة أكثر من ذي قبل، وازدادت المستشفيات والمستوصفات ازدياداً ملحوظاً، وزُوّدت بمعدّات وأجهزة أكثر حداثة وتقدّمًا.

---

= وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن من ذوي الفضل من أقاموا جمعية للإسعاف في مكة، وأن بعثات طبيّة تقدم مع حجاج بعض الأقطار فتبذل جهوداً موفّقة لرعاية صحة الجميع. حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٢١٤.

وتجدر الإشارة، أيضاً، إلى أن هناك جهات حكومية - في مقدمتها وزارة الدفاع - كانت لها منشآتها الصحية الخاصة. انظر صفحة ٣٣٩ من هذا الجزء من الكتاب.

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢١١ - ٢١٢؛ الزركلي، ج ٢، ص ص ٧٢٣ - ٧٣٠.

## ١٠ - المواصلات والاتصالات:

أدرك الملك عبد العزيز الأهمية الكبيرة للمواصلات والاتصالات الحديثة في ربط مناطق المملكة المترامية الأطراف، وترسيخ الأمن في ربوعها، وتحسين أوضاع معيشة سكانها. فأولاهما ما يستحقانه من اهتمام. وكان أن بادر إلى إدخال السيارات إلى البلاد لاستعماله الخاص، واستخدام الجهات الرسمية في الدولة، ونقل البضائع والمسافرين؛ حجاجاً ومواطنين، بطريقة أسرع وأيسر مما كانت عليه الحال عندما كانت الإبل هي الوسيلة الأولى لذلك كله<sup>(١)</sup>. وبدأت حكومته بتمهيد الطرق وتعبيدها حسب إمكاناتها المادية والفنية. وكان أول طريق عُبِّد في البلاد هو ذلك الذي يربط مكة بجدة، والذي مُدِّ - فيما بعد - من مكة إلى عرفات<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أن البدء بذلك الطريق يعكس الرغبة الأكيدة لدى قيادة تلك الحكومة في تخفيف المتاعب التي كان يلاقيها حجاج بيت الله الحرام. ولعلَّ مما يزيد تلك الرغبة وضوحاً البدء بتعبيد الطريق بين جدة والمدينة المنورة<sup>(٣)</sup>. ومع أن

---

(١) الخطيب، ج ٢، ص ٨٨. وكان من الخطوات المهمة تكوين الشركة العربية للسيارات، التي كانت لها جهود في نقل الحجاج بالذات.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٩؛ تويتشل، ص ٧٨.

(٣) المصدر الأخير نفسه، ص ٨٠. وقد انتهى في بداية عهد الملك سعود. ومن الطرق التي عُبِّدت في الحجاز طريق مكة - الطائف. الخطيب، ج ٢، ص ١٠٠. وعُبِّدت طرق في شرقي البلاد بجهود شركة أرامكو. تويتشل، ص ٨١ - ٨٢.

منطقة الحجاز كانت لها الأولوية في توجه الحكومة لتمهيد الطرق وتعييدها؛ وذلك لمكانتها الدينية ووفود الحجاج إليها، فإن مناطق البلاد الأخرى لم تغب عن التوجه المذكور؛ تفكيراً وتخطيطاً. ومن هذا أن طلب الملك عبد العزيز من المهندس تويتشل، سنة ١٣٥٨، أن يدرس إمكانية إنشاء خط للسيارات من مدينة جيزان إلى أبها، ثم إلى نجران. ثم بُدئ بتحديد ممرّه في السنة التالية<sup>(١)</sup>.

وكانت الرمال الواقعة بين الرياض والدمام عقبة في سبيل المسافرين على السيارات؛ إذ كانت، أحياناً، تغرز فيها، فيتعرّض راكبوها لمخاطر الظمأ. ففكرت حكومة الملك عبد العزيز بإيجاد حلّ لتلك المشكلة، واقتنعت بأن مما يسهم في حلّها هو سكة حديد بين البلديتين. فعملت دراسة لذلك، وبدأ العمل في تنفيذ المشروع، الذي احتفل باكتمال إنجازه عام ١٣٧١هـ<sup>(٢)</sup>، وبدأ سير القطار من الدمام في شرقي البلاد؛ حاملاً الركاب والبضائع المستوردة عن طريق مينائها إلى عاصمة المملكة في داخلها.

على أن اتّسع مناطق المملكة وتباعداً بلدانها جعلها من الضروري الاهتمام بالمواصلات الجوية إلى جانب ذلك الاهتمام بالمواصلات

---

(١) المصدر الأخير نفسه، ص ٨٠.

(٢) الزركلي، ج ٢، ص ٨٤٢.

البرية. ومن هنا قامت الحكومة بشراء أربع طائرات مدنية سنة ١٣٤٨هـ. ثم توالى شراء الطائرات حتى تضاعفت أعدادها في مدة وجيزة<sup>(١)</sup>. وبادرت تلك الحكومة، أيضاً، بإرسال شباب سعوديين إلى إيطاليا، سنة ١٣٥٤هـ، لدراسة الطيران<sup>(٢)</sup>. ثم ازدادت أعداد المبتعثين لذلك الغرض إلى بلدان أخرى<sup>(٣)</sup>. ومما تمَّ في تلك الفترة إنشاء «إدارة طائرات الخطوط الجوية السعودية»؛ ملحقة بوزارة الدفاع<sup>(٤)</sup>. وكان أول مطار ينشأ في ذلك العهد مطار جدة. ثم أنشئت مطارات في الحويّة، والرياض، والخرج، والظهران، ورأس مشعاب، والمدينة المنورة<sup>(٥)</sup>.

وبالإضافة إلى اهتمام حكومة الملك عبد العزيز بالمواصلات البرية والجوية اهتمت بالمواصلات البحرية؛ وذلك بتكوين أسطول نقل

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ص ٧٥١-٧٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٥١. وذكر حمزة (البلاد العربية السعودية، ص ٢٥٨) أن ذلك تمَّ أواخر السنة التي قبلها، وأن عدد المبتعثين عشرة، كما ذكر إنشاء مدرسة في جدة لتعليم الطيران، وتأليف جمعية للطيران.

(٣) من تلك البلدان مصر. المصدر الأول نفسه، ج ٢، ص ٧٥١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٥٢-٧٥٥. وكان أهم تلك المطارات في ذلك العهد مطارا جدة والظهران. ومن الواضح أن مطار رأس مشعاب كان يخدم موظفي أرامكو بصفة خاصة. وكانت أول مرة يركب فيها الملك عبد العزيز الطائرة سنة ١٣٦٤هـ. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٥٦.

بحري<sup>(١)</sup>، وتحسين الموانئ البحرية الموجودة في غربي البلاد وشرقيها، وإنشاء سوانئ جديدة<sup>(٢)</sup>. وفي طليعة تلك الموانئ ميناء جدة على البحر الأحمر، وميناء الدمام على الخليج العربي.

أما الاتصالات الحديثة فتبرز جهود الحكومة في مجالها بأمر متعدد منها: انضمامها إلى اتحاد البريد الدولي<sup>(٣)</sup>، وعقدها اتفاقيات مع دول مختلفة ليتم الاتصال بها؛ هاتفياً وبرقياً وبريدياً<sup>(٤)</sup>، وإنشاء شبكة هاتفية في مدن المملكة الكبيرة، وتعميم المراكز اللاسلكية في معظم بلدانها<sup>(٥)</sup>، وابتعاث أعداد من الطلاب إلى مصر وأوروبا لتعلم ما يتصل بتلك الأمور؛ فنياً وإدارياً<sup>(٦)</sup>، ثم فتح مدارس داخل البلاد للتعليم والتدريب<sup>(٧)</sup>. ولم ينته عهد الملك عبد العزيز إلا والبلاد قد قطعت شوطاً بعيداً في سعيها الجاد للوصول إلى ما كانت تهدف إليه من تقدّم في ذلك المجال الحيوي.

---

(١) حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٤.

(٢) الخطيب، ج ٢، ص ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) كان ذلك سنة ١٣٤٥هـ. حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٢٣٣.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٩. وقد زادت تلك المراكز على السبعين. الزركلي، ج ١،

ص ٤١٥.

(٦) الخطيب، ج ٢، ص ص ٨٦ - ٨٧.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٦.

## خاتمة عهد الملك عبد العزيز:

عاش الملك عبد العزيز ثمانين عاماً حافلة بالأحداث المهمة؛ أسرياً، ووطنياً، ودولياً. وقد سبقت الإشارة إلى أنه وُلِدَ في أسرة حكم له جذوره التاريخية الممتدة نحو قرن ونصف القرن من الزمن. ونشأ في عاصمة حكمها الثانية، الرياض، كما نشأ كثير من أبناء تلك الأسرة الذين عاصروه، أو سبقوه. فتأدَّب بآدابها المتوارثة، وتعلَّم ما كان لا بد له من إتقانه من رماية وركوب خيل ومبارزة ونحوها، كما تعلَّم ما كان يجب أن يتعلَّمه من تلاوة للقرآن الكريم، وفهم لأصول الدين، وإدراك لمبادئ القراءة والكتابة. وكان له مما حباه الله به من صفات ذاتية ما سهَّل عليه إتقان ما لا بد من إتقانه، وتعلُّم ما لا بد من تعلُّمه.

على أن الملك عبد العزيز شهد، وهو ما زال يحبو في طفولته، مشاكل الفرقة بين أفراد أسرته. وأبصر، وهو يتقدَّم في تلك الطفولة، كيف كانت تلك المشاكل معول الهدم الأكبر في إنهاء الدولة السعودية الثانية. ثم عاش ريعان شبابه غربة اضطرارية بعيداً عن قاعدة أسرته، ومسقط رأسه، ومرتع طفولته. واجتمعت تلك الصفات الذاتية مع التجارب التي مرَّت به وبأسرته وموطنه لتكوِّن منه شخصية قيادية رائدة في مستقبل أيامه.



وانطلق الملك عبد العزيز شاباً جريئاً مصمماً على إعادة مجد أسرته، وتوحيد أجزاء البلاد تحت رايته. وكان عام ١٣١٩ هـ بداية الانطلاقة التوحيدية التي استمرت متوهجة الحيوية حتى وصلت إلى هدفها المنشود بعد ربع قرن من الكفاح، الذي قاده بمهارة وعزيمة، ووقف معه فيه مواطنوه بشجاعة وتضحية. ولم يكن الوصول إلى هدف التوحيد نهاية المطاف. بل تلا ذلك سنوات تقرب من العشر؛ تثبيتاً لذلك التوحيد، وذوداً عن حياض الوطن. وما كاد التوحيد يتم حتى بدأت عجلة التطوير الحضاري والتنظيمي تدور. فكان أن تحققت ما تحققت من إنجازات سبق الحديث عن جوانب منها.

والمأمل في سيرة الملك عبد العزيز يرى أن من أبرز صفاته القيادية: التدبُّن؛ سلوكاً ودعوة، والكرم غير المتكلف، والشجاعة المترنة، والذكاء والفراسة، وقوة الإرادة، والحرص على المشورة، وحسن القيادة الحربية، ووعي التاريخ، وعمق المعرفة بقومه؛ حاضرة وبادية.

هكذا كانت حياة الملك عبد العزيز؛ عملاً متواصلاً، وإنجازاً مثمراً. وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الأول، عام ١٣٧٣ هـ (٨/١١/١٩٥٣ م) وافاه الأجل المحتوم في مدينة الطائف: فنقل جثمانه إلى الرياض حيث صُلي عليه، ودُفن في مقبرة العود. فرحمه الله، ورحم كل من سعى معه لتحقيق وحدة البلاد وتقدمها.



الملحق الأول

---

أسماء من كانوا  
مع الملك عبد العزيز  
حين توجه إلى الرياض  
سنة ١٣١٤ هـ



## الأسماء مرتبة أبجدياً (١)

- |   |   |
|---|---|
| ١٢ - سعد بن نجيفان، من<br>منفوحة*.      | ١ - إبراهيم بن محذيف، من<br>الرياض*.            |
| ١٣ - سعد بن هديب*.                      | ٢ - إبراهيم النفيسي، من الرياض.                 |
| ١٤ - سعود بن ناصر بن فرحان آل<br>سعود.  | ٣ - ثلّاب العجالين الدوسري*.                    |
| ١٥ - سعيد بن بيشان الدوسري.             | ٤ - حترش العرجاني*.                             |
| ١٦ - سلطان (مولى الملك عبد<br>العزیز)*. | ٥ - حزام العجالين الدوسري.                      |
| ١٧ - شايح بن شداد السهلي*.              | ٦ - حشاش العرجاني*.                             |
| ١٨ - صالح بن سبعان، من<br>الرياض.       | ٧ - زايد البقشي السبيعي*.                       |
| ١٩ - صطام أبا الخيل المطيري.            | ٨ - زيد بن زيد، من الرياض.                      |
| ٢٠ - طلال بن عجرف السبيعي*.             | ٩ - سالم الأفيجج*.                              |
| ٢١ - عبد العزيز بن جلوي آل<br>سعود.     | ١٠ - سعد بن بخيت، من<br>الرياض.                 |
|   | ١١ - سعد بن عبيد، من<br>صلبوخ <sup>(٢)</sup> *. |

(١) هذه رواية عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في تهميشه على كتاب ابن عيسى، عقد الدرر . . السابق ذكره، ص ١٠٤ . وهناك روايات لا تتفق معها في بعض الأسماء . ومن هذه الروايات رواية ابن هذلول، ص ٥٨ . وموضوع نجمة على الأسماء التي لم ترد في روايته .

(٢) قال عنه سعد بن رويشد في روايته الموردة في كتاب المصمك رمز من التراث، تأليف الدكتور عبد الرحمن السبييت والأستاذ محمد التوبة والدكتور طه الفراء، طباعة الحرس الوطني دون ذكر لسنة الطباعة، ص ١٣٦ : إنه من ملهم .

- ٢٢ - عبد العزيز بن عبد الله بن تركي آل سعود .
- ٢٣ - عبد العزيز بن مساعد آل سعود .
- ٢٤ - عبد الله بن جريس ، من العمارة .
- ٢٥ - عبد الله الجطيلي ، من عنيزة\* .
- ٢٦ - عبد الله بن جلوي آل سعود .
- ٢٧ - عبد الله بن خنيزان ، من الرياض .
- ٢٨ - عبد الله أبو دريب السبيعي\* .
- ٢٩ - عبد الله بن شنار الدوسري<sup>(١)</sup> .
- ٣٠ - عبد الله بن صنيان آل سعود .
- ٣١ - عبد الله بن عثمان الهزاني ، من الحريق .
- ٣٢ - عبد الله بن عسكر ، من الرياض .
- ٣٣ - عبد الله بن مرعيد السبيعي\* .
- ٣٤ - عبد اللطيف المعشوق ، من الرياض .
- ٣٥ - عبيد أخو شعواء الدوسري\* .
- ٣٦ - عبيد بن صالح ، من الرياض\* .
- ٣٧ - فرحان آل سعود (مولى) .
- ٣٨ - فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سعود .
- ٣٩ - فهد بن جلوي آل سعود .
- ٤٠ - فهد بن شعيل الدوسري .
- ٤١ - فهد المعشوق ، من الرياض .
- ٤٢ - فيروز آل عبد العزيز (مولى الملك عبد العزيز) .
- ٤٣ - ماجد بن مرعيد السبيعي .
- ٤٤ - محمد بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود .
- ٤٥ - محمد بن قماع ، من الرياض\* .
- ٤٦ - محمد المعشوق ، من الرياض .
- ٤٧ - محمد بن هزاع ، من الدرعية .
- ٤٨ - محمد بن الوبير الشامري<sup>(٢)</sup> .
- ٤٩ - مسعود آل مبروك ، من الرياض .

(١) ورد عند ابن هذلول «فلاج» بدلاً من «عبد الله» .  
(٢) ورد في روايتي ابن هذلول وابن رويشد «فهد» بدلاً من محمد .

- |  |   |
|--|---|
| <p>٥٥ - منصور بن حمزة، من<br/>الرياض .</p> <p>٥٦ - منصور بن فريج .</p> <p>٥٧ - ناصر بن شامان .</p> <p>٥٨ - ناصر بن فرحان آل سعود .</p> <p>٥٩ - نافع الحربي* .</p> <p>٦٠ - يوسف بن مشخص .</p> | <p>٥٠ - مسلم بن مجفل السبيعي .</p> <p>٥١ - مطلق بن جفال<sup>(١)</sup> .</p> <p>٥٢ - مطلق بن عجيبان، من<br/>الرياض .</p> <p>٥٣ - معضب بن خرصان<br/>الشامري<sup>(٢)</sup> .</p> <p>٥٤ - مناور العنزي* .</p> |
|--|---|

(١) لعله من ورد عند ابن هذلول باسم مطلق المغربي .

(٢) ورد عند ابن هذلول وابن رويشد «معضد» بدلاً من معضب . وقد ورد اسم فهد بن معمر عن كل من ابن هذلول وابن رويشد . وورد عند أولهما اسم عبد الله بن عبيد، كما ورد عند ثانيهما اسم خليف بن بديع واسم عبد الله بن مشخص ؛ وهي أسماء لم ترد في رواية آل الشيخ . ورواية ابن رويشد قريبة من رواية ابن هذلول من حيث العدد وتطابق الأسماء ؛ إذ تجعل الأسماء ٤٧ في حين يجعلها ابن هذلول ٤٢ . والأسماء التي ذكرها ابن رويشد كما ذكرها آل الشيخ، ولم يذكرها ابن هذلول هي : ثلّاب العجالين الدوسري، وسعد بن عبيد، ومناور العنزي، ونافع الحربي .





الملحق الثاني

---

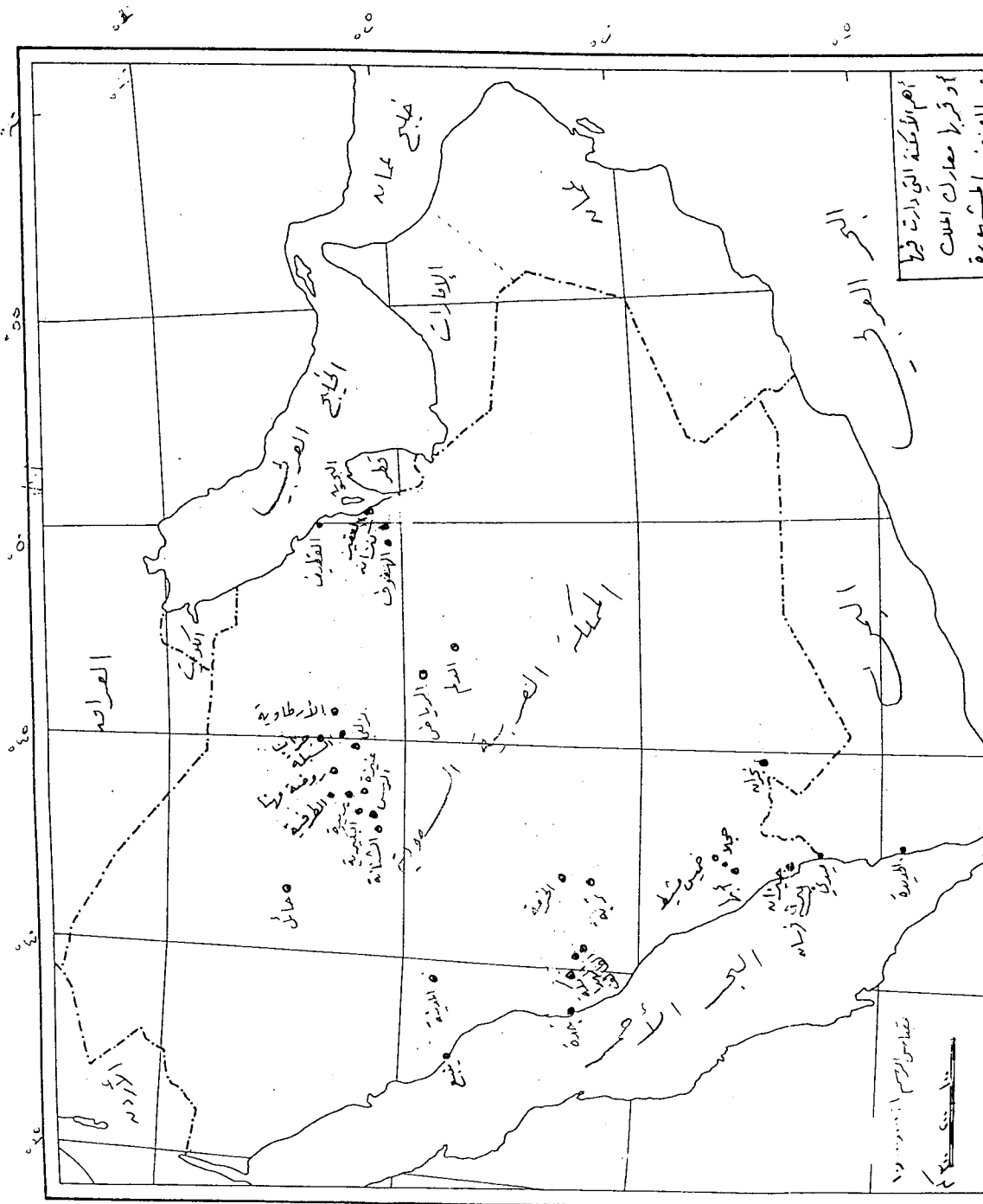
خرائط مهارك

الملك عبد العزيز المشهورة

لتوحيد البلاد



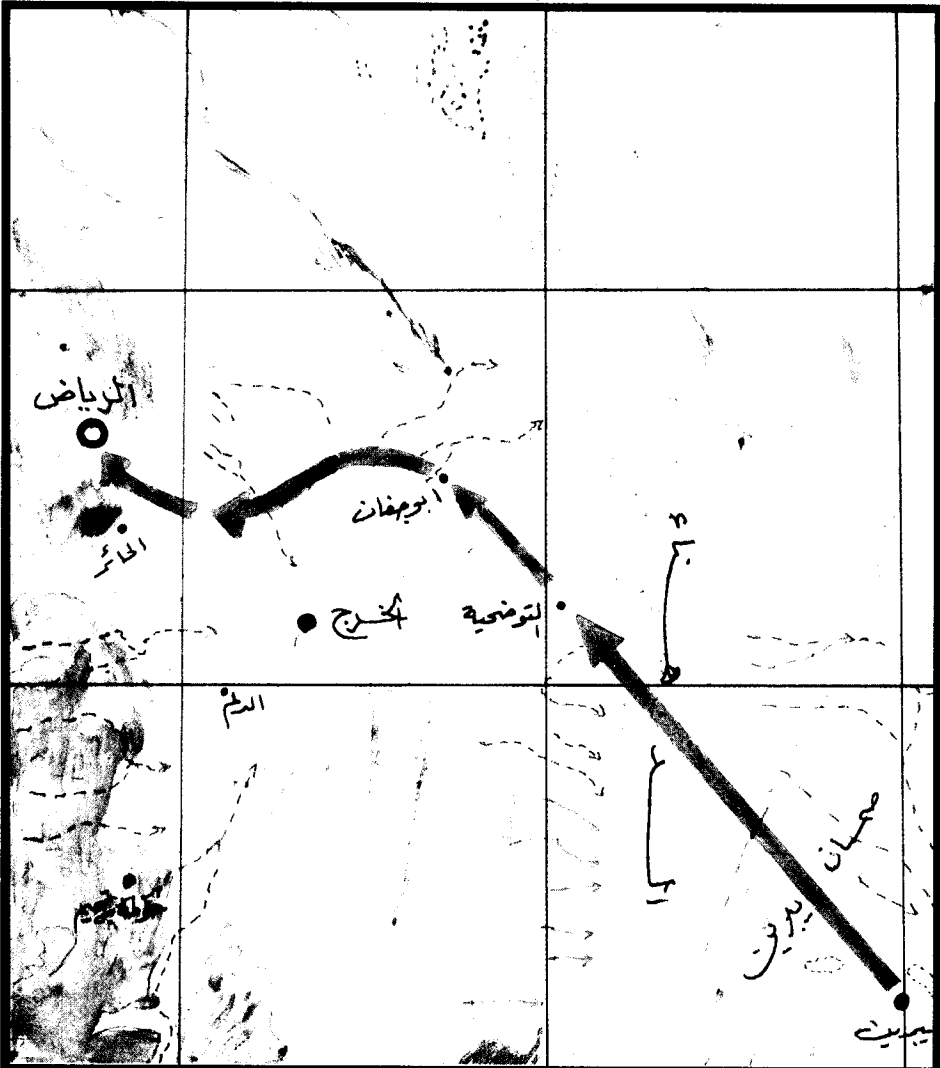
# خريطة رقم (١)



أهم المدن  
أخرى

100 كم  
مقياس الرسم 1:100,000

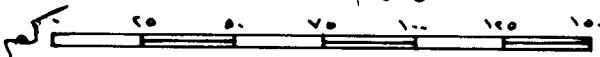
خريطة رقم (٢)



ش  
↑

خط سير الملك عبد العزيز ورفاقه  
لمعركة الرياض سنة ١٣١٩هـ.

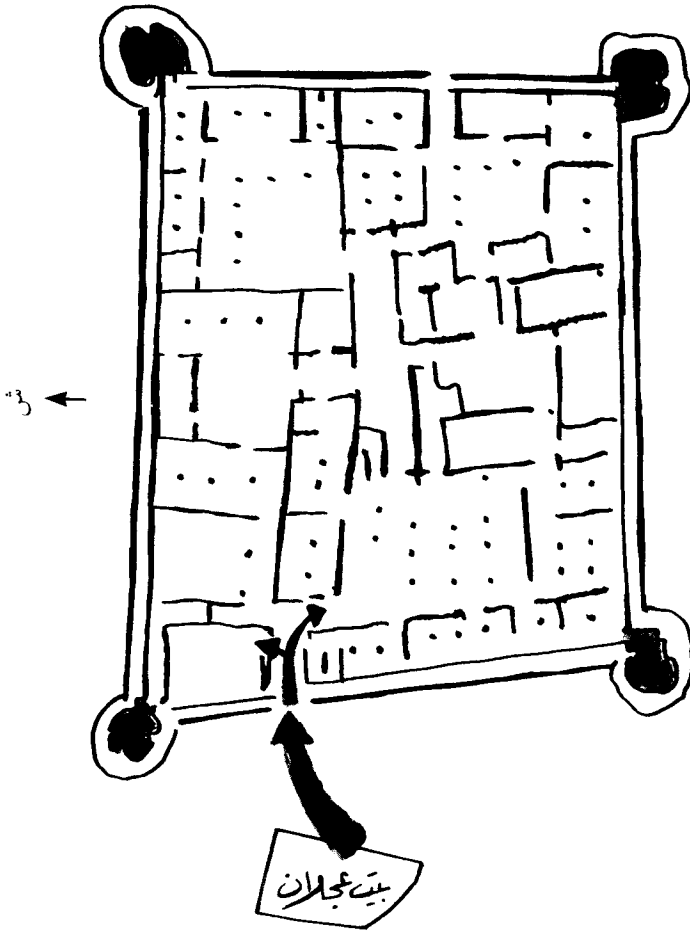
مقياس الرسم: ١ : ٢,٠٠٠,٠٠٠



خريطة رقم (٣)



تعريب لخريطة رسمها فيليبي للرياض  
قبل عام ١٣٥٠هـ والمصمك باللون الأحمر



مخطط المصمك : صورة مقتسبة من كتاب المصمك ،  
إصدار هيئة تطوير مدينة الرياض ١٤١٤هـ  
وطريقة هجوم الملك عبد العزيز ورفاقه على عجلان  
سنة ١٣١٩هـ

خريطة رقم (٤)

٤٦

٤٨

٢٥

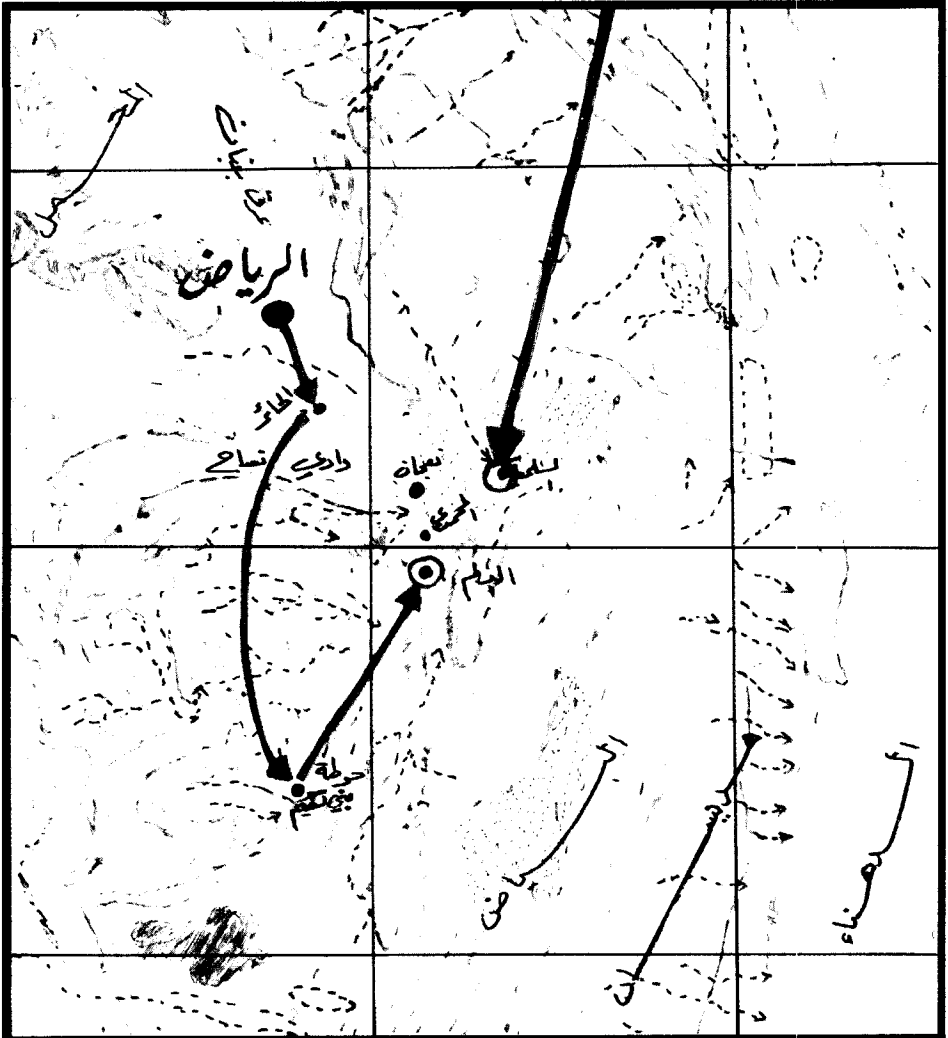
٢٥

٢٤

٢٤

٢٢

٢٢



خط سير الملك عبد العزيز إلى الدلم .



خط سير الأمير عبد العزيز بن رشيد .

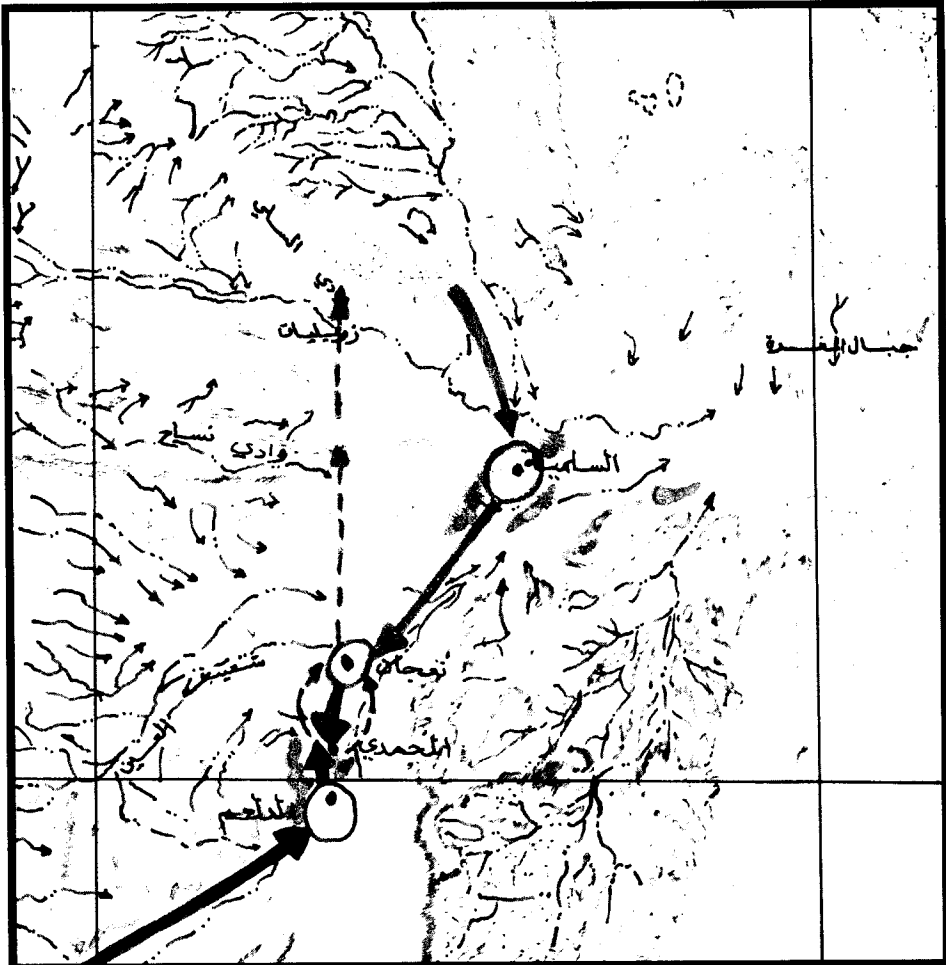


ش  
↑

مقياس الرسم : ١ : ٢,٠٠٠,٠٠٠



خريطة رقم (٥)

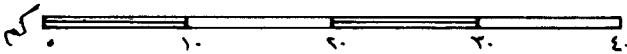


معركة الدم



- خط هجوم الملك عبد العزيز. ←
- خط هجوم الأمير عبد العزيز بن رشيد. ←
- خط انسحاب ابن رشيد. - - - ←

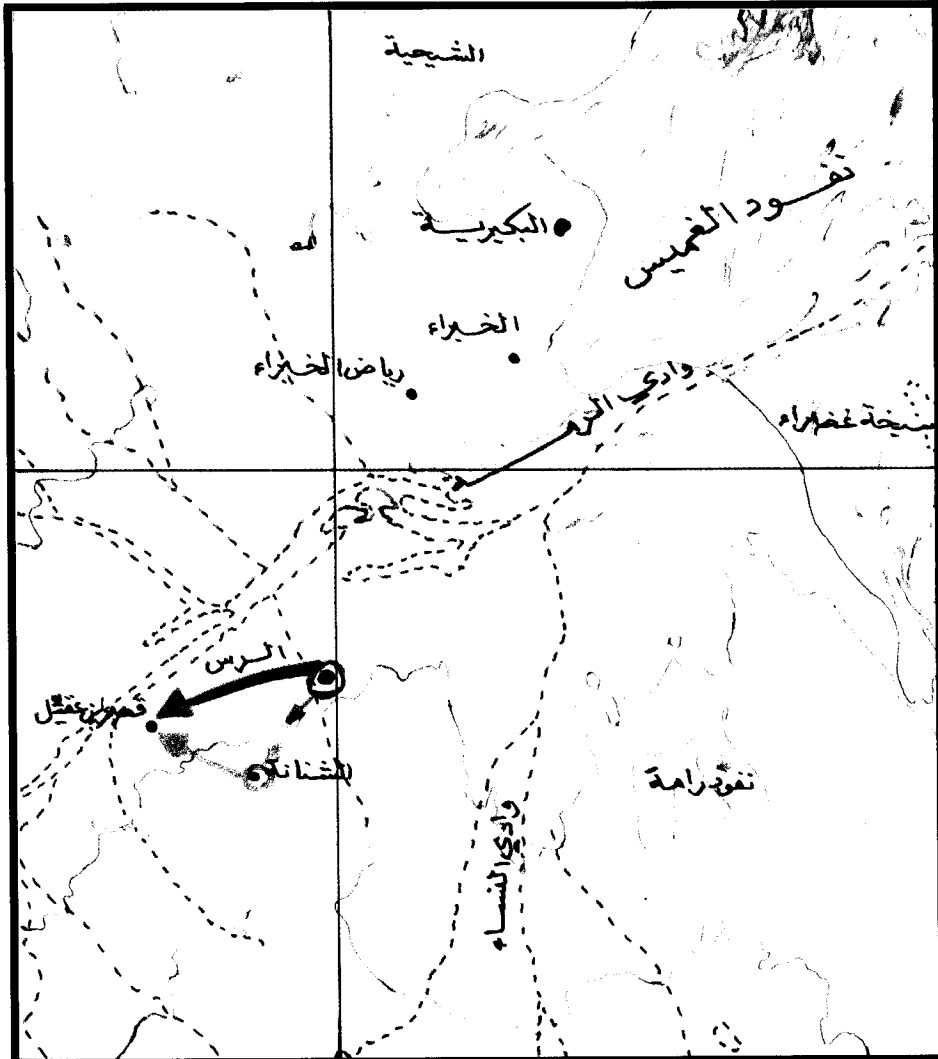
مقياس الرسم: ١ : ٥٠٠,٠٠٠







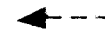
خريطة رقم (٧) .



خط سير الملك عبد العزيز إلى معركة الشنانة .



خط مناوشاته مع خصمه في مناخ الرس -



الشنانة .

خط سير ابن رشيد إلى المعركة .

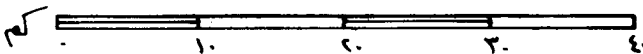


خط مناوشاته مع مناخ الرس - الشنانة .

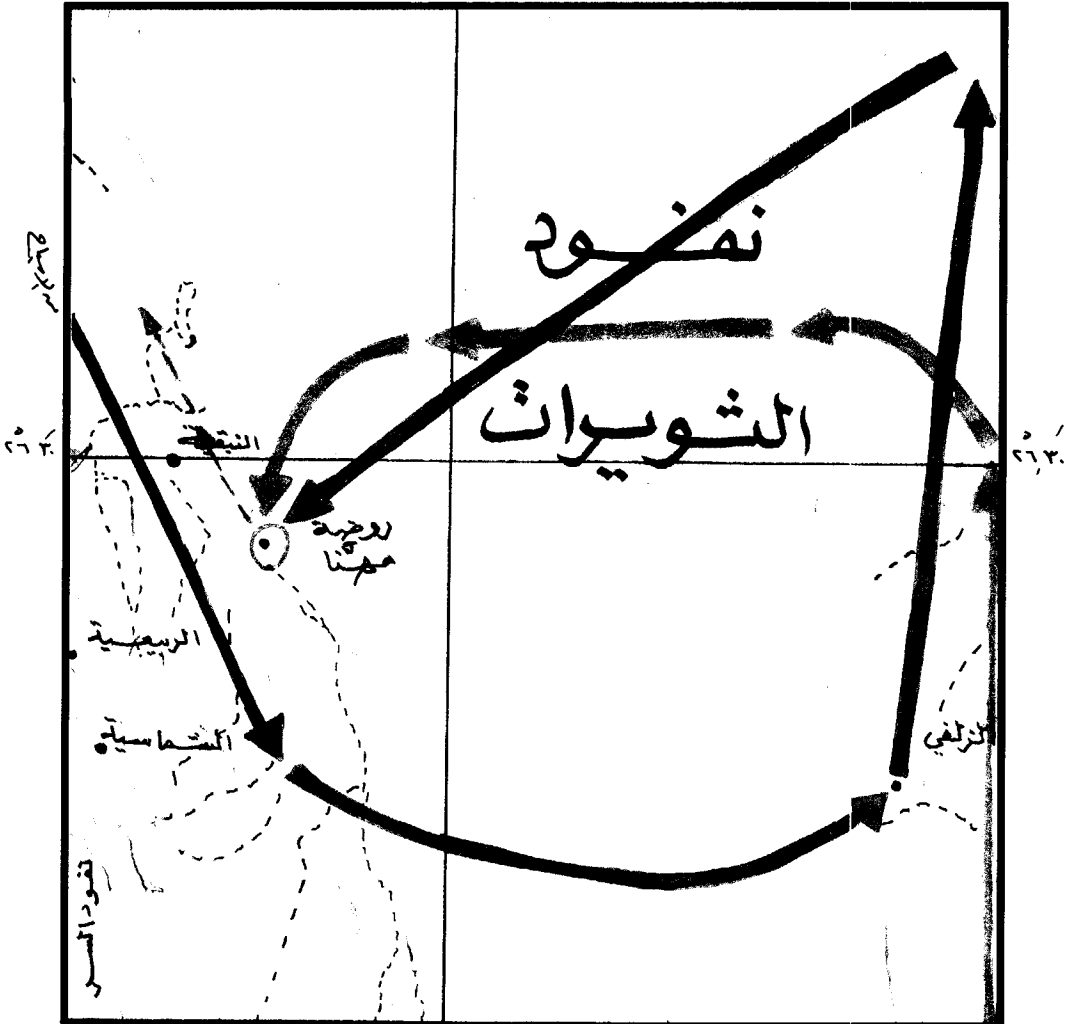


مقياس الرسم : ١ : ٥٠٠,٠٠٠

ش  
↑



خريطة رقم (٨) ٤٤٢.



خط سير الملك عبد العزيز إلى روضة مهنتاً.



خط سير ابن رشيد إليها.

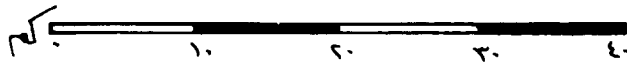


فلول جيش ابن رشيد بعد المعركة.



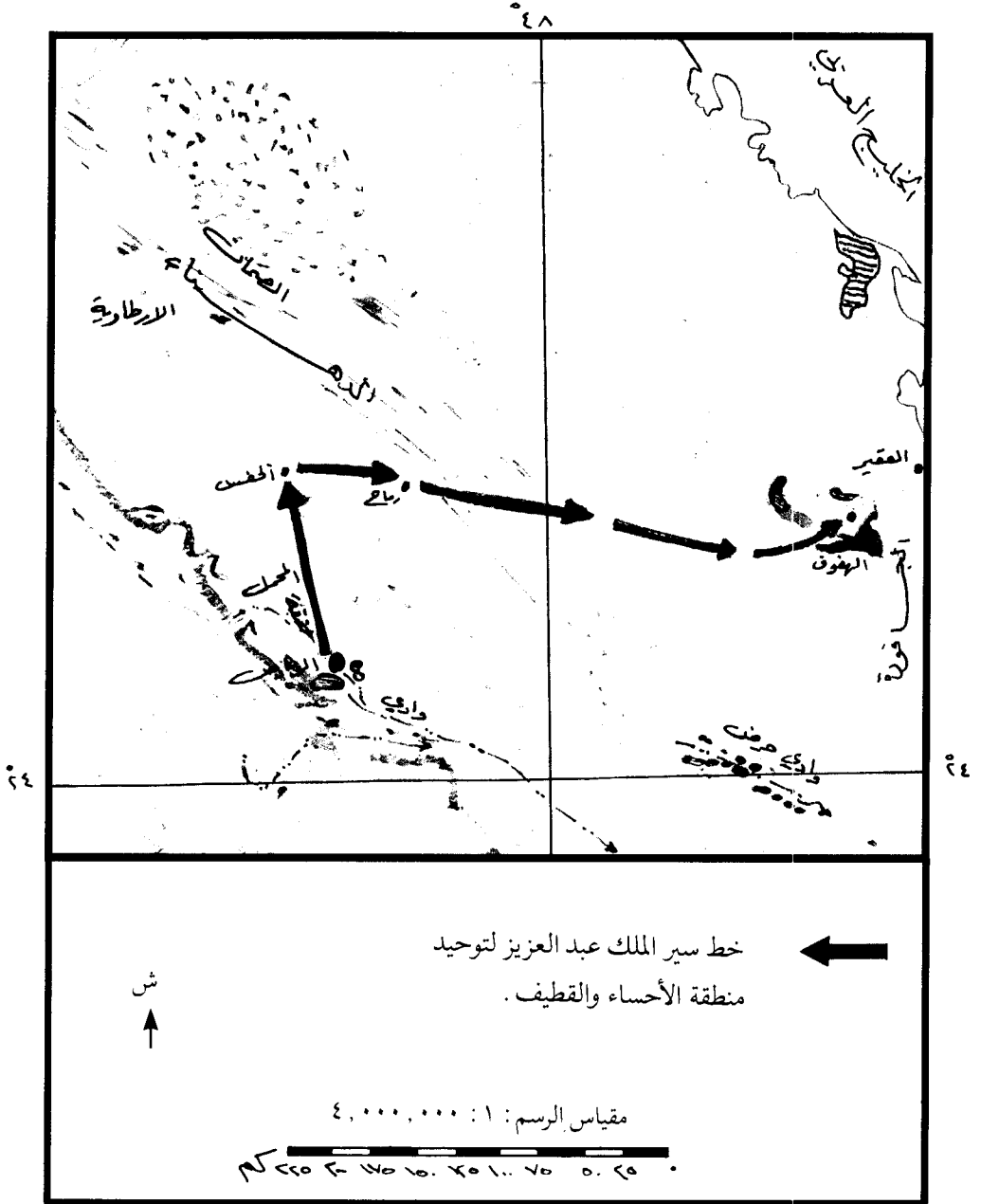
ش  
↑

مقياس الرسم: ١ : ٥٠٠,٠٠٠

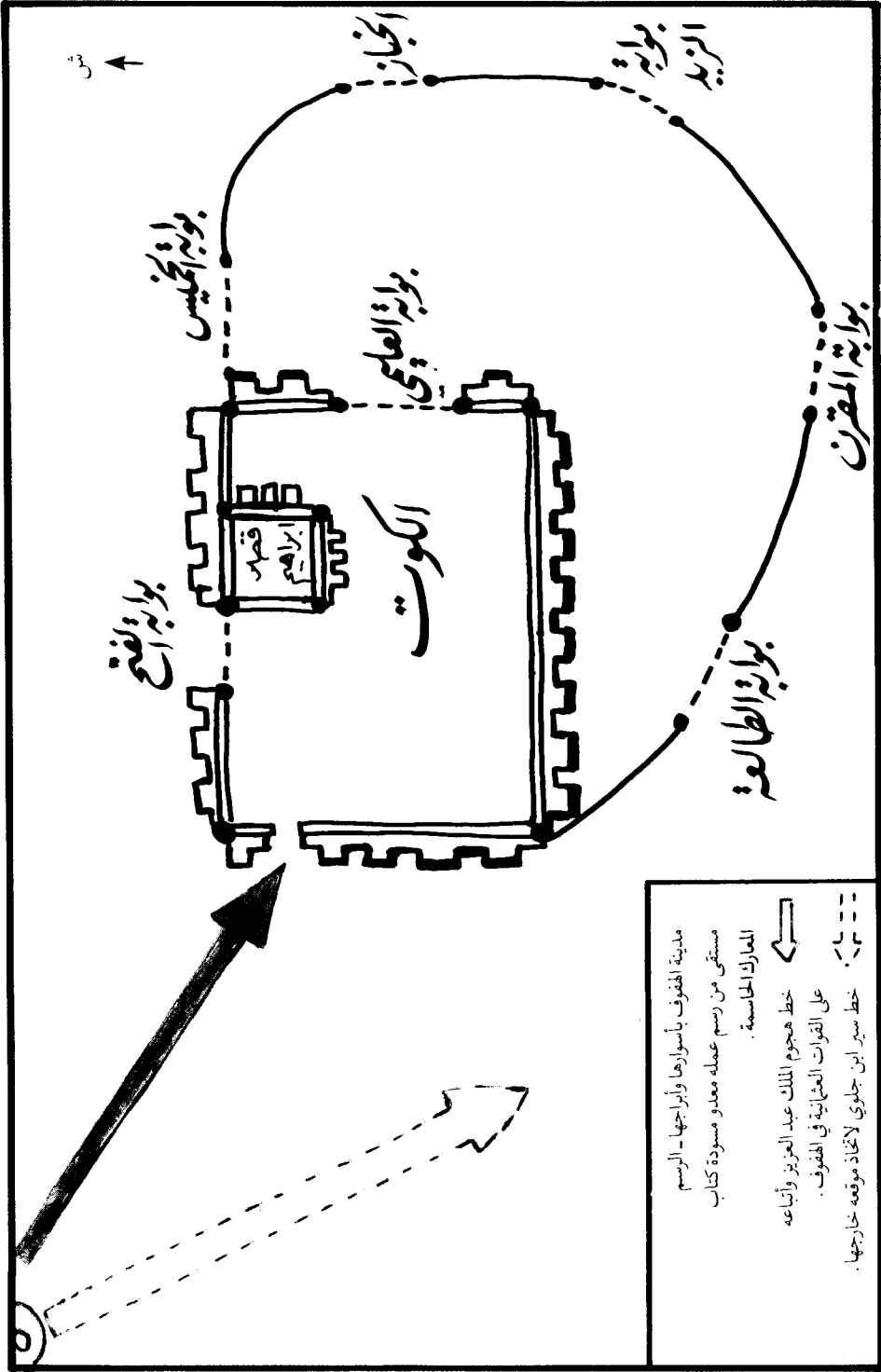




# خريطة رقم (١٠)



خريطة رقم (١١)

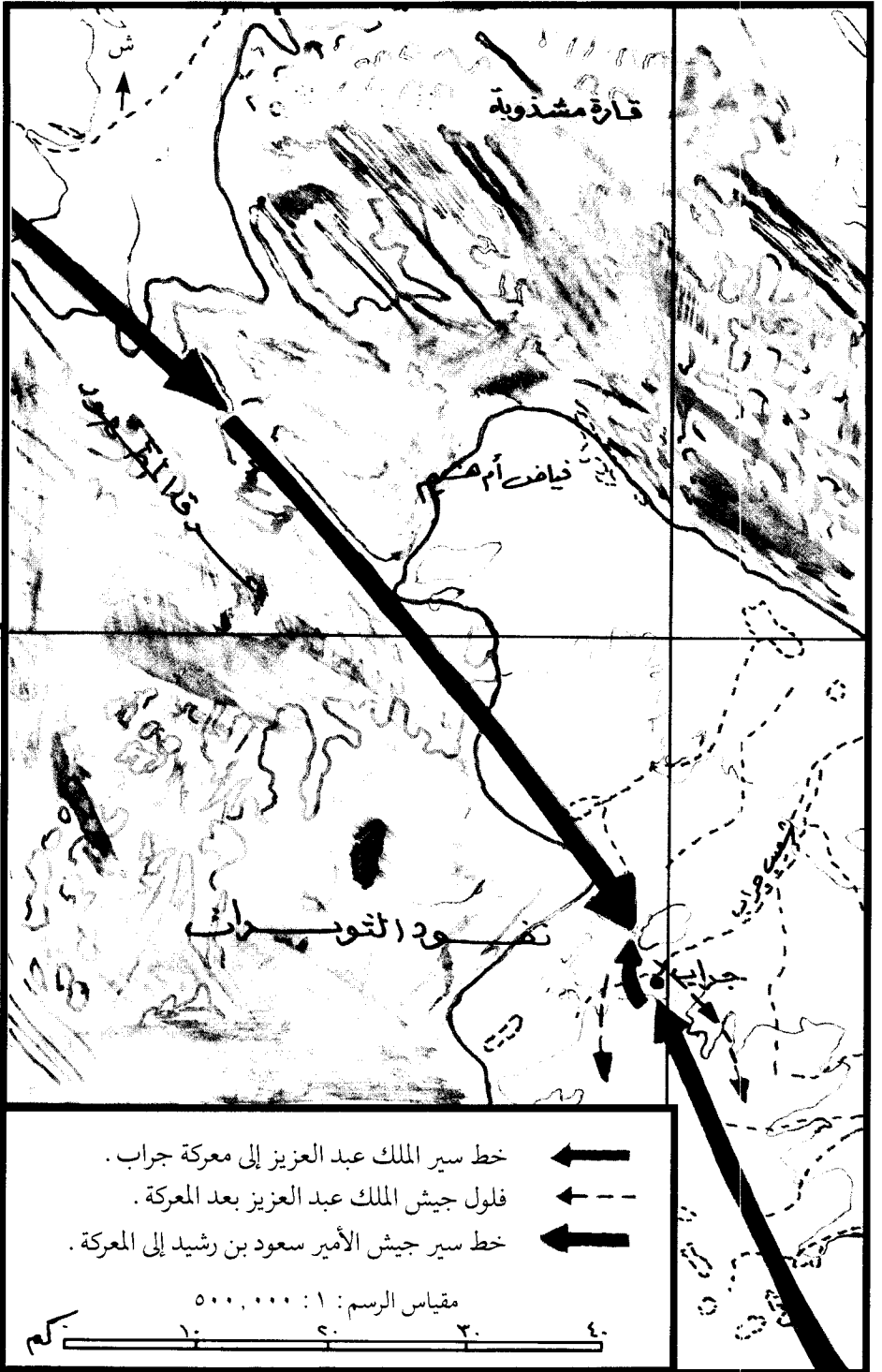


مدينة الفخوف بأسوارها وأبراجها - الرسم  
 مستقى من رسم عمله معدو مسودة كتاب  
 المعارك الحاسمة.  
 خط هجوم الملك عبد العزيز وأتباعه  
 على القوات الخشائية في الفخوف .  
 خط سير ابن جلولي لالتحاذ موقعه خارجها .

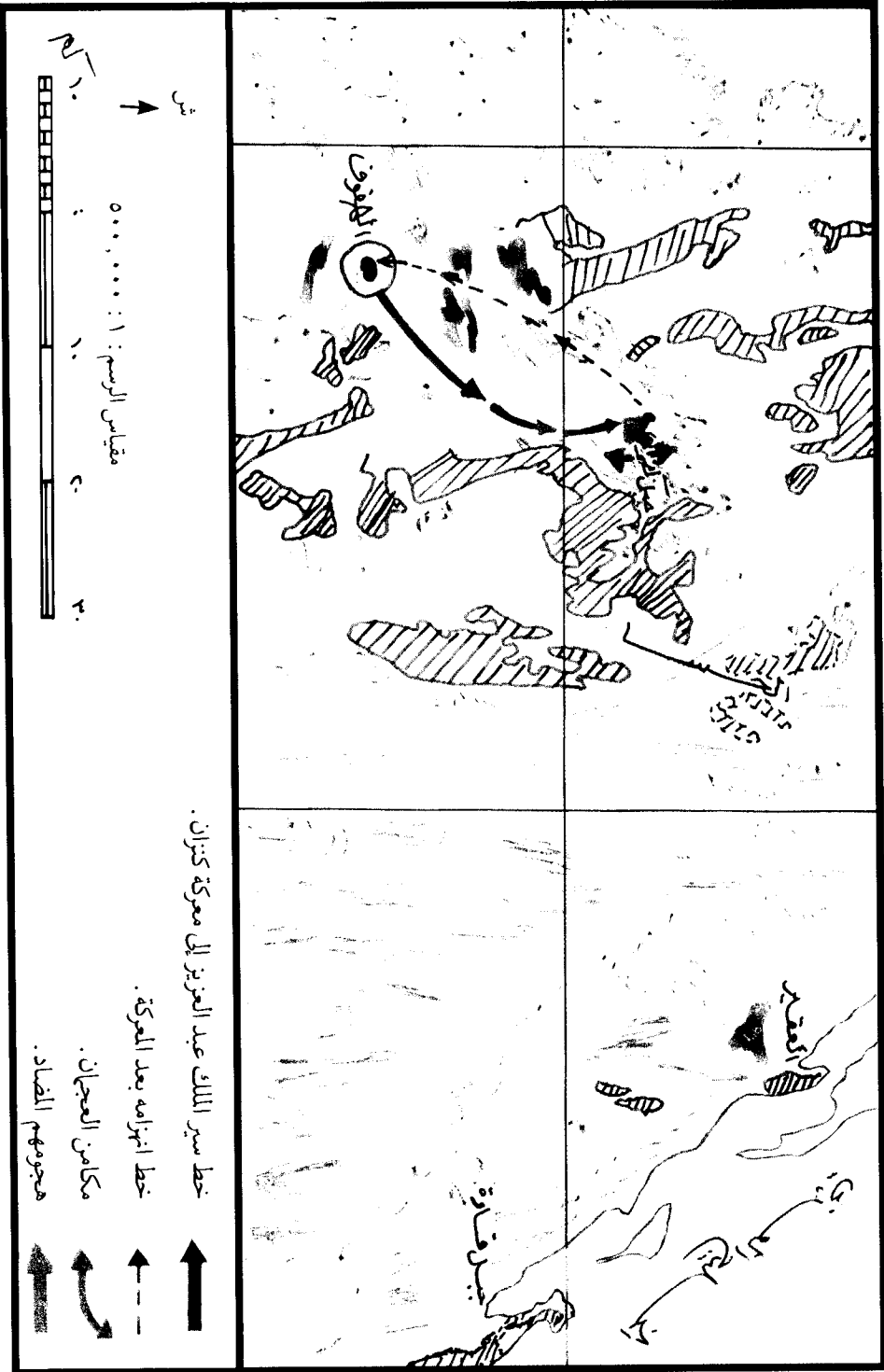
خريطة رقم (١٢)

٤٤٣٠

٤٤٠٠



خريطة رقم (١٣)



خط سير الملك عبد العزيز إلى معركة كتران.

خط انبعاثه بعد المعركة.

مكامن المعجانات.

هجومهم المضاد.

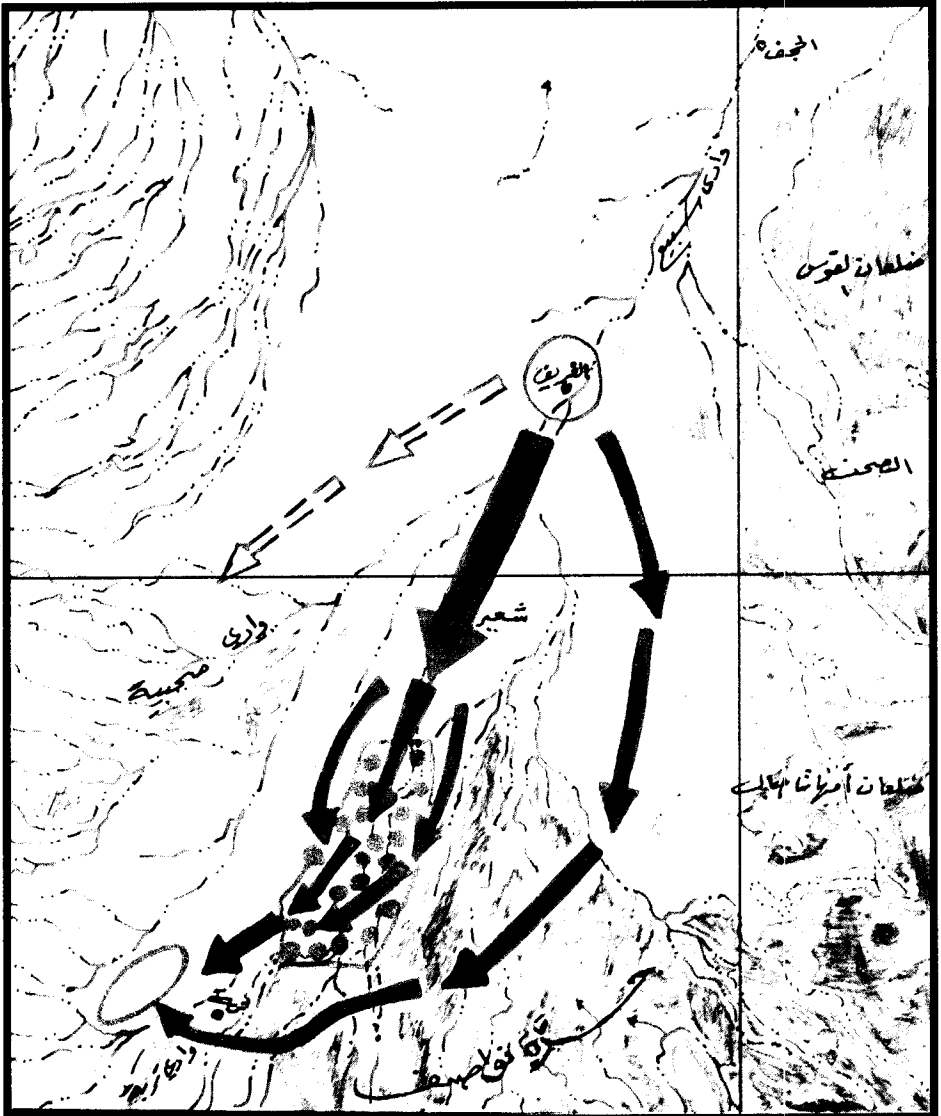




خريطة رقم (١٤)  
معركة تربة

الخرمة

٥٠



خط هجوم الفرقة الرئيسة.

خط هجوم خالد بن لؤي.

خط هجوم الخيالة.

موقع جيش الشريف النظامي.

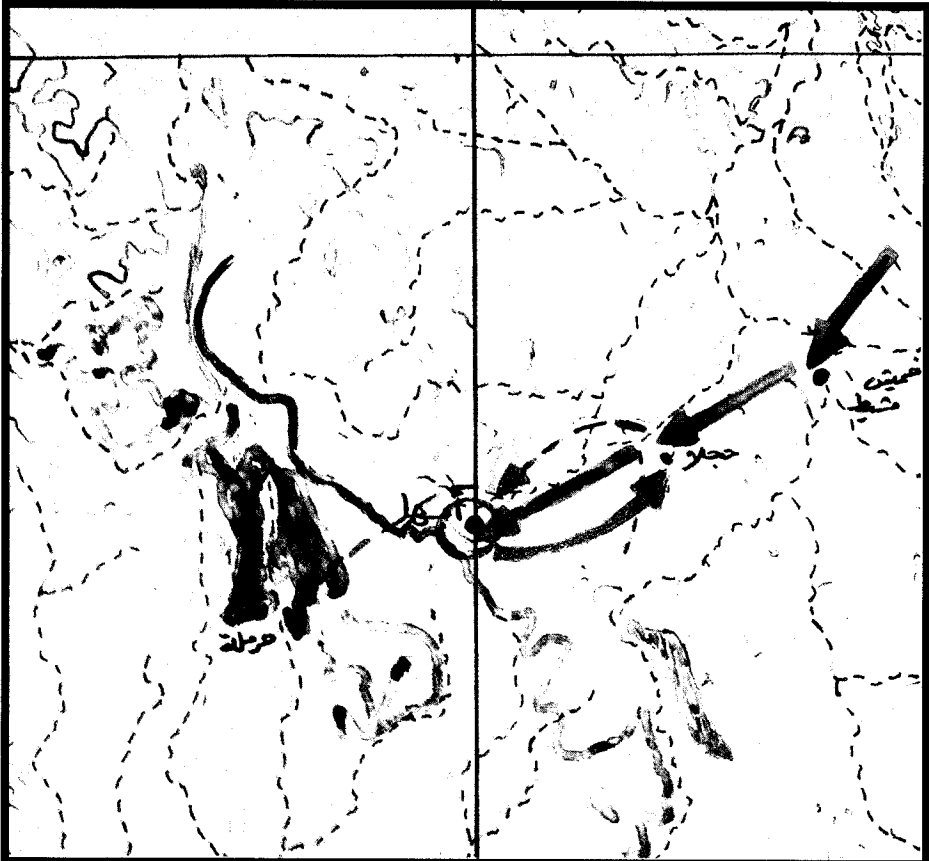
خيم الأمير عبد الله بن الحسين.

مقياس الرسم: ١ : ٥٠٠,٠٠٠

ش  
↑

# خريطة رقم (١٥)

٤٥٠



## معركة توحيد عسير

خط هجوم الأمير عبد العزيز بن مساعد .

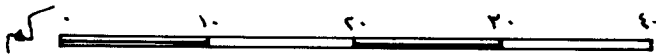
خط تصدّي آل عائض للهجوم .

خط انهزام ابن عائض .



ش  
↑

مقياس الرسم : ١ : ٥٠٠,٠٠٠



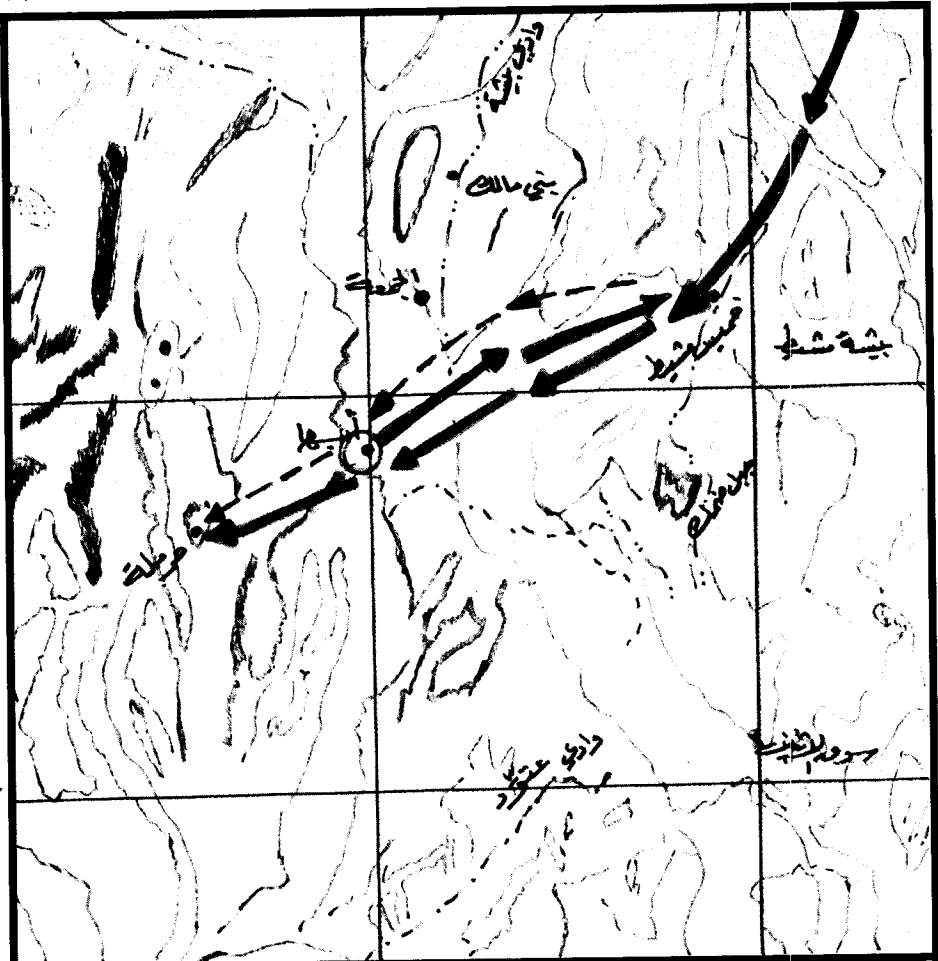
١٨٢٠

١٨١٥

١٨١٠

١٨١٥

١٨١٠



معركة تثبيت الحكم في عسيرة

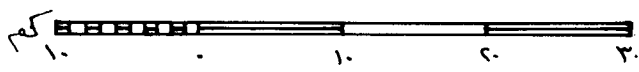
خط هجوم الأمير فيصل بن عبد العزيز .

خط تصدّي ابن عائض للهجوم .

خط انسحاب ابن عائض .

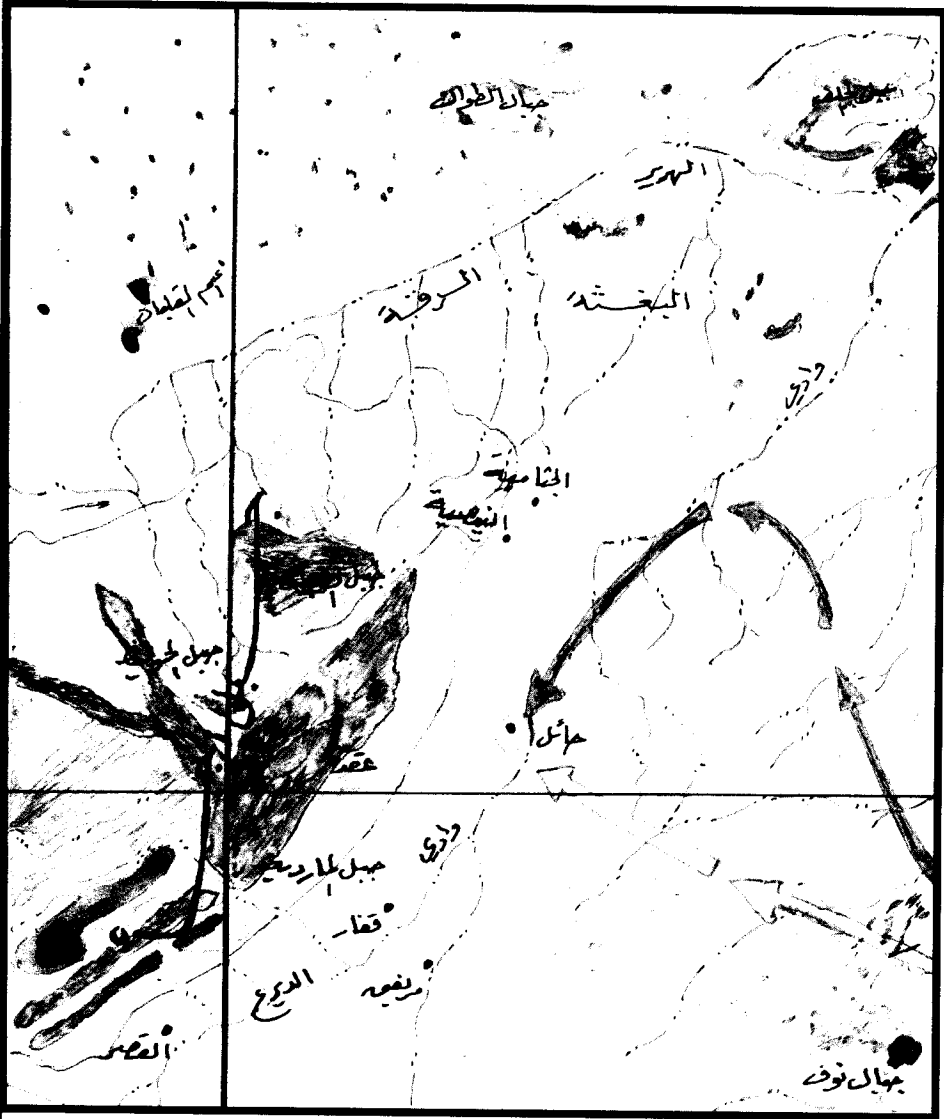
ش  
↑

مقياس الرسم : ١ : ٥٠٠,٠٠٠



خريطة رقم (١٧)  
 بدء معارك توحيد جبل شمر

٤٢٠



ش  
 ↑

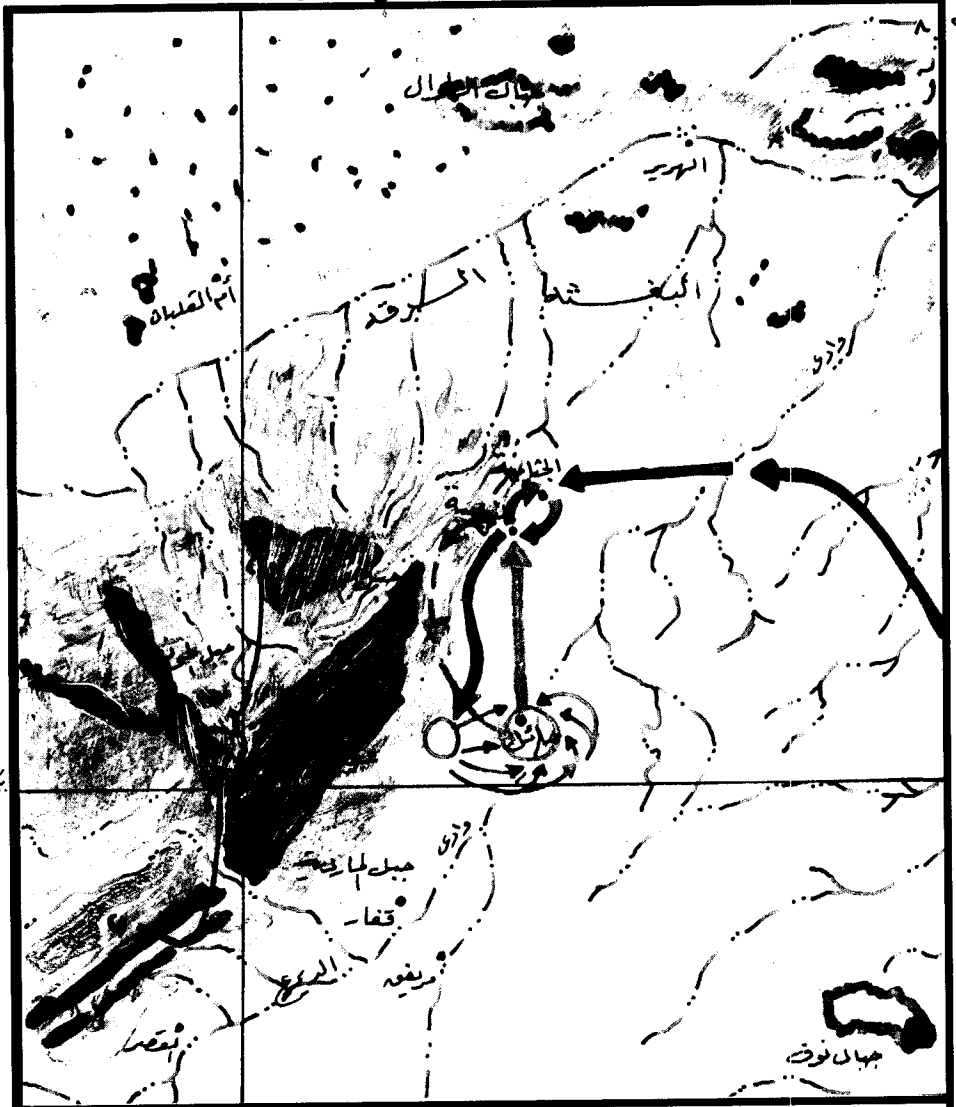
خط سير الأمير سعود بن عبد العزيز. ←

خط سير الأمير محمد بن عبد الرحمن. ←

مقياس الرسم: ١ : ٥٠٠,٠٠٠



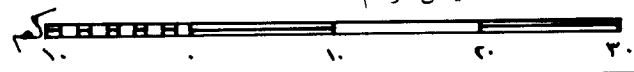
خريطة رقم (١٨)  
المعارك النهائية لتوحيد جبل شمر



- ← خط هجوم قوات الملك عبد العزيز.
- ← - - فرق قواته المحاصرة لحائل.
- ← خط هجوم ابن طلال على الدويش ومن معه.
- ← - - خط انهزام ابن طلال.

ش  
↑

مقياس الرسم : ١ : ٥٠٠,٠٠٠



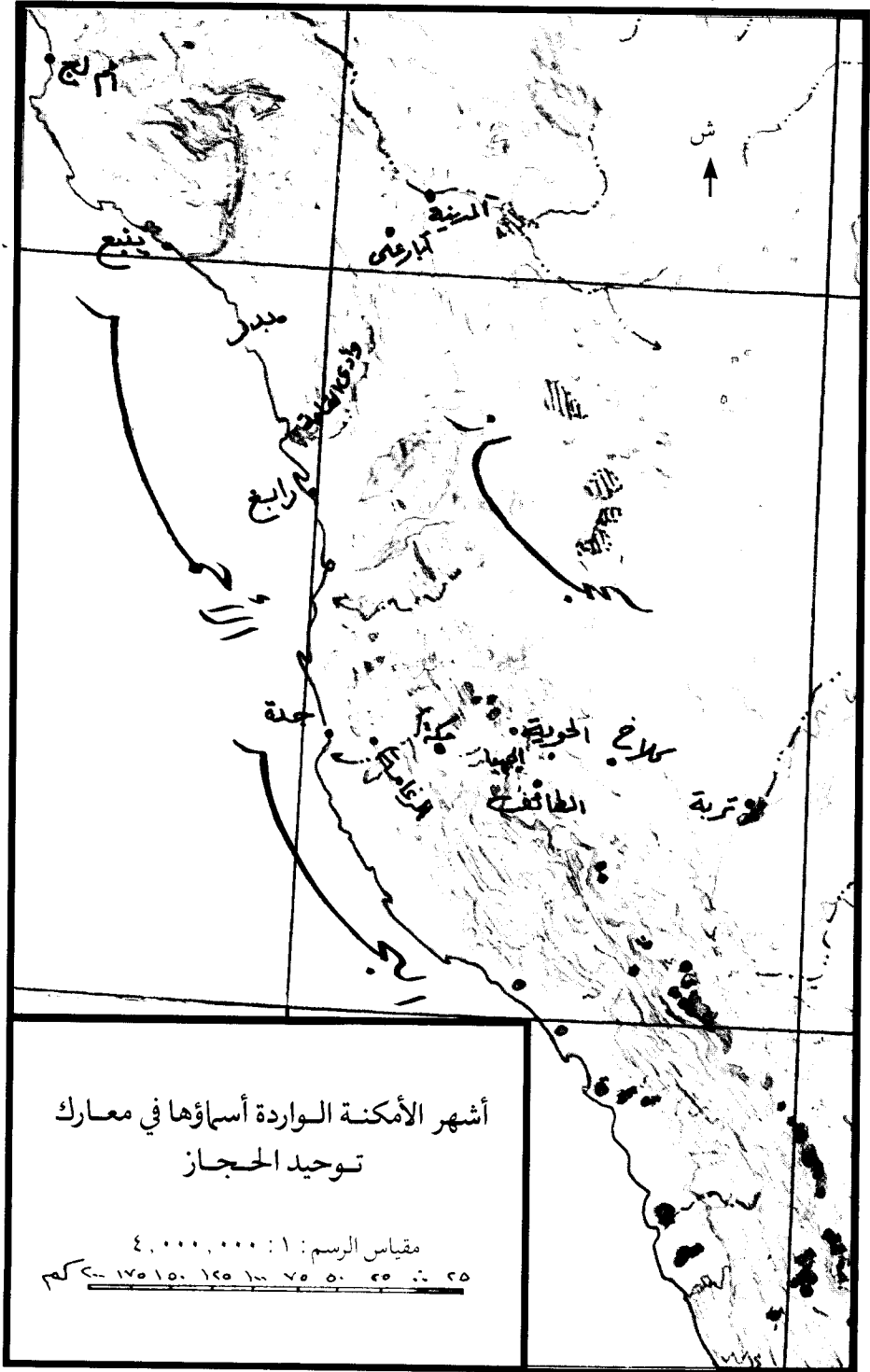
خريطة رقم (١٩)

٣٦

٣٩

٤٤

٤٤



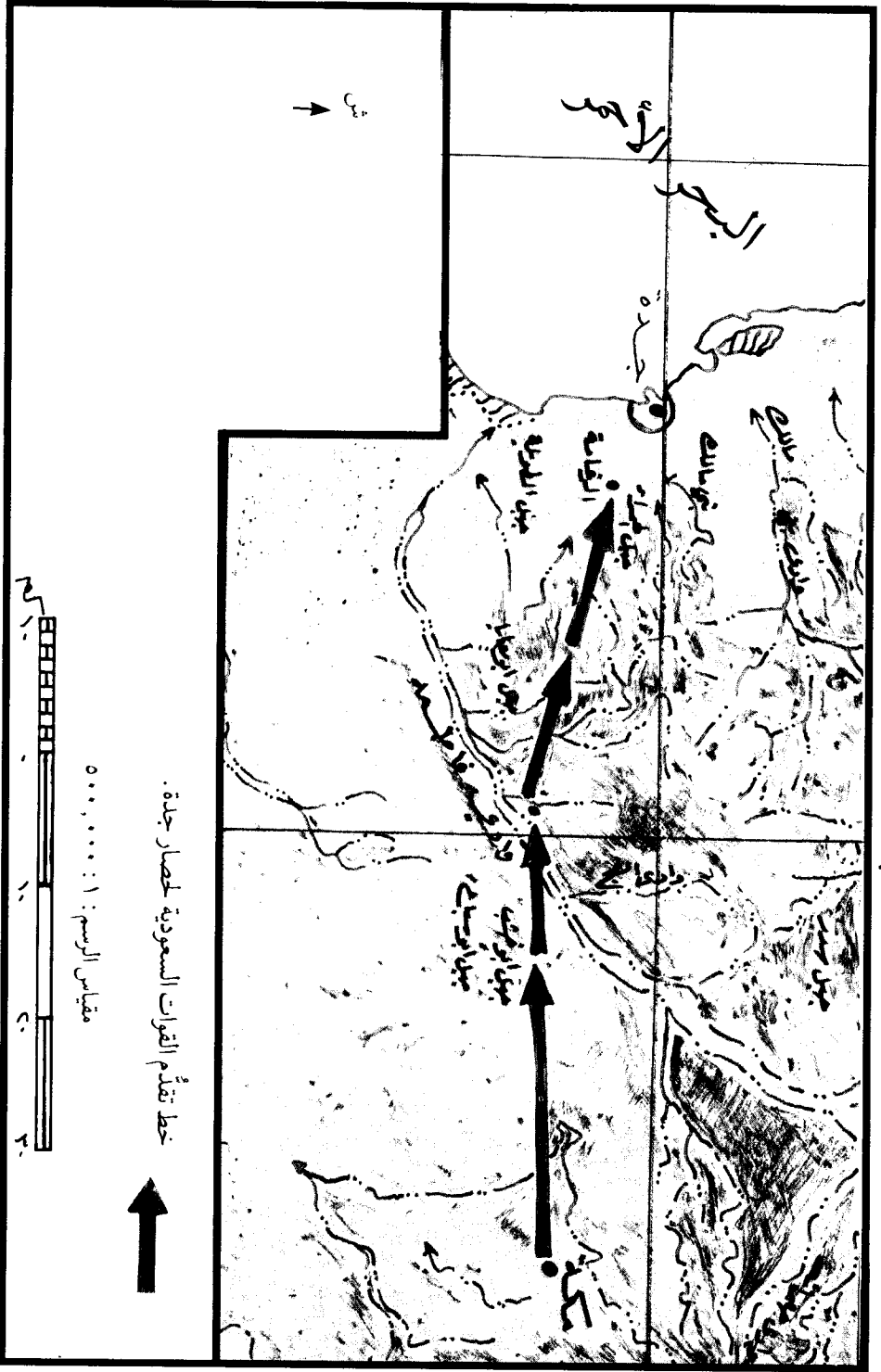
أشهر الأمكنة الواردة أسماؤها في معارك  
توحيد الحجاز

مقياس الرسم: ١ : ٤.٠٠٠.٠٠٠  
٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٥ ١٥٠ ١٧٥ كم



خريطة رقم (٢١)

٥٥  
٤٠



٥٥  
٤٠

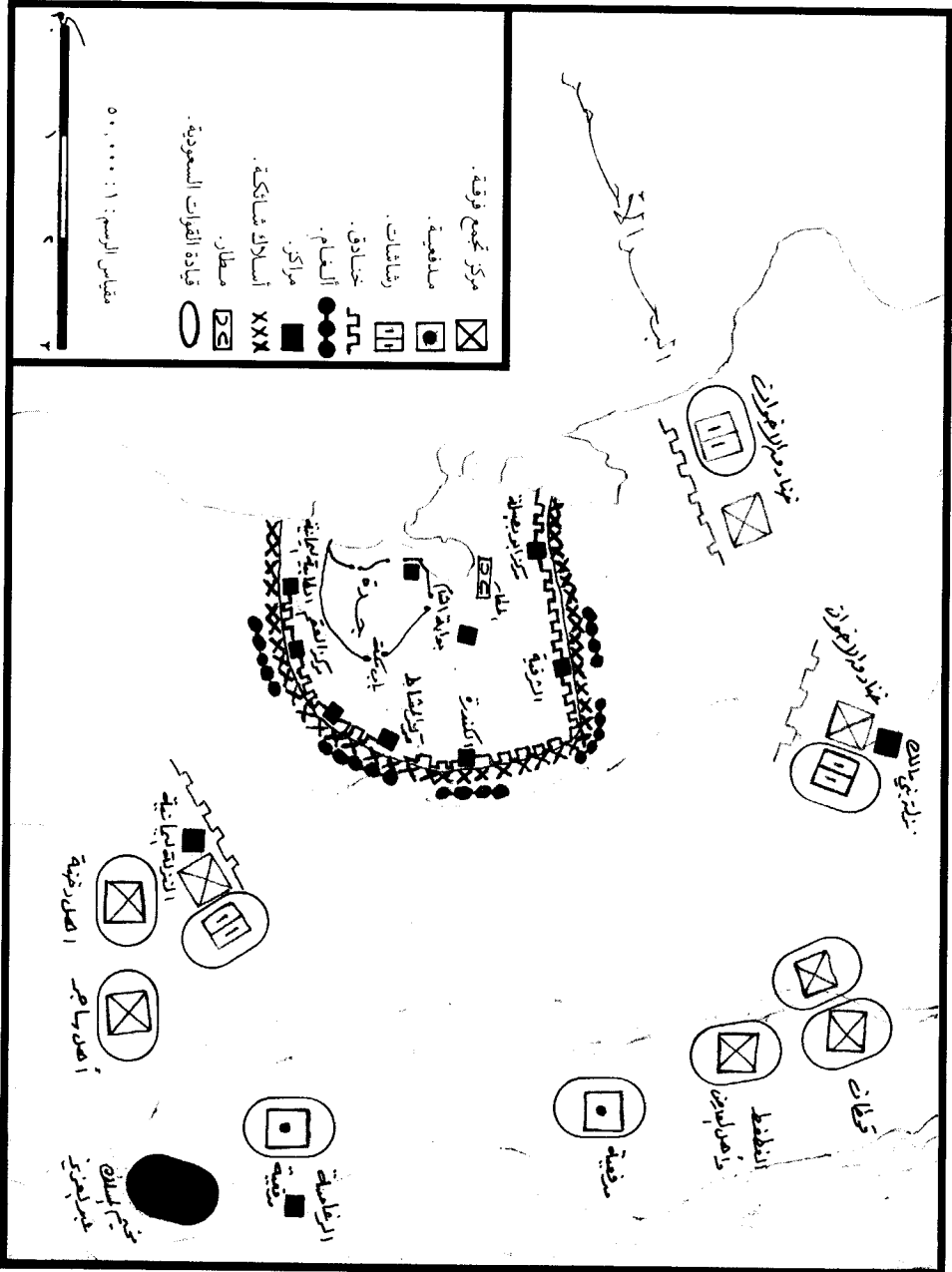




# خريطة رقم (٢٣)



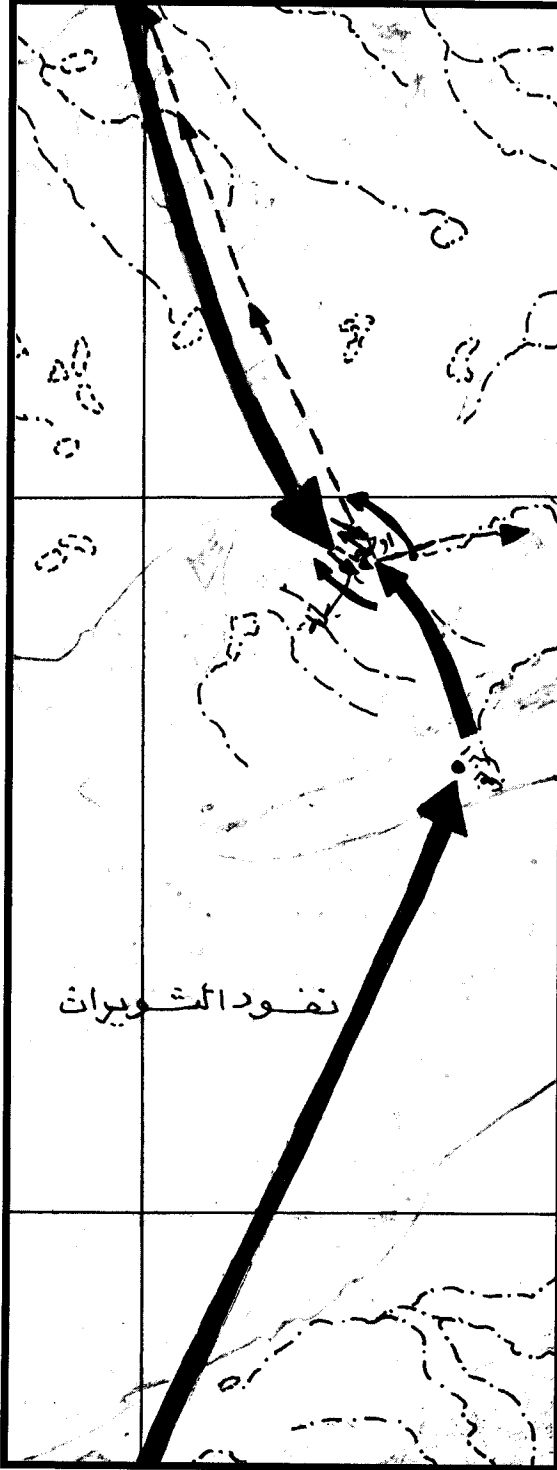
توزيع قوات الطرفين السعودي والهاشمي أثناء حصار جدة



توزيع قوات الطرفين السعودي والهاشمي أثناء حصار جدة.

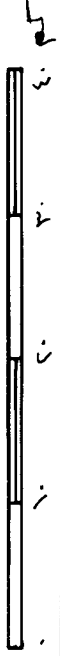


# خريطة رقم (٢٥)



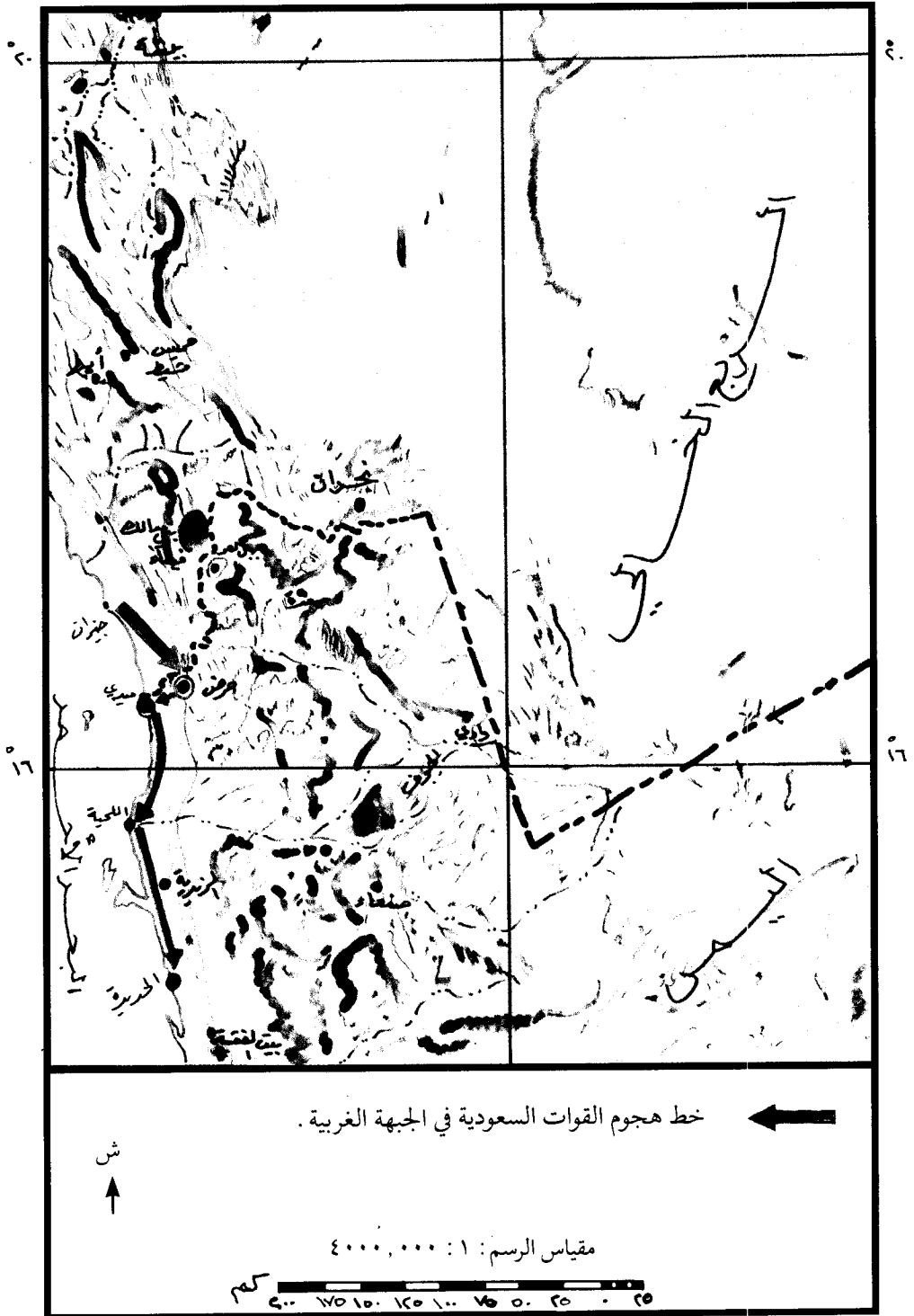
خط سير الملك عبد العزيز إلى معركة السبلة.  
 هجومه على المشقين من الإخوان.  
 رجوع حرسه.  
 خط سير خصومه إلى المعركة.  
 هجومهم على قواته.  
 خط انزمامهم.

مقياس الرسم: ١ : ٥٠٠,٠٠٠



نفود المشوهران

خريطة رقم (٢٦)  
٤٥





## المصادر والمراجع





## أولاً: أعمال باللغة العربية.

### ١ - أعمال غير منشورة:

البسام، عبد الله بن محمد.

تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، صورة من نسخة نقلها عن الأصل نور الدين شريية عام ١٣٧٥هـ.

الذكر، مقبل بن عبد العزيز

مسودة تاريخ لم يحدّد له مؤلفه عنواناً ثابتاً. والمستعمل في الكتاب ثلاث نسخ بينها اختلاف نوعاً ما. وهي:

الأولى من مكتبة كلية الآداب بجامعة بغداد رقم ٥٦٩.

الثانية من مكتبة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام.

الثالثة من نسخة لدى أقارب مؤلفه.

آل سعود، مشاري بن سعود

علاقات المملكة العربية السعودية بالمملكة المتوكلية اليمنية في

عهد الملك عبد العزيز، رسالة ماجستير، قسم التاريخ بجامعة

الملك سعود، ١٤٠٣هـ.

العبيد، محمد العلي

النجم اللامع للنوادر جامع، مخطوطة لدى أقارب مؤلفه.

القاضي، إبراهيم المحمد

تاريخ القاضي، بخط مؤلفه الذي كتبه بلغة عامية نجدية.

موسى، عامر

العلاقات الأردنية السعودية ١٩٢١ - ١٩٢٨ م، رسالة تخرّج

جامعيّة، الجامعة الأردنية، ١٩٧٧ م.

ابن ناصر، عبد الرحمن

عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز واليمن

ونجد، صورة لدى المؤلف.

٢ - أعمال منشورة :

إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني

أمراء وغزاة، لندن، ١٩٩١ م.

الأصفهاني، الحسن بن عبد الله

بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة في

الرياض، ١٣٨٨ هـ.

أم القرى

العددان بتاريخ ١٥/٧/١٣٤٧هـ، و ٣/١١/١٣٤٧هـ.

البسام، عبد الله بن عبد الرحمن

علماء نجد خلال ستة قرون، مكة، ١٣٩٨هـ.

ابن بشر، عثمان بن عبد الله

عنوان المجد في تاريخ نجد، طبعة وزارة المعارف الثانية،

١٣٩١هـ.

بغدادى، عبد المجيد

الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، جدة،

١٤٠٤هـ.

بوركهارت، جوهان لودفيج

مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبد الله الصالح العثيمين،

الرياض، ١٤٠٥هـ.

الجباسر، حمد

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، دار

اليامة في الرياض، ١٣٩٧هـ.

ابن الحسين، عبد الله (الملك)

حقة من تاريخ الأردن، بيروت، ١٩٧٣م.

حقي، إسماعيل

أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، تعريب خليل مراد، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٥م.

حمزة، فؤاد

- البلاد العربية السعودية، ط ٢، الرياض، ١٣٨٨هـ.

- قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

الحميدان، يوسف، والعيسى، محمد

الإنجازات الصحية في عهد الملك عبد العزيز، بحث قدّم للمؤتمر العالمي لتاريخ الملك عبد العزيز، الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٠٦هـ.

خزعل، حسين

تاريخ الكويت السياسي، بيروت، ١٩٦٢م.

الخطيب، عبد الحميد

الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، القاهرة، دون ذكر لسنة الطباعة.

دحلان، أحمد بن زيني

خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ.

الدخيل، سليمان

القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد، طبع ملحفاً بنبذة ضاري

الرشيد بدار اليمامة بالرياض، ١٣٨٦هـ.

ابن دهيش، عبد اللطيف

التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز: نشأته

وتطوره، مكة، ١٤٠٧هـ.

الرشيد، ضاري بن فهيد

نبذة تاريخية عن نجد، أملاها ضاري الرشيد وكتبها وديع

البيستاني، دار اليمامة بالرياض، ١٣٨٦هـ.

الرشيد، عبد العزيز

تاريخ الكويت، بغداد، ١٣٤٤هـ.

الريحاني، أمين

تاريخ نجد وملحقاته، ط ٥، الرياض، ١٩٨١م.

الزركلي، خير الدين

شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، بيروت، ١٣٩٠هـ.

السباعي، أحمد

تاريخ مكة، ط ٣، مكة، ١٣٨٧هـ.

السبيت، عبد الرحمن، ومحمد الثوبة، وطه الفراء

المصمك رمز من التراث، الحرس الوطني، دون ذكر لسنة

الطباعة.

السدحان، عبد الله، والغامدي، عبد العزيز

الزراعة والمياه في عهد الملك عبد العزيز، بحث مقدّم للمؤتمر

العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، الذي عقدته جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية في الرياض سنة ١٤٠٦هـ.

السعدون، خالد

- «أضواء على حملة شريف مكة على القصيم سنة

١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م»، الدارة، شوال ١٤٠١هـ.

- العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ - ١٣٤١هـ، دارة

الملك عبد العزيز في الرياض، ١٤٠٣هـ.

آل سعود، ماضي بنت منصور

الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٣٤٢ - ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م،  
دار تهامة، جدة، ١٤٠٢هـ.

سعيد، أمين

تاريخ الدولة السعودية، بيروت، ١٣٨٥هـ.

الشامخ، محمد

- التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، الرياض،  
١٣٩٣هـ.

- الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٤٤م، بيروت، ١٣٩١هـ.

آل الشيخ، عبد العزيز بن عبد الله

لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية،  
الرياض، ١٤١٢هـ.

ابن عاكش، الحسن

تكملة نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق محمد  
العقيلي، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ.

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

محمد علي وشبه الجزيرة العربية، القاهرة، ١٩٨١م.

آل عبد القادر، محمد بن عبد الله

تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الرياض،  
١٣٧٩هـ.

آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد.

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث  
الزمان، الرياض، دون ذكر لسنة الطباعة.

العبودي، محمد بن ناصر

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم، دار  
اليامة في الرياض، ١٣٩٩هـ.

العتيبي، إبراهيم بن عويض

تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣ - ١٣٧٣هـ،  
الرياض، ١٤١٤هـ.

العثيمين، عبد الله الصالح

- العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، ط ٢،  
الرياض، ١٤١١هـ.



- «نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، الدارة، شوال ١٣٩٨هـ.
- نشأة إمارة آل رشيد، ط ٢، الرياض، ١٤١١هـ.

العقيلي، محمد بن أحمد

- تاريخ المخلاف السليمان، ط ٢، دار اليمامة في الرياض، ١٤٠٢هـ.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح

- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد. . .، دار اليمامة في الرياض، ١٣٨٦هـ.

- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، طبع ملحقاً بتاريخ ابن بشر، الطبعة المستعملة في هذا الكتاب.

ابن غنّام، حسين

- روضه الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، القاهرة، ١٣٦٨هـ.

فاسيليف

تاريخ العربية السعودية، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة،  
موسكو، ١٩٨٦م.

الفرج، خالد

ديوان النبط، جمع الفرج، القاهرة، دون ذكر لسنة الطباعة.

كشك، جلال

السعوديون والخل الإسلامي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٢هـ.

لوريمر، ج.

دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب أمير دولة قطر،  
الدوحة، ١٣٩٥هـ.

المانع، محمد

توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الله الصالح  
العثيمين، الدمام، ١٤٠٢هـ.

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، نشر المنار، القاهرة، ١٣٤٤هـ.

ابن مسفر، عبد الله

أخبار عسير، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ.

نخلة، محمد عرابي

تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣ م، الكويت،  
١٤٠٠ هـ.

النعمي، هاشم

تاريخ عسير، دون ذكر لمكان الطباعة وستتها.

ابن هذلول، سعود

تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٣٨٠ هـ.

وزارة المعارف، مركز المعلومات

أربعون عاماً من عمر التعليم في وزارة المعارف، الرياض.

وهبة، حافظ

جزيرة العرب في القرن العشرين، ط ٥، القاهرة، ١٣٨٧ هـ.

وهيم، طالب محمد

مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥ م: دراسة في الأوضاع السياسية،

مركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة، ١٩٨٢ م.

## ثانياً: أعمال باللغة الإنجليزية

### ١ - أعمال غير منشورة:

El-Batrik, Abd el-Hamid,

**Turkish and Egyption Rule in Arabia (1810 - 1841)**, University of London, 1947.

Al-Zulfa, Muhammad,

**Ibn Abd El-Wahhab's Call and its Impact on the Asir Resistance to Turkish-Egyption Rule, 1811-1840**, Cambridge University, 1979.

### ٢ - أعمال منشورة:

Al-Amr, Salih Muhammad,

**The Hijaz Under Ottoman Rule 1869 - 1914**, Riyadh (King Saud) University, 1978.

Armstrong, H.,

**Lord of Arabia**, Beirut, 1966.

Glubb, J.B.,

**War in the Desert**, New York, 1961.

Habib, J.,

**Ibn Saud's Warriors of Islam**, leiden, 1978.

Musil, A.,

**Northern Nejd**, New York, 1928.

Pelly, L.,

**Report on a Journey to the Wah'abi Capital of Riyadh**

**in Central Arabia, Bombay, 1866.**

Philby, S.J.,

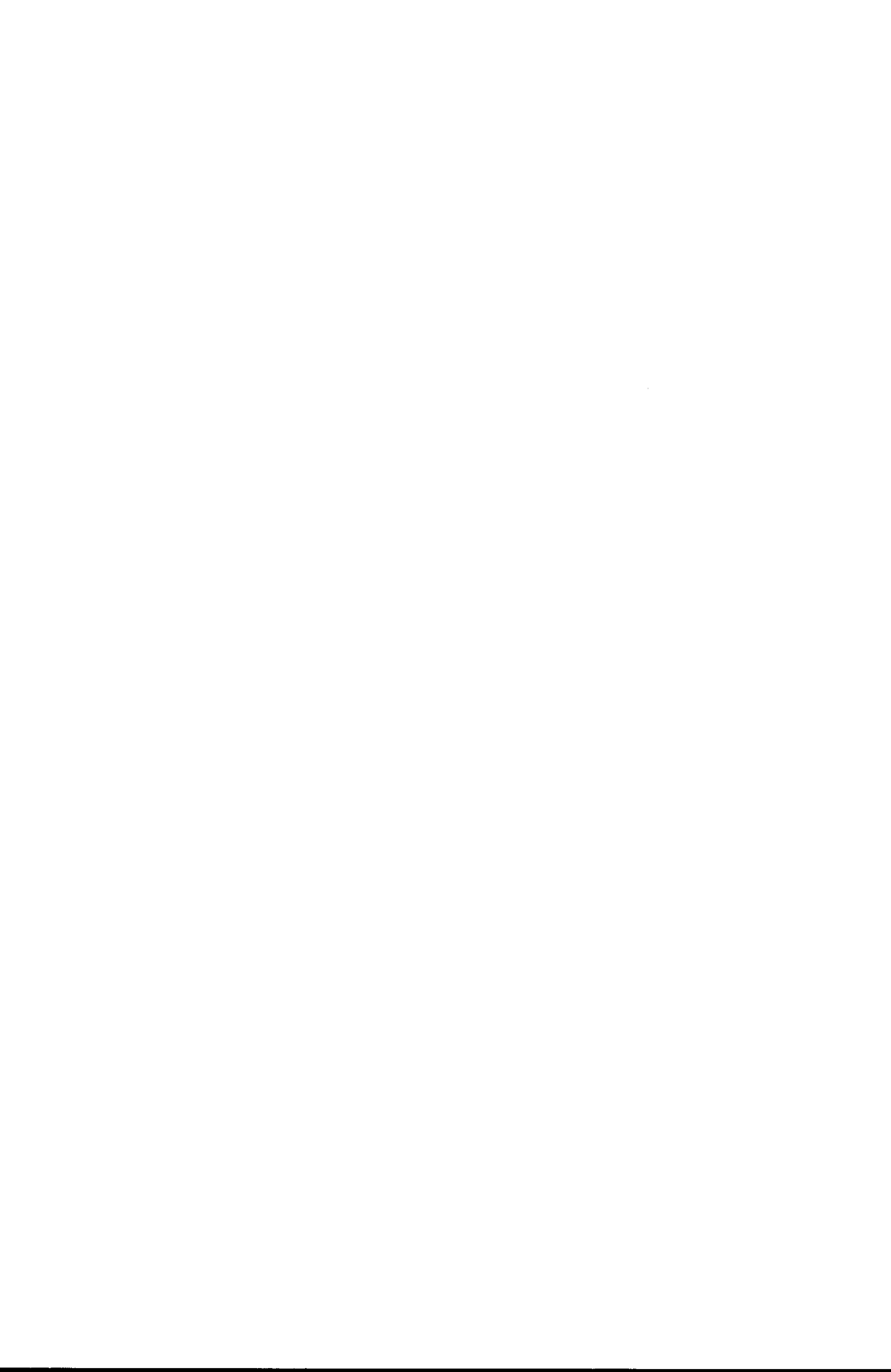
**Saudi Arabia, Beirut, 1955.**

Troeller, Gary,

**The Birth of Saudi Arabia, London, 1976.**

Twichell, K.S.,

**Saudi Arabia with an Account of the Development of its  
Natural Resources, Princeton, 1958.**



# المحتويات





٥	.....	مقدّمة
٧	.....	نوضاع البلاد سياسياً قبل بداية حكم الملك عبد العزيز
٩	.....	١ - الحجاز
١٥	.....	٢ - عسير
١٩	.....	٣ - المخلاف السلياني (جازان)
٢٤	.....	٤ - الأحساء والقطيف
٢٦	.....	٥ - نجد
٢٩	.....	عبد الرحمن بن فيصل وأسرته بعد نهاية حكمه
٤٣	.....	الملك عبد العزيز حتى بداية حكمه
٤٥	.....	١ - مولده ونشأته
٤٩	.....	٢ - استعادة الرياض
٥٧	.....	توحيد نجد عدا جبل شمر
٦١	.....	١ - توحيد جنوبي نجد
٦٣	.....	٢ - المجابهة مع ابن رشيد في الدلم
٦٧	.....	٣ - توحيد الوشم وسدير والمحمل والشعيب
٧١	.....	٤ - توحيد القصيم
٨١	.....	القصيم بين توحيده وتثبيت الحكم فيه
٨٣	.....	أ - معركة البكيرية
٩١	.....	ب - معركة الشنانة
٩٥	.....	ج - القصيم بين معركتي الشنانة وروضة مهناً
١٠٠	.....	د - معركة روضة مهناً

- هـ - القصيم بين سنتي ١٣٢٤ و ١٣٢٦ هـ..... ١٠٥
- و - رحيل القوات العثمانية عن القصيم..... ١٠٧
- ز - ما بعد رحيل القوات العثمانية..... ١١١
- ح - نهاية إمارة أبا الخيل..... ١١٦
- الأوضاع في جبل شمرّ وحملة الشريف على نجد وما واكبها من**
- أحداث..... ١١٩
- ١ - الأوضاع في جبل شمرّ..... ١٢١
- ٢ - حملة شريف مكة على نجد وما واكبها من أحداث..... ١٢٤
- توحيد الأحساء والقطيف..... ١٣٣**
- الملك عبد العزيز خلال الحرب العالمية الأولى..... ١٤٣**
- ١ - علاقته بأمرء جبل شمرّ..... ١٤٥
- ٢ - قضية العجمان..... ١٥١
- ٣ - الملك عبد العزيز والملك حسين..... ١٥٤
- ٤ - قيام حركة الإخوان..... ١٦١
- استكمال توحيد نجد..... ١٦٥**
- توحيد منطقة عسير..... ١٧٣**
- توحيد الحجاز..... ١٨١**
- ١ - معركة تُربة..... ١٨٣
- ٢ - من معركة تُربة إلى توحيد الحجاز..... ١٨٦
- ٣ - اكتمال توحيد الحجاز..... ١٨٩
- ٤ - مقارنة بين توحيد الحجاز في الدولتين السعوديتين الأولى والثالثة..... ٢٠١

٢٠٣	توحيد المخلاف السليمانى (جازان) .....
٢٠٩	مشكلة المعارضين من الإخوان .....
٢١١	١ - بداية المشكلة وتطورها .....
٢٢١	٢ - معركة السبلة .....
٢٢٦	٣ - ما بعد السبلة حتى نهاية مشكلة المعارضين .....
٢٣٧	حركة ابن رفاة وملابساتها .....
٢٤٣	علاقات الملك عبد العزيز بالقوى المحيطة به .....
٢٤٥	١ - العلاقات مع الكويت .....
٢٦٠	٢ - العلاقات مع العراق .....
٢٦٧	٣ - العلاقات مع الأردن .....
٢٧٣	٤ - العلاقات مع اليمن .....
٢٨١	أ - الحرب السعودية اليمنية .....
٢٨٦	ب - الصلح ومعاهدة الطائف .....
٢٩٠	٥ - العلاقات مع بريطانيا .....
٢٩٧	جوانب من النهضة فى عهد الملك عبد العزيز .....
٢٩٩	١ - تنظيم الإدارة العامة للبلاد .....
٣٠٦	٢ - اتخاذ البلاد اسمها الموحد .....
٣٠٩	٣ - تنظيم شؤون القضاء والحسبة: .....
٣٠٩	أ - القضاء .....
٣١٤	ب - الحسبة .....
٣١٦	٤ - الدخل والتنظيم المالى .....

٣٢٣	٥ - التعليم وتنظيمه .....
٣٣٢	٦ - الأمن وتنظيمه .....
٣٣٦	٧ - الجيش وتنظيمه .....
٣٤١	٨ - المياه والزراعة .....
٣٤٦	٩ - الرعاية الصحيّة .....
٣٥٠	١٠ - المواصلات والاتصالات .....
٣٥٤	خاتمة عهد الملك عبد العزيز .....
٣٥٧	ملحق بأسماء من كانوا مع الملك سنة ١٣١٩هـ .....
٣٦٣	ملحق بخرائط معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد .....
٣٩٣	المصادر والمراجع .....
٤٠٩	المحتويات .....